

نَهْائِةُ الْأَدَبِ

فِي

فُنُونِ الْأَدَبِ

تَأَلَّفَ

شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّوَوِيِّ

الْمُتَوَفَّى ٧٣٣ هـ

٣-٢

تَحْقِيقُ

الدَّكْتُورُ حَسَنُ نُورِ الدِّينِ

الدَّكْتُورُ مُفِيدُ قَمِيحَةَ

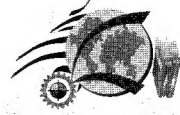
مَسْتَشَوْرَاتُ

مَحْمَدُ رَحَايَةُ بِيضُونِي

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

مستشارات محمد رشدي بيوت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: صرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (٩٦١ ٥)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3883-9



9 782745 138835

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن الثاني في الإنسان وما يتعلق به



وهذا الفن قد اشتمل على معانٍ مؤنسة للسامع،
مشتقة^(١) للمسامع؛ مرصعة لصدور الطروس^(٢) والدفاتر،
جاذبة لنوافر القلوب والخواطر؛ واضحة البيان، معربة عن
وصف الإنسان.

فمن تشبيهاتٍ فائقة، وغزلياتٍ رائقة، وأنسابٍ
طاهرة، ووقائعٍ ظاهرة، وأمثالٍ امتدت أطنابها^(٣)، وتبينت
أسبابها، وأوابد^(٤) جعلتها العرب لها عادةً ودليلاً، واتخذتها
ضلالةً وتبديلاً، ونصبتها أحكاماً ونُسكاً، وصيرتها عبادةً
ومداواةً فتبواتٍ بها من النار دَرَكَاً^(٥)، وشيءٍ من أخبار
الكُهَّان، وزَجَرِ عِبْدَةِ الأوثان، وكنياتٍ ثقلت الألفاظ إلى
معانٍ أبهى من معانيها، وبلغت النفوسُ بعذوبتها غايةً
أمانيتها، وألغازِ غَوَرَتْ^(٦) بالمعاني وأنجدت^(٧)، وأشارت
إليها بالتأويل حتى إذا قربتها من الأفهام أبعدت، ومدائحُ
رفعت للممدوح من الفضل مناراً، وأهاجي صيرت المهجُوَّ

(١) المشتقة: المطرية، وشَتَفَ الكلام: زَيَّنَه.

(٢) الطروس: مفردُها الطُرس، وهي الصحيفة.

(٣) الأطناب: مفردُها طُنْب، وهو حبلٌ تشدُّ به الخيمة إلى الودد.

(٤) الأوابد: جمع أبدة، وهي القافية الشاردة.

(٥) الدرك: أسفل كلِّ شيء ذي عمق.

(٦) غَوَرَتْ بالمعاني: أي ابتعدت بها وتعمقت، والغور: ما انخفض من الأرض.

(٧) أنجدت: أي وضحت واستبان، والنجد: ما أشرف من الأرض وارتفع.

من القوم يتوارى، ومُجُون ترتاح إليها عند خلوتها النفوس،
ويبتسم عند سماعها ذو الوجه العَبُوس، وشيء مما قيل في
الخمر والمُعَاقرَة، وأرباب الطَّرب وذوي المسامرة، وتَهَانِ
نَشَرَتْ من البشائر مُلَاء، ورفعت من المَحَامِد لِيَوَاء، وتَعَاذِ
حَسَرَتْ نِقَاب الحَسَرَات، وأبرزت مَصُون العَبَرَات.

وأوردت فيه نبذة من الزهد والإنابة^(١)، وجملته من
الدَّعَوَات المستجابة.

وطرَّزته بذكر ملك، مدَّ رواق العدل، ونشر لِيَوَاء
الفضل، وقام بفروض الجهاد وسُنَّته، وأراع العدو في
حالتي يقظته ووسنه^(٢)، وعم الأولياء بمواصلته برّه وموالاة
نَوَاله، وقهر الأعداء بمراسلة سيَّاهمه ومناضلة^(٣) نصاله،
وشمِّل رعاياه بعدله وجوده، وأردف سَراياه^(٤) بجيوشه
وجُنُوده، فهو الملك الذي جَمَعَ بين شِدَّة البأس، ولين
اللَّدَى، وأزال مَرَاة الإيَّاس، بحلاوة العطا.

وما يحتاج إليه لإقامة المملكة: من نائب^(٥)
ناهيك^(٦) به من نائب! يَكُفُّ بعزمه كَفَّ الحوادث ويَقْلُ^(٧)
بحزمه ناب النوائب، ويُصِف الضعيف من القوي، ويفرق
ببديهته بين المُريب والبري؛ ويتفَقَّد أحوال الجيوش
ويضُرِف همته إليهم، ويجعل اهتمامه بهم وفكرته فيهم
وتعويله عليهم، إلى غير ذلك من استكمال عُددها،
والمطالبة بعَرَض خيولها وإصلاح عُددها، وسَدُّ ثغور
الممالك، وضبط الطرق وتسهيل المسالك، وقَمْع

(١) الإنابة: يقال: أناب إلى الله: أي تاب ورجع.

(٢) الوسن: التعاس.

(٣) المناضلة: المدافعة، يقال: ناضله: باراه في رمي السهام، وناضل عنه: حامى ودافع.

(٤) السرايا: مفردها سرية: وهي القطعة من الجيش.

(٥) النائب: من قام مقام غيره في أمر أو عمل.

(٦) ناهيك: كلمة يتعجب بها، والمعنى: ناهيك به من نائب يكفيك عن غيره.

(٧) يقل: قلَّ السيف: تثلَّم حده.

المفسدين، وإرغام المُلحدين، وِث السَّرايا، وتيسير
الأرزاق والعطايا. ووزير يشيّد قواعد ملكه بحسن تدبيره
وجميل سَدَّاده، ويُغَمِّل فكره فيما يستقرّ بسببه نظامُ الملك
على مِهَادَةٍ^(١)، ويأمر بتحصيل الأموال من جهات جِلْها،
ويقرّ مناصب الدّولة الشريفة في الكُفَاة من أهلها، ويتصفّح
الأقاليم والمعاملات والأعمال، ويستكفي لمباشرتها أمناء
النظار^(٢) ومحققي المستوفين وكُفَاة العمال.

وقائد جيوش إن انتدبه للقاء عدوّ بَدَر^(٣) الكتائب،
وأَنهَل^(٤) من دماهم السَّمَر العوالي وعَلَا هامهم بالبيض
القواضب^(٥)، تتبعه عساكر تَنْفِرُ قلوبهم عن الفرار،
ويُحِلُّوا مَنْ قاتلهم من أعداء الله دارَ البَوار، يَدْرِعُونَ
السَّابِرِيَّةَ^(٦) الذوائل، ويعتقلون السَّمْهَرِيَّةَ الدَّوَابِلَ^(٧)،
ويتقلّدون المَشْرِفِيَّةَ^(٨) البواتر، ويتنكبّون القِسيّ التواتر^(٩)،
ويمتطّون من كل جواد صَفًا منه أديمه^(١٠) وعيناه
وحوافره، واتسع منه جوفه وجبهته ومناخره، وطال منه
أنفه وعنقه وذراعه، وقَصُرَ منه ظهره وساقه وعِسيبه^(١١)
وامتدّ عند الحُضُر^(١٢) باعه: فهو من أكرم الأصائل،

- (١) المهاد: مفردا المهد، وهو السرير، والمهاد: الأرض السهلة المستوية.
(٢) النظار: مفردا «الناظر»، وهو الذي يتولّى عملاً إدارياً بارزاً في السياسة والإدارة وغيرهما، ناظر
الخارجية، ناظر الشرطة...
(٣) بدر: أسرع وتقدّم.
(٤) أنهل: سقى، والسمر العوالي: الرّماح.
(٥) القواضب: القواطع، والبيض: السيوف.
(٦) السّابريّة: هي دروع دقيقة النسيج في إحكام، والذوائل: جمع ذائلة وهي الطويلة «القاموس».
(٧) السّمهرية: الرماح الصلبة العود، المنسوبة إلى «سمهر» وهو رجل كان يقدّم الرّماح، وامرأته
«ردينة» التي تنسب إليها الرّماح الدينية. والذوابل من الرّماح: الدقيقة.
(٨) المشرفيّة: سيوف تجلب من المشارف، منسوبة إليها، والبواتر: الماضية القاطعة.
(٩) التّواتر: مفردا ناترة وهي القوس تقطع وترها لصلابتها، وتنكبّ: ألقي القوس على منكبه،
والمنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد.
(١٠) الأديم: الجلد.
(١١) العسيب: عظم الذّنْب، أو منبت الشعر منه.
(١٢) الحُضُر: عدوّ فيه وثب.

والمعني بقول القائل: [من المتقارب]

وَقَدْ اغْتَدِي قَبْلَ ضَوْءِ الصُّبْحِ

وَوَزِدَ الْقَطَا فِي الْغَطَاطِ الْحَثَاثِ^(١)

بصافي الثلاث عريض الثلاث

قصير الثلاث طويل الثلاث

وذكرت ما ورد في فضل الرباط والجهاد، وما أعد الله تعالى من الثواب لمن أنفق فيه الطَّوَارِفِ والتَّلاذِ^(٢)، وبذل الكريمين: (النفْسَ والمال) لحسن المآل، وهجر الحبيبين: (الوطنَ والعِيال) لبلوغ الآمال.

وَمِنْ قَاضٍ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ، وَيَقْدِمُ ذَوِي النَّبَاهَةِ وَالْفَضْلِ.

وَمَتَوَلَّى مَظَالِمَ يَرُدُّهَا عَلَى أَهْلِهَا بِقَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَسُطُوتِهِ وَأَعْوَانِهِ.

وَنَاضَرَ حِسْبِيَّةٍ^(٣) يُجْرِي الْأُمُورَ عَلَى قَوَاعِدِهَا الشَّرْعِيَّةِ^(٤)، وَأَوْضَاعِهَا الْعُرْفِيَّةِ^(٥) وَقَوَانِينِهَا الْمَرْصُومَةِ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ:

من كاتب، ذي رأي صائب، وفهم ثاقب، انقادت له المعاني بأسهل زمام، وأغنت صحائفه عن صفحات

(١) الغطاط: اختلاط ظلام آخر الليل بضياء أول النهار، والقطاة: واحدة القطا، وهي نوع من البمام يؤثر الحياة في الصحراء، والحثاث: النوم الخفيف يسرع إلى العين.

(٢) الطارف والتلبد: المال حديثه وقديمه.

(٣) الحسبة: منصب في الدول الإسلامية القديمة كان يتولاه مسؤول عن مراقبة الأسعار ونحوها «ناصر الحسبة».

(٤) الشرعية: المنسوبة إلى أحكام الشرع الإسلامي.

(٥) العرفية: المنسوبة إلى العرف: وهو سلوك تعارف عليه الناس في عاداتهم وتقاليدهم وتصرفاتهم «الاصطلاح».

الحُسَام: [من الكامل]

لَوْ لَاحَظْتَ عَيْنُ ابْنِ أَوْسٍ كُثْبَهُ

ما قال: «إِنَّ السَّيْفَ مِنْهَا أَصْدَقُ»^(١)

وَكَاتِبِ خَرَجٍ^(٢) ضَبَطَ بِقَلَمِهِ الْأَمْوَالَ، وَحَرَّرَ
بَنَبَاهَتَهُ الْغِلَالَ، وَبَسَطَ الْمَوَازِينَ، وَوَضَعَ الْقَوَانِينَ،
وَفَصَّلَ بَيْنَ الْخَرَاجِيِّ^(٣) وَالْهَلَالِيِّ^(٤)، وَمَيَّزَ مَا بَيْنَ
الْأَعْمَالِ وَالتَّوَالِي.

وَمَا لَا بَدَّ لِلْمَلِكِ مِنْهُ مِنْ خَوَاصِّ^(٥) جُبِلَتْ عَلَى
مَحَبَّتِهِ قُلُوبُهُمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ الْمَضَاجِعِ فِي خِدْمَتِهِ
جُنُوبُهُمْ.

وَمِنْ مَعْقِلٍ^(٦) شَمَخَ عَلَى الْجُوزَاءِ بَأْنْفِهِ، وَاتَّخَذَ الثَّرِيًّا
وِشَاحًا لِعَظْفِهِ^(٧)، تَوَارَى فِي قَرَارِ التَّخُومِ أَسَاسُهُ، وَلَا حَ
لِلْسَارِيِّ كَكُوكِبِ الظُّلُمَاءِ مِقْبَاسُهُ^(٨). فَلِلْأَرْضِ تَدْعِيهِ: لِأَنَّهُ
ثَبَّتَ عَلَى مَنَاقِبِهَا، وَالسَّمَاءِ تَنَازَعَهَا فِيهِ: لِأَنَّهُ تَمَنُّطَقُ^(٩)
بِكُوكِبِهَا، وَالْجِبَالِ تَقُولُ مَتَى اتَّخَذْتَ أَحْجَارَهُ، وَالْمِيَاهِ
تَقُولُ عَلَيَّ اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ، وَجَفَنَ السَّحَابُ يَهْمَعُ^(١٠)

(١) ابن أوس: يريد أبا تمام الطائي حبيب بن أوس، ويشير إلى قوله:
السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدَّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعْبِ
وهو مطلع قصيدة يمدح فيها المعتصم بن هارون الرشيد، ويذكر فتح عمورية. «انظر ديوانه ص
١٤ دار صعب، بيروت».

(٢) الخراج: الجزية التي كانت تفرض على أهل الذمة، أو على غلة الأرض.

(٣) الخراجي: نسبة إلى الخراج.

(٤) الهلالي: عبارة عما تُستأدى أجوره مشاهرة، كأجر الأملاك المسقفة من الآذر والحوانيت
والحمامات والأفران وغيرها.

(٥) الخواص: المقربون من الحاكم من وزراء ورجال ومستشارين.

(٦) المعقل: الحصن والقصر.

(٧) العطف: من الإنسان من لدن رأسه إلى وركه.

(٨) المقياس: العود ونحوه مما تقبس به النار.

(٩) تمنطق: شدّ وسطه بالمنطقة، وهي قطعة من جلد أو قماش.

(١٠) يهمع: يهطل ويدمع.

لأنحطاطه عن هذه الرتبة، والطير تقول إن لم أبلغه فقد
اتَّحدَ به مَنْ بيني وبينه نِسْبَةً.

وَضَمَّنْتُ هذا الفن من المنقول ما يسهل تعاطيه على
الأفهام، ووضعتُه على خمسة أقسام.

القسم الأول

في اشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، ووصفه،
وتشبيهه، والغزل، والنسيب، والهوى، والمحبة،
والعشق، والأسباب

وفيه أربعة أبواب:

الباب الأول

من القسم الأول من الفن الثاني
في اشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه،
وما يتصل بذلك

فأما اشتقاقه وتسميته، فقد اختلف الناس في ذلك: هل هو من الأُس الذي هو
نقيض الوحشة، أو التُّوس^(١) الذي هو نقيض السكون، أو الإيناس الذي هو بمعنى
الإبصار، أو التسيان الذي هو نقيض الذُّكر.

قال الشريف السيّد ضياء الدين أبو السعادات هبة الله المعروف بابن الشجري في
«أماليه» (في المجلس التاسع عشر وهو يوم السبت سابعَ عشرَ رجب سنة أربع
وعشرين وخمسائة) في شرح قول أعشى تَغْلِبُ^(٢): [من الطويل]

وكانوا أناساً يَنْفَحُونَ فأصْبَحُوا وأكثرُ ما يُنْظَرُكَ النَّظَرُ الشَّرُّ^(٣)

قوله: «وكانوا أناساً يَنْفَحُونَ» وزن أناس فُعَال، وناس منقوص منه عند أكثر
النحويين: فوزنه عال. والنقص والإتمام فيه متساويان في كثرة الاستعمال ما دام

(١) التُّوس: الحركة.

(٢) أعشى تغلب: هو كهمس بن قعنبن بن وعلة بن عطية العكلي، أعشى بني عُكل، شاعرٌ كان في
عصر جرير، من آثاره ديوان شعر: «المؤتلف والمختلف للآمدي: ص ١٨، دار الكتب
العلمية، بيروت».

(٣) ينفحون: يعطون كرمًا، والنظر الشَّرُّ: أي صاروا ينظرون إلى الطالبين نظرة إعراض، أو غضب
أو استهانة، ونظر شَرًّا: أي نظر بمؤخر عينه غضبًا أو إعراضًا.

منكورًا، فإذا دخلت عليه الألف واللام، التزموا فيه الحذف، فقالوا: «الناس» ولا يكادون يقولون: «الأناس» إلا في الشعر؛ كقوله: [من مجزوء الكامل المزمّل]

إِنَّ الْمَنَائَا يَطْلَعْنَ عَلَى الْأُنَاسِ الْأَمْنِيَا

وحجة هذا المذهب وقوع الأنس على الناس، فاشتقاقه من الأنس نقيض الوحشة؛ لأن بعضهم يأنس إلى بعض. وبه^(١) أخذ بعض الشعراء في قوله: [من الطويل]

وَمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِأَنِّهِ وَلَا الْقَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ

قال: وذهب الكسائي^(٢) إلى أن «الناس» لغة مفردة، وهو اسم تام وألفه منقلبة عن واو، واستدل بقول العرب في تحقيره نُويس.

قال: ولو كان منقوصًا من أناس لردّه التحقير إلى أصله، فقليل: «أُنيس».

وقال بعض مَنْ وافق الكسائي في هذا القول: إنه مأخوذ من النُّوس، مصدر ناس يَنُوس إذا تحرَّك. ومنه قيل لملك من ملوك حمير ذو نُواس^(٣): لضفيرتين كانتا تُنُوسان على عاتقه.

قال الفراء^(٤): والمذهب الأول أشبه، وهو مذهب المشيخة.

وقال أبو علي الفارسي^(٥): أصل الناس الأناس، فحذفت الهمزة التي هي فاء، ويدلّك على ذلك الإنْسُ والأناسي، فأما قولهم في تحقيره نُويس فإن الألف لما

(١) لم نجد هذه الزيادة في أمالي ابن الشجري، الموجود منها نسخة مخطوطة «بدار الكتب المصرية».

(٢) الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي بالولاء الكوفي، المعروف بالكسائي، أحد القراء السبعة، وإمامًا في النحو واللغة والقراءات، توفي سنة ١٨٩ هـ. «انظر: إعيام الأعلام: ص ١٧٣، دار الكتب العلمية».

(٣) ذو نواس: آخر ملوك حمير في اليمن، وهو صاحب الأخدود المذكور في القرآن الكريم، كان يدين باليهودية. «فهرس الأعلام ٨/٣».

(٤) الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أبو زكريا، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب، ولد بالكوفة، وتوفي في طريق مكة سنة ٨٢٢ م، وكان فقيهاً ومكثماً وعالماً بأيام العرب وأخبارها. «فهرس الأعلام: ١٤٥/٨».

(٥) أبو علي الفارسي: هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أحد الأئمة في علم العربية، ولد في «نسا» من أعمال فارس، وتجوّل في بغداد وكثير من البلدان وقدم حلب، فأقام مدة عند سيف الدولة الحمداني، له مؤلفات ومصنّفات عديدة، توفي ببغداد سنة ٩٨٧ م. «فهرس الأعلام ١٧٩/٢».

صارت ثانية وهي زائدة أشبهت ألف فاعل، يعني: أنها أشبهت بكونها ثانية، وهي زائدة أَلِف «ضارب» فقليل: نويس، كما قيل ضويرب.

وقال سَلَمَة بن عاصم^(١)، وكان من أصحاب الفراء: الأثبه في القياس أن يكون كل واحد منهما أصلاً بنفسه فأناس من الأنس، وناس من النوس لقولهم في تحقيره نويس كبويب في تحقير باب.

هذا ما قاله ابن الشجري في أماليه.

وذهب أبو عمرو الشيباني^(٢): أنه مشتق من الإيناس، الذي هو بمعنى الإبصار؛ وحبته قوله تعالى: ﴿إِنِّي ءَاسْتُ نَارًا﴾ [طه: الآية ١٠]، أي أبصرت ناراً.

وذهب الكوفيتون^(٣) إلى أنه مشتق من النسيان، وحبته أن أصله إنسيان، فحذفت الياء تخفيفاً وفتحت السين لأن الألف تطلب فتح ما قبلها، ولأن العرب حين صغرت قالت فيه أنيسيان، فزادت الياء. والتصغير يراد الأشياء إلى أصولها، ولو لم تكن في المكبر لما رُدَّت في المصغر، وبه أخذ أبو تمام في قوله: [من الكامل]

لا تُنْسِينَ تلك العهود فإنما سُمِّيت إنساناً لأنك ناسي

وأنكر البصريون^(٤) ذلك، وقالوا: لا حجة فيه، لأن العرب قد صغرت أشياء على غير قياس، كما قالوا في تصغير رجل بمعنى راجل رُوَيْجِل، وفي تصغير ليلة لَيْلِيلَة، وفي تصغير عَشِيَّة عَشِيْشَة.

وقال ابن عباس: إنما سُمِّي الإنسان إنساناً لأنه عُهِد إليه فَنَسِيَ.

وهذا هو الأرجح، والله تعالى أعلم.

(١) هو سلمة بن عاصم التَّحَوِي، أبو محمد، من أهل الكوفة، عالم بالعربية له كتب منها: «معاني

القرآن»، و«غريب الحديث»، توفي سنة ٩٢٢ م. «فهرس الأعلام: ١١٣/٣».

(٢) أبو عمرو الشيباني: هو إسحاق بن مرار الشيباني بالولاء، أبو عمرو، لغوي أديب من رمادة الكوفة، سكن بغداد ومات بها سنة ٨٢١ م، له مصنفات كثيرة منها: كتاب اللغات، وكتاب الخيل، وكتاب «النوادر» و«غريب الحديث». «فهرس الأعلام: ٢٩٦/١».

(٣) الكوفيتون: أصحاب المذهب الكوفي التابع لمدرسة الكوفة «في اللغة والنحو والأدب»، وكانوا يحترمون كلام العرب، ولا يأخذون بالقياس.

(٤) البصريون: أصحاب المذهب البصري التابع لمدرسة البصرة «في اللغة والنحو والأدب»، وكانوا يعملون بالقياس لضبط اللغة وقواعدها.

فصل

قال أحمد بن محمد بن عبد ربّه صاحب العقد^(١) في كتابه يرفعه إلى وهب بن منبّه^(٢) أنّه قال: قرأت في «التوراة» أن الله عزّ وجلّ حين خلق آدم ركبّ جسده من أربعة أشياء، ثم جعلها وراثّة في ولده، تنمى في أجسادهم، وينمون عليها إلى يوم القيامة. رطب، ويابس، وسخن، وبارد. قال: وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلقه من تراب وماء، وجعل فيه يئسًا ورطوبة، فيبوسة كل جسد من قبل التراب، ورطوبته من قبل الماء، وحرارته من قبل النفس، وبرودته من قبل الروح. ثم خلق للجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع أخر وهي ملاك الجسد وقوامه، لا يقوم الجسد إلّا بهنّ، ولا تقوم واحدة منهنّ إلّا بأخرى: الميرة^(٣) السوداء، والميرة الصفراء، والدم الرطب الحار، والبلغم^(٤) البارد. ثم أسكن بعض هذا الخلق في بعض، فجعل مسكن اليبوسة في الميرة السوداء، ومسكن الرطوبة في الدّم، ومسكن البرودة في البلغم، ومسكن الحرارة في الميرة الصفراء، فأثما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع وكانت كل واحدة فيهِ وفقًا لا تزيد ولا تنقص، كملت صحته واعتدل بناؤه، فإن زادت واحدة منهنّ عليهنّ وقهرتهنّ ومالت بهنّ، دخل على أخواتها السقم من ناحيتها بقدر ما زادت، وإن كانت ناقصة عنهنّ، ملن بها وعلونها وأدخلن عليها السقم من نواحيهنّ، لغلبتهنّ عليها حتّى تضعف عن طاقتهنّ وتعجز عن مقاومتهمّ.

قال وهب: وجعل عقله في دماغه، وشّره^(٥) في كُليّته، وغضبه في كبده، وضرامته^(٦) في قلبه، ورغبته في رئته، وضحكه في طحاله، وحزنه وفرحه في وجهه، وجعل فيه ثلاثمائة وستين مفصلاً.

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد ربّه، صاحب كتاب «العقد» الموسوم بالفريد، ولد في قرطبة سنة ٢٤٦ هـ، يقول عنه الثعالبي في اليتيمة: «إنه أحد محاسن الأندلس علمًا وفضلًا وأدبًا ومثلاً وشعره في نهاية الجزالة والحلاوة، وعليه رونق البلاغة والطلاوة». أصيب بالفالج في أواخر حياته، وتوفي سنة ٣٢٨ هـ. انظر مقدمة العقد: دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) هو وهب بن منبّه الأنباري الصنعانيّ الذماري، أبو عبد الله، مؤرّخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين، ولا سيّما الإسرائيليات، ولد ومات بصنعاء سنة ٧٣٢ م. «فهرسُ الأعلام: ١٢٥/٨».

(٣) الميرة: خلط من أخلاط البدن، وهو المسمى المزاج.

(٤) البلغم: خلط من أخلاط الجسم، وهو أحد الطبائع الأربع «قديمًا» أو اللّعاب المختلط بالمخاط الخارج من المسالك التنفسية.

(٥) الشّره: اشتداد الحرص على الطعام واشتهاؤه. (٦) الضّرامة: القسوة.

ويقال: إنما لُقِّبَ الإنسان بالعالم الصغير، لأنهم مثَّلُوا رأسه بالفلك، ووجهه بالشمس إذ لا قِوَامَ للعالم إلَّا بها كما لا قِوَامَ للجسد إلَّا بالروح، وعقله بالقمر لأنَّه يزيد وينقص ويذهب ويعود، ومثَّلُوا حواسَّه الخمسَ ببقية الكواكب السيَّارة، وآراءه بالنجوم الثابتة، ودمعه بالمطر، وصوته بالرعد، وضحكه بالبرق، وظهره بالبرّ، وبطنه بالبحر، ولحمه بالأرض، وعظامه بالجبال، وشعره بالنبات، وأعضاءه بالأقاليم^(١)، وعروقه بالأنهار، ومغار عروقه بالعيون.

ومنها: أن فيه ما يشاكل الجمعة، والشهر، والأيام، والسنة.

أمَّا أيام الجمعة، فإن بدنه سبعة أجزاء، وهي اللحم، والعظام، والعروق، والأعصاب، والذَّم، والجلد، والشعر.

وأمَّا الشهور، فإن لبدنه اثني عشر جزءًا مديرة: ستة منها باطنة، وهي الدماغ، والقلب، والكبد، والطَّحال، والمعدة، والكُلَّيتان؛ وستة ظاهرة، وهي العقل، والحواسُّ الخمس؛ فهذه الاثنا عشر مقابلة لشهور السنة.

وأمَّا الأيام، فإن فيه ثلاثمائة وستين عظمًا؛ منها ما هو لبنيَّة الجسد مائتان وثمانية وأربعون عظمًا. والإنسان ينقسم إلى أربعة أنواع: الرأس، واليدين، والبدن، والرَّجْلان؛ ففي الرأس اثنان وأربعون عظمًا؛ وفي اليدين اثنان وثمانون عظمًا؛ وفي البدن أربعون عظمًا؛ وفي الرجلين أربعة وثمانون عظمًا؛ والباقي سُمُسمانية^(٢) لسدِّ الفروج^(٣) التي تكون بين العظام، وفيه ثلاثمائة وستون عِزْقًا.

وأمَّا فصول السنة: فإن فيه أربعة أخلاط طَبْعُها طَبْعُ الفصول الأربعة، فالدم كالربيع في حرارته ورطوبته، والمِرَّة الصفراء كالصيف في حرِّه ويَبسه، والمِرَّة السوداء كالخريف في برده ويَبسه، والبلغم كالشتاء في برده ورطوبته. وهذه الأخلاط^(٤) من أوَّل مزاج الأركان التي هي العناصر الأربعة، وهي: النار، والهواء، والماء، والأرض.

(١) الأقاليم: جمع إقليم، وهو قسم من الأرض، يختص بمميَّزات معيَّنة.

(٢) السُمسمانية: نسبة إلى السُمسمان، وهو الخفيف اللطيف من كلِّ شيء أو إلى السُمسم: لصغرها.

(٣) الفروج: مفردا «فرج» وهو الشق والفتق.

(٤) الأخلاط: جمع خلط، وهو ما خالط الشيء، «وأخلاط البدن» أربعة: الدم، والمِرَّة الصفراء، والمِرَّة السوداء، والبلغم.

فصل

وأما ترتيب أحواله، وتنقل السن به إلى أن يتناهى:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ثَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ [الحج: الآية ٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٦ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٧ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٨﴾ [المؤمنون: الآيات ١٢ - ١٤].

وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ رُّبَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوعًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلٍ وَلِبَلَّغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾ [غافر: الآية ٦٧].

وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً^(١) مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مَلَكًا فَيَوْمِرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ» الحديث.

وعنه ﷺ أنه قال: «وَكُلَّ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فيقول: أَيُّ رَبِّ نُطْفَةٍ! أَيُّ رَبِّ عَلَقَةٍ! أَيُّ رَبِّ مُضْغَةٍ! فإذا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قال: أَيُّ رَبِّ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فما الرِّزْقُ؟ فما الأَجَلُ^(٢)؟ فيكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ».

خرج ذلك البخاري في «صحيحه» في باب القدر.

وقال الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ [الانشقاق:

الآية ١٩]:

(١) المضغة: القطعة من اللحم، صغيرة.

(٢) الأجل: الوقت يحدّد لانتهاى الشيء أو حلوله، يقال: جاء أجله: إذا حان موته.

«قالت الحكماء: يشتمل الإنسان من كونه نطفة إلى أن يهرم ويموت على سبعة وثلاثين^(١) حالاً، وسبعة وثلاثين اسماً: نُطفة، ثم عَلَقَة، ثم مُضْغَة، ثم عَظْمًا، ثم خَلْقًا آخر، ثم جَنِينًا، ثم وَلِيدًا، ثم رَضِيْعًا، ثم فَطِيْمًا، ثم يافِعًا، ثم ناشِئًا، ثم مُتَرَعِّعًا، ثم حَزَوْرًا، ثم مُرَاهِقًا، ثم مُخْتَلِمًا، ثم بالغًا، ثم أَمْرَدًا، ثم طَارًا، ثم باقلاً، ثم مُسَيِّطَرًا، ثم مُصْرَحًا، ثم مُخْتَطًا، ثم صُمْلًا، ثم مُلْحِيًا، ثم مستريماً، ثم مصعداً، ثم مُجْتَمِعًا».

وقال غيره:

ما دام الولد في الرَّحِم، فهو جَنِين؛ فإذا وُلِد، فهو وَلِيد، وما دام لم يَسْتَمَّ سبعة أيام، فهو صَدِيغ: لأن لم يشتدَّ صُدْغُهُ إلى تمام السَّبعة، ثم ما دام يَرْضَع، فهو رَضِيْع، فإذا قُطِع عنه اللبن، فهو فَطِيْم؛ ثم إذا غَلُظ وذَهبت عنه تَرارة^(٢) الرِّضاعة، فهو جَحْوَش.

قال الهذلي^(٣): [من الوافر]

قَتَلْنَا مَخْلُودًا وَابْنِي خُرَاقٍ وَآخَرَ جَحْوَشًا فَوْقَ الْفَطِيْمِ^(٤)

ثم إذا دَبَّ وَتَمَّا، فهو دَارِج.

فإذا بلغ طُولُهُ خَمْسَةَ أَشْبَارٍ، فهو خُمَاسِي.

فإذا سقطت رِوَاضِعُهُ، فهو مُتَغَوِّر.

فإذا نَبَت أسنانه بعد السَّقُوط، فهو مُتَغَيِّر وَمُتَغَيِّرٌ مَعًا.

فإذا تَجَاوَز^(٥) عَشْرَ سَنِينَ أو جَاوَزَهَا، فهو مُتَرَعِّع وَنَاشِءٌ.

فإذا كَادَ أَنْ يَبْلُغَ الْحُلُمَ أو بَلَغَهُ، فهو يافِعٌ وَمَرَاهِقٌ.

(١) البيانات التالية بعده، سبعة وعشرون، فلعلها محرّفة عنها.

(٢) التَرارة: امتلاء الجسم، وتروّي العظم. (٣) الهذلي: هو المعترض بن حواء الضفري.

(٤) ورد هذا البيت في «شرح أشعار الهذليين: ٦٧٨/٢»، وقد جاء في الشرح: كانت بنو ظفر من بني سليم وبنو خناعة، حرباً، فدلّ رجلٌ من بني خناعة بني ظفر على بني وائلة بن مطحل، وهم بالقدوم من نعمان فيبتوهم، فقتلوا ابني وائلة: خالدًا ومخلدًا، وصبية ثلاثة من بني خُرَاق، فقال المعترض بن حواء الظفري هذا البيت. والصبيّ ابن ثلاث أو أربع سنين. «انظر كذلك فقه اللغة للثعالبي: ص ٨٢، دار الكتب العلمية».

(٥) وردت هذه الجملة هكذا بالأصل، وفي فقه اللغة للثعالبي ص ٨٢: «فإذا كَادَ يَجَاوِزُ الْعَشْرَ السَّنِينَ أو جَاوَزَهَا فهو مُتَرَعِّعٌ وَنَاشِءٌ»، وهو الصواب.

فإذا احتلم^(١) واجتمعت قوته، فهو حَزَوْر؛ واسمه في جميع هذه الأحوال التي تقدم ذكرها عَلَام.

فإذا أَخْضَرَ^(٢) شاربِه وأخذ عِذارُه^(٣) يَسِيل، قيل فيه قد بَقَلَ^(٤) وجهُه.
فإذا صار ذا فَتَاءٍ، فهو فَتَى وشارخ^(٥).

فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غايةً شبابه، فهو مجتمع.

ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين، فهو شابٌّ، ثم هو كَهْلٌ إلى أن يستوفي السنين.

فصل في ظهور الشَّيب وعمومه^(٦)

يقال للرجل أَوَّل ما يظهر به الشَّيب، قد وَخَطَه^(٧) الشَّيب.

فإذا زاد، قيل خَصَّفه^(٨) وخَوَّصه.

فإذا ابيضَّ بعضُ رأسه، قيل: قد أَخْلَسَ رأسه، فهو مُخْلِس.

فإذا غلب بياضه سواده، فهو أَغْثَم.

فإذا شَمِطَتْ^(٩) مواضع من لحيته، قيل: وَخَزَه القَتِير^(١٠) ولهزه.

(١) في فقه اللغة ص ٨٢: «فإذا أدرك».

(٢) اخضرَّ شاربِه: اسودَّ.

(٣) العذار: جانب اللحية.

(٤) بقل وجهه: نبث لحيته.

(٥) الشارخ: الشَّاب.

(٦) قوله (فصل في ظهور الشَّيب وعمومه): مَنْ تصفَّح هذا الفصل المركَّب من أربع صفحات ظهر له أن مضامينه ملفَّقة تلفيقًا: فإنه افتُتِح بذكر الشَّيب. وبعد أسطر قطع الكلام في الشَّيب وقال: (وقيل ما السرور؟) فكتب سطرًا واحدًا ثم قال: (وأما النفس الغضبية) فكتب سطرًا واحدًا عنها ثم قال: (وقيل لحصين بن المنذر ما السرور الخ). ثم بعده (وقيل لفلان ولفلان ما السرور الخ). ثم رجع وقال: (وأما النفس البهيمية) وبعدها كتب عنها نحو نصف صفحة قال: (وقيل لأمريء القيس ما السرور) فأجاب كذا وكذا وقيل لفلان وقيل لفلان وهكذا إلى آخر الفصل. وظاهر أن تقسيم النفس إلى غضبية وبهيمية لا علاقة له بالشَّيب وكذلك اختلاف الناس فيما هو السرور. مع أن المؤلف عاد فعقد للشَّيب في ص ٢١ فصلًا خاصًا أسهب فيه القول أيما إسهاب.

(٧) وخطه الشَّيب: خالط سواد شعره.

(٨) في فقه اللغة للعلالي ص ٨٣: «قد خَصَّفه»، دون تشديد «الصاد».

(٩) شَمِطت: اختلط شعرها الأسود والأبيض.

(١٠) القَتِير: أَوَّل ما يظهر من الشَّيب، وهو رؤوس المسامير في الدَّرْع، ولهزه: طعنه، ولهزه الشَّيب: خالط سواد شعره.

فإذا كثر فيه الشيب وانتشر، قيل: فيه قد تقشع^(١) فيه الشيب.

ويقال أيضاً: شاب الرجل، ثم شَمِطَ، ثم شاخَ، ثم كَبِرَ، ثم تَوَجَّهَ، ثم دَلَفَ، ثم دَبَّ، ثم مَجَّ، ثم هَدَجَ، ثم ثَلَّبَ، ثم الموت.

وقيل: ما السرور؟ قال: إدراك الحقيقة، واستنباط الدقيقة.

وأما النفس الغضبية، فهم صاحبها منافسة الأكفء^(٢) ومغالبة الأقران ومكاثرة العشيرة.

ومن ذلك ما أجاب به حضين بن المنذر^(٣)، وقد قيل له: ما السرور؟ قال: لواء منشور، والجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير.

وقيل للحسن بن سهل^(٤): ما السرور؟ قال: توقيع جائز، وأمر نافذ.

وقيل لعبد الله بن الأهم^(٥): ما السرور؟ قال: رفع الأولياء، ووضع الأعداء، وطول البقاء، مع الصحة والنماء.

وقيل لزياد^(٦): ما السرور؟ قال: من طال عُمره، ورأى في عدوه ما يسره.

(١) كذا بالأصل، وفي فقه اللغة ص ٨٣: «قد تقشع» وهو الصواب، قال في القاموس: وتقشع فيه الشيب أو الدم: انتشر وكثر.

(٢) الأكفء: مفردا كفاء، وهو المماثل.

(٣) هو حصين بن المنذر بن الحارث الذهلي الشيباني الرقاشي، أبو ساسان أو أبو اليقظان، تابعي، من سادات ربيعة وشجعانهم، ومن ذوي الرأي، كان صاحب راية علي بن أبي طالب يوم صفين، توفي سنة ٧١٥ م. «فهرس الأعلام: ٢/٢٦٣».

(٤) هو الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، أبو محمد، وزير المأمون العباسي، وأحد كبار القادة والولاة في عصره، اشتهر بالذكاء المفرط، والأدب والفصاحة والكرم وحسن التوقيعات، توفي سنة ٨٥١ م. «فهرس الأعلام ٢/١٩٢».

(٥) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التميمي المنقري، من فصحاء العرب المشهورين، كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، ولد ونشأ بالبصرة، وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمه، مات بعد أن كفّ بصره سنة ٧٥٠ م. «فهرس الأعلام ٢/٢٩٧».

(٦) لعنه زياد بن أبيه، الأمر، من الدهاء والقادة الفاتحين والولاة، وهو من الخطباء المشهورين. «انظر فهرس الأعلام ٣/١٥٣».

وقيل لأبي مسلم^(١)، صاحب الدعوة: ما السُرور؟ قال: ركوب الهَمَالة^(٢)، وقتل الجبابرة. وقيل: ما اللذة؟ قال: إقبال الزمان، وعزُّ السلطان.

وأما النفس البهيمية، فهم صاحبها طلبُ الراحة، وانهماك النَّفس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح.

وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفُرُس دهرها كله، فقالوا:

يوم المَطَر للشرب، ويوم الريح للنوم، ويوم الدَّجن^(٣) للصيد، ويوم الصَّخو للجلوس.

وقيل: ولما بلغ ابن خالويه^(٤) ما قسمته الفرس من أيامها قال: ما كان أَعزَّ فُهم بسياسة دنياهم! ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الرُّوم: الآية ٧].

ولكن نبينا ﷺ جَزَأَ نَهَارَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءَ: جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه؛ ثم جَزَأَ جَزَاءً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فكان يستعين بالخاصة على العامة، ويقول: «أُبَلِّغُوا حَاجَةً مَّنْ لَا يَسْتَطِيعُ إبْلَاغِي، فَإِنَّهُ مَنْ أُبْلَغَ حَاجَةً مَّنْ لَا يَسْتَطِيعُ، آمَنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقَزَعِ الْأَكْبَرِ».

قالوا: والطبيعة البهيمية هي أغلبُ الطبائع على الإنسان: لأخذها بمَجَامِعِ هواه، وإيثار الراحة وقلة العمل.

ومن ذلك قولهم: الرأي نائم، والهوى يقظان، وقولهم: الهوى إلهٌ معبودٌ.

(١) أبو مسلم الخراساني: هو عبد الرحمن بن مسلم، مؤسس الدولة العباسية وأحد كبار القادة، ولد في «ماه البصرة»، ممّا يلي أصبهان، كان فصيحا في العربية والفارسية، قتل سنة ٧٥٥ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٣٣٧».

(٢) الهمالجة: الهملاج: ما ذلل ولس قيادة من الدواب.

(٣) الدَّجن: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء.

(٤) ابن خالويه: هو الحسين بن أحمد أبو عبد الله، لغوي، من كبار النحاة، أصله من همدان، استوطن حلب، وأحلّه بنو حمدان منزلة رفيعة، وتوفي في حلب سنة ٩٨٠ م، له مؤلفات عدة منها: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، وليس في كلام العرب. «فهرس الأعلام ٢/ ٢٣٠».

ومن ذلك ما أجاب به أمرؤ القيس، وقد قيل له: ما السرور؟ فقال: بيضاء رُغْبُوبَةٌ^(١)، بالطيب مَشْبُوبَةٌ^(٢)، باللحم مَكْرُوبَةٌ^(٣). «وكان مفتونًا بالنساء».

وقيل لأعشى بكر^(٤): ما السرور؟ قال: صَهْبَاءُ صافية، تَمْرُجُهَا ساقية، من صَوْب غادية^(٥). «وكان مغرمًا بالشراب».

وقيل لَطَرْفَةُ بن العبد: ما السرور؟ قال: مَطْعَم هَيَّيْ، وَمَشْرَب رَوِّي، وَمَلْبَس دَفِيي، وَمَرْكَب وَطِيي. «وكان يؤثر الخفض^(٦) والدَّعَة»، وهو القائل: [من الطويل]

فلولا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَعَيْشِكَ! لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُودِي^(٧)
فَمِنْهُمْ سَبْقِي الْعَاذِلَاتِ بِشَرْبَةٍ كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعَلِّ بِالماءِ تَزِيدُ^(٨)
وَكُرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَنِّبًا كَسِيدِ الْعَصَا نَبْهَتَهُ الْمَتَوَرِّدُ^(٩)
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنُ مُعْجِبٌ بَبْهَكْنَةٍ تَحْتَ الْخَبَاءِ الْمُعَمَّدُ^(١٠)

وسمع هذه الأبيات عمر بن عبد العزيز فقال: وأنا لولا ثلاث لم أحفل متى قام عُودِي: لولا أن أُعْدِلَ في الرعية، وأَقْسِمَ بالسوية، وَأُنْفِرَ فِي السَّرِيَّةِ^(١١).

وقال عبد الله بن نَهِيك، عفا الله تعالى عنه: [من الطويل]

فلولا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَعَيْشِكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ رَامِسُ^(١٢)
فَمِنْهُمْ سَبْقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرِبَةٍ كَأَنَّ أَخَاهَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ نَاعِسُ^(١٣)

(١) الرغبوبة: الغضة البيضاء الممتلئة الجسم والطويلة.

(٢) المشبوبة: المضمخة بالطيب.

(٣) المكروبة: المثقلة باللحم.

(٤) أعشى بكر: هو ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل الشاعر الجاهلي المشهور، وأحد أصحاب المعلقات، كان مفتونًا بالخمير والنساء والقمار، أدرك الإسلام ولم يسلم. «انظر المؤلف والمختلف للأمدي، ص ١٢».

(٥) الغادية: السحابة تنشأ فتطرر غدوة.

(٦) الخفض: الدعة والحياة الوادعة المنعمة.

(٧) العود: جمع عائد، وهو الزائر للمريض.

(٨) العاذلة: اللائمة، والشربة: الجرعة، والكميت: الخمرة التي فيها سواد وحمرة.

(٩) الكر: العطف، والمضاف: الخائف المذعور، والمضاف: الملجأ، والمحبت: الذي في يده

انحناء، السيد: الذئب، والغضا: شجر، والمتورد: المتقدم لورود الماء.

(١٠) الدجن: الغيم، البهكنة: المرأة الحسنة الخلق السمينة الناعمة، وفي الديوان الطراف بدل

الخباء. «انظر ديوان طرفة ص ٣٣، دار صادر».

(١١) انفر في السرية: أي أقدم الجيش للجهاد، والسرية: القطعة من الجيش.

(١٢) أحفل: أهتم، والزامس: من الزمس وهو القبر.

(١٣) العاذلات: اللائعات، والناعس: الذي أخذه فتور في أعضائه وحواسه.

ومنهنّ تجريدُ الكَواعِب كالدُّمى إذا ابتُرَّ عن أكفالهنّ المَلابِسُ^(١)
 ومنهنّ تقريط الجَوَادِ عِناثه إذا ابتدر الشخصَ الخفيّ الفوارسُ^(٢)
 وقيل ليزيد بن مزيد^(٣): ما السرور؟ فقال: قُبلة على غفلة.
 وقيل لحُرقة بنت النعمان: ما كانت لذّة أبيك؟ قالت: شربُ الجِرْيَالِ^(٤)،
 ومحادثة الرجال.

وقيل للحسن بن هانيء^(٥): ما السرور؟ فقال: مجالسة الفُثَيان، في بيوت
 القَيان، ومنادمة الإخوان، على قُصْبِ الرِّيحان؛ ثم أنشد: [من مجزوء الرمل]
 قلتُ بالقُفْص لموسى وَدَامَايَ نِيَامُ^(٦)
 يا رضيعي ندي أمّ ليس لي عنه فِطَامُ
 إنما العَيْشُ سَمَاعٌ وَمُدَامٌ وَنُدَامُ
 فإذا فَاتَكَ هذا فعلى الدُّنيا السَّلامُ!

الباب الثاني

من القسم الأوّل من الفن الثاني في وصف أعضاء الإنسان وتشبيهها

وما وصف به طيب الريق والتُّكْه، وحسن الحديث، والتُّعْمَة، واعتدال القدود^(٧)،
 ووصف مَشْيِ النساء، وهو مرتّب على ترتيب بثية الإنسان في المذكر والمؤنث.

-
- (١) الكواعب: مفردها «كاعب» وهي الفتاة التي نهّد ثديها وأشرف، والدُّمى: مفردها دمية: وهي الفتاة المزيّنة الحسنة الخلق والمظهر، والكفل: العُزْر في الإنسان.
 (٢) تقريط الجواد عِناثه: أي وضع اللجام وراء أذن الجواد عند الركض.
 (٣) هو يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانيّ، أبو خالد، أمير من القادة الشجعان، أخبار كرمه وشجاعته مشهورة، وقد انتدبه الرشيد لقتال الخارجيين عليه. توفي بـ «بردعة» من بلاد أذربيجان سنة ٨٠١ م. «فهرس الأعلام ١٨٨/٨».
 (٤) الجريال: صِبْغ أحمر، وهو هنا: الخمر.
 (٥) الحسن بن هانيء: هو الشاعر المشهور بأبي نواس، شاعر العراق في عصره، وشاعر الخمرة والمجون، وهو من كبار الشعراء في العصر العباسي، توفي سنة ٨١٤ م. «فهرس الأعلام ٢٢٥/٢».
 (٦) القفص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النزّه، ومجالس الفرح، تنسب إليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة. «معجم البلدان ٣٨٢/٤».
 (٧) القدود: جمع قَدّ وهو القوام.

فَأَمَّا الشَّعْرُ وما قِيلَ فيه، قال الثَّعالبيُّ عن أَئِمَّةِ اللُّغة:

العَقِيْقَةُ، الشَّعْرُ الَّذِي يُوْلَدُ به الْإِنْسَانُ.

الْفَرْوَةُ، شعرٌ معْظَمُ الرَّأْسِ.

النَّاصِيَةُ، شعرٌ مَقْدَمُ الرَّأْسِ.

الدُّوَابَةُ، شعرٌ مُؤَخَّرُ الرَّأْسِ.

الْفَرْعُ، شعرُ رَأْسِ الْمَرْأَةِ.

الْعَدِيْرَةُ، شعرٌ ذُوَابَتِهَا.

الْعَفْرُ، شعرٌ سَاقِهَا^(١).

الدَّبَبُ، شعرٌ وَجْهَهَا.

الْوَفْرَةُ، ما بَلَغَ شَحْمَةُ الْأُذُنِ مِنَ الشَّعْرِ.

الْلَّمَّةُ، ما أَلَمَّ بِالْمَنْكَبِ^(٢) مِنْهُ.

الطُّرَّةُ، ما غَشَى الْجَبْهَةَ مِنْهُ.

الْجُمَّةُ وَالْعَفْرَةُ، ما غَطَّى الرَّأْسَ مِنْهُ.

الْهُدْبُ، شعرٌ أَشْفَارِ الْعَيْنِ.

الْشَّارِبُ، شعرٌ الشَّقَّةِ الْعُلْيَا.

الْعَنْقَفَةُ، شعرٌ الشَّقَّةِ السُّفْلَى.

الْمَسْرَبَةُ، شعرُ الصَّدْرِ. وفي الْحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دَقِيقَ الْمَسْرَبَةِ.

الشُّعْرَةُ، الْعَانَةُ.

الْإِنْسَبُ، شعرُ الْإِسْتِ.

الرَّيْبُ، شعرُ بَدَنِ الرَّجْلِ. وَيُقَالُ: بَلْ هُوَ كَثْرَةُ الشَّعْرِ فِي الْأُذُنَيْنِ.



(١) في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٢، الغفر: الشعر الناعم.

(٢) المنكب: من الإنسان مجتمع رأس الكتف والعضد.

فصل في تفصيل أوصافه

يقال: شعر جُفَال، إذا كان كثيرًا.
 وَوَحْفٌ، إذا كان متّصلًا.
 وَكَثٌّ، إذا كان كثيرًا كثيفًا مجتمعًا.
 وَمُعْلَنِكْس، وَمُعْلَنَكْ، إذا زادت كثافته^(١).
 وَمُسْدِر، إذا كان منبسطًا.
 وَسِبْط، إذا كان مسترسلًا.
 وَرَجْل، إذا كان غير جَعْد ولا سبط.
 وَقَطْطٌ، إذا كان شديد الجعودة.
 وَمُقْلِعْطٌ، إذا زاد على القَطْط.
 وَمُقْلَقْل، إذا كان نهايةً في الجعودة كشعر الزنج.
 وَسُخَام، إذا كان حسنًا لَيِّنًا.
 وَمُعْدُوْدِن، إذا كان طويلًا ناعمًا.
 وقال الأصمعي^(٢): من لم يَخْفْ شعره قبل الثلاثين لم يَضْلَعْ أبدًا؛ ومن لم يحمل اللحم قبل الثلاثين لم يحمله أبدًا.

ومما وُصف به الشَّعْرُ، قال نصر بن أحمد^(٣)، عفا الله تعالى عنه: [من الخفيف]

سَلْسَل الشَّعْرُ فَوْقَ وَجْهِ فَحَاكِي ظُلْمَةُ اللَّيْلِ فَوْقَ ضَوْءِ الصَّبَاحِ

(١) في فقه اللغة ص ٩٣: «ومُعْلَنَكْس ومُعْلَنَكْ»: إذا زادت كثافته وهو الأصوب.
 (٢) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، مولده ووفاته بالبصرة سنة ٨٣١ م، له مؤلفات عديدة، وكان يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة. «فهرس الأعلام ١٦٢/٤».
 (٣) هو نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري، أبو القاسم، شاعر غزل، علت شهرته ويعرف «بالخبز أُرْزِي»، وكان أميًا يخبز «خبز الأرز»، توفي سنة ٩٣٩ م. «فهرس الأعلام ٢١/٨».

وقال ابن الرومي: [من المنسرح]

وفاحمٍ واردٍ يُقْبَلُ مَمَّ
أَقْبَلَ كَاللَّيْلِ مِنْ مَفَارِقِهِ
حَتَّى تَنَاهَى إِلَى مَوَاطِئِهِ
كَأَنَّهُ عَاشِقٌ دَنَا شَعْفًا
شَاه إِذَا اخْتَالَ مُرْسِلًا غُدْرَةً^(١)
مَنْحَدِرًا لَا يَذُمُّ مَنْحَدْرَةً
يَلِثُ مِنْ كُلِّ مَوْطِئٍ عَقْرَةً^(٢)
حَتَّى قَضَى مِنْ حَبِيبِهِ وَطْرَةً^(٣)

وقال فتح الدين بن عبد الظاهر^(٤): [من السريع]

حَلَّ ثَلَاثًا يَوْمَ حَمَامِهِ
فَقُلْتُ وَالْقَضْدُ ذُؤَابَتُهُ
ذَوَائِبًا يَغْبِقُ مِنْهَا الْعَوَالُ^(٥)
يَا سَهْرِي فِي ذِي اللَّيَالِ الطَّوَالِ!

وقال آخر: [من السريع]

قَدْ غُلِقَ الْقَلْبُ بِدُبُوقَةٍ
وَاعْجَبَا لِلْعِشْقِ فِي حُكْمِهِ
وَجُنَّ مِنْهَا فَهوَ مَفْتُونٌ؟^(٦)
بَشْغَرَةٍ قُيِّدَ مَجْنُونٌ!

وقال آخر: [من الطويل]

رَأَيْتُ عَلَى قَدِّ الْحَبِيبِ ذُؤَابَةً
يَقُولُ لِي الْوَاشُونَ: مَا لَكَ بَاكِيًا؟
فَعَيْنِي عَلَى تِلْكَ الذُّؤَابَةِ تَهْمَعُ^(٧)
فَقُلْتُ: بِعَيْنِي شَعْرَةٌ فَهِيَ تَدْمَعُ^(٨)

وقال آخر: [من السريع]

وَشَعْرَةٌ عَايَنَهَا نَاطِرِي
فَسَالَ دَمْعًا وَهَمَى جَفْنُهُ
عَلَى قَوَامِ مَائِسِ الْخَطَرَةِ^(٩)
وَالدَّمْعُ لَا شَكَّ مِنَ الشَّعْرَةِ

(١) الفاحم: الشعر الأسود، والغدر: مفردها غديرة وهي الذؤابة المضفورة من شعر المرأة.

(٢) عفره: العفر: وجه الأرض، والتراب. (٣) الوطر: الحاجة.

(٤) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السعدي محبي الدين، قاض أديب مؤرخ، من أهل مصر مولدًا ووفاء، كان كاتب الإنشاء في الديار المصرية له كتب عدّة، منها: الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، وله شعر حسن. توفي سنة ١٢٩٣ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٩٨».

(٥) الغوال: الطيب. (٦) الدبوقه: الشعر المفتول المضفور.

(٧) تهمع: تدمع.

(٨) الواشون: مفردها واش، وهو التمام الكذاب.

(٩) عاينها: أبصرها، والخطرة: من خطر يخطر: تبخر في مشيته.

وقال آخر: [من الكامل]

ولَرُبَّ مَنْشُوقِ الْقَوَامِ تَضُمُّهُ مَمَشُوقَةٌ فَتَعَانَقَا غُضُنَيْنِ
أَرْحَتْ ذَوَائِبَهَا وَأَسْبَلَ شَعْرَهُ فَتَقَابَلَا قَمْرَيْنِ فِي لَيْلَيْنِ!

ومما وُصِفَتْ به شعورُ النساءِ، قال بكر بن النطّاح^(١): [من الكامل]

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ فَرَعَهَا وَتَغِيْبُ فِيهِ فَهُوَ جَثْلٌ أَشْحَمُ^(٢)
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ

وقال آخر: [من الكامل]

نَشَرَتْ عَلَيَّ ذَوَائِبًا مِنْ شَعْرِهَا حَذَرَ الْكَوَاشِيحِ وَالْعَدُوِّ الْمُحَنَّقِ
فَكَأَنَّنِي وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُ صُبْحَانِ بَاتَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ

وقال عمرُ بن أبي ربيعة: [من الطويل]

سَبَبْتُهُ بَوْخَفٍ فِي الْعَقَاصِ كَأَنَّهُ عَنَاقِيدُ دَلَالَا مِنْ الْكَزْمِ قَاطِفُ^(٣)
أَسِيلَاتٍ أَبْدَانٍ دَقَاقُ خُصُورُهَا وَثِيرَاتٍ مَا التَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَا حِفُ^(٤)

وقال المتنبي: [من الطويل]

وَمَنْ كُلَّمَا جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَسَاها ثِيَابًا غَيْرَهَا الشَّعْرُ الْوَخْفُ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

دَعَتْ خَلَاخِيلَهَا ذَوَائِبَهَا فَجِئْتُ مِنْ فَرْقِهَا إِلَى الْقَدَمِ^(٥)

(١) هو بكر بن النطّاح الحنفي، أبو وائل، شاعر غزل، من فرسان بني حنيفة من أهل اليمامة، انتقل إلى بغداد في عصر الرشيد، ومدح أبا دلف العجلي، فأجرى عليه رزقاً إلى أن توفي سنة ٨٠٨ م. «فهرس الأعلام ٧٠/٢».

(٢) الجثل: الشعر إذا طال وغلظ والتف، والأسحم: الأسود.

(٣) سبته: أسرته بجمالها، والوخف: الشعر الكثير الأسود، والعقاص: خيطٌ تشدّ به أطراف الذوائب.

(٤) الأسيل: ما ملس واستوى، والوثير: الرابي المكتنز.

(٥) الخلاخيل: جمع خلخال، وهي حلية من فضة أو نحوها تجعلها المرأة في رجلها. والفرق: الخطّ الفاصل بين صفتين من شعر الرأس.

وقال في أخرى: [من الكامل]

نَشَرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لِيَالِي أَرْبَعَا
وَأَسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتَنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

وقد أَلَمَّ في ذلك بقول ابن المعتز: [من الطويل]

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ بِالشَّعْرِ وَالْذُّجَى وَشَمْسَيْنِ مِنْ خُمُرٍ وَخَدَّ حَبِيبٍ

وقال ابن المعتز: [من الوافر]

فَلَمَّا أَنْ قَضَتْ وَطَرًا وَهَمَّتْ عَلَى عَجَلٍ بِأَخْذِ لِرْدَاءٍ^(١)
رَأَتْ شَخْصَ الرَّقِيبِ عَلَى تَدَانٍ فَأَسْبَلَتْ الظَّلَامَ عَلَى الضُّيَاءِ
وَغَابَ الصُّبْحُ مِنْهَا تَحْتَ لَيْلٍ وَظَلَّ الْمَاءُ يَنْطَرُ فَوْقَ مَاءٍ

وقال ابن لُئِكَ^(٢): [من البسيط]

هَلْ طَالِبٌ ثَارَ مَنْ قَدْ أَهْدَرَتْ دَمَهُ بِيضٌ، عَلَيْهِنَ نَذْرُ قَتْلٍ مَنْ عَشِقَا؟
مِنْ الْعَقَائِلِ مَا يَخْطِرْنَ عَنْ عُرْضٍ إِلَّا أَرَيْتُكَ فِي قَدْ قَتْنَا وَنَقَا^(٣)
رَوَاعِفُ بِخُدُودِ زَائِهَا سَبَجٍ قَدْ رَزَقَنَ الْحَسَنُ فِي أَصْدَاعِهَا حَلَقَا^(٤)
نَوَاشِرٌ فِي الضُّحَى مِنْ فَرْعِهَا غَسَقَا وَفِي ظَلَامِ الدُّجَى مِنْ وَجْهِهَا فَلَقَا^(٥)
أَعَزَّنَ غَيْدَ ظَبَاءٍ رُوْعَتْ غَيْدَا وَالْوَرْدَ تَوْرِيْدَ خَدِّ وَالْمَهَا حَدَقَا^(٦)

(١) قضت وطراً: أنجزت حاجة.

(٢) ابن لئيك: هو أبو الحسن محمد بن محمد البصري، فرد البصرة وصدر أدباؤها وبدر ظرفائها في زمانه، أجاد في المقطوعات القصيرة، وأما القصيد فلم ينجح في نظمها. «انظر اليتيمة ٢/ ٤٠٧».

(٣) العقائل: النساء الكريمات المصونات. ويخطرُن: يتبخترن، ونظر إليه من عرض: أي من جانب، والقنا: الرمح، والتقا: الكتيب من الرمل، يريد: أنه يرى قواماً كالرمح، وأردافاً كأنها كتب الرمل.

(٤) الرواعف: من رعف: وهو الدم الذي يسيل، يريد أن خدودهن حمراء كأن الدم قد سال عليها، والسبج: الخرز الأسود وزرفن صدغيه: جعلهما كالزرفين وهو حلقة الباب، والصدغ: ما بين العين والأذن.

(٥) الغسق: ظلمة الليل، والفلق: الصبح ينشق من ظلمة الليل، يريد أن شعرها ليل في نهار، ووجهها نهار في ليل.

(٦) الغيد: النعومة في التمايل، والمها: مفردها المهابة: وهي البقرة الوحشية.

وقال ابن ذريرد الأزدي^(١): [من الكامل]

غراء لو جَلَّتِ الخُدودُ شُعاعها للشَّمس عند طُلوعها لم تُشْرِقِ^(٢)
عُضُنْ على دِغصٍ تَأَلَّقَ فَوْقَهُ قمرٌ تَأَلَّقَ تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ^(٣)
لو قِيلَ لِلْحُسَنِ: أَخْتَكِمِ لِمَ يَغْذُها أو قيل: خَاطِبِ غَيْرها! لِمَ يَنْطِقِ^(٤)
فكأننا مِن فرعها في مَغْرِبٍ وكأننا من وَجْهِها في مَشْرِقِ^(٥)
وقال آخر: [من الوافر]

جُعودُهُ شعرها تُحْكِي غَدِيرًا يُصَفِّقُه الجَنُوبُ مع الشَّمالِ^(٦)

ذكر ما قيل

في الشَّيب والخضاب من المدح والذم

فأما مدح الشَّيب، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقال ابن أبي شيبه^(٧): «نهى رسول الله ﷺ عن نَتْفِ الشَّيب، وقال: هو نور المؤمن».

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ رَأَى الشَّيبَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ: الْوَقَارُ، فَقَالَ: رَبِّ زِدْنِي وَقَارًا».

وتأمل حكيم شيبه فقال: مرحبًا بزَهْرَةِ الحُنْكَةِ^(٨) وَيُمنِ الهدى ومقدمة العفة ولباس التقوى.

(١) ابن ذريرد: هو محمد بن الحسن الأزدي، أبو بكر، من أئمة اللغة والأدب، وكانوا يقولون: ابن ذريرد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، ولد في البصرة وأقام في بغداد إلى أن توفي سنة ٩٣٣ م، من مؤلفاته: الاشتقاق. «فهرس الأعلام ٨٠/٦».

(٢) الغراء: البيضاء. (٣) الدغص: القطعة من الرمل المستديرة.

(٤) لم يغذها: أي لم يتجاوزها. (٥) الفرع: الشعر الأسود الفاحم.

(٦) الجنوب: الرِّيح الجنوبية والشَّمال: الرِّيح الشمالية، ويصفقه: يحركه.

(٧) ابن أبي شيبه: هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبه العبسي، أبو بكر، حافظ للحديث، له فيه كتب منها «المسند، والمصنَّف في الأحاديث»، وغيرها. توفي سنة ٨٤٩ م. «فهرس الأعلام ١١٧/٤».

(٨) الحنكة: التجربة والبصر بالأمور.

وقيل: دخل أبو دُلف^(١) على المأمون وعنده جارية له، وكان أبو دُلف قد ترك الخضاب، فأشار المأمون إلى الجارية، فقالت له: شَبَّتْ يا أبا دُلف، إنا لله وإنا إليه راجعون، فسكت عنها أبو دلف، فقال له المأمون: أجبها، فقال: [من البسيط]

تهزأت إذ رأث شَيْبِي فقلتُ لها لا تَهْزَئِي مَنْ يَطْلُنْ عَمْرٌ بِهِ يَشِبُّ!
شَيْبُ الرِّجَالِ لَهِمْ زَيْنٌ وَمَكْرَمَةٌ وَشَيْبُكَ لَكُنَّ الوَيْلُ فَاكْتَبَيْي!
فينا لَكُنَّ - وإن شَيْبٌ بَدَا - أَرَبْ وليس فيكُنَّ بعدَ الشَّيْبِ مِنْ أَرَبٍ!
وقال آخر: [من الكامل]

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالمَشِيبِ وَمَرْحَبًا أَهْلًا بِهِ مِنْ وَافِدٍ وَنَزِيلٍ!
أَهْدَى الْوَقَارَ وَذَاذَ كُلِّ جَهَالَةٍ كَانَتْ وَسَاقَ إِلَيَّ كُلِّ جَمِيلٍ^(٢)
فَصَحَبْتُ فِي أَهْلِ التَّقَى أَهْلَ النِّهْيِ وَلَقِيتُ بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّبَجِيلِ
وَرَأَى لِي الشُّبَّانُ فَضْلَ جَلَالَةٍ لَمَّا أَكْتَهِلْتُ وَكُنْتُ غَيْرَ جَلِيلٍ
فَإِذَا رَأَوْنِي مَقْبَلًا نَهَضُوا مَعًا فَعَلُّ الْمِقَرِّ لِهَيْبَةِ التَّفْضِيلِ
إِنْ قُلْتُ كُنْتُ مُصَدِّقًا فِي مَنْطِقِي مَاضِي الْمَقَالَةِ حَاضِرَ التَّعْدِيلِ
وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ: [من البسيط]

الشَّيْبُ كُرْزَةٌ وَكُرْزَةٌ أَنْ يُفَارِقَنِي إِعْجَبْ لشيءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مُؤَدُّودٍ
وقال عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُوفِيُّ^(٣): [من الوافر]

بَكَى لِلشَّيْبِ ثُمَّ بَكَى عَلَيْهِ وَكَانَ أَعَزَّ مِنْ فَقْدِ الشَّبَابِ
فَقُلْ لِلشَّيْبِ: لَا تَبْرَحْ حَمِيدًا إِذَا نَادَى شَبَابُكَ بِالذَّهَابِ

(١) أبو دلف: هو القاسم بن عيسى بن إدريس، من بني عجل، أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء، كان من قواد المأمون وللشعراء فيه مدائح كثيرة، وله مؤلفات منها: سياسة الملوك، ويقول الشعر، توفي ببغداد سنة ٨٤٠ م. «فهرس الأعلام ٥/ ١٧٩».

(٢) ذاد: منع وحجب ودفع.

(٣) هو علي بن محمد الكوفي بن جعفر الكوفي الحماني، شاعر، من آثاره ديوان شعر. «إيضاح المكنون ٤٩٩/١».

وقال العسكري^(١): [من مجزوء الكامل]

يَوَدُّ أَنْ شَنِيبَهُ إِذْ جَاءَ لَا يَنْصَرِفُ
يَخْلُفُ رَيْعَانَ الصُّبَا وَالْمَوْتُ مِنْهُ خَلْفُ

وقال ابن المعتز: [من الخفيف]

قَدْ يَشِيبُ الْفَتَى وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يُرَى الثَّوْرُ فِي الْقَضِيبِ الرَّطِيبِ^(٢)

وقال أبو تمام: [من البسيط]

وَلَا يُؤَرْفُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ أَبْتَسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ^(٣)

وقال أبو الفتح البستي^(٤): [من الكامل]

يَا شَيْبَتِي دُومِي وَلَا تَتَرَحَّلِي وَتَيْقَنِي أَنِّي بِوَضْلِكَ مُوَلِّعُ
قَدْ كُنْتُ أَجْزَعُ مِنْ حُلُولِكَ مَرَّةً فَالآنَ مِنْ خَوْفِ أَرْتِحَالِكَ أَجْزَعُ!

وقال آخر: [من المتقارب]

فَأَمَّا الْمَشِيبُ فَصُبْحُ بَدَا وَأَمَّا الشَّبَابُ فَلَيْلُ أَقْلٍ^(٥)
سَقَى اللَّهُ هَذَا وَهَذَا مَعًا فَنِعْمَ الْمُؤَلَّى وَنِعْمَ الْبَدَلُ!^(٦)

وقال أبو الفتح كشاجم^(٧): [من الطويل]

تَفَكَّرْتُ فِي شَيْبِ الْفَتَى وَشِبَابِهِ فَأَيَقُنْتُ أَنَّ الْحَقَّ لِلشَّيْبِ وَاجِبُ
يَصَاحِبُنِي شُرْخُ الشَّبَابِ فَيَنْقُضِي وَشَيْبِي لِي حَتَّى الْمَمَاتِ مَصَاحِبُ^(٨)

(١) العسكري: هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران العسكري، أبو هلال، عالم بالأدب، له شعر، نسبته إلى «عسكر مُكرم» من كور الأهواز، له كتب عدّة منها «الصناعتين»، توفي سنة ١٠٠٥ م. «فهرس الأعلام ١٩٦/٢».

(٢) الثور: الزهر.

(٣) الإيماض: التسم، والقتير: أوّل ما يظهر من الشيب.

(٤) أبو الفتح البستي: هو علي بن محمد بن عبد العزيز البستي، أبو الفتح، شاعر عصره وكتابه، ولد في «بست» قرب سجستان، وإليها نسبته، وكان من كتاب الدولة السامانية، له ديوان شعر، توفي سنة ١٠١٠ م. «فهرس الأعلام ٣٢٦».

(٥) أقل: غاب.

(٦) سقى الله: دعاء لما يحب من الأمور.

(٧) هو محمود بن الحسين السّندي، أبو الفتح الرملي، المعروف بكشاجم، شاعر متفنّن أديب، من كتاب الإنشاء، من أهل الرملة بفلسطين، فارسي الأصل، كان من شعراء سيف الدولة، توفي سنة ٩٧٠ م. «فهرس الأعلام ١٦٧/٧».

(٨) شرخ الشباب: أوّل ونضارته وحدته.

وقال أبو العلاء السروي^(١)، شاعر اليتيمة: [من الخفيف]

حيّ شَيْبًا أتى لغير رَجِيلٍ وشبابًا مضى لغيرِ إِيَابٍ!
أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَحْسَنَ من عا جِ مَشِيبٍ في أبْنوسِ شَبَابٍ؟^(٢)

وقال أبو عوانة الكاتب^(٣): [من الخفيف]

هَزِنْتُ إذ رَأْتُ مَشِيبِي، وهل غَيْرُ الْمَصَابِيحِ زِينَةٌ لِلسَّمَاءِ؟
وَتَوَلَّتُ فَقُلْتُ قَوْلًا بِإِفْصَا حِ لَهَا، لا بِالرُّمُزِ وَالْإِيمَاءِ
إِنَّمَا الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ كَالثُّو رِ بَدَا وَالسَّوَادُ كَالظُّلْمَاءِ
لَا مَحِيصَ عَنِ الْمَشِيبِ أَوْ الْمَو تِ، فَكُنْ لِلْحَوْبَاءِ أَوْ لِلثَّمَاءِ!^(٤)
إِنْ عُمُرًا عَوَّضَتْ فِيهِ عَنِ الْمَو تِ بِشَيْبٍ مِنْ أَعْظَمِ الثَّعْمَاءِ!

وقال ابن عبد ربّه: [من الوافر]

كَأَنَّ سَوَادَ لِمَتِهِ ظِلَامٌ يُطِلُّ مِنَ الْمَشِيبِ عَلَيْهِ نُورٌ

وقال أبو عبد الله الأسباطي: [من الخفيف]

لَا يَرُغِكِ الْمَشِيبُ، يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهُ، فَالشَّيْبُ زِينَةٌ وَقَارُ!
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ضَحِكْتُ فِي ظِلَالِهَا الْأَنْوَارِ!^(٥)

وأما ما ورد في ذمّ الشيب، قال قيس بن عاصم^(٦) رحمة الله عليه: الشَّيْبُ خِطَامٌ^(٧) المنيّة.

(١) أبو العلاء السروي، واحد طبرستان أدباً وفضلاً، ونظماً ونثرًا، وله كتب وشعر سائر مشهور، كثير الظرف والملح. «انظر اليتيمة ٥٦/٤».

(٢) العاج: ناب الفيل، والأبنوس: شجر ينبت في الحبشة والهند، أسود صلب.

(٣) أبو عوانة: لعنه يعقوب بن إسحق بن إبراهيم النيسابوري، من أكابر حفاظ الحديث. «انظر فهرس الأعلام ١٩٦/٨».

(٤) الحوباء: النفس.

(٥) الأنوار: مفردا «الثور» وهو الزهر الأبيض.

(٦) هو قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي، أبو علي، أحد أمراء العرب وعقلائهم الموصوفين بالحلم والشجاعة، كان شاعراً اشتهر وساد في الجاهلية، وقد وفد على النبي وأسلم، وقال النبي ﷺ عنه: هذا سيد أهل الوير، توفي بالبصرة نحو سنة ٦٤٠ م. «فهرس الأعلام ٢٠٦/٥».

(٧) الخطام: حبل يجعل في عنق الحمل ويشى في خطمه ليقاد به.

وقال غيره: الشَّيبُ نذير الموت.

وقد ورد في بعض التفاسير في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَحَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: الآية ٣٧]، قيل: هو الشَّيب.

وقال أعرابي: كنتُ أنكر البيضاء^(١)، فصرت أنكر السوداء؛ فيا خَيْرَ مبدول ويا شرَّ بَدَل.

وقيل للنبي ﷺ: عَجَّلَ عليك الشَّيبُ يا رسول الله، قال: «شَيَّبَتْنِي هُوْدُ وَأَخَوَاتُهَا»، قيل: هي عَبَسَ، والمرسلات، والنازعات^(٢).

وقيل لعبد الملك بن مروان: عَجَّلَ عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: شَيَّبَنِي أَرْتِقَاءُ المنابر وتوَقُّعُ اللحن^(٣).

وقال بعضهم: خرجت إلى ناحية الطُّفَاوَةِ^(٤)، فإذا أنا بامرأة لم أر أجمل منها، فقلت: أَيْتَهَا المرأةُ، إن كان لك زوج فبارك الله له فيك، وإلا فأعلميني، قال: فقالت: وما تصنعُ بي؟ وفي شيء لا أراك ترتضيه. قلتُ: وما هو؟ قالت: شيبٌ في رأسي. قال: فثنيْتُ عِنَانِ دابتي راجعاً، فصاحتُ بي: على رِسْلِكَ^(٥)، أخبرك بشيء، فوقفْتُ وقلت: وما هو، يرحمك الله؟ قالت: والله ما بلغت العشرين بعدُ، وهذا رأسي فكشَفْتُ عن عناقيد كالْحُمَمِ^(٦)، وقالت: والله ما رأيتُ برأسي بياضاً قطُّ، ولكن أحببت أن تعلم أنا نكره منك ما تكره منا، وأنشدت: [من الوافر]

أرى شيبَ الرِّجَالِ مِنَ الْعَوَانِي بموضعٍ شبيهٍ من الرجال!^(٧)

قال: فرجعتُ خَجَلًا، كاسف البال.

قال أبو تمام: [من الطويل]

عَدَا الشَّيبُ مَخْطَئًا بِقُودِي خِطَّةً سبيلُ الرَّدَى منها إلى النفس مَهْيَعٌ^(٨)

(١) البيضاء: أي الشعر البيضاء.

(٢) عبس، والمرسلات، والنازعت: سور من القرآن الكريم.

(٣) اللحن: الوقوع في الأخطاء النحوية واللغوية.

(٤) الطفاوة: موضع معين. (٥) على رسلك: أي تمهل.

(٦) الحمم: الفحم.

(٧) العواني: جمع غانية، وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة.

(٨) القودين: جانبي الرأس مما يلي الأذنين إلى الأمام، والمهيع: الطريق الواسع البين.

هو الزَّور يُجْفَى، والمُعاشِر يُجْتَوَى وذو الإلف يُقْلَى، والجديد يرفع^(١)
له مَنْظَرٌ في العين أبيضُ ناصعٌ ولكته في القلبِ أسودُ أسْفَعُ^(٢)
وقال آخر: [من مخلع البسيط]

تقول لَمَّا رَأَتْ مَشِيبِي بدأ، وعِنْدِي له أَنْقَبَاضُ^(٣)
لا تَرْجُ عَطْفًا عَلَيْكَ مِنِّي سَوْدَ ما بَيْنَنَا الْبَيَاضُ!
وقال آخر: [من الطويل]

وقالوا: مَشِيبُ الْمَرْءِ فيه وقارُه وما علموا أن المَشِيبَ هو الْعَيْبُ
وأيُّ وقارٍ لَأَمْرٍ عُرِّي الصَّبَا ومن خَلْفَه شَيْبٌ وقْدَامُه شَيْبٌ؟
وقال آخر: [من مخلع البسيط]

مَنْ شَابَ، قد مات وَهُوَ حَيٌّ يَمْشِي على الْأَرْضِ مَشْيَ هَالِكٍ!
لو كان عُمُرُ الْفَتَى حِسَابًا كان له شَيْبُهُ فَذَلِكَ^(٤)
وقال محمود الْوَرَّاقُ^(٥): [من مجزوء المتقارب]

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الْأَجَلِ وَبُعْدِ فَوَاتِ الْأَمَلِ^(٦)
ووافق شَيْبٌ طَرًا بَعَثَ شَبَابَ رَحَلِ^(٧)
شَبَابٌ كَأَن لَمْ يَكُنْ وشَيْبٌ كَأَن لَمْ يَزَلْ
طوى صاحبٌ صاحبًا كذاكَ اخْتِلَافِ الدُّوَلِ!

(١) يجتوى: يكره، ويُقْلَى: يبغض.

(٢) الأسفع: الذي كان لونه أسود مشربًا بحمرة.

(٣) الانقباض: الاشتزاز والحزن.

(٤) الفذالك: جمع الفذلكة، أي نتاج الحساب التي يقال عندها: فذلك يكون كذا. «انظر شفاء الغليل للخفاجي».

(٥) هو محمود بن حسن الوراق، شاعر أكثر شعره في المواعظ والحكم، له ديوان شعر مطبوع. «فهرس الأعلام ١٦٧/٧».

(٦) الأجل: الموت.

(٧) طرا: أصلها «طراً» خففت الهمزة للضرورة الشعرية.

وقال عبيد بن الأبرص^(١): [من البسيط]

والشيبُ شَيْنٌ لمن أَمسى بساحته! لله درُّ شَبَابِ اللَّمةِ الخالي^(٢)

وقال البحتري: [من الطويل]

وِدِدْتُ بياضَ السيفِ يومَ لقينني مكانَ بياضِ الشَّيبِ حلَّ بمَقْرِقي

وقال أبو العتاهية^(٣): [من الوافر]

عَرِيتُ عن الشبابِ، وكان غَضًّا كما يَعْرِى من الورقِ القَضِيبُ^(٤)
أَلَا لَيْتَ الشبابَ يعودُ يومًا فأخْبِرُهُ بما فعلَ المَشِيبُ!

وقال آخر: [من السريع]

يَا حَسْرَتًا أينَ الشبابُ الذي على تَعَدِّيهِ المَشِيبُ أَعْتَدِي؟^(٥)
سُيِّبْتُ، فما أَتَقَكُّ من حَسرةٍ والشيبُ في الرأسِ رسولُ الرَّدَى!^(٦)
إنَّ مَدَى العُمُرِ قَرِيبٌ فما بقاءُ نَفْسي بعدَ قُرْبِ المَدَى؟

وقال آخر: [من الكامل]

هذا عِذارُكَ بِالمَشِيبِ مُطَرَّرُ فقبولُ عُذْرِكَ في التَّصَابِي مُغَوَّرُ^(٧)!
ولقد عَلِمْتُ - وما عَلِمْتُ تَوْهُمًا - أَنَّ المَشِيبَ لَهْذَمَ عَمْرِكَ يَزْمُرُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

أَلَسْتُ تَرى نُجُومَ الشَّيْبِ لَاحَتْ وَشَيْبُ المَرْءِ عَنوانُ الفَسَادِ!

(١) هو عبيد بن الأبرص الأسدي، أبو زياد، أحد الشعراء المعتمدين، وأحد أصحاب المعلقات. انظر «فهرس الأعلام الشعر والشعراء ص ١٦١».

(٢) في الديوان: «والشيب شَيْنٌ لمن يحتلُّ ساحته» ص ١١١، دار صادر، واللَّمة: الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن، والخالي: الماضي.

(٣) أبو العتاهية: هو إسماعيل بن القاسم، أبو إسحق، الشاعر العباسي الكبير، انظر: فهرس الأعلام ٣٣١/١.

(٤) الغَضُّ: الناصر الناعم.

(٥) يا حسرتا: منادى، والألف زائدة، لأن المنادى هنا للندبة والتفجع.

(٦) الرَّدَى: الهلاك والموت. (٧) العذار: جانب اللحية.

وقال أيضًا: [من البسيط]

أبلى جَدِيدِي هذان الجديدان
كأنما أعتَمَ رأسي منه بالجبل الرّ

وقال آخر: [من الكامل]

لما رأث وَضَحَ المَشِيبِ بعارضي
فجعلتُ أطلبُ وصلها بتلطّف

وقال كُشاجم: [من المديد]

ضَحِكْتُ! من شَيْبَةٍ ضَحِكْتُ
ثم قالت وهي هازئة:
قُلْتُ: من حُبِّيك، لا كَبِرُ
وثنّت جَفَنًا على كَحَلٍ
أكثرَ منه تعجُّبها!

وقال أبو تمام: [من الخفيف]

دَقَّةٌ في الحياة تُدعى جَلالًا
غُرَّةٌ مُرَّةٌ ألا إنما كنـ

وقال ابن المعتز: [من الوافر]

لقد أبغضتُ نفسي في قَشِيبِي
فكيف تُحبُّني الخُودُ الكَعابُ^(٩)

(١) الجديدان: الليل والنهار.

(٢) أو هن وأوهي: أضعف.

(٣) الوضع: البياض من كل شيء، والعارض: صفحة الخد.

(٤) يغمزها: يشير إليها بكسر العين أو الحاجب.

(٥) الرجلة: يقال شعر رجل: أي بين السبوة، أي الاسترسال، وبين الجعودة.

(٦) ثنت: طوت.

(٧) الجلال: العظيم من الأمور، والسليم: من الأضداد، وقد قيل للديغ: سليمًا على سبيل التناؤل بالشفاء.

(٨) الغرة: الخدعة، والأغز: الأبيض والكريم من الأفعال، والبهيم: الأسود. وفي الديوان ص ٢٥٧، دار صعب: «غرة بهمة».

(٩) الخود: الشابة الناعمة الحسنة الخلق، والكعاب: الفتاة التي نهد ثديها.

وقال أبو هلال العسكري: [من المتقارب]

فلا تعجباً أن يعجبَ المَشِيبَا فما عِبنَ من ذاك إلا مَعِيبَا^(١)!

إذا كان شَيْبِي بَغِيضًا إِلَيَّ فكيف يكونُ إليها حَبِيبًا؟

وقال محمد بن أُمَيَّة: [من الطويل]

رَأَيْنَ الْعَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بَعَارِضِي فَأَعْرَضَنَ عَنِّي بِالْحُدُودِ النَّوَاضِرِ^(٢)

وَكُنْ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمَعْتَ بِي دَنُوءَ فَرْقَعِنَ اللَّوَى بِالْمَحَاجِرِ^(٣)

وقال آخر: [من مخلع البسيط]

قالت، وقد راعها مَشِيبِي: كنتَ ابنَ عَمِّ فَصِرْتَ عَمًّا

واستهزأت بي، فقلتُ أيضًا: قد كنتَ بنتًا فَصِرْتَ أُمًّا

وقال آخر: [من مجزوء الرجز]

تضاحكتَ لَمَّا رَأَتْ شَيْبًا تَلَالًا غُرَّةَ

قلتُ لها: لا تعجبي أنبيك، عندي حَبْرَةُ

هذا غَمَامٌ لِلرَّدَى ودمعُ عيني مَطَرُهُ

ومما قيل في الخضاب^(٤) من المدح، ما رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «غَيِّرُوا هذا الشَّيْبَ، وَجَنِّبُوهُ السَّوَادَ».

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يَخْضِبُ بِالْحِنَاءِ وبِالكَتَمِ^(٥).

وقد مدح الشعراء الخضابَ.

(١) عاب المشيب: ذمّه في المرأ.

(٢) العارض: صفحة الخد، والإعراض: الصدود والامتناع.

(٣) اللوى: ما التوى وانعطف وانثنى من الزمل أو مسترقه.

(٤) الخضاب: ما يخضب به، وخضب شعره: غيّر لونه بالخضاب.

(٥) الحناء: نبات ورقه كورق الزمان يُتخذ منه الخضاب الأحمر، والكتم: نبات يلون به الشعر ويصنع منه حبرٌ للكتابة.

فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز: [من المتقارب]

وقالوا: الثُّصُولُ مَشِيبٌ جَدِيدٌ! فقلتُ: الخَضَابُ شَبَابٌ جَدِيدٌ! ^(١)

إِسَاءَةٌ هَذَا بِإِحْسَانٍ ذَا فَإِنْ عَادَ هَذَا فَهَذَا يَعُودُ

وقال أبو الطَّيِّبِ المَتَنَّبِيُّ: [من الطويل]

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ، وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاجِئُهُ

وقال محمود الوراق: [من الكامل]

لِلضُّيْفِ أَنْ يُقْرَى وَيُغْرَفَ حَقُّهُ! وَالشَّيْبُ ضَيْفُكَ، فَأَقْرِهِ بِخَضَابٍ ^(٢)

وقال عبدان الأصبهاني ^(٣): [من الخفيف]

فِي مَشِيبِي شَمَاتَةٌ لِعِدَاتِي وَهُوَ نَاعٍ مَنْغُصٌ لِحَيَاتِي

وَيَعِيبُ الْخَضَابُ قَوْمٌ، وَفِيهِ أَيْ أَنْسٍ إِلَى حُضُورِ وَفَاتِي

لَا وَمَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ مَنِّي مَا بِهِ رُمْتُ خُلَّةَ الْغَانِيَاتِ ^(٤)

إِنَّمَا رَمْتُ أَنْ يُغَيِّبَ عَنِّي مَا تُرِينِيهِ كُلَّ يَوْمٍ مِرَاتِي ^(٥)

وَهُوَ نَاعٍ إِلَيَّ نَفْسِي، وَمَنْ ذَا سَرَّهُ أَنْ يَرَى وَجْهَ الثُّعَاتِ؟

وقال ابن الرومي: [من الخفيف]

يَا بَيَاضَ الْمَشِيبِ سَوْدَتْ وَجْهِي عِنْدَ بَيَاضِ الْوَجْهِ سُوْدُ الْقُرُونِ! ^(٦)

فَلَعَمْرِي، لِأَخْفِيَّتِكَ جُهْدِي عَنْ عِيَانِي وَعَنْ عِيَانِ الْعُيُونِ! ^(٧)

وَلَعَمْرِي، لِأَمْتَعَتِكَ أَنْ تَضَحَ لِكَ فِي رَأْسِ آسَفٍ مُحْزُونِ!

بِخَضَابٍ فِيهِ أَبْيَضُ لَوْجْهِي وَسَوَادٌ لَوْجْهَكَ الْمَلْعُونِ!

(١) التَّصُولُ: يقال نصلت اللحية: أي خرجت من الخضاب، ونصل لون الثوب: تغير وزال.

(٢) الْقَرَى: ما يقدم إلى الضيف.

(٣) عبدان الأصبهاني: لعنه عبدان بن أحمد بن موسى بن زياد العسكري الأهوازي الجواليقي.

(٤) رام: قصد، والخلة: الصداقة والمحبة.

(٥) مراتي: يريد مرآته، وقد خففت الهمزة الممدودة للضرورة الشعرية.

(٦) القرون: مفردها القرن: وهو من رأس الإنسان جانبه، وموضع القرن فيه، ويقصد «بسود

القرون» النساء الشابات.

(٧) العيان: المشاهدة.

وقال آخر: [من الوافر]

نهى الشيبُ الغواني عن وصالِي وأوقع بين أحبابي وبينِي
فلستُ بتاركٍ تدبير دَقْنِي إلى أن ينقضي أمدي لحِنِي
أدبر لِحِيَّتِي ما دمتُ حيًّا وأعتقُها ولكن بَعْدَ عَيْنِي^(١)

وقال آخر: [من مجزوء الكامل المزمّل]

قالوا: فلانٌ لم يَشِبْ وأرى المَشِيبَ عليه أبْطأ
فأجبْتُهُمْ: لولا حديد ثُ الصَّبْغُ لانكشَفَ المُعْطَى

* * *

ومما قيل في ذم الخضاب، قال محمود الوراق، رحمه الله: [من مجزوء الكامل المزمّل]

يا خاضِبَ الشَّيبِ الَّذِي في كُلِّ ثَالِثَةٍ يَعودُ
إِنَّ التُّصُولَ إِذَا بَدَأَ فكأنه شَيْبٌ جَدِيدُ^(٢)
ولهِ بِدِيهَةٌ رَوْعَةٌ مكروهُها أَبَدًا عَتِيدُ^(٣)
فدَعِ المَشِيبَ لِمَا أَرَا د فلنْ يَعودَ لِمَا تُريدُ

وقال آخر: [من الوافر]

تَسْتَرَّ بِالْخِضَابِ، وَأَيُّ شَيْءٍ أدلُّ عَلَى المَشِيبِ مِنَ الْخِضَابِ؟
وقال ابن الرومي: [من الكامل]

قُلْ لِلْمَسْوَدِّ حِينَ سَوَدَ: هَكَذَا غِشُّ الغَوَانِي فِي الهَوَى إِياكَ!
كَذَبَ الغَوَانِي فِي سَوَادِ عِذارِهِ فكذبْنَه فِي وَدْهَنْ كِذاكَ!

وقال المتنبي: [من البسيط]

وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مَمْوَهَةٌ تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيبِي غَيْرَ مَخْضُوبِ^(٤)
وَمِنْ هَوَى الصَّدَقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ رَغِبْتُ عَنْ شَعْرِ فِي الْوَجْهِ مَكْذُوبِ

(١) أعتق: حرّر وأصلح.

(٢) التصول: زوال الخضاب عن الشعر.

(٣) البديهة: المفاجأة أو البداية، والعتيد: الحاضر المهيأ، والجسيم.

(٤) المموهة: من موه الشيء: أي غير حقيقته.

وقال الأمير شهاب الدين بن يغمور عفا الله عنه: [من البسيط]

يا صابغَ الشَّيْبِ، والأَيَّامُ تُظْهِره: هذا الشَّبَابُ، وَحَقَّ اللهُ مَصْنُوعُ! ^(١)
إنَّ الجَدِيدَ إذا ما كانَ في حَلَقٍ يَبِينُ للنَّاسِ أَنَّ الثَّوبَ مَرْقُوعُ ^(٢)

وأما ما وصف به الوجه، فمن ذلك ما قيل في المذكر:

قال الوجيهي: [من البسيط]

مَسْتَقْبَلٌ بالذي يَهْوَى، وإنْ كَثُرَتْ منه الإِسَاءَةُ، مَعذُورٌ بما صَنَعَا
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمَحُو إِسَاءَتَهُ مِنْ الْقُلُوبِ، وَجِيهًا حَيْثَمَا شَفَعَا ^(٣)

وقال الآخر: [من المتقارب]

رَأَيْتُ الْهَيْلَالَ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَذِرْ أَيُّهُمَا أَنْوَرُ؟
سَوَى أَنَّ ذَاكَ قَرِيبُ الْمَزَارِ وَهَذَا بَعِيدُ لِمَنْ يَنْظُرُ
وَذَاكَ يَغِيبُ وَذَا حَاضِرٌ فَمَا مَنْ يَغِيبُ كَمَنْ يَخْضُرُ
وَنَفْعُ الْهَيْلَالِ كَثِيرٌ لَنَا وَنَفْعُ الْحَبِيبِ لَنَا أَكْثَرُ

وقال ابن لنك: [من مجزوء الكامل]

الْبَدْرُ وَالشَّمْسُ الْمُنِيبُ رُءُوسُ الدُّمَى وَالْكُوكَبُ ^(٤)
أَضْحَتْ ضُرَائِرَ وَجْهِهِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ تَغْرُبُ ^(٥)
وَكَأَنَّ جَمْرَ جَوَانِحِي فِي خَدِّهِ يَتَلَهَّبُ ^(٦)
وَكَأَنَّ غُضُنَ قَوَائِمِهِ مِنْ مَاءٍ دَمْعِي يَشْرَبُ
وَصَوَالِجٍ فِي صُدْغِهِ بِسَوَادِ قَلْبِي تَلْعَبُ ^(٧)

(١) مصنوع: أي ليس شابًا صحيحًا، بل هو مصطنع.

(٢) الخلق: البالي. (٣) الشافع: الشفيع الذي يساعد ويعين.

(٤) الدمي: مفردا «دمية» وهي الصورة الممثلة، والفتاة الحسنة.

(٥) ضرائر: مفردا «ضرة» وهي إحدى امرأتي الرجل، أو إحدى نسائه ويكون بينها الحسد والغيرة.

(٦) الجوانح: أوتال الأضلاع مما يلي الصدر.

(٧) الصوالج: مفردا «صولج» وهي العصا المعقوفة الرأس التي يضرب بها الفارس الكرة في بعض الألعاب.

وقال ابن المعتدل^(١): [من الطويل]

نَظَرْتُ إِلَى مَنْ زَيْنَ اللَّهِ وَجْهَهُ فَيَا نَظْرَةً كَادَتْ عَلَى عَاشِقٍ تَقْضِي!
وَكَبَّرْتُ عَشْرًا، ثُمَّ قُلْتُ لَصَاحِبِي مَتَى نَزَلَ الْبَدْرُ الْمَنِيرُ إِلَى الْأَرْضِ؟

وقال الْخُبْزَارُزِّي^(٢): [من المتقارب]

رَأَيْتُ الْهَلَالَ وَوَجْهَ الْحَبِيبِ فَكَانَا هَلَالَيْنِ عِنْدَ النَّظَرِ
فَلَمْ أَدْرِ مِنْ حَايِرَتِي فِيهِمَا هَلَالَ الدُّجَى مِنْ هَلَالِ الْبَشَرِ!
فَلَوْلَا التَّوَرُّدُ فِي الْوَجْنَتَيْنِ وَمَا رَاعِنِي مِنْ سَوَادِ الشَّعَرِ
لَكُنْتُ أَظُنُّ الْهَلَالَ الْحَبِيبَ وَكُنْتُ أَظُنُّ الْحَبِيبَ الْقَمَرَ!

وقال أَبُو الشَّيْصِ^(٣): [من المنسرح]

تَخْشَعُ شَمْسُ النَّهَارِ طَالِعَةً حِينَ تَرَاهُ، وَيَخْشَعُ الْقَمَرُ
تَعْرِفُهُ أَنَّهُ يَفُوقُهُمَا بِالْحَسَنِ، فِي عَيْنِ مَنْ لَهُ بَصَرُ

وقال أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ: [من المتقارب]

وَوَجْهَهُ تَشَرَّبَ مَاءَ النِّعَمِ فَلَوْ عُصِرَ الْحَسَنُ مِنْهُ انْعَصَرَ
يُمَرُّ فَأَمْنُحُهُ نَاطِرِي فَيَنْثُرُ وَرْدًا عَلَيْهِ الْخَفَرُ^(٤)
تَمْتَعْتَ الْعَيْنُ فِي حُسْنِهِ فَمَا حَفَلْتُ بِطُلُوعِ الْقَمَرِ

وقال ابن المعتز: [من السريع]

يَا مُفْرَدًا بِالْحَسَنِ وَالشُّكْلِ مَنْ دَلَّ عَيْنِيكَ عَلَى قَتْلِي؟
الْبَدْرُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورُهُ وَالشَّمْسُ مِنْ وَجْهِكَ تَسْتَمْلِي^(٥)

(١) ابن المعتدل: هو عبد الصمد بن غيلان بن حكم العبدي، أبو القاسم، شاعر من شعراء الدولة العباسية، كان هجاءً شديد العارضة، ولد ونشأ بالبصرة، توفي سنة ٨٥٤ م. «انظر فهرس الأعلام ١١/٤».

(٢) الخبزأرزي: هو نصر بن أحمد، شاعر تقدّم ذكره، شاعر غزلٍ كان أميًا. «انظر فهرس الأعلام ١٦٢/٤».

(٣) أبو الشّيص: هو محمد بن علي بن عبد الله بن رزين، أبو سليمان بن تميم الخزاعي المعروف بأبي الشّيص «أبو جعفر»، شاعر مطبوع، سريع الخاطر رقيق الألفاظ من أهل الكوفة، له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ٨١١ م. «فهرس الأعلام ٢٧١/٦».

(٤) الخفر: الحياء. (٥) تستملي: تستمتع وتستكمل نورها.

وقال ابن المعدل يصف عُتْبَةَ: [من مجزوء الوافر]

لَعُتْبَةَ صَفْحَتَا قَمَرٍ يفوق سَنَاهُمَا الْقَمَرَا^(١)
يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حَسَنًا إذا مَا زَدْتُهُ نَظَرًا

وقال السري الرفاء^(٢): [من الكامل]

قَمَرٌ تَفَرَّدَ بِالْمَحَاسِنِ كُلِّهَا فإِلَيْهِ يُنْسَبُ كُلُّ حَسَنِ يَوْصَفُ
فَجَبِينُهُ صُبْحٌ، وَطَرْتُهُ دُجَى وَقَوَامُهُ غَصْنٌ رَطِيبٌ أَهْيَفُ^(٣)
لِلَّهِ ذَاكَ الْوَجْهَ! كَيْفَ تَأَلَّفْتُ فِيهِ مَحَاسِنٌ لَمْ تَكُنْ تَتَأَلَّفُ؟

وقال آخر: [من الطويل]

وَفِي أَرْبَعٍ مَنِيَّ حَلَّتْ مِنْكَ أَرْبَعُ فَمَا أَنَا أَدْرِي أَيُّهَا هَاجَ لِي كَرْبِي؟^(٤)
أَوْجْهُكَ فِي عَيْنِي، أَمْ الرِّيقُ فِي فَمِي أَمْ النُّطْقُ فِي سَمْعِي، أَمْ الْحُبُّ فِي قَلْبِي؟

ومثله قول يعقوب الكندي^(٥): [من الطويل]

وَفِي خَمْسَةٍ مَنِيَّ حَلَّتْ مِنْكَ خَمْسَةٌ فَرِيقُكَ مِنْهَا فِي فَمِي طَيْبُ الرَّشْفِ^(٦)
وَوَجْهُكَ فِي عَيْنِي، وَلَمْسُكَ فِي يَدِي وَنُطْقُكَ فِي سَمْعِي، وَعَزْفُكَ فِي أَنْفِي^(٧)

وقال أبو نُوَّاسٍ: [من المنسرح]

كَأَتَمَّا الْوَجْهَ إِذْ بَدَا قَمَرٌ مُرَكَّبٌ فَوْقَ قَامَةِ الْغُصْنِ
يَا ذَا الَّذِي أَصْبَحَ الْعِبَادُ بِهِ فِي فِتْنَةٍ مِنْ عِظَائِمِ الْفِتَنِ!
أَقْبِلْ بِوَجْهِ الْهَوَى إِلَيَّ، فَقَدْ أَطْلَلْتُ بِالصَّدِّ مُعْرِضًا حَزَنِي!^(٨)

(١) وصفحتا قمر: هما خذاها.

(٢) السري الرفاء: هو السري بن أحمد الكندي، صاحب سُرِّ الشعر، الجامع بين نظم عقود الدرر والنفث في عقد الشحر، أسلم صبيًا في الرِّفَائِينَ بالموصل، كان يرفو ويطرز ويتكسب بالشعر، ثم اشتد باعه في النظم، فانتقل إلى حياكة القريض. «اليتيمة ١٣٧/٢».

(٣) الأهيف: الذي دق خصره وضمُر بطنه. (٤) هاج: أثار، والكرب: الحزن.

(٥) يعقوب الكندي: هو يعقوب بن إسحق الكندي، أبو يوسف، فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد أبناء ملوك كندة، نشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد، فتعلّم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك، توفي نحو سنة ٨٧٣ م. «فهرس الأعلام ١٩٥/٨».

(٦) الرشف: المصّ بالشفنتين.

(٧) العُرف: الرائحة مُطْلَقًا، وأكثر ما يستعمل في الطيبة منها.

(٨) الصَّدِّ: الإعراض، والحزن: الغم.

وقال محمد بن وهيب^(١): [من المديد]

نَمْ فَقَدْ وَكَلْتُ بِي الْأَرْقَا لَاهِنًا بَعْدُ لِمَنْ عَشِقَا
إِنَّمَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَسَدِي شَبَحًا غَيْرَ الَّذِي خُلِقَا
مَا لِمَنْ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ أَنْ يُعَادِي طَرْفَ مَنْ رَمَقَا^(٢)
لَكَ أَنْ تُبْدِي لَنَا حَسَنًا وَلَنَا أَنْ نُغْمِلَ الْحَدَقَا^(٣)

ومن ذلك ما قيل في المؤنث، قال ابن سكرة^(٤): [من المنسرح]

فِي وَجْهِ إِنْسَانَةٍ كَلِفْتُ بِهَا أَرْبَعَةً مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَحَدٍ
فَالْخُدَّ وَرَدَّ وَالصُّدُغَ غَالِيَةً وَالرِّيْقَ خَمْرًا وَالثَّغْرَ مِنْ بَرْدٍ^(٥)
لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ حُسْنِهَا بَدْعٌ تُودِعُ قَلْبِي وَدَائِعَ الْكَمَدِ!^(٦)

وكان مكتوبًا على عِصَابَةٍ^(٧) وَرَدَ جَارِيَةِ الْمَاهَانِي^(٨): [من السريع]

تَمَّتْ! وَتَمَّ الْحَسَنُ فِي وَجْهِهَا! فَكُلُّ شَيْءٍ مَا سِوَاهَا مُحَالٌ
لِلنَّاسِ فِي الشَّهْرِ هِلَالٌ، وَلِي فِي وَجْهِهَا كُلِّ صَبَاحٍ هِلَالٌ!

وقال آخر: [من الخفيف]

وَإِذَا الدُّرَّ زَانَ حُسْنًا وَجُوهَ كَانَ لِلدُّرِّ حَسَنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا
وَتَزِيدِينَ طَيِّبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا إِنْ تَمَسَّيْهِ! أَيْنَ مِثْلُكَ أَيْنَا؟

(١) محمد بن وهيب: هو محمد بن وهيب الحميري، أبو جعفر، من شعراء الدولة العباسية، تكسب بالمديح، وله مراثٍ في أهل البيت، واختص بالحسن بن سهل، ومدح المأمون والمعتمد، توفي سنة ٨٤٠ م. «فهرس الأعلام ١٣٤/٧».

(٢) رَمَقَ ببصره: أتبعه النظر. (٣) الحدق: الأنظار.

(٤) ابن سكرة: هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد، شاعر متسع الباع في أنواع الإبداع، أحد الفحول الأفراد، كان يقال: إن زمانًا جاد بابن سكرة وابن الحجاج السخي جدًا. «اليتيمة ٣/٣».

(٥) الغالية: الطيب، والبرد: يريد بياض الأسنان في الثغر.

(٦) الكمد: الحزن والغم.

(٧) العصابة: ما يعصب به من منديل أو نحوه.

(٨) الماهاني: لعنه علي بن عيسى بن ماهان، من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين العباسيين وهو الذي حرّض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد، قتل على يد طاهر بن الحسين سنة ٨١٠ م. «فهرس الأعلام ٣١٧/٤».

وقال آخر: [من المديد]

ليس فيها أن يُقالَ لها: كملت، لو أن ذا كُملاً

كلُّ جزءٍ من محاسنها صائر من حسنِها مثلاً

وقال عمر بن أبي ربيعة: [من الرمل]

وفتاةٍ إن يغيبَ بدر الدُجى فلنا في وجهها عنه خَلْفٌ

أجمع الناسُ على تفضيلها وهواهُم في سواها مختلفٌ

وقال الحماني^(١) من أبيات: [من المتقارب]

نرى الشمسَ والبدرَ معناهما بها واحداً، وهما مَغْنِيَانُ

إذا طَلَعَتْ وجهها، أشرقا بطلعتها، وهما آفِلَانُ^(٢)

ومما وُصِفَ به صفاء الوجه ورقَّةُ البشرة، فمن ذلك ما قيل مذكراً.

قال أبو نؤاس: [من المتقارب]

نظرتُ إلى وجهه نظرةً فأبصرتُ وجهي في وجهه

وقال آخر: [من الوافر]

أعِذْ نَظَرًا! فما في الخدْ نبتٌ حماءُ الله من رَيبِ المُنُونِ^(٣)!

ولكن رَقَّ ماءُ الوجه حتَّى أراك مثالَ أهْدَابِ الجُفُونِ!

ومثله قول الآخر: [من الطويل]

ولما أَسْتَدَارَتْ أَعْيُنُ الناسِ حَوْلَهُ تُلاحِظُهُ كيفَ اسْتَقَلَّ وسارا^(٤)

تمثَّلَتِ الأهدابُ في ماء وجهه فَظَنُّوا خيالَ الشَّعْرِ فيه عِذارا^(٥)

(١) الحماني: لعله علي بن محمد الكوفي الحماني، شاعر، من آثاره ديوان شهر مطبوع، عاش في الكوفة وكان منزله فيها ببني حمان، فنسب إليهم، وكان وجيه الكوفة في عصره. «انظر فهرس الأعلام ٣٢٤/٤».

(٢) آفَل: غاب. (٣) المنون: الموت، والدَّهر.

(٤) استقل: ارتفع، يقال: استقلَّ الطائر في طيرانه: أي ارتفع.

(٥) ماء الوجه: رونقه وشبابه ونضرتة.

وقال الأَرَجَانِي^(١): [من السريع]

ما أَنَسَ، لا أَنَسَى له مَوْقِفًا والعِيسُ قد ثَوَّرَهُنَّ الحُدَاةَ^(٢)
لَمَّا تَجَلَّى وَجْهُهُ طَالِعَا وقد تَرَامَتْ نَظَرَاتُ الوُشَاةِ^(٣)
قَابَلَنِي حِينَ بَدَتْ أَدْمُعِي فِي خَدِّهِ المَصْقُولِ مِثْلَ المِرَاةِ
يُوهِمُ صَخْبِي أَنَّهُ مُسْعِدِي بِأَدْمَعٍ لَمْ تُذَرِّهَا مَقْلَتَاهُ
وَأِنَّمَا قَلْدَنِي مِئْتَةٌ بِدَمْعٍ عَيْنٍ مِنْ جُفُونِي أَمْتَرَاهُ^(٤)
وَلَمْ تَقْعُ فِي خَدِّهِ قَطْرَةٌ إِلَّا خَيَالَاتِ دُمُوعِ البُكَاهِ

وقال أيضًا: [من الوافر]

وَأُعِيدَ رَقٌّ مَاءِ الوجهِ مِنْهُ فلو أَرَخِي لِثَامًا عَنْهُ، سَالَا^(٥)
تَبِينُ سَوَادَهَا الأَبْصَارُ فِيهِ فحيثُ لَحِظْتَ مِنْهُ، حَسِبْتَ خَالَا^(٦)

ومن ذلك ما قيل في المؤنث، قال بشار^(٧): [من الطويل]

وما ظَفِرْتُ عَيْنِي غَدَاةً لَقِيْتُهَا بشيءٍ، سوى أطرافها والمَحَاجِرِ^(٨)
بَحَوْرَاءَ مِنْ حُورِ الجَنَانِ عَزِيزَةٍ يَرَى وَجْهَهُ فِي وَجْهَهَا كُلِّ نَاطِرٍ^(٩)

(١) الأَرَجَانِي: هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين، الملقب «ناصر الدين»، كان قاضيًا، لـ «تستر» و«عسكر مكرم»، وله شعر رائع في نهاية الحسن، ذكره العماد الأصبهاني في الخريدة، توفي بتستر سنة ١١٤٩ م. «انظر فهرس الأعلام ١/٢١٥».

(٢) العيس: التوق، ثورهن: أهاجهن، والحداة: مفردها الحادي، وهو الذي يسوق الإبل.

(٣) تجلّى: أسفر، وترامت: تتابعت، والوشاة: مفردها «واش» وهو التّمَام الكذوب.

(٤) المئة: الفضل والحسن، وامترأه: حلبه واستخرجه.

(٥) الأغيد: الوسنان المائل العنق اللّين الجانب، والناعم المتني.

(٦) الخال: بثرة سوداء في الوجه، يقول: إن العيون إذا نظرت إلى صفحة وجهه الرقيقة الصافية انعكست صورتها فيها فبدت الأحداق كالخال الأسود في مرآة ذلك الوجه.

(٧) بشار: هو بشار بن بُرد العقيلي بالولاء، أبو معاذ، أشعر المولدين على الإطلاق، أصله من طخارستان، كان ضريّرًا نشأ في البصرة وقدم بغداد، قتل سنة ٧٨٤ م بسبب اتهامه بالزندقة، له ديوان ورسائل. «فهرس الأعلام ٢/٥٢».

(٨) المحاجر: مفردها المحجر، وهو ما أحاط بالعين.

(٩) الحوراء من النساء: البيضاء، ولا يقصد بقوله حور عينيها.

وقال السري الرفاء: [من البسيط]

بيضاء تنظر من طَرْفِ تَقْلُبُهُ مفرّق بين أجسادٍ وأرواح
ماء النعيم على ديباج وَجْنَتِهَا يَجُولُ بين جَنَى وَزْدٍ وَتَفْاح^(١)
رَقْتُ: فلو مُزِج الماءَ القَرَّاحُ بها والراح، لامتزجت بالماء والراح!^(٢)

وقال الأرجاني من أبيات: [من الطويل]

ولمّا تلاقَيْنَا، وللعين عادةً تُثِيرُ وُشَاةً عند كلِّ لِقَاءٍ
بدت أدْمُعي في خدّها من صقاله فغَارُوا وظنّوا أن بَكَتْ لُبْكَائِي!^(٣)

ومما قيل في صفرة الوجه، فمن ذلك ما قيل مذكّراً:

قال أبو عبادة البحتري: [من الطويل]

بدت صُفرةً في وجهه، إنَّ حَمْدَهُمْ من الدّر ما أَصْفَرَتْ نواحيه في العِقْدِ

وقال آخر: [من الخفيف]

لم تُشِنْ وجهه المليح، ولكن جعلتْ وَزْدَ وجنتيه بَهَاراً^(٤)

وقال الأرجاني وأجاد: [من الخفيف]

راق ماء الحياة من وجنتيه فهو مِرْآةٌ أَوْجِهَ العُشَّاقِ!^(٥)

ومن ذلك ما قيل في المؤثث، قال سلم الخاسر^(٦): [من الطويل]

تبدّت فقلتُ: الشمسُ عند طلوعها بوجهٍ غنيّ اللَّون عن أثرِ الوُزْسِ!^(٧)
فقلتُ لأصحابي، وبني مثلُ ما بهم على مِرْيَةٍ: ما ههنا مَطْلَعُ الشمسِ!^(٨)

(١) الديباج من الوجه: حسن بشرته، والديباج: ثوبٌ سُداه ولحمته من الحرير.

(٢) القراح: العذب الصافي، والزّاح: الخمر. (٣) صقال الخد: صفاؤه ونقاؤه.

(٤) البهار: نبات طيب الرائحة، والبهار: كل شيء حسن منير.

(٥) راق: صفا، وماء الحياة: أي ماء الشباب والحيوية.

(٦) هو سلم الخاسر بن عمرو بن حماد، شاعرٌ خلیع ماجن، من أهل البصرة، سكن بغداد، له

مدائح في المهدي والزّشيد، وأخبار مع بشار وأبي العتاهية، وشعر رقيق رصين، سمي الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى خمراً. «فهرس الأعلام ٣/ ١١٠ - ١١١».

(٧) الورس: نبات كالسّمسم تغطي ثمره غدّد حمرة، يصنع به.

(٨) المرية: الشك.

وقال أبو تمام: [من الكامل]

صفراء - صفرة صَحَّة - قد رُكِبَتْ جُثمَانُهَا فِي ثوبِ سُقَمٍ أَضْفَر

وقال مسعود الأصبهاني^(١)، شاعر الخريدة: [من السريع]

وَقَيْنَةُ قَالَ لَهَا نَاقِصٌ كَمُلْتُ، لَوْلَا صُفْرَةُ اللَّوْنِ

قُلْتُ: أَتَتُّد! فَالشَّمْسُ مَصْفَرَّةٌ وَهِيَ صَلاَحُ الْأَرْضِ فِي الْكَوْنِ!^(٢)

ومما قيل في السُّمرة، قال شاعر: [من مجزوء الرمل]

كَيْفَ لَا أَعْشَقُ ظَبِيًّا سَارِحًا فِي ظِلِّ مَلِكٍ

إِنَّمَا السُّمْرَةُ فِيهِ مَزْجُ كَافُورٍ بِمِسْكِ^(٣)

وقال آخر: [من السريع]

يَا ذَا الَّذِي يُذْهِبُ أَمْوَالَهُ فِي حُبِّ هَذَا الْأَسْمَرِ الْفَائِقِ!

مَا الذَّهَبُ الصَّامِتُ مُسْتَكْتَرًا إِذْهَابُهُ فِي الذَّهَبِ النَّاطِقِ!

وقال آخر: [من المديد]

ذَهَبِي اللَّوْنُ! تَحَسَّبُ مِنْ وَجْنَتِيهِ النَّارُ تُفْتَدَحُ

خَوْفُونِي مِنْ فَضِيحَتِهِ! لَيْتَهُ وَافِي، وَأَفْضَحُ!^(٤)

(١) لعلّه مسعود بن سعد بن سلمان بن سلمان الهمداني اللاهوري، أديب شاعر باللغات الثلاث، العربية والفارسية والهندية، وله في كل منها ديوان. «انظر فهرس الأعلام ٧/ ٢١٧».

(٢) أتاد: تمهل وتأنى وتروى.

(٣) الكافور: نبت طيب زهره كزهر الأفحوان، وتؤخذ منه مادة عطرية، والمسك: نوع من الطيب، يتكون من دم حيوان كالغزال، وقد ذكر ذلك المتنبي في قوله:

فإن تفتي الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال
«ديوان المتنبي ١١٦/٢، دار الكتب العلمية».

(٤) وافى: أقبل وأتى.

ومما قيل في السَّوَادِ (وهو يختصُّ بالمؤنث):

قال الزركشي في «دنانير»^(١) البرمكية: [من السريع]

أشْبَهَكَ الْمَسْكُ، وَأَشْبَهَتْهُ قائمةٌ في لونه قاعدهُ
لا شَكَّ، إِذْ لَوْنُكُمْ وَاحِدٌ أَتَكْمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ

وقال ابن الرومي: [من المنسرح]

أَكْسَبَهَا الْحُبُّ أَنَّهَا صُبِغَتْ صبغةٌ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ^(٢)
فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهَا الضَّمَائِرُ وَالْأُ بَصَارُ، يَعْبَقُنْ أَيْمًا عَبَقِ^(٣)!
يَفْتَرُ ذَلِكَ السَّوَادُ عَنْ يَقَقِ فِي ثَغَرِهَا كَاللَّالِئِ النَّسَقِ^(٤)
كَائِهَا، وَالْمِزَاجُ يُضْحِكُهَا لَيْلٌ تَفَرَّى دُجَاهَ عَنْ غَسَقِ^(٥)

وقال الصنوبري^(٦): [من السريع]

يَا غُضُّنًا مِنْ سَبَجٍ رَطْبٍ أَصْبَحَ مِنْكَ الدَّرُّ فِي كَرْبِ!^(٧)
حُبُّكَ مِنْ قَلْبِي مَكَانَ الَّذِي أَشْبَهَتْهُ مِنْ حَبَّةِ الْقَلْبِ

وقال محمد بن عبد السلامي^(٨)، شاعر اليتيمة عفا الله عنه: [من البسيط]

يَا رَبَّ غَانِيَةٍ بِيضَاءَ تَضْبَحُنِي مِنْ الْعَتَابِ كُؤُوسًا لَيْسَ تَنْسَاغُ^(٩)

(١) دنانير: مغنيّة نسب إليها كتاب في الأغاني، كانت مولاة لرجل من أهل المدينة، خرّجها وأدبها واشتراها يحيى بن خالد البرمكي، فينعت في بيته، وممن أعجب بها الرشيد، فلما نكب البرامكة، امتنعت عن الغناء لغيرهم، فأمرها الرشيد، فأبت الغناء. «فهرس الأعلام ٢/ ٣٤١».

(٢) حبة القلب: مهبته. (٣) عبق الطيب: انتشرت رائحته.

(٤) اليقق: الأبيض الصافي.

(٥) تفرى: تشقق، والدجى: الليل، والغسق: الظلمة.

(٦) الصنوبري: هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي الأنطاكي، أبو بكر، شاعر سكن حلب ودمشق، وتوفي في رجب سنة ٣٣٤ هـ. «فهرس الأعلام ١/ ٢٠٧».

(٧) السبج: الخرز الأسود.

(٨) السلامي: هو أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي، من أشعر أهل العراق، قولاً بالإطلاق وشهادة بالاستحقاق، ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ، وقال الشعر وهو ابن عشر سنين. «اليتيمة ٤٦٦/٢».

(٩) تنساغ: تنشرب، أو يسهل شرايها وارتشافها، تستطاب.

أشتاقُ طَرَّتْهَا أو صُدَّعَهَا ومَعِي من كُلِّهَا طَرَّرَ سُودٌ وَأَصْدَاغُ!
كَأَنَّنَا، لَا أَتَاكَ اللَّهُ فُرْقَتَنَا! يَا كَعْبَةَ الْمِسْكِ، يَا زَنْجِيَّةً، زَاغُ^(١)

وقال آخر: [من الطويل]

أُحِبُّ النِّسَاءَ السُّودَ مِنْ أَجْلِ تُكْتَمُ ومن أَجْلِهَا أَحَبَبْتُ مَنْ كَانَ أَسْوَدًا!
فَجَنَّنِي بِمِثْلِ الْمِسْكِ أَطِيبَ نَفْحَةً! وَجَجَّنَنِي بِمِثْلِ اللَّيْلِ أَطِيبَ مَرْقَدًا!

وقال العسكري: [من البسيط]

صَرَفْتُ وَدِّي إِلَى السُّودَانِ مِنْ هَجَرٍ وَلَا أَلْتَقْتُ إِلَى رُومٍ وَلَا خَزَرٍ!^(٢)
أَصْبَحْتُ أَعْشَقُ مِنْ وَجْهِهِ وَمِنْ بَدَنِ مَا يَعْشَقُ النَّاسُ مِنْ عَيْنٍ وَمِنْ شَعَرٍ
فَإِنْ حَسِبْتَ سَوَادَ الْخَدِّ مَنَقَصَةً فَانْظُرْ إِلَى سُفْعَةٍ فِي وَجْهِهِ الْقَمَرِ!^(٣)

وقال بشار وأجاد: [من الوافر]

يَكُونُ الْخَالُ فِي خَدِّ نَقِيٍّ فَيُكْسِبُهُ الْمَلَاةُ وَالْجَمَالَا
وَيُونِقُهُ لِأَعْيُنٍ مُبْصِرِيهِ فَكَيْفَ إِذَا رَأَيْتَ اللَّوْنَ خَالَا؟^(٤)

وقال أبو علي بن رشيقي^(٥): [من مخلَع البسيط]

دَعَا بِكَ الْحَسَنُ فَاسْتَجَبَنِي بِاسْمِكَ فِي صِبْغَةٍ وَطِيبٍ
تِيهِي عَلَى الْبَيْضِ وَأَسْتَطِيلِي تِيَّةَ شَبَابٍ عَلَى مَشِيبٍ!^(٦)
وَلَا يَرُغُّكَ أَسْوَدَاؤُ لَوْنٍ كَمُثْقَلَةِ الشَّادِنِ الرَّيِّبِ^(٧)
فَإِنَّمَا الثُّورُ عَنْ سَوَادٍ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَالْقُلُوبِ!

(١) الزَّاعُ: الغراب.

(٢) الخزر: جيل خزر العيون، من التركمان، وفي الإسرائيليات أنهم من ولد توغريحا بن كומר بن يافث بن نوح، وقيل: هم من بني طيراش بن يافث، وقيل: نوع من الترك. «صبح الأعشى ١/ ٤٢١».

(٣) السَّفْعُ: ما كان لونه أسود مشرباً حمرة.

(٤) يُونِقُهُ: يجعله جميلاً معجباً مستحسنًا، والخال: شامة سوداء في الخد.

(٥) هو الحسن بن رشيقي القيرواني، أبو علي، الأديب المغربي المشهور، صاحب كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده، ولد بالمسيلة سنة ٣٩٠ هـ، وتوفي بـ «مازر» سنة ٤٦٤ هـ. «انظر مقدمة كتاب العمدة ص ٥، دار الكتب العلمية».

(٦) تِيهِي: افتخري.

(٧) الشَّادِنُ: ولد الظبية، والزَّيْبُ: الولد إذا تعهده أحدهم بما يغذيه وينميه ويؤدبه.

وقال آخر: [من السريع]

إِنْ أَزْهَرْتَ لَيْلًا نَجُومَ السَّمَاءِ بَيْضًا عَلَى أَسْوَدَ مُرْخِي الْإِزَارِ^(١)
وَأَجِبَ الْعَكْسُ مِثَالًا لَهَا فَالسُّودُ فِي الْأَرْضِ نَجُومُ النَّهَارِ

ومما وصف به أثر الجُدري^(٢) في الوجه، فمن ذلك قول الناجم^(٣): [من السريع]

يَا قَمْرًا جَدَرَ لَمَّا أَسْتَوَى وَاكْتَسَبَ الْمَلَحَ بِتِلْكَ الْكُلُومِ^(٤)
أَظْنُهُ غَنَى لَشَمْسِ الضُّحَى فَنَقَطْتَهُ فَرَحًا بِالنُّجُومِ

وقال آخر: [من الوافر]

وَقَالُوا: شَابَهُ الْجُدْرِيُّ، فَاَنْظُرْ إِلَى وَجْهِهِ بِهِ أَثَرُ الْكُلُومِ!
فَقُلْتُ: مَلَا حَةً نُثِرَتْ عَلَيْهِ! وَمَا حُسْنُ السَّمَاءِ بِلَا نُجُومِ؟

ومثله قول الآخر: [من الخفيف]

أَيُّهَا الْعَائِبُونَ وَجْهًا مَلِيحًا نَثَرَ الْحُسْنَ فِيهِ نَبَذَ خُدُوشِ!
أَيُّ أَفْتٍ بِهَا بَغِيرُ نُجُومِ؟ أَيُّ ثَوْبٍ زَهَا بِغَيْرِ نُقُوشِ؟

وقال أبو زيد القاضي: [من الخفيف]

غَايَةُ الْحَاسِدِ الَّذِي لَمْ فِيهِ أَنْ أَرَى فَوْقَ خَدِّهِ جُدْرِيًّا^(٥)
إِنَّمَا وَجْهُهُ هَلَالٌ تَمَامٍ جَعَلُوا بُرْقُعًا عَلَيْهِ الثَّرِيًّا^(٦)

(١) أزهرت: أضاءت.

(٢) الجدري: مرض تنتج عنه قروح في الجسم، وتظل آثارها بادية في الجلد.

(٣) الناجم: هو سعد بن الحسين بن شذاد السمعي، أبو عثمان، المعروف بالناجم، شاعر أديب، كان يصحب ابن الرومي، ويروي أكثر شعره، توفي سنة ٩٢٦ م. «فهرس الأعلام» ٨٤/٣.

(٤) الكلوم: الجروح.

(٥) غاية الحاسد: قصده.

(٦) البرقع: قناع تلبسه النساء، يغطي الوجه والرأس. والثريا: مجموعة من الكواكب.

وقال أبو تمام بن رباح: [من مخْلَع البسيط]

خَذُكْ مِرَاةً كُلَّ حُسْنٍ تحسُنْ من حُسْنِهَا الصِّفَاتُ! ^(١)
ما لي أرى فوقَهُ نُجُومًا قد كُسِفَتْ وهي نِيَرَاتُ؟ ^(٢)

ومما قيل في الحواجب، فمن محاسنها: الرَّجْجُ، والبَلَجُ.
فأما الرَّجْجُ، فدَقَّةُ الحاجبين وامتدادُهما.
وأما البَلَجُ، فهو أن يكون بينهما فُرْجَةٌ. والعرب تستحب ذلك.
ومن معانيها: القَرَن، والزَّيْب، والمَعَط.
فالقرن، اتصال الحاجبين، والعرب تكرهه.
والزَّيْب، كثرة شعرهما.
والمَعَط، تساقط الشعر عن بعض أجزائهما.

ومما وُصِفَتْ به الحواجب، قال الزاهي ^(٣): [من الطويل]

وأغْيَدَ مَجْدُولِ القَوَامِ جَبِيئُهُ سَنَا القمرَ البَذْرِي في العُصْنِ الرُّطْبِ ^(٤)
تَنَكَّبَ قَوْسَ الحاجِبَيْنِ فسهمه لوحظهُ المَرَضَى، وبرجاسُهُ قلبي! ^(٥)

وقال عبد الله بن أبي الشيص ^(٦): [من الطويل]

حَذِرْتُ الهوى حَتَّى رُمِيْتُ من الهوى بأَصْرِدِ سَهِمٍ من قِيسِي الحَوَاجِبِ ^(٧)

-
- (١) الصِّفَات: جمع صفة، وهي الحُسن والتَّعْت.
(٢) كسفت: حجب نورها، والكسوف: احتجاب الشمس كلياً أو جزئياً لحلول القمر بينها وبين الأرض.
(٣) الزاهي: هو علي بن إسحاق بن خلف الزاهي البغدادي، أبو القاسم، شاعر، وُصِّفَ، محسن، كثير الملح، أكثر شعره في آل البيت النبوي، توفي سنة ٩٦٣ م. «فهرس الأعلام ٢٦٣/٤».
(٤) السَنَا: الضوء والتور.
(٥) تنكَّب القوي: ألقاها على منكبه، والمنكَب: مجتمع رأس الكتف والعضد، والبرجاس: هدف ينصب على رمح أو سارية.
(٦) هو محمد بن عبد الله بن رزين، وهو ابن عم دعبل الخزاعي، شاعرٌ مطبوع سريع الخاطر رقيق الألفاظ، من أهل الكوفة، وأبو الشيص لقب عمي في آخر عمره. «فهرس الأعلام ٢٧١/٦».
(٧) الأصرد: السهم النافذ.

وقال محمد بن عبد الرحمن الكوفي: [من الطويل]

ومستلِبَ عَيْنَ الغزالِ وقد تُرى بجبهِته عَيْنُ الغزالةِ ماثِلاً^(١)
تناول قوسَ الحاجبين مُفَوِّقاً بأسهم الحَاظِ تُشْكُ المَقَاتِلَ^(٢)

وقال آخر: [من الطويل]

غَزَائِي الهوى في جيشه وجُنوده وعَبَّيَّ عليَّ الخيلَ من كلِّ جانبٍ^(٣)
بمِمنَةٍ أعلامُها أَعْيُنُ المَهَا وميسرة تقضي بزُجِّ الحَوَاجِبِ^(٤)

وقال آخر: [من الطويل]

لها حاجبان، الحُسْنُ والعُنْجُ منهما كأثهما نونان من خطٍّ ماشِقٍ^(٥)

ومما قيل في العيون ووصفها، فمن محاسنها:

الدَّعَج، وهو شدة السَّوَادِ مع سَعَةِ الْمُقْلَةِ.

الْبَرْج، وهو شدة سوادها وشدة بياضها.

النَّجَل، سَعَتُهَا.

الْكَحَل، سواد جُفُونِهَا من غير كُحُل.

الْحَوَر، اتساع سوادها كأَعْيُنِ الطَّبَاءِ، وقيل: هو سواد العين وشدة بياضها.

الوَطْف، طول أشفارها؛ وفي الحديث أنه كان عليه الصَّلَاة والسَّلَام في أشفاره وَطَفٌ.

الشُّهْلَة، حمرة في سوادها.

ومن معاييها:

الْحَوَص، ضيق العين.

الْحَوَص، غُورُهَا مع الضيق.

(١) عَيْنُ الغَزَالَةِ: يريد الشَّمْسَ ونورها، أي أن جبينه مضيئاً.

(٢) فَوْقَ السَّهْمِ: جعل له فوقاً، والفوق: موقع الوتر من رأس السهم.

(٣) عَتَى: هَيَأَ وأحاط بي.

(٤) المَهَا: مفردُهَا مَهَاءُ وهي البقرة الوحشية، والزَّج: حديدية في أسفل الرَّمَحِ.

(٥) نونان: مثني «النون» من أحرف الهجاء، والماشق في الكتابة: هو الذي يمدّ الحرف.

الشَّرَّ، انقلاب الجفن .
 العَمَش، هو أن العين لا تزال سائلة رامصة^(١) .
 الكَمَش، أن لا تكاد تبصر .
 العَطَش، شبه العَمَش .
 الجَهَر، أن لا تبصر نهائياً .
 العِشَاء، أن لا تبصر ليلاً .
 الحَزَر، أن ينظر بمؤخر عينه .
 الغَضُن، أن يكسر عينه حتَّى تَتَغَضَّن^(٢) جُفُونُهُ .
 القَبَل، أن يكون كأنه ينظر إلى أنفه، وهو أهون من الحَوْل .
 الشُّطُور، أن تراه ينظُرُ إليك وهو ينظر إلى غيرك، وهو قريب من صفة الأحول، وفيه يقول الشاعر:
 حَمِدْتُ إِلَهِي إِذْ بَلَائِي بِحَبِّهِ وَبِي حَوْلٌ أَغْنَى عَنِ النَّظَرِ الشُّزْرِ^(٣)
 نَظَرْتُ إِلَيْهِ - وَالرَّقِيبُ يَظُنُّنِي نَظَرْتُ إِلَيْهِ - فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعَذْرِ
 الشَّوْص^(٤)، أن ينظر بإحدى عينيه ويُمِيلَ وجهه في شِقِّ العين التي ينظر بها .
 الحَفَش، صَغَّرَ العين وَضَعَفَ البصر . ويقال: إنه فساد في العين يضيق له الجَفْنُ من غير وجع .
 الدَّوَش، ضيق العين وفساد البصر .
 الإطراق، استرخاء الجفن .
 الجُحُوط، خروج المُقْلَةِ وظهورها من الحِجَاج^(٥) .
 البَحَق، أن يذهب البصر، والعين منفتحة .
 الكَمَه، أن يولد الإنسان وهو أعمى .
 البَخَص، أن يكون فوق العين أو تحتها لحم ناتئ^(٦) .

(١) الرمص: يقال رمصت العين، أي: اجتمع في موقعها وسخَّ أبيض .

(٢) تغضن: تثني وتجدد .

(٣) الشز: نظرة الإعراض والاشتمزاز والغضب .

(٤) في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٦: «الشَّوْس» بالسين .

(٥) الحجاج: عظم الحاجب، والحجاج من كل شيء: حرفه وناحيته .

(٦) الناتيء: البارز .

فصل في عوارض العين

يقال:

حَسِرَتْ عَيْنُهُ، إِذَا اعْتَرَاهَا كَلَالٌ^(١) مِنْ طُولِ النَّظَرِ.

زَرَّتْ^(٢) عَيْنُهُ، إِذَا تَوَقَّدَتْ مِنْ خَوْفٍ.

سَدِرَتْ عَيْنُهُ، إِذَا لَمْ تَكُدْ تَبْصُرَ.

إِسْمَدَرَتْ عَيْنُهُ، إِذَا لَاحَتْ لَهَا سَمَادِيرُ، وَهِيَ مَا يَتَرَاءَى لَهَا مِنْ أَشْبَاهِ الذُّبَابِ

وغيره.

قَدِيعَتْ عَيْنُهُ، إِذَا ضَعُفَتْ مِنَ الْإِكْبَابِ^(٣) عَلَى النَّظَرِ.

حَرَجَتْ عَيْنُهُ، إِذَا حَارَتْ^(٤).

قَالَ ذُو الرِّمَّةِ^(٥): [مِنْ الْبَسِيطِ]

* وَتَخَرَّجُ الْعَيْنُ فِيهَا حِينَ تَنْتَقِبُ *

هَجَمَتْ^(٦)، إِذَا غَارَتْ.

وَنَقْنَقَتْ، إِذَا زَادَ غَوُورُهَا، وَكَذَلِكَ حَجَلَتْ وَهَجَجَتْ.

ذَهَبَتْ، إِذَا رَأَتْ ذَهَبًا كَثِيرًا فَحَارَتْ فِيهِ.

شَخَصَتْ، إِذَا لَمْ تَكُدْ تَطُوفُ مِنَ الْخَيْرَةِ.

فصل في كيفية النظر وهيئته

إِذَا نَظَرَ الْإِنْسَانُ إِلَى الشَّيْءِ بِمَجَامِعِ عَيْنِهِ، قِيلَ: قَدْ رَمَقَهُ.

فَإِذَا نَظَرَ مِنْ جَانِبِ أُذُنِهِ، قِيلَ: لَحَظَهُ.

(١) الكلال: الضعف والفتور.

(٢) الذي في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٧ «رَأَتْ عَيْنُهُ» وهو الصواب، ففي بعض النسخ زَرَّتْ عَيْنُهُ، وهو خطأ.

(٣) الإكباب: يقال: كَبَّ عَلَى الشَّيْءِ: أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَلَزِمَهُ وَشُغِلَ بِهِ.

(٤) حارَتِ العين: نَظَرَتْ إِلَى الشَّيْءِ فَارْتَدَّتِ الْبَصَرُ عَنْهُ.

(٥) ذُو الرِّمَّةِ: هُوَ غِيلَانُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ نَهَيْسِ الْعَدَوِيِّ، أَبُو الْحَارِثِ، صَاحِبُ مِثَّةِ الْمَنْقَرِيَّةِ، مِنْ فُحُولِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ، لَهُ دِيْوَانُ شَعْرِ مَطْبُوعٌ، تُوُفِيَ سَنَةَ ٧٣٥ م. «فهرس الأعلام ١٢٤/٥».

(٦) الذي في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٧: هَجَمَتْ عَيْنُهُ، وهو الصواب، فقد ورد في بعض النسخ هَجَمَتْ وَهَجَجَتْ، وكلاهما خطأ.

فإذا نظر إليه بَعَجَلَة، قيل: لَمَحَ.

فإذا رماه ببصره مع جِدَّة، قيل: حَدَجَه بِطَرْفِهِ.

(وفي حديث ابن مسعود^(١): «حَدَّثَ الْقَوْمَ مَا حَدَّجُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ»).

فإن نظر إليه بشدَّة وجِدَّة، قيل: أَرْشَقَهُ وَأَسْفَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ.

(وفي حديث الشعبي أنه كَرِهَ أَنْ يُسِفَّ الرَّجُلُ إِلَى أُمِّهِ وَأَخْتِهِ وَابْنَتِهِ).

فإن نَظَرَ إِلَيْهِ النَّظَرَ الْمُتَعَجِّبَ أَوْ الْكَارِهَ الْمُبْغِضَ، قيل: شَفَنَهُ وَشَفَّنَ إِلَيْهِ شُفُونًا

وَشَفْنًا.

فإن أَعَارَهُ لَحَظَّ الْعَدَاوَةَ، قيل: نظر إليه شَرَزًا.

فإن نظر إليه بعينِ الْمَحَبَّةِ، قيل: نظر إليه نَظْرَةً ذِي عَلَقٍ^(٢).

فإن نظر إليه نظرة الْمُسْتَثْبِتِ، قيل: تَوَضَّعَ.

فإن نظر إليه واضعًا يده على حاجبه مستظلًا بها من الشمس ليستبين المنظور

إليه، قيل: اسْتَكْفَهَ وَاسْتَوَضَّعَهُ وَاسْتَشْرَفَهُ.

فإن نشر الثوبَ ورفعَه لينظر إلى صَفَاقَتِهِ^(٣): قيل اسْتَشَفَّهُ.

فإن نظر إلى الشيء كَاللَّمْحَةِ ثُمَّ خَفِيَ عَنْهُ، قيل: لَاحَهُ لَوْحَةً. قال الشاعر:

[من الطويل]

* وَهَلْ تَنْفَعَنِي لَوْحَةٌ لَوْ أَلْوَحُهَا *

فإن نظر إلى جميع ما في المكان حتَّى يعرفه، قيل: نَفَضَهُ نَفْضًا.

فإن نظر في كتاب أو حساب^(٤)، قيل: تَصَفَّحَهُ.

فإن فتح عينه لشدَّة النظر، قيل: حَدَقَ.

فإن لَأَلَّاهُمَا^(٥)، قيل: بَرَّقَ.

(١) ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن، من كبار الصحابة الأولين، مات بالمدينة سنة ٣٢ هـ. «الكاشف ١١٦/٢».

(٢) العلق: المحبة والعشق.

(٣) الصفاقة: كثافة النسيج، وفي فقه اللغة للثعالبي ص ٩٨، قال: فإن نشر الثوب ورفعَه لينظر إلى صفاقة أو سخافته ويرى عوارِإ إن كان به قيل: استشفه.

(٤) في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٨ - ٩٩: فإن نظر في كتاب أو حساب ليهذبَه ويستكشف صحبته وسقمه قيل: تصفحه.

(٥) يقال: لألأ النجم، أي: لمع في اضطراب.

فإن انقلب حُمْلَقٌ^(١) عينيه، قيل: حَمَلَقَ.
 فإن غاب سواد عينيه من الفَزَعِ، قيل: بَرَقَ بصره.
 فإن فتح عين مُفَزَّعٍ أو مهْدَدٍ، قيل: حَمَجَ.
 فإن بالغ في فتحها وأحدَّ النظرَ عند الخوف، قيل: حَدَجَ.
 فإن كسر عينه عند النظر، قيل: دَنَقَشَ^(٢) وطَرَفَشَ.
 فإن فتح عينه وجعل لا يَظُرُفَ، قيل: شَخَصَ. وفي القرآن العزيز: ﴿شَلْخَصَةٌ
 أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: الآية ٩٧].
 فإن أدام النظر مع سكون، قيل: أَسَجَدَ.
 فإن نظر إلى أفق الهلال ليراه، قيل: تَبَصَّرَه.
 فإن أتبع الشيء بصره، قيل: أثارَه بصره^(٣).
 وقد أوسع الشعراء في وصف العيون ووصفوها بالمرَض والسَّقَم، وإن كانت
 صحيحة؛ فمن ذلك قول الشاعر: [من الخفيف]

بَرَحَ السَّقَمُ بي وليس صَحِيحًا مَنْ رَأَتْ عَيْنُهُ عُيُونًا مِرَاضًا^(٤)
 إِنَّ لِلْأَعْيُنِ الْمِرَاضِ سِهَامًا صَيَّرَتْ أَنْفُسَ الْوَرَى أَغْرَاضًا^(٥)
 جَوْهَرُ الْحُسْنِ مِنْهُ أَعْرَضَ لِلْقَدْ بَ تَنَى الْجِسْمَ كُلَّهُ أَغْرَاضًا
 وقال جرير: [من البسيط]

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّبِنَ قَتْلَانَا
 يَضْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهُنَّ أضعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَزْكَانَا^(٦)
 وقال ذو الرمة: [من الطويل]

وعينانِ قال الله كُونَا فَكَانَتَا فَعُولِينَ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفَعَّلَ الْخَمْرُ^(٧)

(١) الحملق: ما يسوده الكحل من باطن أجفان العين.
 (٢) في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٩: دنقس وطرفش، ويقال: دنقس وطرفش، أو دنقش وطرفش، وهما بالمعنى ذاته.
 (٣) في فقه اللغة للثعالبي ص ٩٩: أثاره وأثار إليه البصر.
 (٤) بَرَحَ: اشتدَّ، والسَّقَمُ: المرض، والعيون المراض: اللواتي فيهن فتور وانكسار.
 (٥) الورى: الخلق، والأغراض: الأهداف. (٦) اللَّبِّ: العقل والحجى.
 (٧) المشهور في رواية البيت: فعولان: بالرفع، وصف للعينين.

ومما وصفت به العيون على لفظ التذكير، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز^(١):
[من الطويل]

عَلِيمٌ بِمَا تَحْتَ الصُّدُورِ مِنَ الْهَوَى سَرِيعٌ بِكَرِّ اللَّحْظِ وَالْقَلْبِ جَاوِزُ
وَيَجْرَحُ أَحْشَائِي بِعَيْنِ مَرِيضَةٍ كَمَا لَأَنَّ مَسَّ السِّيفِ وَالسِّيفُ قَاطِعُ
وقال خالد^(٢): [من المديد]

عَيْنُهُ سَفَاكَةُ الْمُهْجِ مِنْ دَمِي فِي أَعْظَمِ الْحَرَجِ^(٣)
أَسْهَرَتْني وَهِيَ لَاهِيَةٌ بِاخْوَارِ الْعَيْنِ وَالْدَّعَجِ^(٤)
وقال الهمداني: [من المديد]

تَعْمَلُ الْأَجْفَانُ بِالْدَّعَجِ عَمَلُ الصَّهْبَاءِ بِالْمُهْجِ^(٥)
قُلْ لَظَنِي تُسْتَرَقُّ لَهُ مُهْجُ الْأَحْرَارِ بِالْدَّعَجِ
أَنْتِ وَالْأَجْفَانُ مَا لَحَظْتُ مِنْ فُتُورِ الْعَيْنِ فِي حَرَجِ
كَيْفَ أَدْعُو اللَّهَ أَسْأَلُهُ فَرَجًا مِمَّنْ بِهِ فَرَجِي؟
وقال خالد: [من الكامل]

وَمَرِيضٌ طَرْفٍ لَيْسَ يَضْرِفُ طَرْفَهُ نَحْوَ امْرِئٍ، إِلَّا رَمَاهُ بِحُتْفِهِ
قَدْ قُلْتُ إِذْ أَبْصَرْتَهُ مَتَمَايَلًا وَالرَّدْفُ يَجْذِبُ خَضْرَاهُ مِنْ خَلْفِهِ^(٦)
يَا مَنْ يُسَلِّمُ خَضْرَاهُ مِنْ رَدْفِهِ سَلِّمُ قُوَادَ مُحِبِّهِ مِنْ طَرْفِهِ!
وقال أبو هفان: [من الوافر]

أَخُو دَنْفٍ رَمَتْهُ فَأَقْصَدْتُهُ سِيَهَامٌ مِنْ جُفُونِكَ لَا تَطِيشُ^(٧)
قَوَائِلُ لَا قِدَاحَ سِوَى أَخْوَارٍ بِهِنَّ، وَلَا سِوَى الْأَهْدَابِ رِيشُ^(٨)

(١) عبد الله بن المعتز: هو عبد الله بن محمد المعتز الخليفة العباسي ليوم وليلة، شاعر كبير، مات خنقاً سنة ٩٠٩ م. «فهرس الأعلام ١١٨/٤».
(٢) هو خالد بن يزيد البغدادي، أبو الهيثم المعروف بالكاتب، شاعر غزل من الكتاب، أصله ومولده في خراسان عاش وتوفي في بغداد سنة ٨٧٦ م، شعره رقيق أكثره غزل. «فهرس الأعلام ٣٠١/٢».

(٣) المهج: مفردا مهجة، وهي الزوج. (٤) الدَّعَج: اشتداد السواد واتساع البياض.
(٥) الصهباء: الخمرة، والمهج النفوس. (٦) الرَّدْف: العجز أو الكفل.
(٧) الدنف: المرض الثقيل، وأقصده: رمته وقضت عليه.
(٨) القداح: العيب.

وقال أبو تمام: [من مخْلَع البسيط]

يا سَقَمَ الجفنِ من حَبِيبِي ألبستني حُلَّةَ السَّقَامِ!
كَمْ قَتَلْتُ مُقْلَتَاكَ ظُلْمًا مِنْ عاشِقِ القلبِ مُسْتَهَامِ^(١)
يا مَنْ بعينه لي غرامٌ قَرَّبَ من مُهَجَّتِي حمامي!^(٢)
قد رَوَيْتَ من دمي، فحسبي صوائِبُ الثُّبُلِ والسَّهَامِ!

وقال العسكري: [من الوافر]

فأزعى تحتَ حاشِيَةِ الدِّيَاجِي شَقَائِقَ وَجَنَةِ سُقَيْثِ مُدَامَا^(٣)
إذا كَرَّثَ لَوَاحِظُ مَقْلَتَيْهِ حَسِبْتَ قُلُوبَنَا مُطَرَّتِ سِهَامَا

وقال ابن المعلم: [من مجزوء الكامل المزمّل]

سَلْ مَنْ بعَيْنَيْهِ يَصُولُ أَهْيَ اللَّحَاظِ أَمْ التُّصُولُ؟^(٤)
ما جُرِّدْتَ يَوْمَ النَّوَى إِلَّا لَتَخْتَلِسَ الْعُقُولُ!^(٥)
شَهَرْتَ عِيوُثَهُمْ سُيُو فَا، ما بَمَضْرِبِهَا قُلُولُ^(٦)
تُضْمِي بِغَيْرِ جِرَاحَةٍ تَفْرِي بِغَيْرِ دَمٍ يَسِيلُ^(٧)
ولَهَا بِأَفْئِدَةِ الْهَوَى فَتُكَّ، وليس لَهَا صَلِيلُ

وقال آخر: [من الكامل]

رُوحِي الْفِدَاءَ لِمَنْ أَدَارَ بِلَحْظِهِ صِهْبَاءَ فِي عَقْلِي لَهَا تَأْثِيرُ!
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُدِيرَ بِلَحْظِهِ مَشْمُولَةً، وَإِنَاؤُهَا مَكْسُورُ!

(١) المقلّة: العين، والمستهام: المحبّ العاشق.

(٢) الجمام: الموت.

(٣) الحاشية: الجانب والطرف، والدّياجي: الظلمات، والمدام: الخمر.

(٤) يصول: يسطو ويثب ويقهر، واللّحاظ: مؤخّر العين مما يلي الصدغ، والتّصول: مفردها «نصل»

وهو حديدة السيف والسّهم والسّكين.

(٥) النوى: البعد والهجر، وتختلس: تأسر وتستبي.

(٦) القلول: الشّطب التي تكون في حدّ السيف.

(٧) تصمي: ترمي وتقتل، وتفري: تشقّ وتجرح.

وقال آخر^(١): [من]

الْقَلْبُ بِكَ الْمَسْلُوبُ والملسوب يا مَنْ طَلَبْتَ لحاظه سفك دمي
والصَّبَّ بِكَ الْمَعْتُوبُ والمتعوب^(٢) مَهْلًا، ضَعَفَ الطالبُ والمطلوب!

وقال أبو تمام: [من الكامل الأحذ]

مُتَطَلَّبٌ بِضُدُودِهِ قَتَلِي مُتَطَلَّبٌ بِضُدُودِهِ قَتَلِي
فَرْدُ الْمَحَاسِنِ وَجْهُهُ شُغْلِي أَلْحَاطُهُ فِي الْخَلْقِ مُسْرِعَةٌ
فيما تُرِيدُ كَسُزْعَةِ النَّبْلِ

وقال آخر: [من السريع]

أَلْحَاطُكُمْ تَجَرَّخُنَا فِي الْحَشَا جَرَّخَ بَجَرَّحٍ، فَاجْعَلُوا ذَا بَدَا!
ولحظنا يجرحكم في الخدوذ فما الَّذِي أَوْجَبَ هَذَا الصُّدُودَ؟^(٣)

وقال آخر: [من الوافر]

وَمُقَلَّةٌ شَادِنٍ أَوْدَتْ بِقَلْبِي وَمُقَلَّةٌ شَادِنٍ أَوْدَتْ بِقَلْبِي
يَسْأَلُ اللَّحْظَ مِنْهَا مَشْرِفِيًا لَقَتْلِي، ثُمَّ يُغْمِدُهُ الثُّعَاسُ^(٤)
^(٥)

وقال ابن الرومي: [من مجزوء الرمل]

يَا عَلِيًّا، جَعَلَ الْعَدَا لَيْسَ فِي الْأَرْضِ عَلِيلٌ
لَمَّةٌ مِفْتَاحًا لظُلْمِي! غَيْرَ جَفْنَيْكَ وَجِسْمِي
بِكَ سُقْمٌ فِي جُفُونٍ سُقْمُهَا أَكْدُ سُقْمِي

وقال تاج الدين بن أيوب^(٦): [من المنسرح]

أُسْقَمَنِي طَرَفُكَ السَّقِيمُ، وَقَدْ حَكَاهُ مِنِّي فِي سُقْمِهِ الْجَسَدُ!
هَبْ نَسِيمٌ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ لِي فزادني في هَوَاكَ مَا أَجْدُ
وَهَاجَ شَوْقِي، وَالتَّارُ مَا بَرَحَتْ عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيَّاحِ تَتَّقِدُ

(١) هذان البيتان لا يخضعان لقواعد العروض المعروفة، ولا يتتمان إلى أي بحر من بحور العروض الستة عشر المتعارف عليها.

(٢) الملسوب: الملدوغ. (٣) الصدود: الإعراض.

(٤) الشادن: ولد الطيية، وأودت: ذهبت. (٥) المشرفي: السيف.

(٦) تاج الملوك بن أيوب: هو أبو سعيد بدري بن أيوب بن شادي بن مروان، الملقب بمجد الدين، أخو السلطان صلاح الدين، كان أصغر أولاد أبيه، له ديوان شعر فيه الغث والسمين . . . وفيات الأعيان ١/ ٢٩٠.

وقال ابن المعتز: [من مجزوء الرجز]

ضعيفة أجفائه والقلب منه حَجَرُ!
كأتما ألحاظه من فِعله تَغْتَذِرُ

ومما وصفت به العيون على لفظ التأنيث، فمن ذلك ما قاله عدي بن الرقاع^(١):

[من الكامل]

وكأنها بين النساء أعازها عينيه أخور من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرثقت في عينه سِنَّةٌ وليس بنائم^(٢)

وقال الناجم: [من مجزوء الكامل]

كاد الغزال يَكُونُهَا لكئتما هو دُونَهَا
والترجس الغض الجـ نبي أغض منه جُفُونُهَا
مَنْ كان يعرف فضلها فعن القياس يَصُونُهَا^(٣)

وقال أبو دلف: [من السريع]

نَقْتَنِصُ الآسَادَ مِنْ غِيلِهَا وأعين العين لنا صائِدة!^(٤)
يَنْبُو الحُسامُ العَضْبُ عَنَّا وقد تَكْلِمُ فينا النظرة القاصِدة!^(٥)
تهابنا الأسد، ونخشى المَهَا أبدة ما مِثلُها أبدة!^(٦)

وقال آخر: [من مجزوء الكامل المزمّل]

لله ما صَنَعَتْ بنا تلك المَحَاجِرُ في المَعَاجِر!^(٧)
أَمْضَى وَأَنْفَذَ في القُلُو ب من الحَنَاجِر وفي الحَنَاجِر!

(١) عدي بن الرقاع: هو عدي بن زيد بن مالك، من عاملة، شاعر كبير من أهل دمشق كان معاصراً لجبرير، مهاجياً له، له ديوان شعر، مات نحو سنة ٧١٤ م. «فهرس الأعلام ٢٢١/٤».

(٢) الوسنان: النعسان، وأقصده النعاس: غلب عليه، ورنقت: رفرفت أو حلت بها، والسنة: النعاس والغفلة.

(٣) القياس: في اللغة رد الشيء إلى مثيله.

(٤) الغيل: الشجر الكثيف الملتف، وموضع الأسد.

(٥) ينبو: لم يصب، والعضب: القاطع، وتكلم: تجرح، والقاصدة: القاتلة.

(٦) المها: البقر الوحشي، والآبدة الأولى: الوحش، والآبدة الثانية: الداهية والمصيبة.

(٧) المعاجر: من العجار، وهو ثوب تلقه المرأة على استدارة رأسها.

وقال آخر: [من الكامل]

يَنْظُرُنْ مِنْ خَلَلِ السُّجُوفِ كَأَنَّمَا يُمَاطِرُنْ أَحْشَاءَ الْكَرِيمِ نَبَالًا! (١)

وقال أبو فراس الحمداني عفا الله تعالى عنه ورحمه: [من الطويل]

وَبَيْضِ بِأَلْحَاطِ الْعُيُونِ كَأَنَّمَا هَزَزْنَ سُيُوفًا أَوْ سَلَلْنَ خَنَاجِرًا

تَصَدَّيْنِ لِي يَوْمًا بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى فَعَاذَرْنَ قَلْبِي بِالتَّصَبُّرِ غَادِرًا (٢)

سَفَرْنَ بُدُورًا، وَانْتَقَبْنَ أَهْلَةً وَمِنْ غُصُونًا، وَانْتَفَتْنَ جَاذِرًا (٣)

وَأَطْلَعْنَ فِي الْأَجْيَادِ لِلدَّرِّ أَتْجَمًا جُعِلْنَ لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ ضَرَائِرًا (٤)

وقال ابن الرومي: [من الكامل]

نَظَرْتُ، فَأَقْصَدْتُ الْفُؤَادَ بِطَرْفِهَا ثَمِ انْتَنَتْ عَنِّي، فَكِدْتُ أَهِيْمُ! (٥)

وَيَلَاي! إِنْ نَظَرْتُ وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ وَقَعُ السَّهَامِ وَنَزَعُهُنَّ الْيَمُ!

وقال أيضًا: [من البسيط]

لَطَرْتُهَا وَهُوَ مَصْرُوفٌ كَمَوْقِعِهِ فِي الْقَلْبِ جِوْنٌ يَرُوعُ الْقَلْبَ مَوْقِعُهُ (٦)

تَصُدُّ بِالطَّرْفِ لَا كَالسَّهْمِ تَضْرِفُهُ عَنِّي، وَلَكِنَّهُ كَالسَّهْمِ تَنْزِعُهُ

وقال الأرجاني: [من الخفيف]

نَقَبُوهُنَّ خَشْيَةَ الْعُشَّاقِ! أَوْ لَمْ تَكْفِ فِتْنَةُ الْأَخْدَاقِ!

إِنَّ فِي الْأَعْيُنِ الْمَرِاضِ لَشُغْلًا لِلْمَعْنَى عَنِ الْخُدُودِ الرَّقَاقِ! (٧)

كُلُّ مَا فَاتَ فِي اللَّيَالِي الْمَوَاضِي فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّيَالِي الْبَوَاقِي

(١) الخلل: الفتحات، والسجوف: مفردا «سجف» وهو أحد السترين المقرونين بينهما فرجة.

(٢) منعرج اللوى: المنعرج، واللوى: ما انعطف والتوى من الزمل أو مسترقه.

(٣) سفرن: أي أسفرن عن وجوههن وأبدن زينتهن، وانتقبن: أي ارتدين الثقاب، وهو ما تستر به المرأة رأسها ووجهها، والجاذر: أولاد البقرة الوحشية.

(٤) الأجياد: الأعناق، مفردا «جيد»، وحبات القلوب: مهبها.

(٥) أقصدت: رمت وأصاب، والطرف: العين، وهام على وجه: لم يدر إلى أين يتجه.

(٦) مصروف: مبعد وموجه إلى غيره، ويروع القلب: يجعله يخفق.

(٧) المعنى: الأسير.

وقال أيضًا: [من المتقارب]

سَتَرْنَ الْمَحَاسِنَ إِلَّا الْعُيُونَا كما يَشْهَدُ الْمَعْرَكُ الدَّارِعُونَا^(١)
 سَلَّلْنَ سُيُوفًا وَلَا قَيْنَيْنَا! فلا تَسْأَلُ الْيَوْمَ مَاذَا لَقِينَا
 كَسَرْنَ الْجُفُونَ وَلَوْلَا الرِّضَا بِحُكْمِ الْغَرَامِ كَسَرْنَا الْجُفُونَا
 وَحَسَبُ الشَّهِيدِ سُرُورًا بَأَن يُعَايِنُ حُورًا مَعَ الْقَتْلِ عَيْنَا^(٢)

وقال أبو نُوَاسٍ: [من الطويل]

ضَعِيفَةُ كَرِّ الطَّرْفِ تَحْسَبُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمِ^(٣)

وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ تَكَحَّلَ طَرْفُهَا بِالسُّخْرِ لَا بِالْإِثْمِ^(٤)
 نَفْسِي كَمَا عَذَّبَتْهَا وَقَتَلَتْهَا بِالْإِثْمِ، دِي^(٥)

ومما قيل في أدواء العين، فمن ذلك:

الْغَمَصُ، أَنْ لَا تَزَالَ الْعَيْنُ تَرْمَصُ^(٦).

اللَّحَحُ، أَسْوَأُ الْغَمَصِ.

اللَّخْصُ، التِّصَاقُ الْجُفُونِ.

العائر، الرَّمْدُ الشَّدِيدُ. وفيه يقول النابغة^(٧):

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَلِيلَةُ ذِي الْعَائِرِ الْأَزْمَدِ

(١) الدَّارِعُ: الذي يلبس الدَّرْعَ.

(٢) الحور: مفردها حوراء، وهي من النساء: البيضاء، والعين: مفردها العيناء، وهي الحسنه العين الواسعتها.

(٣) الكَرِّ: الهجوم والانقضاض، ويقصد بضعيفة كَرِّ الطَّرْفِ: يريد أنها فاترة العيون وكأن فيها انكسار.

(٤) الإثم: عنصر معدني يكتحل به.

(٥) دِي: فعل أمر للمؤنث من «ودي» بمعنى دفع الدية بسبب الإثم الذي وقع منها.

(٦) الرَّمَصُ: ما يظهر في موق العين من وسخ أبيض.

(٧) هو النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب، أبو أمامة، والناطقة لقبه، شاعر جاهلي مشهور،

توفي نحو سنة ٦٠٤ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٥٤».

وكذلك الساهك.

العَرَب، وَرَمَ فِي الْمَآقِي^(١).

السَّيْل، أَنْ يَكُونَ عَلَى بِيَاضِهَا وَسَوَادِهَا شَيْبَةً غِشَاءً.

السَّجَا^(٢)، أَنْ يَعْسُرَ عَلَى الْإِنْسَانِ فَتَحُ عَيْنُهُ إِذَا انْتَبَهَ مِنَ النَّوْمِ.

الظَّفَر، ظَهْوَرُ ظَفَرَةٍ (وَهِيَ جُلَيْدَةٌ تَغْشَى الْعَيْنَ مِنْ تَلْقَاءِ الْمَآقِي).

الظَّرْفَةُ، أَنْ يَحْدُثَ فِي الْعَيْنِ نَقْطَةٌ حُمْرَاءَ.

الانْتِشَار، أَنْ يَتَسَعَ ثَقْبُ النَّازِرِ حَتَّى يَلْحَقَ الْبِيَاضَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

الْحَرَّ، أَنْ يَخْرُجَ فِي الْعَيْنِ حَبٌّ وَهُوَ الْجَرَبُ.

الْقَمَر، أَنْ يَعْضُرَ لِلْعَيْنِ فِتْرَةٌ^(٣) وَفَسَادٌ، يُقَالُ: قَمِرَتْ عَيْنُهُ.

ومما قيل في أرمَد، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز (وقيل: إنها لابن

الرومي، وقيل للناجم): [من المنسرح]

قالوا: اشْتَكَّتْ عَيْنُهُ! فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الْفَتَكِ نَالَهَا الْوَصْبُ!^(٤)

حُمِرْتُهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قَتَلْتُ وَالِدُمُ فِي التَّضَلُّ شَاهِدٌ عَجَبٌ^(٥)

وقال ابن منير الطرابلسي^(٦): [من مخْلَع البسيط]

رَنَّا وَفِي طَرْفِهِ أَحْمَرَاؤُ يَغُضُّ مِنْ سِخْرِ مَقْلَتَيْهِ

وَفَاضَ مِنْ نَرْجَسِيهِ مَاءٌ ضَرَجَهُ وَزُدَ وَجَنَّتِيهِ^(٧)

(١) الْمَآقِي: مفردُها «مَوْقٍ» وهو طرف العين مما يلي الأنف.

(٢) كَذَا بِالْأَصْلِ.

(٣) الَّذِي فِي فِقْهِ اللُّغَةِ لِلثَّعَالِبِيِّ ص ١٠٠: «الْقَمَرُ أَنْ تَعْرِضَ لِلْعَيْنِ فِتْرَةٌ وَفَسَادٌ مِنْ كَثْرَةِ النَّظَرِ إِلَى الثَّلَجِ، يُقَالُ: قَمِرَتْ عَيْنُهُ» وَالْفِتْرَةُ: الضَّعْفُ وَالْانْكَسَارُ.

(٤) الْوَصْبُ: التَّعَبُ وَالْفَتُورُ، وَالْأَوْصَابُ: الْأَمْرَاضُ.

(٥) التَّضَلُّ: حَدِيدَةُ السِّيفِ وَالسَّهْمِ وَالسَّكِينِ.

(٦) ابْنُ مَنْبِيرٍ الطَّرَابِلُسِيُّ: هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مَنْبِيرٍ، أَبُو الْحُسَيْنِ، شَاعِرٌ مَشْهُورٌ مِنْ أَهْلِ طَرَابِلُسِ الشَّامِ وَلَدَ بِهَا وَسَكَنَ دِمَشْقَ، وَكَانَ شَاعِرًا هَجَاءً، تَوَفَّى بِحَلَبِ سَنَةِ ١١٥٣ م. «فَهْرَسُ الْأَعْلَامِ ١/ ٢٦٠».

(٧) ضَرَجَ: لَطَّخَ، وَضَرَجَ الثَّوْبَ: صَبَّغَهُ بِالْحُمْرَةِ.

فقلتُ يا ممرضِي بوجهٍ أظنُّ دائِي سَرى إليه! ^(١)
 هيهاتِ، لا تجحدن قتلي! هذا دمي شاهدٌ عليه! ^(٢)
 وقال الواصل بالله ^(٣): [من الخفيف]
 لي حبيبٌ قد طال شوقي إليه لا أَسْمِيه من جذاري عليه
 لم تكن عينه لتجحد قتلي ودمي شاهدٌ على وجنتيه!
 وقال الصولي ^(٤): [من السريع]
 يَكْسِرُ لي طَرْقًا به حُمْرَةً قد خَلَطَ التُّرْجَسَ في وَرْدِهِ
 ما أَحْمَزَت العينُ، ولكِنَّهُ يَكْخُلُهَا من وردتي خَدُهُ!
 وقال آخر: [من السريع]
 قالوا: بَدَتْ في عينه حُمْرَةٌ قد حَارَها مِن وَرْدَةِ الخَدِ
 فقلتُ: لم يَزَمَدْ وَلَكِنَّهُ يُصَافِحُ التُّرْجَسَ بِالْوَرْدِ! ^(٥)
 وقال أبو عبد الله بن الحَدَّاد ^(٦) الوزير: [من الكامل]
 يا شاكِي الرَّمْدِ الذي بِشَكَايَةِ قد صار دهرِي فيه ليلةً أَرَمْدًا! ^(٧)
 الله والإشفاق يعلم أنَّني لو أَسْتَطِيعُ فِدَا، لَكُنْتُ لك الْفِدَا!

(١) الداء: المرض.

(٢) هيهات: اسم فعل معناه «بعد» هيهات أن يعود ما مضى.

(٣) الواصل بالله: هو الخليفة العباسي أبو جعفر هارون، ابن المعتصم، مات بسامراء سنة ٢٢٧ هـ. «صبح الأعشى ٢٧٠/٣».

(٤) الصولي: هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، الصولي، «أبو إسحق»، أحد البلغاء الشعراء الفصحاء الكتاب، كان ظريفاً نبيلاً مات بسامراء سنة ٨٥٧ م، قال المسعودي: لا يعلم فيمن تقدّم وتأخّر من الكتاب أشعر منه، له «ديوان رسائل» وديوان شعر. «فهرس الأعلام ١/٤٥».

(٥) الرمد: مرض يصيب العين فتلتهب منه، ويرم منه بياضها وجفناها.

(٦) ابن الحَدَّاد: هو محمد بن أحمد بن عثمان القيسي، أبو عبد الله شاعر أندلسي له ديوان شعر، وكتاب «المستنبط في العروض»، سكن المرية واختص بابن صمادح، توفي سنة ١٠٨٧ م. «فهرس الأعلام ٣١٥/٥».

(٧) الشكاة: المرض، أو ما يشتكى من أوصاب المرض.

كَمْ مِنْ دَمٍ سَفَكْتَ جُفُونُكَ لَمْ تَزَلْ تُخْفِي وَتَكْتُمُ سَفْكَهَ حَتَّى بَدَا
لَمْ يَسْتَمِلْ بِدَمٍ غِرَارُ مَهْنَدٍ إِلَّا وَقَدْ أَهْدَى النُّفُوسَ إِلَى الرَّدَى^(١)
وقال أبو الفرج البيغاء^(٢): [من الطويل]

بنفسي ما يشكوه مَنْ رَاحَ طَرْفُهُ وَنَزَجِسُهُ مِمَّا دَهَى حَسَنُهُ وَزُدَا
أَرَأَيْتَ دَمِي ظُلُمًا مُحَاسِنٌ وَجْهَهُ فَأُضْحِتُ وَفِي عَيْنِيهِ آثَارُهُ تَبْدُو!
غَدَّتْ عَيْنُهُ كَالْجَمْرِ حَتَّى كَانَمَا سَقَى عَيْنُهُ مِنْ مَاءِ تَوْرِيدِهِ الْخُدُ
لَئِنْ أَصْبَحْتُ رَمْدَاءَ مُقْلَةٍ مَالِكِي لَقَدْ طَالَ مَا أَسْتَشْفَتْ بِهِ مُقْلُ زُمْدَا
وقال آخر: [من الخفيف]

قُضِبَ الْهِنْدِ وَالْقَنَا أَخْدَانُكَ! وَالْمَقَادِيرُ فِي الْوَرَى أَعْوَانُكَ!^(٣)
أَيُّهَا ذَا الْأَمِيرُ مَا رَمَدَتْ عَيْنُ نَكَ! حَاشَا لَهَا، وَلَا أَجْفَانُكَ!
بَلْ حَكَّتْ فِعْلَكَ الْكَرِيمَ لِيُضْحِيَ شَانُهَا فِي الْعُلَى سَوَاءً وَشَانُكَ
فَهِيَ تَحْمَرُّ مِثْلَ سَيْفِكَ فِي الرُّو ع، وَتَصْفُو كَمَا صَفَا إِحْسَانُكَ
وقال آخر وأجاد: [من الطويل]

لَقَدْ جَارَ مَا تَشْكُوهُ فِي الْحُكْمِ وَأَعْتَدَى وَأُسْرِفَ فِي أَفْعَالِهِ وَتَمَرَّدَا
فَمَنْ لِي بَأْنُ لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ حِيلَةَ تُصَيِّرُ أَجْفَانِي لِأَجْفَانِكَ الْفِدَا
دَهَتْ عَيْنُكَ الْعَيْنُ الَّتِي قَدْ قَضَى الْقَضَا بِأَنَّكَ فِيهَا سَوْفَ تُضْبِحُ أَرْمَدَا^(٤)
فَمَا بُدِّلْتُ مِنْ نَرْجِسٍ بِشَقَائِقِ أَعَادَتْ لُجَيْنَ الدَّمْعِ مِثِّي عَسَجَدَا^(٥)
سَلَّلْتُ حُسَامَ اللَّحْظِ مِنْهَا عَلَى الْوَرَى وَقَدْ كَانَ أُخْرَى أَنْ يُصَانَ وَيُغَمَّدَا^(٦)

(١) الغرار: حدّ السيف، والمهتد: السيف، والردي: الموت والهلاك.

(٢) أبو الفرج البيغاء: هو عبد الرحمن بن نصر المخزومي، من أهل نصيبين، شاعر مشهور، سمي بالبيغاء للثقة فيه، كان متصلاً بسيف الدولة الحمداني. «اليثيمة ٢٩٣/١ وما بعدها».

(٣) القُضْب: مفردا «القضيب» وهو السيف القاطع، والقنا: الرماح، والأخذان: مفردا «خذن» وهو الصديق والعون.

(٤) دعت: أصابت بداهية، ويقصد بالعين: الإصابة بالعين.

(٥) الشقائق: نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود، واللجين: الفضة، والعسجد: الذهب.

(٦) أخرى: أجدر وأحق، والغمد: غلاف السيف.

فَأَنْتَ الَّذِي أُبْلَيْتَهَا بِالَّذِي بِهَا إِذَا السَّيْفُ لَمْ يُعَمِّدْ تَرَكَبَهُ الصَّدَا^(١)

ومما قيل في أرمَد غَطَّى عَيْنِيهِ بِشَعْرِيَّة^(٢)، قول السراج الورَاق^(٣): [من المنسرح]

شَعْرِيَّتِي، مُذْ رَمِدْتُ قَدْ حَجَبَتْ طَرْفِي عَنْكُمْ، فَصِرْتُ مَحْبُوسًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ! زَادَنِي شَرْقًا كُنْتُ سِرَاجًا فَصِرْتُ فَانُوسًا
وقال آخر: [من السريع]

غَطَّى عَلَى عَيْنِيهِ شَعْرِيَّةٌ تُشْعِلُ فِي الْقَلْبِ لَهَيْبَ الْغَرَامِ
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ بَدَا نِضْفُهُ وَنِصْفُهُ الْآخِرُ تَحْتَ الْغَمَامِ!
وقال آخر: [من السريع]

لَا تَخْسَبُوا شَعْرِيَّةً أَصْبَحَتْ مِنْ رَمَدٍ فِي وَجْهِهِ مُرْسَلَةٌ
وَأِنَّمَا وَجَبَتْهُ كَعْبَةٌ أَسْتَارَهَا مِنْ فَوْقِهَا مُسْبَلَةٌ^(٤)

ومن رقعة كتبها أرمَد (وهو عبد الله بن عثمان الواثقِي) عفا الله عنه، قال:

صَادَفَ وَرُودُ كِتَابِهِ رَمَدًا فِي عَيْنِي قَدْ حَصَرَنِي فِي الظُّلْمَةِ، وَحَبَسَنِي بَيْنَ الْغَمِّ
وَالْغُيْمَةِ، وَتَرَكَنِي أَذْرُكُ بِيَدِي مَا كُنْتُ أَدْرِكُ بَعِينِي: كَلِيلَ سِلَاحِ الْبَصَرِ، قَصِيرَ خَطْوِ
النَّظَرِ، قَدْ تُكِلْتُ مُصْبَاحَ وَجْهِهِ، وَعَدِمْتُ بَعْضِي، الَّذِي هُوَ آثَرٌ عِنْدِي مِنْ كُلِّي،
فَالْبَيْضُ عِنْدِي سُودٌ، وَالْقَرِيبُ مَنِّي بَعِيدٌ! قَدْ أَحَاطَ الْوَجَعُ أَجْفَانِي، وَقَبِضَ عَنِ
التَّصَرُّفِ بَنَانِي، فَفَرَاغِي شُغْلٌ، وَنَهَارِي لَيْلٌ، وَطَوَالَ الْخُطَا قِصَارٌ، وَقِصَارُ أَوْقَاتِي
طَوَالٌ. وَأَنَا ضَرِيرٌ وَإِنْ عُدِدْتُ فِي الْبَصَرَاءِ، وَأَمِّي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ جَمَلَةِ الْكُتَّابِ وَالْقُرَّاءِ.
قَدْ قَصَرْتُ الْعِلَّةَ خَطَوَتِي قَلَمِي وَبَنَانِي، وَقَامَتْ بَيْنَ يَدِي وَلِسَانِي.

(١) تَرَكَبَهُ: حَلَّ بِصَفْحَتِهِ وَتَجَمَّعَ فَوْقَهَا، وَالصَّدَا: مَا يَلْحَقُ بِالْمَعَادِنِ عِنْدَمَا تَتَعَرَّضُ لِلْمَاءِ وَالشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ.

(٢) الشَّعْرِيَّةُ: غِشَاءٌ أَسْوَدٌ رَقِيقٌ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْمَدِ وَالتَّسَاءِ، وَأَصْلُهُ أَنْ يَنْسَجَ مِنَ الشَّعْرِ، ثُمَّ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا شَابِهِهِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مُوَلَّدَةٌ.

(٣) السَّراجُ الْوَرَّاقُ: هُوَ عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَبُو حَفْصٍ، شَاعِرٌ مِصْرِيٌّ فِي عَصْرِهِ، لَهُ دِيْوَانٌ شَعْرٌ كَبِيرٌ، تُوُفِيَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ١٢٩٦. «فهرس الأعلام ٦٣/٥».

(٤) الْمُسْبِلَةُ: الْمَتَدَلِّيَّةُ، وَأَسْبَلُ السَّتَارَ: أَرْخَاهُ.

وقد كانت العرب تزأج بين كلمات، فيقولون:
 القِلَّة ذِلَّة، والوَخْدَة وَخْشَة، والهَوَى هَوَان، والأَقَارِب عَقَارِب، والمَرَض
 حَرَض^(١)، والرَّمَد كَمَد^(٢)، والعَلَّة قِلَّة، والقاعد مُقْعَد.
 والله تعالى أعلم.

فصل في ترتيب البكاء

إذا تَهَيَّأ الرجل للبكاء، قيل: أَجْهَشَ.
 فإذا امتلأت عينه دُمُوعًا، قيل: أَغْرُوزَتْ عينه، وترَقَّرَتْ.
 فإذا سالت، قيل: دَمَعَتْ، وَهَمَعَتْ.
 فإذا كَثُرَتْ دُمُوعه، قيل: هَمَّتْ.
 فإن كان لبكائه صوت، قيل: نَحَبَ وَنَسَجَ.
 فإذا صاح مع بكائه، قيل: أعول.
 قال سَلَمُ الخاسر: [من المتقارب]
 أَتُنِّي تُوْنِي فِي الْبُكَاءِ فَأَهْلًا بِهَا، وَبِتَأْنِيهَا!^(٣)
 تقول، وفي قولها حِشْمَةٌ أَتْبِكِي بِعَيْنِ تَرَانِي بِهَا؟
 فقلت: إذا أَسْتَحَسَنْتَ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ الدُّمُوعَ بِتَأْدِيهَا

فصل فيما قيل في الأنف

الشَّمَم^(٤)، ارتفاعُ قِصْبَةِ الأنف مع استواء أعلاها.
 القَنَا، طُولُ الأنف، وَدِقَّةُ أُرْنَبَتِهِ، وَحَدَبٌ فِي وَسْطِهِ.
 القَطَسُ، تَطَاؤُنُ^(٥) قِصْبَتِهِ مع ضِحْمِ الأُرْنَبَةِ.
 الحَنَسُ، تَأْخُرُ الأنف عن الوجه.
 الذَّلْفُ، شُخُوصُ طَرْفِهِ مع صغر أُرْنَبَتِهِ.

(٢) الكمد: الحزن والغم.

(١) الحرَض: الهلاك.

(٣) التأنيب: اللوم.

(٤) في فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٢: الشحم، ولعل الصواب هو الذي ورد في كتاب التويري.

(٥) التطاؤن: الانخفاض والهبوط.

الْحَسَم، فَقْدَان حَاسَّة الشَّم.
 الْحَرَم، شَقٌّ فِي الْمَنْخَرَيْنِ.
 الْحَتَم^(١)، عَرَضَ الْأَنْفِ. (يقال: ثَوْرٌ أُحْتِمُ).
 الْقَعَم، اعْوِجَاجٌ فِي الْأَنْفِ. قال الشاعر: [من الخفيف]
 لَيْنَ الْمَنْخَرَيْنِ مَعْتَدِلُ الْمَا رن لا سائل ولا جَعْدُ^(٢)

* * *

ومما قيل في الشِّفَاءِ وَالْقَمِ^(٣)، الشَّدَق، سَعَةُ الشَّدَقَيْنِ.
 الضَّجَم، مِثْلٌ فِي الْفَمِ وَفِيهِ يَلِيهِ.
 الضَّرَز، لُصُوقُ الْحَنَكِ الْأَعْلَى بِالْأَسْفَلِ.
 الْهَدَل، اسْتِرْخَاءُ الشَّفَتَيْنِ وَغَلْظُهُمَا.
 اللَّطْع، بَيَاضٌ يَعْتَرِيهِمَا.
 الْقَلَب، انْقِلَابُهُمَا.
 الْجَلَع، قَصَرُهُمَا^(٤) عَنِ الْانْضِمَامِ.

فصل في تقسيم ماء الفم

ما دام فيه^(٥)، فهو رِيْقٌ، وَرُضَابٌ.
 فإذا عَلِكَ، فهو عَصِيبٌ.
 فإذا سَالَ، فهو لُعَابٌ.
 فإذا رَمَى بِهِ، فهو بُزَاقٌ، وَبُصَاقٌ.

(١) في فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٢: الخشم، والخشم والخشم: يقتربان في المعنى، فالخشم: اتساع الخيشوم.

(٢) المارن من الأنف: ما لَانَ منه.

(٣) في فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٣: ذكر ما أثبتته النويري من قول في الشفاء والفم تحت عنوان «في معاييب الفم».

(٤) في فقه اللغة للنويري ص ١٠٤: الجلع قصورهما عن الانضمام، ولعلّه الأصوب.

(٥) في فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٤: ما دام في فم الإنسان، ولذلك فإن الضمير في «فيه» عائد إلى الفم.

فصل في ترتيب الضحك

التبسم أول مراتبه، ثم الإهلاس وهو إخفاؤه، ثم الافتِرار، ثم الانكلال وهما الضحك الحسن، ثم الكَثَكْتة أشدّ منهما، ثم القَهْقَهة والقَرْقَرَة والكَرْكَرَة، ثم الاستغراب، ثم الطُّخْطُخَة، ثم الإهزاق والزّهْزَقَة، وهو أن يذهب الضحك به كلّ مذهب.

قال كُشاجم: [من الرمل]

عَذُبْتُ فِي الرَّشْفِ مِنْهُ شَفَّةٌ مَصُّهَا أَطْيَبُ مِنْ نَيْلِ الْأَمَلِ! ^(١)
وعليها حُمْرَةٌ فِي لَعَسِ تستعيرُ اللَوْنَ مِنْ صِبْغِ الْخَجَلِ! ^(٢)
هِيَ فِيمَا خِلْتُ آثَارُ دَمٍ مِنْ فَوَادِي، عَلَّ فِيهِ وَنَهْلُ! ^(٣)

وقال ابن سَكْرَةَ الهاشمي ^(٤): [من المنسرح]

يَا ضاحِكًا، يَسْتَهْلُ مَضْحَكُهُ عَنْ بَرْدٍ وَاضِحٍ وَعَنْ شَنْبِ! ^(٥)
أَعْطَيْتَنِي قُبْلَةً رَشْفْتُ بِهَا الشَّهْدَ مَشُوبًا بِعَبْرَةِ الْعَنْبِ ^(٦)
كَأَنِّي إِذْ لَثَمْتُ فَاءَ بِهَا لَثَمْتُ تُفَّاحَةً مِنَ الذَّهَبِ

وقال كشاجم: [من الطويل]

كَأَنَّ الشِّفَاءَ اللَّعَسَ مِنْهَا خَوَاتِمَ مِنَ التَّبَرِّ مَخْتَوْمٌ بِهِنَّ عَلَى دُرِّهِ

وقال سيف الدولة بن حمدان، في صباه: [من مجزوء الوافر]

أَقْبَلُهُ عَلَى عَجَلٍ كَشُرْبِ الطَّائِرِ الْفَزَعِ

(١) الرشف: المصّ بالشفتين.

(٢) اللعس: سواد مستحسن في باطن الشفة، ويبدو جليًا في الشفة السفلى. وصبغ الخجل: الفتاة إذا خجلت احمرت وجتاتها، وإذا فزعت لحقتها صفرة.

(٣) خلْتُ: ظننتُ وحسبتُ، والعل: أن يشرب المرء ثانيةً بعد الشرب الأول، والنهل: أول الشرب.

(٤) ابن سكرة الهاشمي: هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد، شاعر اليتيمة. «تقدّمت ترجمته».

(٥) يستهل: يكشف، والبرد الواضح: الأسنان البيضاء، والشنب: صفاء الأسنان وبياضها.

(٦) المشوب: الممزوج، والعبرة: الدمعة، وعبرة العنب: أي الخمر.

رأى ماءً فأطعمه فخاف عَوَاقِبَ الطَّمَعِ
فصادفُ فُرْصَةً فَدَنَّا ولم يَلْتَذْ بِالْجَرَعِ^(١)

ومما قيل في طيب الريق والنكهة على لفظ التذكير، فمن ذلك قول ابن الرومي: [من الخفيف]

أهيفُ الغُصْنِ، أهيلُ الدُّعْصِ لَمَّا يَفْتَسِمُ قَدَّهُ وَشَاخٌ وَمِزْطُ^(٢)
طَيِّب طَعْمُهُ إِذَا ذُقْتَ فَاهُ والثُّرَيَّا فِي جَانِبِ الْغَرْبِ قُزْطُ^(٣)

وقال آخر: [من الكامل]

يا مانِعِي طَيِّبَ الْمَنَامِ، ومانِحِي ثُوبَ السَّقَامِ، وتَارِكِي كَالَالَ^(٤)
عَمَّنْ أَخَذَتْ جَوَازَ مَنْعِي رِيْقَكَ الـ معسول، يا ذا الْمَغْطِفِ الْعَسَالَ؟^(٥)
عن ثَغْرِكَ النِّظَامِ، أَمْ عن شَعْرِكَ الـ فحَامِ، أَمْ عن طَرْفِكَ الْغَزَالَ؟^(٦)

وقال آخر: [من المتقارب]

أَتَذْرُونَ شَمْعَتَنَا لِمَ هَوَتْ؟ لتَقْبِيلِ ذَا الرُّشَا الْأَكْحَلِ!^(٧)
دَرَتْ أَنْ رِيْقَتَهُ شُهُدَةٌ فحَنَّتْ إِلَى أَلْفِهَا الْأَوَّلِ

وقال بشار بن بُرْد: [من البسيط]

يا أَطْيَبَ النَّاسِ ثَغْرًا غَيْرَ مَخْتَبَرٍ إِلَّا شَهَادَةُ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ!^(٨)

(١) الجرْع: شرب الماء.

(٢) الأهيف: الضامر، والغصن: يريد به القوام، وأهيل الدُّعْص: يريد الأرداف المكتنزة، كالكتيب من الزمل، والمرط: كساء من خَزْ أو صوف أو كتان يُؤْتَرز به، وتَلَقَّع به المرأة.

(٣) القرط: ما تضعه المرأة في أذنها من حلِّي. (٤) الآل: السراب.

(٥) المعطف العسال: يريد القوام المتصب كالزَّمَح، والعسال: الزَّمَح يَهْتَزُّ لِينًا.

(٦) النِّظَام: المستوية فيه أسنانه والمنتظمة، والفحَام: الأسود والغزال: الكثير الغزل، أو الذي يأسر شباك نظراته.

(٧) الرُّشَا: ولد الظبية.

(٨) المساويك: مفردها مساوك، وهو عودٌ تخلَّل به الأسنان.

وقال ابن وكيع التَّنِيسِي^(١): [من السريع]

رَيْقٌ إِذَا مَا أَزْدَدْتُ مِنْ شُرْبِهِ رِيًّا، ثَنَانِي الرَّيِّ ظَمَانَا
كَالْخَمْرِ أَرَوَى مَا يَكُونُ الْفَتَى مِنْ شُرْبِهَا أَعْطَشُ مَا كَانَا

وقال ابن الرومي: [من السريع]

يَا رُبَّ رَيْقٍ بَاتَ الدُّجَى يَمُجُّهُ بَيْنَ ثَنَائِيَاكَ
يُزَوِّي وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ شُرْبِهِ وَالْمَاءُ يُرَوِّيكَ وَيَنْهَاكَ

وقال أبو الفتح كشاجم: [من المديد]

بَلَّغَتْهُ الْكَأْسُ فَارْتَعَدَتْ طَرَبًا مِنْهَا إِلَى قَمِيهِ
مَنَعَتْهُ أَنْ يُوْخَّرَهَا فِي يَدَيْهِ مِنْ تَحْشُمِهِ
فَحَسَاها ثُمَّ أَعْقَبَهَا أَرْجًا مِنْ طَيْبٍ مَبْسُومِهِ^(٢)

وقال آخر: [من المتقارب]

بَقْدَرُ الصَّبَابَةِ عِنْدَ الْمَغِيبِ تَكُونُ الْمَسْرَّةُ عِنْدَ الْحُضُورِ^(٣)
وَأَطِيبُ مَا كَانَ بَرْدُ الثُّغُورِ إِذَا هُوَ صَادَفَ حَرَّ الصُّدُورِ



ومما وصف به على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول ابن مَيَّادَةَ^(٤): [من الطويل]

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْمِسْكَ شَابَهُ بُعَيْدَ الْكَرَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ عَابِقُ^(٥)
وَمَا دُقَّتْهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفَرَّسًا كَمَا شَيْمٌ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ^(٦)
يُضْمُ إِلَيَّ اللَّيْلُ أَذْيَالُ حُبِّهَا كَمَا ضَمَّ أَرْدَانَ الْقَمِيصِ الْبَنَاتِقُ^(٧)

(١) هو ابن وكيع التنيسي، أبو محمد، الحسن بن علي، شاعر بارع، وعالم جامع، قد برع في إبانته على أهل زمانه، فلم يتقدمه أحد في أوانه. «البيّمة ٤٣٤/١».

(٢) حساها: شربها، والأرج: الرائحة الطيبة.

(٣) الصبابة: رقة الشوق والحب.

(٤) ابن ميادة: هو الزمّاح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني، أبو شرحبيل، شاعر رقيق هجاء، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان مقامه بنجد، توفي سنة ٧٦٦ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٣١».

(٥) شابه: خالطه.

(٦) التفرس: إدامة النظر والتحديق، وشام البرق: نظر إليه.

(٧) الأردن: أطراف الكمّ الواسع، أو أصل الكمّ. والبناتق: مفردا بنيقة وهي رقعة تخاط في أعلى =

وقال البحتري: [من الطويل]

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ إِذَا مَا نُجُومُ اللَّيْلِ حَانَ أَنْجِدَارُهَا
مُجَاغَةً مِثْلَ صُفْقَتِ بُدَامَةٍ مَعْتَقَةً صَهْبَاءَ، حَانَ أَعْتَصَارُهَا^(١)

وقال ذو الرمة: [من الطويل]

أَسِيلَةٌ مَجْرَى الدَّمْعِ هَيْفَاءُ طِفْلَةٍ عَرُوبٌ، كإِيْمَاضِ الْغَمَامِ أَبْتَسَامُهَا^(٢)
كَأَنَّ عَلَى فِيهَا، وَمَا دُقَّتْ طَعْمُهُ رُجَاجَةٌ خَمِرٍ طَابَ فِيهَا مُدَامُهَا

وقال كشاجم: [من السريع]

الْبَدْرُ لَا يُغْنِيكَ عَنْهَا إِذَا غَابَتْ وَتُغْنِيكَ عَنِ الْبَدْرِ
فِي قِمِّهَا مِثْلُكَ وَمَشْمُولَةٌ صِرْفٌ وَمَنْظُومٌ مِنَ الدَّرِّ^(٣)
فَالْمِثْلُ لِلنَّكْهَةِ، وَالْخَمْرُ لِلدَّرِّ رَيْقَةٍ، وَاللُّؤْلُؤُ لِلتُّغْرِ

وقال الهذلي^(٤): [من الوافر]

وَمَا صَهْبَاءُ صَافِيَّةٌ شَمُولٌ كَعَيْنِ الدِّيكِ مُنْجَابٌ قَذَاهَا^(٥)
تُشْجُ بِمَاءٍ سَارِيَةٍ عَرِيضٍ عَلَى ظَمَأٍ بِهِ رَصْفٌ صَفَاهَا^(٦)
بِأَطْيَبِ نَكْهَةٍ مِنْ طَعْمِ فِيهَا إِذَا مَا طَارَ عَنْ سَنَةِ كَرَاهَا^(٧)

وقال ابن الرومي: [من الطويل]

وَمَا تَغْتَرِبُهَا آفَةٌ بَشَرِيَّةٌ مِنَ النَّوْمِ إِلَّا أَنَّهَا تَتَخَتَّرُ^(٨)

= القميص أو الزيق الذي ثبت فيه الأزرار.

- (١) المجاجة: العسارة، وصفقت: مزجت أو صفيت، والصهباء: الخمر.
- (٢) الطفلة؛ الرخصة الناعمة، والعروب: المرأة المتحبة إلى زوجها، وإيماض الغمام: برقه.
- (٣) المشمولة: الخمر الباردة.
- (٤) الهذلي: الشعراء الهذليون كثير، ولعله أبو صخر الهذلي، عبد الله بن سلمة السهمي، شاعر من الفصحاء، كان موالياً لبني أمية، توفي نحو سنة ٧٠٠ م. «فهرس الأعلام ٩٠/٤».
- (٥) عين الديك: يريد أنها صافية، والمنجاب: المجلو والمبعد، والقذى: ما يقع في العين من وسخ أو أذى.
- (٦) تشج: تمزج وتخلط، والسارية: السحابة التي تمطر ليلاً، والعريض: من العارض أي الممطر، والرصف: الماء المنحدر من الجبال على الصخر، ويكون أبيض صافياً.
- (٧) السنة: النعاس، والكرى: النوم.
- (٨) الآفة: العلة، وتختَر: تسترخي وتضعف من شراب أو غيره.

كَذَلِكَ أَنْفَاسُ الرِّيَاضِ بِسُحْرَةٍ تَطْيِبُ وَأَنْفَاسُ الْأَنَامِ تَغَيِّرُ^(١)
وَمَا دُقَّتْهُ إِلَّا بِشَمِّ أَبْتِسَامِهَا وَكَمْ مُخْبِرٍ يُذْنِيهِ لِلْعَيْنِ مَنَظَرُ
وغيرُ عَجِيبٍ طَيِّبُ أَنْفَاسِ رَوْضَةٍ مُنَوَّرَةٌ بَاتَتْ تُرَاحُ وَتُمْطَرُ^(٢)
وقال جميل^(٣): [من الكامل]

وَكَأَنَّ طَارِقَهَا عَلَى عِلَلِ الْكَرَى وَالنَّجْمُ وَهْنًا قَدْ دَنَا لَتَعَوُّرِ^(٤)
يَسْتَأَفُ رِيحَ مُدَامَةٍ مَعْلُولَةٍ بِذِكِّي مِسْكِ أَوْ سَحِيقِ الْعَنْبَرِ^(٥)
وقال الشريف الموسوي^(٦)، شاعر اليتيمة: [من السريع]

يَا عَذْبَةَ الْمَبْسَمِ! بُلِّيَ الْجَوَى بِنَهْلَةٍ مِنْ رَيْقِكَ الْبَارِدِ!^(٧)
أَرَى عَدِيرًا سَيِّحًا مَأْوُهُ فَهَلْ لَذَاكَ الْمَاءُ مِنْ وَارِدِ؟^(٨)
مَنْ لِي بِذَاكَ الْعَسَلِ الذَّائِبِ الـ جَارِي خِلَالِ الْبَرَدِ الْجَامِدِ؟



- (١) السُّحْرَةُ: أي وقت السحر، يريد أن أنفاس الرياض وقت السحر يعبق شذاها طيبًا بينما أنفاس الأنام في ذلك الوقت المتأخر من الليل تتغير رائحتها.
- (٢) ترّاح: أي تفوح فيها رائحة الشراب، وهو الرّاح.
- (٣) جميل: هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري، أبو عمرو، شاعر من عشاق العرب، وعشيقته بشينة، شعره يذوب رقة، وأكثره في النسيب والغزل، توفي سنة ٧٠١ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٣٨».
- (٤) الْعِلَلُ: الشرب مرّة بعد مرّة يتعلّل به، استعير للكرى وهو التّعاس، والوهن: نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه، ودنا: قرب، والتغور: الاختفاء.
- (٥) يَسْتَأَفُ: يشمّ، والمعلولة: الممزوجة، وذكيّ المسك: رائحته المنتشرة، وسحيق العنبر: أي العنبر المسحوق الذي تفوح رائحته عند السحق، وفي الديوان: يستاف ريح مدامة «معجونة» ص ٦٠، دار صادر، بيروت.
- (٦) الشريف الموسوي: هو الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين الرضوي الموسوي النقيب، ولد ببغداد سنة ٣٥٩ هـ، وهو من كبار شعراء الدولة العباسية. «اليتيمة ٣/ ١٥٥».
- (٧) بُلِّيَ: من بلّ الشيء أي غمره بالماء، والجوى: اشتداد الوجد والاحتراق من العشق. والنهْل: أول الشرب.
- (٨) السَّيْحُ: الجاري، والوارد: الشارب.

ومما قيل في طيب عَرَف^(١) النساء، قالوا: من أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى^(٢): [من البسيط]

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ معشبةٌ خضراءُ جاد عليها مُسْبِلٌ هَطِلٌ^(٣)
يُضاحكُ الشَّمْسَ منها كوكبٌ شَرِيقٌ مؤرَّرٌ بِعَمِيمِ النبتِ مَكْتَهِلٌ^(٤)
يَوْمًا بِأَطْيَبِ نَشْرٍ رائحةٍ ولا بأَحْسَنَ منها إِذْ دَنَا الأَصْلُ^(٥)
وقول القطامي^(٦): [من الطويل]

وما رِيحُ قاعٍ ذي حُزَامِي وَحَوْلَهُ شَدَا أَرَجٍ مِنْ طَيْبِ الثُّبْتِ غَارِبٍ^(٧)
بِأَطْيَبِ مِنْ مَيٍّ إِذَا ما تَقَلَّبْتُ من الليل وَسَنَى جانباً بعد جانبٍ^(٨)

أخذه ابن المعتز ببعض لفظه وزاد زيادة حسنة، فقال: [من الطويل]

وما رِيحُ قاعٍ زاهِرٍ مَسَّتِ النَّدى ورويضٍ من الرِّيحانِ سَحَّتِ سَحائِهِ^(٩)
فجاء سُحَيْرًا بينَ يومٍ وَليلةٍ كما جَرَّ من ذيلِ الغِلالةِ سَاحِبُهُ^(١٠)

(١) العرف: الرائحة الطيبة.

(٢) هو ميمون بن قيس بن بكر بن وائل الشاعر الجاهلي المشهور المقدم، وأحد أصحاب المعلقات، شاعر خمرة ومديح، أدرك الإسلام ولم يسلم. «انظر المؤلف والمختلف للأدي ص ١٢».

(٣) الحزن: الأرض الغليظة: المسبل الهطل: المطر الغزير.

(٤) يضاحك الشمس: يدور معها حيث دارت، وكوكب كل شيء: معظمه، والمراد هنا: الزهر، والمؤرر: أي مؤترز بالإزار، والشرق: الرِّيان الممتلئ ماء، والعميم: التام السن، والمكتهل: الذي أدرك التمام.

(٥) النشر: فوح الرائحة الطيبة، والأصل: مفردا «أصيل»، وهو الوقت الذي يكون بين العصر والعشاء.

(٦) القطامي: هو عُمير بن شُبَيْم بن عمرو بن عَبَاد، من بني جُشَم بن بكر، أبو سعيد التغلبي، شاعر غزل فحل، من نصارى تغلب وأسلم، له ديوان شعر، مات نحو سنة ٧٤٧ م. «فهرس الأعلام ٨٨/٥».

(٧) الحزامي: جنس نبات، أنواعه عطرة، من أطيب الأفاويه، والغارب: أعلى كل شيء.

(٨) الوسنى: التعمسة.

(٩) القاع: الأرض السهلة المطمئنة، وسخت: أمطرت.

(١٠) السُّحْر: من السحر، آخر الليل قبيل الفجر، والغلالة: لباس رقيق يلبس تحت الثوب أو تحت الدرع.

بأطْيَبَ من أنيابِ سَرَّةٍ مَوْهِنَا إذا الليلُ أَدجى وأَرْجَحْتُ كَتَائِه^(١)
إذا رَغِبْتُ عن جانبٍ من فِرَاشِهَا تَضَوَّعَ مِسْكًا أين مَالَتْ جَوَانِبُهُ
وقال ابن الرومي: [من البسيط]

والعَرَفُ نَدُّ ذَكِيٍّ، وهي ذَاكِئَةٌ إذا أَسَاءَ جِوَارَ العِطَرِ أَبْدَانُ^(٢)
نَعِيمٌ كُلُّ بَهَارٍ من مَجَامِرِهَا وَيُشْمِسُ الليلُ منها فهو ضَخِيانُ^(٣)
كَأَتْهَا، وَعُثَانُ النَّدِّ يَشْمَلُهَا شَمْسٌ عَلَيْهَا ضَبَابَاتٌ وَأُذْجَانُ^(٤)
وقال ابن الأحنف^(٥): [من الطويل]

ذَكَرْتُكَ بِالرَّيْحَانِ لَمَّا شَمِمْتُهُ وبِالِرَّاحِ لَمَّا قَابَلْتُ أَوْجَةَ الشَّرْبِ
تَذَكَّرْتُ بِالرَّيْحَانِ مِنْكَ رَوَائِحًا وبِالِرَّاحِ طَعْمًا مِنْ مُقْبَلِكِ العَذْبِ
ومن البليغ قول سحيم^(٦): [من الطويل]

فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الحَوْلِ، حَتَّى أَتَهَجَّ البُرْدُ بِالْيَا^(٧)
وَأَبْلَغَ مِنْهُ قَوْلُ الْأَحْنَفِ: [من الخفيف]

وَجَدَ النَّاسَ سَاطِعَ المِسْكِ مِنْ دَجٍّ لَهْ قَدْ أَوْسَعَ المَشَارِعَ طَيِّبًا^(٨)
فَهُمْ يُنْكِرُونَ ذَاكَ وَمَا يَدُّ رَوْنَ أَنْ قَدْ حَلَلَتْ مِنْهَا قَرِيبًا

(١) سرة: اسم على، وأدجى: أظلم، وأرجحت: ثقلت ومالت واهتزت، والكتائب: جمع كتيبة، ويقصد بها هنا قطع الليل.

(٢) العرف: الرائحة الطيبة، والنَّد: عودٌ من الطيب يتبخَّر به.

(٣) البهار: جنس زهر طيب الرائحة، ينبت أيام الربيع، والمجامر، مفردا مجمر، وهو ما يوضع فيه الجمر مع البخور والطيب، والضحيان: من الضحى وهو وقت ارتفاع الشمس أو النهار.

(٤) العثان: الدخان، وأكثر ما يستعمل في الدخان المتصاعد من مجامر الطيب، والأدجان: مفردا «دجى» وهو وقت الدخول في الظلام.

(٥) ابن الأحنف: هو العباس بن الأحنف اليمامي، أبو الفضل، شاعر غزل رقيق. أصله من نجد، ونشأ ببغداد وتوفي بها، وقيل: بالبصرة سنة ٨٠٨ م. «فهرس الأعلام ٣/٢٥٩».

(٦) سحيم: هو سحيم بن الأعرف من بني الهجيم بن عمرو بن تميم شاعر معاصر لجريز، ذكره ابن قتيبة. «انظر الشعر والشعراء ص ٤٢٨».

(٧) أنهج البُرد: خلق ويلي.

(٨) المشارع: مفردا «المشرع» وهو مورد الماء.

وقال آخر، وأحسن: [من السريع]

جاريةً أطيّب من طيبها والطيب فيها المسك والعنبر
ووجهها أحسن من حليها والحلي فيها الدرّ والجوهر

وقال امرؤ القيس: [من الطويل]

ألم ترَ آتي كلّما جئت طارقاً وجدتُ بها طيباً، وإن لم تطيّب^(١)

وقال آخر: [من الطويل]

أتأها بعطر أهلها فتضاحكت وقالت: وهل يحتاجُ عطر إلى عطر؟

وقد بالغوا حتّى وصفوا طيب المواضع التي وطئها المحبوب.

وأول من قال ذلك النُميري^(٢) الشاعر في زينب بنت يوسف أخت الحجاج،

فقال: [من الطويل]

تضوّع مسكاً بطن نَعْمَان أن مشّت به زينب في نسوة خفّرات^(٣)

وقال جميل: [من الطويل]

ألا أيّها الربّع الذي غيّر البلى! عفاً وخلاً، من بعد ما كان لا يخلو^(٤)

تدأب ريح المسك فيه وإنما به المسك أن جرّث به ذيلها جُمْل^(٥)

(١) في الديوان ص ٢٩، دار الكتب العلمية: «ألم ترائني» وهو الصواب، لأن مطلع القصيدة يقول: خليلي مَرا بي على أمّ جندب.

(٢) النُميري: هو محمد بن عبد الله الثقفي النُميري شاعر غزل، من شعراء العصر الأموي، كان كثير التشبيب بزينب أخت الحجاج، له ديوان شعر صغير، توفي سنة ٧٠٨ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٢٢٠».

(٣) نعمان: وإد يسكنه بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، بين أدناه ومكة نصف ليلة، ونعمان من بلاد هذيل وأجبالها الأصدار، وهي صدور الوادي التي يجيء منها العسل إلى مكة. «معجم البلدان ٥/ ٢٩٣».

(٤) عفا: درس وبلى وامحى.

(٥) قوله (تدأب ريح المسك فيه) أي في الربيع الذي غيّر البلى. و(تدأب) كذا بالبدال المهملة من باب التفاعل. وصوابه (تذاب) بالبدال المعجمة من التفعّل يقال (تذابت الريح) إذا جاءت مرة كذا ومرة كذا كما يفعل الذئب. فالتذوّب مأخوذ من مادة (الذئب) وإنما ذكر الفعل مع أن الريح مؤنثة لأن تأنيثها مجازي ومثله يجوز تذكير فعله وتأنيثه. وجُمْل: ترخيم لنداء جميلة.

وقول الآخر: [من الطويل]

أرى كلَّ أرض دُستٍ فيها، وإن مضت لها حَجَجٌ، يزداذ طيباً ثرابُها!

ومما قيل في الأسنان، فمن محاسنها:

السَّنْب، وهو رِقَّةُ الأسنان واستواؤها وحُسْنُها.

الرَّئِل، حُسْنُ تنزيدها وأتساقها.

التَّقْلِيح، تفرُّج ما بينها.

السَّتت، تفرَّقها من غير تباعد بل في استواء وحسن. (يقال: ثغر شَتِيت، إذا كان مُقْلَجًا حسنًا أبيض).

الأشُر، تحزيز في أطراف الشايات يدلّ على حَدَاثة السنّ.

الظَّلَم، الماء الذي يجري على الأسنان من البريق لا من الرِّيق.

فصل في مقابحها

الرَّوَق، طولها.

الكَسَسُ، صَغَرها.

التَّعَلُّ، تراكُّبها وزيادة سِنِّ فيها.

السَّغَا، اختلاف منابتها.

اللَّصَصُ، شِدَّةُ تقاربها وانضمامها.

الْيَلَلُ، إقبالها على باطن الفم.

الدَّفَقُ، أنصبابها إلى قدام.

الْفَقَمُ، تقدّم سُفلاها على العليا.

الْقَلَحُ، صُفَرَتها.

الصُّرَامَةُ، خُضْرَتها^(١).

الحَفَرُ، ما يلزق بها.

(١) في فقه اللغة للثعالبي ص ١٠٣: «الطَّرامة» بالطاء المشددة المفتوحة.

الدَّرْدُ، دَهَايَها.

الهَتَمُ، انكسارها.

اللَّطَطُ، سقوطها.

فصل في ترتيب الأسنان

وهي: أربع ثنايا، وأربع رباعيات، وأربع أنياب، وأربع ضواجك، وثنتا عشرة رَحَا^(١)، وأربعة نواجذ^(٢).

قال أبو الفتح كشاجم: [من الطويل]

عَرَضْنِ! فَعَرَضْنِ الْقُلُوبَ مِنَ الْجَوَى لَأَسْرَعَ فِي كَيْي الْقُلُوبِ مِنَ الْجَمْرِ!^(٣)
كَأَنَّ الشِّفَاءَ اللَّعْسَ فِيهَا خَوَاتِمُ مِنَ الْمِسْكِ، مَخْتَوِّمٌ بِهِنَّ عَلَى دُرِّ^(٤)

وقال أيضاً: [من مخلع البسيط]

كَالْغُضْنِ فِي رَوْضَةٍ تَمِيسُ تَضْبُو إِلَى حَسَنِهَا الثُّفُوسُ
مَا شَهِدَتْ وَالنِّسَاءَ عُرْسًا فَشُكَّ فِي أَنَّهَا عَرُوسُ!
تَبْسِمُ عَنْ بَاسِمِ بَرُودٍ تَغْبِقُ مِنْ طَيِّبَةِ الْكُؤُوسِ
يَجْمَعُ فِيهِ لِمَجْتَنِيهِ: مَسْكٌ، وَوَزْدٌ، وَخَنْدَرِيسُ^(٥)

وقال المتنبي: [من الطويل]

وَيَبْسِمُنَّ عَنْ دُرٍّ تَقْلُدَنَّ مِثْلَهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشُحْتَ بِالْمَبَاسِمِ^(٦)

وقال الصنوبري: [من المنسرح]

تِلْكَ الثَّنَايَا مِنْ عَقْدِهَا تُظْمِثُ بَلْ تُظِمُّ الْعِقْدُ مِنْ ثَنَائِهَا^(٧)

(١) الرِّحَا والرَّحَى: بالألف الطويلة الممدودة والمقصورة: الطاحون.

(٢) النواجذ: أقصى الأضراس في الفم.

(٣) عرضن: ظهرن، وعرضن: جعله عرضةً، والجوى: شدة الوجد والاحتراق من العشق.

(٤) اللعس: التي في حمرتها سمرة.

(٥) الخندريس: الخمر المعتقدة.

(٦) التراقي: مفردا «ترقوة»، وهي عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق، وشُحْتُ: زينت.

(٧) الثنايا: الأسنان الأربع في مقدم الفم.

وقال البحتري: [من البسيط]

ويزجع الليل مبيضاً إذا ضحك
عن أبيض خصل السمطين وضاح^(١)

وقال ابن الرومي: [من الوافر]

كأنني لم أبت أسقى رضاباً
يموت به ويحيا المستهام^(٢)

تعللني واضحة الثنايا
كأن لقاءها حولا لمأم

تنفس كالشمول ضحى شمال
إذا ما فُض عن فمها الختام^(٣)

وقال النابغة: [من الكامل]

تجلو بقادمتي حمامة أيكه
بردًا، أسف لثاته بالإئتمد^(٤)

كالأقحوان غداة غب سماءه
جفت أعاليه، وأسفله ندي^(٥)

وقال شقيق بن سليل^(٦): [من الطويل]

وتبسّم عن ألمى اللثا، مفلج
خليق الثنايا بالعذوبة والبرد^(٧)

وقال جميل: [من الطويل]

بذي أشر كالأقحوان يزيئه
ندى الطل، إلا أنه هو أملح^(٨)

وقال السمهري: [من الطويل]

كأن وميض البرق بيني وبينها
إذا حان من بعض البيوت، أبتسامها^(٩)

(١) الخصل: الذي فيه خلة أو انفراج بين الأسنان، والسمطين: مفرد «سمط»، وهو العقد.

(٢) الرضاب: الريق، والمستهام: العاشق.

(٣) الشمول: الخمر التي يفوح عبقها، والشمال: الريح الباردة، وفض: انتزع.

(٤) تجلو: تكشف، والقوام: الريش المقدم في جناح الطائر، والأيكه: الشجر الكثيف الملتف، والبرد: يقصد به الأسنان البيضاء، واللثا: مغرز الأسنان، والإئتمد: الكحل، ومن عادة العرب أن يذروا عليه الإئتمد ليبين بياض الأسنان. «انظر الديوان ص ٤٠، دار صادر، بيروت».

(٥) الأقحوان: نور أبيض، وأشد ما يكون صفاؤه غب المطر، أي بعد هطوله، إذ يزول ما عليه من الغبار بالماء.

(٦) شقيق بن سليل. (٧) الألمى: ما اسود أو اسمر.

(٨) بذي أشر: أي بأسنان صغيرة كأسنان المنجل، والطل: الندى.

(٩) وميض البرق: لمعانه.

وقال آخر: [من الطويل]

أحاذرُ في الظلماء أن تستَشِفَّنِي عيونُ العَبَارَى في وميضِ المَضَاحِكِ! ^(١)

ومما قيل في السَّوَاك، قول بعض الشعراء: [من الطويل]

أقولُ لمِسْوَاكِ الحبيب: لك الهَنَّا بلْثُمِ فَمِ ما ناله تَغَرُّ عاشِقٍ!
فقال، وفي أحشائه حُرْقُ الجوى مَقَالَةٌ صَبٌّ للديار مُفَارِقِ
تذَكَّرْتُ أوطاني فقلَّبي كما ترى أعلَّه بين العُذْبِ وبارق! ^(٢)

وقال آخر: [من الكامل]

نقلَ الأراكُ بأنَّ رِيقَةً تُغْرِه من قهوة، مُزِجت بماءِ الكَوَثِرِ ^(٣)
قد صَحَّ ما نقلَ الأراكُ لأنه قد جاء يروي عن «صِحاح الجوهري» ^(٤)

وقال آخر: [من السريع]

بالله، إن جُرِزَتْ بوادي الأراك وَقَبَلْتُ أغصانه اللُّذُنْ فاك! ^(٥)
فابعث إلى المملوك من بعضها فأئني والله ما لي سِوَاك!

ومما قيل في اللِّسان، فمن محاسنه:

إذا كان الرجلُ حاذِ اللسانِ قادرًا على الكلام، فهو ذَرَبُ اللِّسانِ، وَفَتِيْقُ اللِّسانِ.

فإذا كان جَيِّده، فهو لَين.

فإذا كان يضعه حيثُ أراد، فهو ذليق.

فإذا كان فصيحًا بَيِّنَ اللَّهْجَةِ، فهو حُذَاقِي.

فإذا كان مع جِدَّةِ اللسانِ بليغًا، فهو مِسْلاق.

(١) استشف: رأى من خلال ستر الظلام، والعباري: الناظرة في الشيء.

(٢) العُذْب: الماء الطيب، كناية عن الريق، والبارق: الشجر الذي تبرد أسنانه عند الضحك.

(٣) الأراك: مفردُها أراكة، وهي شجرة المسواك، والكوثر: الشراب العذب.

(٤) صِحاح الجوهري: هو قاموس الصِّحاح للجوهري، معروف، من معاجم اللِّغة.

(٥) جاز: مرَّ قاطعًا، واللَّذن: الطَّرِيقَة.

فإذا كان لا يعترضُ لسانه عُقْدَةٌ، ولا يتحيّفُ بيانهُ عُجْمَةٌ^(١)، فهو مضنّع.
فإذا كان المتكلّم عن القوم، فهو مدرّة.

فصل في عيوبه

الرُّثَّة، حُبْسَةٌ في لسان الرجل، وعَجَلَةٌ في كلامه.
اللُّكْنَةُ والحُكْلَةُ، عُقْدَةٌ في اللسان وعُجْمَةٌ في البيان.
الهْتَهْتَةُ (بالتاء والتاء)، حكايةُ التواء اللسان عند الكلام.
التُّتْنَعَةُ (بالتاء والتاء)، حكايةُ صوت الأَلَكْنِ والعَيّ.
اللُّتْنَعَةُ، أن يُصَيِّرَ الرّاءَ لَامًا من كلامه.
الْفَأْفَاءُ، أن يتردّد في الفاء.
التَّمْتَمَةُ، أن يتردّد في التاء.
الْلَفْفُ، أن يكون في اللسان ثِقْلٌ وانعقاد.
الْلَبْغُ، أن لا يُبَيِّنَ الكلام.
الْلَجْلَجَةُ، أن يكون فيه عَيّ وإدخال بعض كلامه في بعض.
الْحَنْخَنْخَةُ، أن يتكلّم من لَدُنْ أنفه، ويقال: هي أن لا يُبَيِّنَ الرجل كلامه فيُحَنِّخُنْ في خياشيمه.
المَقْمَقَةُ، أن يتكلّم من أقصى حلقة.

فصل في ترتيب العي

يقال: رجل عَيّ، ثم حَصِرَ، ثم فَهٌ، ثم مُفَحَمٌ، ثم لَجَلَجَ، ثم أَبْكَمُ.
قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه.
وقال شاعر: [من الطويل]
وما المرءُ إلّا الأصغرّان: لسانه ومعقوله، والجسم خلقٌ مصوّرٌ

(١) يتحيّف: يتقصص، والعُجْمَةُ: اللكنة في اللسان.

وقال امرؤ القيس: [من المتقارب]

وذلك من نَبإٍ جاءني وخُبْرته عن أبي الأسود^(١)
ولو عن نثا غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليد^(٢)
(النثا: القبيح من الكلام).

وقال جرير: [من الطويل]

لساني وسيفي: صارمانِ كلاهما! وللسيف أشوى وقعةً من لسانيا^(٣)
(قوله: أشوى إذا أخطأ المقتل).

وقال آخر: [من الوافر]

وجزح السيف تَذْمُلُه فيبْرى وجزح الدهر ما جرح اللسان!^(٤)

ومما وصف به حسن الحديث والنغمة، فمن ذلك قول ذي الرمة: [من الطويل]

ولمّا تلاقينا، جرّث من عُيُوننا دموعُ كَفَفْنَا عَرَبُها بالأصابع^(٥)
ونلنا سُقاطًا من حديث كأنه جنى النحل ممزوجًا بماء الوقائع^(٦)

وقال أيضًا: [من الطويل]

وإنّا ليجري بيئنا حينَ نَلْتَقِي حديثٌ له وشيٌّ كوشي المطارف!^(٧)
حديثٌ كوقع القطر في المَحَلِ يُشْتَفَى به من جوى في داخل القلب، لاطف^(٨)

(١) في الذبوان ص ٥٣، دار الكتب العلمية: «وأنبئته عن أبي الأسود»، وأبي الأسود: رجلٌ من كنانة، يظهر أنه كان هجا امرئ القيس، وقال الشنقيطي في حماسته: إنه أبا الأسود الكندي، وهو عم امرئ القيس من بني الجون من كندة، وكان زمانًا ينازع امرأ القيس حقه في الملك، فواعده موضعًا فالتقى كلٌ منهما في كبكة من أصحابه، فشذ أصحاب امرئ القيس على أصحاب أبي الأسود فهزموهم وكشفوهم، وشذ امرؤ القيس على أبي الأسود فطعته فأنفذ حضنيه، فمات أبو الأسود وحصل الملك لامرئ القيس.

(٢) وجرح اللسان كجرح اليد: هذا مثل صحيح، يعني أنّ في الكلام ما يؤثر في النفس أثر السلاح في الجسم.

(٣) الصارم: السيف القاطع.

(٤) الغرب: الدمع أو مسيله.

(٥) الشقاط: الجانب، والوقائع: ماء السحاب الرقيق.

(٦) الوشي: التطريز، والمطارف: مفردا مطرف: وهو رداء من حرير ذو أعلام.

(٨) لاطف: لاصق، يقال: ألطفت الشيء بجنبه واستلطفته إذا ألصقته وهو ضد جافيته «اللسان»

وقال ابن الرومي: [من مجزوء الكامل]

ولقد سئمت مآربي فكأن طيبها خبيث
إلا الحديث فإنه مثل أسمه أبدا حديث

وقال بشار: [من مجزوء الكامل]

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسین زهرا
وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا^(١)
وتخال ما أستملت عليه نه ثيابها: ذهبها وعطرا

وقال البحتري: [من الطويل]

فلما التقينا - والنقا موعد لنا - تعجب رائني الدر حُسنا ولاقطه^(٢)
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه!

وقال آخر: [من الطويل]

ظللنا نساوي عند أم محمد بنوم، ولم نشرب شرابا ولا خمرا!
إذا صمت عثا، صحنونا بصمتها وإن نطق، هاجت لألبابنا سحرا^(٣)

وقال ابن الرومي عفا الله عنه: [من الكامل]

وحديثها السحر الحلال، لو أنه لم ينج قتل العاشق المتحرز^(٤)
إن طال لم يملل، وإن هي أوجزت وذ الحديث أنها لم توجز
شرك القلوب، وفتنة ما مثلها للمطمئن، وعقلة المستوفز^(٥)

وقال القطامي: [من البسيط]

فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي^(٦)

= مادة لطف.

(١) هاروت: رفيق ماروت، وهما ملكان هبطا ببابل فعلمتا الناس السحر، وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢].

(٢) النقا: كل قطعة من الرمل محدودة. (٣) الألباب: العقول.

(٤) المتحرز: المتوقفي.

(٥) المستوفز: المتحفز للقيام، واستوفز في قعدته: انتصب فيها غير مطمئن، والعقلة: العقال، جبل أو شرك يشد به.

(٦) ينبذن: يطرحن، ونبذ العرق: نبض وضرب، وذو الغلة: الظمان، والصادي: الذي به عطش =

وقال علي بن عطية البلنسي^(١): [من الخفيف]

كَلَّمْتَنِي فِجَلْتُ دُرًّا نَثِيرًا وَتَأَمَّلْتُ عِقْدَهَا هَلْ تَنَائِزُ
فَارْزُدهَا جَمَالُهَا، فَأَرْتَنِي عِقْدُ دُرٍّ مِنَ التَّبَسُّمِ آخِزُ!

وقال الواواء الدمشقي^(٢): [من مجزوء الرمل]

وَحَدِيثٌ كَأَنَّهُ أَوْبَةٌ مِنْ مُسَافِرٍ
كَأَنَّ أَخْلَى مِنَ الرُّقَا دَلْدَى طَرْفٍ سَاهِرٍ
بِثُّ أَلْهُوَ بِطَيْبِهِ فِي رِيَاضِ زَوَاهِرٍ
بَيْنَ سَاقٍ وَسَامِرٍ وَمُعَنَّ زَامِرٍ

وقال الطائي^(٣): [من الكامل]

مَدَّتْ إِلَيْكَ بِنَانَةً أَسْرُوعًا تَشْكُو الْفِرَاقَ، وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا^(٤)
كَادَتْ لِعِرْفَانِ النَّوَى أَلْفَاظُهَا مِنْ رِقَّةِ الشُّكْوَى تَكُونُ دُمُوعًا

وقال ابن المعتز: [من الطويل]

وَسَرَّ أَحَادِيثَ عِذَابٍ لَوْ أَنَّهَا جَنَى النَحْلِ، لَمْ تَمْجُجْ حَلَاوَتَهَا النَّحْلُ^(٥)

ومما قيل في الأذن، الصَّمْعُ، صِغْرُهَا.

السَّكْكُ، كونها في نهاية الصَّغَرِ.

القَنْفُ، اسْتِرْحَاؤُهُمَا وإِقْبَالُهُمَا إِلَى الْوَجْهِ.

الْحَطَلُ، غَلْظُهُمَا.

= شديد.

(١) علي بن عطية البلنسي، أبو الحسن، بن مطرف، ويُعرف بابن الزقاق، شاعر له غزل رقيق ومدايح اشتهر بها، عاش أقل من أربعين سنة، توفي سنة ١١٣٤ م. «فهرس الأعلام ٣١٢/٤».

(٢) الواواء الدمشقي: هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني، من حسنات أهل الشام وصاغة الكلام، كان منادياً في دار البطيخ بدمشق على الفواكه، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه. «اليتيمة ٣٣٤/١».

(٣) الطائي: هو أبو تمام الطائي حبيب بن أوس.

(٤) الأسروع: واحدة الأساريع، وهو دودٌ بيض حُمُرُ الرؤوس تتغذى بالأوراق والأثمار، وتشبه بها أصابع النساء. «انظر اللسان، مادة سرع».

(٥) لم تمجج: لم تلفظ، ومجّ الرّيق أو الشراب من فمه: قذفه ورمى به.

فصل في ترتيب الصَّمَم

يقال:

بأذنه وَقَرَّ.

فإذا زاد، فهو صَمَمٌ.

فإذا زاد، فهو طَرَشٌ.

فإذا زاد حتى لا يسمع الرعد، فهو صَلَخٌ.

ومما وصف به الصُّدغ^(١)، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز: [من الكامل

الأحد]

رَيْمٌ! يَتِيَهُ بِحُسْنِ صُورَتِهِ عَبَثَ الْفَتُورُ بِلِحْظِ مُقْلَتِهِ^(٢)

فَكَانَ عَقْرَبٌ صُدْغُهُ وَقَفَتْ لَمَّا دَنَتْ مِنْ نَارٍ وَجَنَّتِهِ^(٣)

وقال ابن الرومي: [من الخفيف]

أَبَدًا نَحْنُ فِي خِلَافٍ: فَمِنِّي فَرَطُ حُبٍّ وَمِنْكَ لِي فَرَطُ بُغْضٍ

فَبِصُدْغَيْكَ فَوْقَ خَطِّ عَذَارٍ ظُلُمَاتٍ، وَبِعُضِّهَا فَوْقَ بَعْضٍ^(٤)

وقال الصاحب بن عباد^(٥): [من الوافر]

وَعَهْدِي بِالْعَقَارِبِ حِينَ تَشْتَوِ تُخَفِّفُ لَدَغِهَا وَتَقِلُّ ضَرَا

فَمَا بَالُ الشِّتَاءِ أَتَى، وَهَذَا عَقَارِبُ صُدْغِهِ يَزْدَدُنْ شَرًّا؟

وقال ابن المعتز: [من الطويل]

أَمِنْ سَبَجٍ فِي عَارِضِيهِ صَوَالِجٍ مُعْطَفَةٌ تُفَاحَ خَذِيهِ تَضْرِبُ؟^(٦)

(١) الصدغ: جانب الوجه من العين إلى الأذن.

(٢) الرِّيم: الظبي الخالص البياض، والفتور: الضعف والانكسار.

(٣) عقرب الصدغ: يريد الشعر المتدلي على الصدغ.

(٤) العذار: الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية.

(٥) الصاحب بن عباد: هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد، وزير أديب شاعر من الكتاب، كان نادرة عطار في البلاغة، وواسطة عقد الدهر في السماحة، قصده الأدباء من كل صوب. «انظر اليتيمة ٢٢٥/٣، الباب الثالث».

(٦) السَّبَج: خرز أسود، والصوالج: مفردا «صولج»، وهي العصا المعقوفة الرأس التي يضرب بها =

وما ضرّه نارٌ بخدّيه أُلْهِبَتْ ولكنّ بها قلب المُحِبِّ يُعَذَّبُ؟
عناقيدُ صُدْغِيهِ بخدّيه تلتوي وأمواجُ ردّقيه بخَضْرِيهِ تَقْلِبُ
شَرِبْتُ الهوى صِرْفًا زُلاّلاً، وإنّما لواحظهُ تَسْقِيّ وقلبي يَشْرَبُ
وقال الثعالبي: [من السريع]

وصُولُجانٍ في يَدَيَّ شادين لا يَسْمَحُ العاشقُ أن يذْكَرَهُ^(١)
وصُولُجانُ المِسْك في خدّه مَتَّخِذُ حَبَّةَ قلبي كُرَةً
وقال الناشئ الأصغر^(٢): [من مجزوء الخفيف]

لَكَ صُدْغٌ كَأَنَّمَا نُؤْنُهُ نُونٌ كَاتِبٌ
يَلْدَغُ النَّاسَ إِذْ تَعَفَّ رَبِّ لَدَغُ الْعُقَّارِبِ
وقال الصاحب بن عباد: [من السريع]

يا شادناً في وَجْهِهِ عَقْرَبُ ما يَسْتَجِيبُ الدَّهْرَ لِلرَّاقِي
يَسْلَمُ خُدَّاهُ عَلَى لَدَغِهَا وَلَدَغُهَا فِي كَيْدِي بَاقِي!
وقال عمر المطوعي^(٣): [من الطويل]

بنَفْسِي من تَمَّتْ محاسِنُ وجهه! فما هُوَ إلا البدرُ عند تَمَامِ
وَأرْسَلْ صُدْغاً فوقَ خَدِّ كَأَنَّهُ جَنَاحُ غرابٍ فوق طَوْقِ حَمَامِ
وقال آخر: [من الكامل]

حَلَّتْ عَقاربُ صُدْغِهِ في خَدِّهِ قَمَرًا، فَجَلَّ بها عن التشبيه!
ولقد عَهْدَنَاهُ يَحِلُّ بِزَجِّهَا فَمِنَ العجائب كيفَ حَلَّتْ فِيهِ؟^(٤)

= الفارس الكرة في بعض الألعاب.

(١) الصولجان: العصا المعقوفة، والشادن: ولد الظبي أو الغزال.

(٢) الناشئ الأصغر: هو علي بن عبد الله بن وضيف، أبو الحسن، شاعر مجيد من أهل بغداد، كان إمامياً، له قصائد كثيرة في أهل البيت، قصد سيف الدولة وأملى ديوان شعره في مسجد الكوفة فحضر مجلسه بها الممتني وهو صغير، توفي ببغداد سنة ٩٧٦ هـ. «فهرس الأعلام ٤/ ٣٠٤».

(٣) عمر المطوعي: هو عمر بن علي، أبو حفص أديب من أهل نيسابور له شعر رقيق، له مؤلفات عدة وخدم الأمير أبا الفضل المكيالي، توفي نحو سنة ١٠٤٨ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٥٥».

(٤) يريد «بالبرج» برج العقرب، وهو من أبراج السماء.

وقال العماد الأصبهاني^(١): [من الكامل]

وَإِذَا بَدَأَ لَكَ صُدْغُهُ فِي وَجْهِهِ أَبْصَرْتَهُ قَمَرًا بَدَأَ فِي الْعَقْرِابِ!

وقال أبو الفتح كُشاجم: [من الكامل]

وَمَنْعَنَ وَرَدَ خُدُودَهُنَّ فَلَمْ نُطِيقْ قَطُّ لَهَا لَعَقَارِبِ الْأُضْدَاعِ!

ومما وصفت به الخدود والوجنات، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

قال أبو الفتح كُشاجم: [من الوافر]

عَدَا، وَعَدَا تَوَرَّدَ وَجَنَّتِيهِ لَعِينٍ مَحَبَّةً يَصِفُ الرِّيَاضَا
عَلَى خَذِيهِ مَاءٌ عَسَجَدِيٍّ فَلَوْ نَظَرَ الرَّقِيبُ إِلَيْهِ، غَاصًا^(٢)

وقال آخر: [من الطويل]

دَعَوْتُ بِمَاءٍ فِي زُجَاجٍ، فَجَاءَنِي حَبِيبِي بِهِ خَمْرًا نَظَرْتُ لَهُ شَزْرًا
فَقَالَ: هُوَ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ وَإِنَّمَا تَجَلَّى لَهْ خَذِي فَأَوْهَمَكَ الْخَمْرَا!

وقال أبو القاسم عبد الغفار المصري^(٣)، شاعر اليتيمة: [من مجزوء الكامل]

وَرَدَ الْخُدُودِ أَرْقُ مِنْ وَرَدَ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ
هَذَا تَنْشُّفُهُ الْأَنْوُ فُ، وَذَا يَقْبَلُهُ الْقَمُ
فَإِذَا عَدَلْتُ، فَأَفْضَلُ الـ وَرَدَيْنِ وَرَدٌ يُلْئِمُ

وقال أيضًا (ويروى للوأواء الدمشقي): [من السريع]

لَا تَظْلِمُوا النَّاسَ وَلَا تَطْلُبُوا بَثَارِي الْيَوْمِ أَدَى مُسْلِمٍ!
وَيَا لِقَوْمِي دَوْنَكُمْ شَادِنَا مَعْتَدِلُ الْقَامَةِ وَالْمَبْسِمِ!
فَإِنْ أَبَى إِلَّا جَحُودَ الْهَوَى وَأَكْتَتَمَ الْأَمْرَ وَلَمْ يُغْلِمِ
قُولُوا لَهُ يَكْشِفُ عَنْ خَدِّهِ فَإِنْ فِيهِ نُقْطَا مِنْ دِمِي

(١) العماد الأصبهاني: هو محمد بن محمد، أبو عبد الله عماد الدين، مؤرخ، عالم بالأدب، من كبار الكتاب، من كتبه الخريدة، توفي سنة ١٢٠١ م. «فهرس الأعلام ٢٦/٧».

(٢) العسجد: الذهب، وغاض الماء: غار وغاب.

(٣) هو أبو القاسم عبد الغفار المصري، ذكره صاحب اليتيمة في الفصل الذي خصه لشعراء الشام ومصر والمغرب، الباب التاسع. «اليتيمة ٥٢٤/١».

وقال ابن الرومي: [من الخفيف]

وغزالٍ ترى على وجنتيه
لَهْفَ نفسي ليلك من وجناتٍ
أنهلت صبغَ نفسها ثم علَّتْ
جرحته العيون فاقترصَ منها
قَطَرَ سهميه من دماء القلوبِ
وزدّها وزدَّ شارقٍ مهضوبٍ! (١)
من دماء القتلَى بغير دُئوبٍ (٢)
بجوى في القلوب دامي الندوبِ (٣)

وقال أيضًا: [من المنسرح]

يا وجنتيه اللتين من بهج
ما حُمرة فيكما: أمن خجلٍ
في صدغيه اللذين من دَعَجٍ! (٤)
أم صبغة الله، أم دم المَهَج؟ (٥)

وقال أبو الفتح البستي (٦): [من الكامل]

ومُهْفَهَفٍ غنج الشمائلِ أزعجت
دَرت الطبيعة أن فاجمَ شِعْره
قلبي محاسن وجهه إزعاجًا (٧)
ليل فأذكت وجنتيه سراجًا (٨)

وقال عبد الله بن المعتز: [من الكامل]

يا مَنْ يَجودُ بموعِدٍ من لحظه
ويظُلُّ صَبَاغُ الحياء بخذه
ويصدّ حينَ أقول: أين المَوْعِدُ؟
تعبًا: يُعْصِفُ تارةً ويُورِدُ (٩)

وقال الراضي بالله (١٠): [من المنسرح]

يَضْفَرُ وجهي إذا تأملني
حَتَّى كأنّ الذي بوجنته
خَوْفًا، ويحمرُّ خذه خَجَلًا
من ماء وَجْهي إليه قد نُقِلَا

(١) لهف نفسي: كلامٌ فيه تحسّر وحزنٌ على ما فات، والشارق: الشديد الحمرة والمهضوب: الذي بلّله المطر.

(٢) أنهلت: من التهل أول الشرب، وعُلَّت: من العلل، وهو الشرب ثانية بعد الشرب الأول.

(٣) اقترص: أخذ منه القصاص، أي عاقب، والندوب: أثر الجروح الدامية.

(٤) الدَعَج: سعة في العين مع اشتداد سوادها وبياضها.

(٥) المهج: مفردا مهجة وهي الزوج ودم القلب.

(٦) أبو الفتح البستي: هو علي بن محمد الكاتب البستي، صاحب الطريقة الأنثوية في التجنيس الأنيس، البديع التأسيس، شاعر من غرر أهل بستان. «انظر اليتيمة ٤/ ٣٤٥».

(٧) المهفّف: الضامر الخصر والقذ، والشمائل: الصفات.

(٨) أذكت: أشعلت وأورت.

(٩) يعصفر: من عصفر، أي صبغه بالعصفر، وهو نبات يستخرج منه صبغ أحمر.

(١٠) الرّاضي بالله: أبو العباس أحمد بن المقتدر، الخليفة العباسي، توفي سنة ٣٢٩ هـ. «صبح =

وقال الخُبْرُ أَرْزَى: [من الخفيف]

صِلْ بِخَدِّي خَدَّيْكَ، تَلَقَّ عَجِيْبًا من معانٍ يَجَارُ فِيهَا الضْمِيرُ
فَبِخَدَّيْكَ لِلرَّبِّيعِ رِيَاضُ وبخَدِّي لِلدُّمُوعِ غَدِيرُ
وقال أيضًا: [من الخفيف]

أَظْهَرَ الْكِبْرِيَاءَ مِنْ فَرْطِ زَهْوٍ فَتَلَقَّيْنَاهُ بِذُلِّ الْخُضُوعِ
وَحَبَانِي رَبِيعِ خَدَّيْهِ بِالْوَزْ دِ فَاْمَطَّرْتُهُ سَحَابَ الدُّمُوعِ
وقال الصنوبري: [من المنسرح]

رَقَّ، فَلَوْ كَلَّفْنَاهُ أَعْيُنُنَا أَنْ يَرْشَحَ الْخَمْرَ خَدَّهُ، رَشَحًا^(١)
وفال المفتجع^(٢): [من السريع]

ظَنَنْيَ إِذَا عَقْرَبَ أَصْدَاغُهُ رَأَيْتَ مَا لَا يُحْسِنُ الْعَقْرَبُ
تُفَاحَ خَدَّيْهِ لَهُ نَضْرَةٌ كَأَنَّهُ مِنْ دَمْعَتِي يَشْرَبُ
وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

وَمُبِيحُ أَسْرَارِ الْقُلُوبِ بَ بَوَجْنَتَيْهِ وَحَاجِبَيْهِ
جَمَعَ الْإِلَهَ لَهُ الْمَحَا سَنَ ثَمَ أَفْرَعَهَا عَلَيْهِ
وَكَأَنَّ مِرَاتَيْنِ عُلْدُ قَتَا بِصَفْحَةِ عَارِضِيهِ^(٣)
وَكَأَنَّ وَزْدَ الْجُلْنِ أَر مُضْعَفٍ فِي وَجْنَتَيْهِ^(٤)

وقال علي بن عطية البلنسي في غلام جرح خذه: [من المتقارب]
وَأَخْوَى رَمَى عَنْ قَسِيٍّ الْحَوَزِ سَهَامًا يُفَوِّقُهُنَّ النَّظْرُ^(٥)

= الأعراسي ٢٧٤/٣.

(١) يرشح الخمر أو الماء: يندى.

(٢) المفتجع: هو محمد بن أحمد بن عبيد الله البصري، أبو عبد الله، شاعر عالم بالأدب، من أهل البصرة، توفي سنة ٩٣٢ م. «فهرس الأعلام ٣٠٨/٥».

(٣) العارض: الخذل. (٤) الجلنار: زهر الرمان.

(٥) الأخوى: من كان به حوة، وهي لون صدأ الحديد، سمرة مشبعة بحمرة، والحو: يريد به هنا العين التي اشتد بياضها وسوادها، والفوق: موقع الوتر من رأس السهم.

يقولون: وجَنَّتُهُ قُسِّمَتْ ورسمُ محاسنه قد دَثُرُ^(١)
وما شَقَّ وجَنَّتَه عَابِئًا ولكِنَّهَا آيَةٌ لِلْبَشَرِ
جَلَّاهَا لَنَا اللهُ كَيْمَا نَرَى بها كَيْفَ كان أَنَشْقاقُ القَمَرِ

ومما وصفت به على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز: [من الكامل]

تُجَلُّ العُيُونُ، سَوَاجِرُ اللَّحْظَاتِ هَيَّجَنَ مِنْكَ سَوَاكِنَ الْحَرَكَاتِ^(٢)
أَقْبَلَنَ يَرْمِينِ الْجِمَارِ تَنَسُّكًا فَجَعَلَنَ قَلْبَكَ مَوْضِعَ الْجَمَرَاتِ^(٣)
فَكَأَنَّهُنَّ عُصُوفُ بَانٍ نَاعِمٍ يَحْمِلُنَ تَفَاحًا عَلَى الْوَجَنَاتِ^(٤)
وقال ابن الرومي: [من الرمل]

تَشْرَعُ الْأَلْحَاظُ فِي وَجْنَتِهَا فَتُلَاقِي الرِّيَّ مِنْ مَشْرِبِهَا^(٥)
فَهِيَ حَسْبُ الْعَيْنِ مِنْ نُزْهَتِهَا وَهِيَ حَسْبُ الْأُذُنِ مِنْ مَطَرِهَا
وقال ديك الجن^(٦): [من مجزوء الكامل]

بأبي الثلاثِ الْآنَسَا تِ الرَّايقَاتِ الْغَانِيَاتِ!
أَقْبِلْنَ، وَالْأَصْدَاغُ فِي وَجَنَاتِهِنَّ مُعَقَّرَبَاتِ!
أَلْفَاظُهُنَّ مَوْئِثَا تِ وَالْجُفُونُ مُذَكَّرَاتِ!
حَتَّى إِذَا عَايَنْتَهُنَّ نِ وَلِلْأُمُورِ مَسْبَبَاتِ

-
- (١) دثر: أحمى.
(٢) النُّجُل: العيون الواسعة الحسنة.
(٣) الجمار: من مناسك الحج، وهي رمي الحجارة أو الحصى، أن نظرات العيون رمت القلوب فأصاب الرمية.
(٤) البان: شجر لين، ورقه طويل، أبيض الزهر.
(٥) تشرع: تشرب، وشرع في الأمر خاض، يريد أن الألحاظ تنظر إليها فترتوي من حسننها، وكأنها تشرع من ماء عذب.
(٦) ديك الجن: هو عبد السلام بن رغبان بن حبيب الكلبي، شاعرٌ مجيد، فيه مجون من شعراء العصر العباسي، سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين، توفي بحمص سنة ٨٥٠ م.
«فهرس الأعلام ٥/٤».

جَمَشْتَهُنَّ، وَقَلْتُ: طِيءُ بُ عِنَاقُكُنَّ هُوَ الْحَيَاةُ! ^(١)
فَخَجَلُنَّ حَتَّى خَلَتْ أُنَّ خَدَوْدَهُنَّ مَعْصُفَرَاتُ ^(٢)

ومما وصفت به الخيلان ^(٣)، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

قال بعض الشعراء: [من السريع]

فِي السَّاعِدِ الْأَيْمَنِ خَالٌ لَهُ مِثْلُ السُّوَيْدَاءِ عَلَى الْقَلْبِ ^(٤)
كَأَنَّهُ مِنْ سَبَجٍ فَاجِمٍ مُرَكَّبٍ مِنْ لَوْلُؤٍ رَظِيٍّ ^(٥)

وقال ابن منير الطرابلسي: [من المنسرح]

لَاخٌ لَنَا عَاطِلًا، فَصَيَغَ لَهُ مَنَاطِقٌ مِنْ مَرَاثِقِ الْمُقَلِّ ^(٦)
حَيَاةٌ رُوحِي وَفِي لَوَاحِظِهِ حَثْفِي بَيْنَ النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ
مَا خَالَهُ مِنْ فَتِيَةٍ عَنَبِرٍ صُدَّ عَيْنُهُ لَا قَطْرٍ صِبْغَةِ الْكَحَلِ
لَكِنْ سُوَيْدَاءُ قَلْبٍ عَاشِقِهِ طَفَّتْ عَلَى نَارٍ وَزْدَةِ الْحَجَلِ
وقال أيضًا: [من الرمل]

أُنْكَرْتُ مُقَلَّتَهُ سَفْكَ دِمِي وَعَلَى وَجْنَتِهِ فَاعْتَرَفْتُ
لَا تَخَالُوا خَالَهُ فِي خَدِّهِ قَطْرَةً مِنْ صِبْغٍ جَفْنٍ نَطَفْتُ ^(٧)
تَبْلُكَ مِنْ نَارٍ فُؤَادِي جَذْوَةٌ فِيهِ سَاخَتْ وَأَنْطَفَتْ ثُمَّ طَفَّتْ! ^(٨)

(١) جَمَشَ المرأة: أي غازلها ولاعبها.

(٢) المعصفرات: المصبوغة بالعصفر، وهو نبات يستخرج منه صبغ أحمر.

(٣) الخيلان: مفردا «الخال»، وهو شامة سوداء تكون في الوجه أو الجسم.

(٤) السويدةاء: حبة القلب ومهجته. (٥) السَّبَج: خرز أسود.

(٦) العاطل: الذي لا يلبس في جيده الحلي، والمناطق: مفردا منطقة، وهي ما يشد به الوسط، ويريد بالمناطق هنا: أن العيون قد أحاطته بالنظر وكأنها ألبسته نطاقا في الجيد أو الخصر.

(٧) نطفت: سالت.

(٨) طفت: علت، يريد أن ذلك الخال هو جذوة أو قيس من نار قلبه ارتسمت على ذلك الخد.

وقال آخر: [من الرمل]

لا تَخَالُ الخَالُ يَعْلُو خَدَّهُ نَقَطُ مِسْكِ ذَابٍ مِنْ طُرَّتِهِ^(١)
ذَاكَ قَلْبِي سُلَيْتَ حُبُّهُ فَاسْتَوَتْ خَالًا عَلَى وَجْنَتِهِ

وقال ابن منير: [من البسيط]

كَأَنَّ خَدَّيْهِ دِينَارَانِ قَدْ وُزْنَا وَحَزَرَ الصَّيْرِفِيُّ الْوَزْنَ وَاحْتَاظَا
فَخَفَّ إِحْدَاهُمَا عَنْ وَزْنِ صَاحِبِهِ فَحَطَّ فَوْقَ الَّذِي قَدْ خَفَّ قِيرَاظَا

وقال آخر: [من الكامل]

أُضْحَى لِيُوسُفَ فِي الْجَمَالِ خَلِيفَةً يَخْشَاهُ كُلُّ الْعَالَمِينَ إِذَا بَدَأَ^(٢)
عَرُجٌ مَعِي وَأَنْظُرُ إِلَيْهِ لِكَيْ تَرَى فِي خَدِّهِ عَلَمَ الْخِلَافَةِ أَسْوَدَا

وقال آخر: [من السريع]

كَمْ قُلْتُ لِلنَّفْسِ: إِلَيْهِ أَذْهَبِي فَحُبُّهُ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي!
مُهِفْهُ الْقَدْلَ لَهُ شَامَةٌ مِنْ عُنْبُرٍ فِي خَدِّهِ الْمُذْهَبُ
آيَسِنِي التَّوْبَةَ مِنْ حُبِّهِ طُلُوعُهُ شَمْسًا مِنَ الْمَغْرِبِ!^(٣)

وقال آخر: [من الكامل]

وَمُهِفْهُ مِنْ شَعْرِهِ وَجْبِينِهِ يَغْدُو الْوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِيَاءٍ^(٤)
لَا تَنْكُرُوا الْخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةِ سَوْدَاءٍ^(٥)

وقال آخر: [من الوافر]

لَهَيْبُ الْخَدِّ حِينَ رَأَتْهُ عَيْنِي هَوَى قَلْبِي عَلَيْهِ كَالْفَرَاشِ
فَأَحْرَقَهُ فَصَارَ عَلَيْهِ خَالًا وَهَا أَثَرُ الدُّخَانِ عَلَى الْحَوَاشِي!^(٦)

(١) النقط: البثرة، والطرّة: ما تطرّه المرأة من الشعر الموفي على جبهتها وتصفّفه.

(٢) يوسف: يراد به «يوسف النبي»، ابن يعقوب، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم «سورة يوسف، الرقم ١٢»، وكان غايةً في الحسن والجمال، كما ذكر القرآن الكريم.

(٣) آيس: من اليأس، أي أياسه.

(٤) الوري: الخلق، والمهفف: الرقيق المتمايل.

(٥) الشقيق: يريد ورد الشقيق: وهو وردٌ أحمر الزهر منقط بنقط سود، يقال له: شقائق النعمان.

(٦) الحواشي: الأطراف.

وقال آخر: [من البسيط]

بَدَا عَلَى خَدِّهِ خَالٌ يَزِينُهُ فزادني شَعْفًا منه إلى شَعْفِي^(١)
كَأَنَّ حَبَّةَ قَلْبِي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ طارت فقلتُ لها: في الخَدِّ منه قَفِي!

وقال آخر: [من المجتث]

خِيْلَانُ خَدِّكَ رَدَّتْ صحيحَ قَلْبِي مَرِيضًا
فِي الْعَيْنِ سُودٌ، وَلَكِنْ مَا زِلَنْ فِي الْقَلْبِ بِيضًا

وقال آخر: [من مخلع البسيط]

خَدُّكَ مِرَاةٌ كُلُّ حُسْنٍ يحسُنُ من حسنِها الصُّفَاتُ
مَا لِي أَرَى فَوْقَهُ نُجُومًا قَدْ كُشِفَتْ وَهِيَ نَيْرَاتُ؟

وقال آخر: [من السريع]

حَجَّتْ إِلَى وَجْهِكَ أَبْصَارُنَا طَائِفَةٌ، يَا كَعْبَةَ الْحُسْنِ!
تَمْسُحُ خَالًا مِنْكَ فِي وَجْنَةٍ كَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي الرُّكْنِ

وقال الأسعد بن بليطة^(٢): [من الكامل]

سَكَرَانُ لَا أَذْرِي - وَقَدْ وَافَى بِنَا - أَمِنَ الْمَلَاخَةَ أَمِ مِنَ الْجِرْيَالِ^(٣)
تَتَنَفَّسُ الصُّهْبَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ كَتَنَفَّسَ الرِّيحَانُ فِي الْأَصَالِ^(٤)
وَكَأَنَّمَا الْخِيْلَانُ فِي وَجَنَاتِهِ سَاعَاتُ هَجَرٍ فِي لَيَالٍ وَصَالٍ

ومما وصفت به على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول أبي الفتح كشاجم: [من

البسيط]

فَدَيْتُ زَائِرَةً فِي الْعِيدِ وَاصِلَةً لمستهام بها للوصل مُتَنْظِرٍ
فَلَمْ يَزَلْ خَدُّهَا رُكْنًا أَلُوذُ بِهِ وَالْخَالُ فِي صَحْنِهِ يُغْنِي عَنِ الْحَجَرِ^(٥)

(١) الشغف: الحب والولع.

(٢) الأسعد بن بليطة: هو الأسعد بن إبراهيم بن بليطة، تردّد على ملوك الطوائف، وهو فارس جحفل، وشاعر محفل. «انظر المغرب في حلى المغرب ١٧/٢».

(٣) الجريال: صبغ أحمر، والمراد هنا: الخمرة.

(٤) الصهباء: الخمر، واللهوات: مفردا اللّهاء، وهي اللّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم، والآصال: جمع أصيل، وهو وقت غروب الشمس.

(٥) الركن: أحد الجوانب التي يستند إليها الشيء ويقوم بها، ولاذ به: احتنى.

وقال العباس بن الأحنف: [من الطويل]

ومحجوبة في الخدر عن كل ناظر
ولو برزت، ما ضلّ بالليل من يسري^(١)
بخالٍ بذاك الخد أحسن منظرًا
من الثقطة السوداء في وضح البدر

ومما قيل في العذار^(٢)، فمن ذلك ما ورد فيه على سبيل المدح.

قال ماني الموسوس^(٣) عفا الله عنه ورحمه: [من الوافر]

وما غاضت محاسنه، ولكن
بماء الحُسن أورق عارضاه^(٤)
سمعت به فهمت إليه شوقًا
فكيف لك التصبر، لو تراه؟

وقال أبو فراس: [من الكامل]

من أين للرسل الغرير الأخور
في الخد مثل عذاره المتحدّر؟^(٥)
يا من يلوم على هواه سفاهة!
أنظر إلى تلك السوالف، تغدّر
قمر كأن بعارضيه كليهما
مسك تساقط فوق وزد أحمر

وقال ابن المعدل: [من مجزوء الكامل]

سالت مسایل عارض
فيه بنفسجا في وزده
فكأنه من حسنه
عبت الربيع بخده

وقال الخباز^(٦) البلدي: [من المنسرح]

وعارض مثل دارة البدر
دار بوجه كليله القدر
فلو تراه وحسن منظره
شهدت أن الجمال للشعر

(١) الخدر: ستر يمد للمرأة في ناحية البيت، وكل ما يستر.

(٢) العذار: جانب اللحية.

(٣) ماني الموسوس: هو محمد بن القاسم، من أهل مصر، يكتنأ أبا الحسن، شاعر لثين الشعر رقيقه، لم يقل شيئاً إلا في الغزل. «انظر الأغاني ١٩٠/٢٣، دار الكتب العلمية».

(٤) غاضت: خفيت وغابت، والعارض: جانب الوجه.

(٥) الرشا: الغزال، والغرير: الحسن الخلق، والأحور: الذي اشتد سواد عينه واشتد بياضها.

(٦) الخباز البلدي: هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، من بلدة يقال لها «بلد» من بلاد الجزيرة التي فيها الموصل.

وقال ابن المعتز: [من المديد]

وتكاد الشمس تُشبهه ويكاد البدر يحكيه
كيف لا يخضر عارضه ومياه الحُسن تسقيه؟

وقال محمد بن وهيب^(١): [من الوافر]

صُدودك في الوري هتك استتاري وساعده البكاء على اشتهاري^(٢)
ولم أخلع عذاري فيك إلا لما عاينت من حُسن العذار
وكم أبصرت من حُسن، ولكن عليك من الوري وقع اختياري

وقال أبو الفرج الوأواء: [من الطويل]

وشمس بأعلاه وليلان أسبلا بخذه، إلا أنها ليس تغرب
ولما حوى نصف الدجى نصف خده تحير حتى ما درى أين يذهب

وقال الخبز أُرزي: [من البسيط]

أنظر إلى العُنج يجري في لواحظه وأنظر إلى دَعَج في طَرَفه الساجي^(٣)
وأنظر إلى شَعرات فوق عارضه كأنهن نِمال سِرَن في العاج!^(٤)

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

وجه تكامل حُسنه لما تطرفه عذاره^(٥)
والسيف أحسن ما ترى ما كان مُخضراً غراره^(٦)

وقال الأمير سيف الدين المشد^(٧): [من مخلع البسيط]

ولائم في عذار بذير لم أستطع عن هواه مَيْلا

(١) هو محمد بن وهيب الحميري، أبو جعفر، شاعر مطبوع مكثّر، من شعراء الدولة العباسية، تقدّمت ترجمته. «انظر فهرس الأعلام ١٣٤/٧».

(٢) الصدود: الإعراض، وهتك الستر: خرقه وفضحه.

(٣) الساجي: الساكن.

(٤) الثمال: مفردا نملة، وهي حشرة خفيفة ضئيلة الجسم، والعاج: ناب الفيل.

(٥) تطرفه: أي تدلّى على حرفه ونهايته، والعذار: الشعر الذي ينبت محاذيًا للأذن.

(٦) الغرار: من السيف: حده.

(٧) الأمير سيف الدين المشد: هو عليّ بن عمر بن قزل التركماني المصري، سيف الدين، شاعر من أمراء التركمان، توفي بدمشق سنة ١٢٥٨ م. «فهرس الأعلام ٣١٥/٤».

فقلتُ، والدَّمْعُ في جُفُونِي لفَرِطٍ وجدي تسيل سَيْلًا
ضَلَلْتُ في خَدِّهِ نَهَارًا! كَيْفَ رشادي، وصار ليلاً؟
وقال أيضًا: [من الوافر]

ولَمَّا أن بدا في الخَدَّ شَعْرُ توقَّف عند منتَصِفِ العِذارِ
فقلتُ للائمي فيه: تعجَّب لنصف الليل في نصف النهار!
وقال أيضًا: [من الكامل]

ومُهْفَهفٍ يَحْمِي وُرُودَ رُضَائِهِ بصوارِمٍ سُلَّتْ من الأجفانِ^(١)
كتب العِذارُ بليقةً مِسْكِيَّةً في خَدِّهِ سَطَرًا من الرِّيحانِ^(٢)
وقال أيضًا: [من المتقارب]

يقولُ العَوَازِلُ لَمَّا بدا على خَدِّهِ شَعْرُ زَائِرٍ
ذَوَى وَرْدُ خَدِّهِ، قلت: أقصروا فنجِسُ الحَاظِهِ وإفِرًا!^(٣)
وقال آخر: [من المتقارب]

وقالوا: تسلَّى فقد شائهُ عِذارُ أراحك من صَدِّهِ
فقلت: وهِمتُم، ولكُنِّي خلَعْتُ العِذارَ على خَدِّهِ
وقال آخر: [من الطويل]

بروحي وقلبي ذلك العارضُ الذي غدا مِسْكُهُ فوق السَّوَالفِ سائلا
درى خَدُّهُ أَنِّي أَجْنُ من الهوى فأظهر لي قبل الجُنونِ سَلاسلًا
وقال آخر: [من الكامل]

أصبحتُ مأسورًا بغُنجٍ لحاظه ومقيَّدًا من صُدْغِهِ بسَلَّاسِلِ
حتَّى بدا سيفُ العِذارِ مجرَّدًا فخشيتُ منه، فقلتُ هذا قاتلي!
وقال آخر: [من الخفيف]

قالت: أسودَّ عارضاك بشَعرٍ وبه تَقْبُحُ الوجوهُ الجِسانُ!
قلتُ: أشعلتُ في فؤادي نَارًا فعلى عارضِيٍّ منه دُخانُ!

(١) الورد: أي إتيان الماء للشرب، والرَضاب: الريق، يريد أنه يمتنع عن العبث به بصوارم الأجفان والعيون.

(٢) الليقة: صوفة الدواة.

(٣) ذوى: ذبل، وأقصروا: أي كفوا وامتنعوا.

وقال آخر: [من السريع]

قلتُ، وقد أبصرته مُقْبِلًا وقد بدا الشَّعر على الخدِّ
صُعُودُ ذا النملِ على خده يشهد أن الرِّيق من شَهْدِ

ومثله قول الآخر: [من السريع]

قالوا: أَلْتَحَى، فَأَصَبُ إِلَى غَيْرِهِ! قلتُ لهم: لَسْتُ إِذَا أَسْلُوُ^(١)
لو لم يَكُنْ من عسلِ رَيْقِهِ ما دَبَّ في عارضه النملُ

وقال آخر: [من السريع]

عِذاره أَحْسَنُ ما فيه وتيهُهُ من أَحْسَنِ التَّيِّهِ^(٢)
في فَمِهِ الشَّهْدُ، فلا تَعْجَبُوا إن دَبَّ نملٌ بعذاريه

وقال آخر: [من الكامل]

أَصْلَى بنار الخدِّ عَثْبِر خاله فغدا العذارُ دُخَانُ ذاك العنبرِ^(٣)

وقال آخر (وقد تقدّم إirاده في صفاء الخد): [من الوافر]

أَعِذْ نَظْرًا، فما في الخدِّ نَبْتُ حماه الله من رَيْبِ المَنُونِ!
ولكن رَقَّ ماءُ الوجه حتَّى أراكُ مثالَ أَهدابِ الجُفُونِ

ومثله قول الآخر (وقد تقدّم إirاده): [من الطويل]

ولَمَّا استدارَتْ أَعْيُنُ الناسِ حَوْلَهُ تُلَاحَظُهُ كيف استَقَلَّ وسارا
تمثَّلت الأهدابُ في ماءِ وجهِهِ فظنُّوا خيالَ الشَّعر فيه عِذارا

وقال الحاجري^(٤): [من الطويل]

وما اخضَرَ ذاك الخدُّ نَبْتًا، وإنما لكثرة ما شُقَّت عليه المَرائِرُ^(٥)

(١) صبا يصبو: مال وعشق غيره، والسَّلَوُ: الصبر والسيان.

(٢) التَّيِّهِ: التكبر.

(٣) أصلى النار: أضرّمها، والعنبر: مادة صلبة تنبعث منها رائحة ذكية، إذا أحرقت.

(٤) الحاجري: هو عيسى بن سنجر بن بهرام، حسام الدين، شاعر رقيق الألفاظ، حسن المعاني، تركي الأصل من أهل إربل، ينسب إلى الحاجر من بلاد الحجاز، له ديوان شعر، قتل غدرا بأربيل سنة ١٢٣٥ م. «فهرس الأعلام ١٠٣/٥».

(٥) اخضَرَ: يقال اخضَرَ اللَّيْلُ أي اسودَّ، ونبت الخدُّ: أي الشعر والمرائر: جمع مرارة، وهي لحمـة=

وقال آخر: [من السريع]

يا لائمي في حُبِّ ذي عارض
يَمُوجُ ماء الحسنِ في وجهه
ما البَلْدُ الْمُخَصَّبُ كالماحلِ!
فَيَقْذِفُ العنْبَرَ في الساحلِ

وقال آخر: [من السريع]

ولَمَّا بَدَا خُطُّ العِذارِ بوجهه
تَغْلَغَلُ في قلبي هواه فلم أزلْ
كظُلْمة ليلٍ في ضياءِ نهار
خليعَ عِذارٍ في جَدِيدِ عِذارٍ^(١)

وقال آخر: [من البسيط]

قالوا: التحي، فامتحت بالشعر بهجته!
مَنْ كان مُنْتَظِرًا للصبر عنه به
فقلت: لولا الدجى لم يحسن القمر^(٢)
فإنني لغرامي كنت أنتظر
خطت يد الحسن منه فوق وجنته
هذي محاسن، يا أهل الهوى، آخر!

وقال آخر: [من الوافر]

وقلت: الشَّعر يُسَلِّيني هواه!
فَظَلْتُ لَشِقْوَتِي أَقْدِي وَأَحْمِي
ولم أعلم بأنَّ الشَّعرَ حَيْنِي^(٣)
سوادَ عِذاره بِسَوادِ عيني

وقال محمد بن عبد الله السلامي^(٤)، شاعر اليتيمة: [من المتقارب]

عذاركَ جاذت عليه الرِّيا
وطال غرامُ العَواني به
ضُ بأجفانها وبأماقها^(٥)
فقد طَرَزَتْهُ بأحداقها

وقال ابن سكرة الهاشمي^(٦): [من الخفيف]

وغزالٍ لولا نَمِيمَةُ شَعْرِ
شارِبٍ أَشْرَبَ الصُّبَابَةَ قَلْبِي
ذَكَرْتُهُ، لَقَلْتُ: إحدى الجَواري^(٧)
وعذارٌ خَلَعْتُ فِيهِ عِذارِي

= شبه كيس لازقة بالكبد تكون فيها الصفراء.

(١) تغلغل: دخل وانغرز، والخليع: المتهتك الماجن.

(٢) الدجى: ظلمة الليل.

(٣) الحين: الهلاك.

(٤) محمد بن عبد الله السلامي: من شعراء اليتيمة، تقدّمت ترجمته.

(٥) أماق العين: مفردتها «موق»، وهو مجرى الدمع من العين.

(٦) ابن سكرة الهاشمي: من شعراء اليتيمة، تقدّمت ترجمته.

(٧) النَمِيمَة: هي وسواس همس الكلام، والهمس والحركة، ونَمَّ الحديث: نقله ونَمَّ الحديث:

أظهره، والمراد هنا أنَّ شعره قد أظهر أنه ذكرٌ وليس أنثى. «انظر اللسان، مادة نم».

وقال آخر: [من البسيط]

قالوا: أَلْتَحَى وَسَتَسْلُو عنه، قلتُ لهم هل يحسنُ الروضُ ما لم يطلُعِ الزَّهْرُ؟
هلِ أَلْتَحَى طَرْفُهُ الساجي، فأهْجَرَه؟ وهل تَرْخَزَحَ عن أَلْحَاطِه الحَوْرُ؟

وقال أبو الفتح كُشاجم: [من الرَّمْل]

مَنْ عَذِيرِي مِنْ عِذَارِي قَمِيرٍ عَرَضَ الْقَلْبَ لِأَسْبَابِ التَّلَفِ؟^(١)
زَيْدٌ حُسْنًا وَضِيَاءٌ بِهِمَا فَهُوَ الْآنَ كَبَدِرٌ فِي سَدَفٍ^(٢)
خَمْسًا خَذِيهْ ثُمَّ انْعَطَفَا آهَ مَا أَحْسَنَ ذَاكَ الْمُنْعَطَفُ!
عَلِمَ الشُّعْرُ الَّذِي عَاجَلَهُ أَتَهَ جَارَ عَلَيْهِ، فَوَقَّفَ
فَهُوَ فِي وَفْقَتِهِ مَعْتَرِفٌ بِالتَّناهِي فِي التَّعْدِي وَالسَّرَفِ^(٣)
وقال آخر^(٤):

لا تَعْتَقِدُوا مَا لَاحَ فِي وَجْنَتِي شَعْرًا، غَلَطًا! مَا ذَاكَ مِنْ شِيْمَتِي!
بل ساكُنْ ماءَ الحَسَنِ قَدْ حَرَّكَه مَوْجُ قَذْفِ الْعَنْبَرِ فِي حَافَتِي
وقال عبد الله بن سارة الإشبيلي^(٥): [من الكامل]

وَمُعَذِّرٌ رَقَّتْ حَوَاشِي حُسْنِهِ فَقَلْبُونَا حَذَرًا عَلَيْهِ رِقَاقُ
لَمْ يُكْسَ عَارِضُهُ السَّوَادَ، وَإِنَّمَا نَفَضْتُ عَلَيْهِ صِبَاغَهَا الْأَحْدَاقُ

وقال أبو بكر الداني، شاعر الذخيرة: [من مخلَع البسيط]

بدا على خدِّه عِذارٌ في مثله يُعَذَّرُ الكَثِيبُ
وليس ذاك العِذارُ شَعْرًا لِكَيْتَمَا سِرُّهُ غَرِيبُ^(٦)
لَمَّا أَرَاكَ الدَّمَاءَ ظَلَمًا بَدَثَ عَلَى خَدِّهِ الدُّنُوبُ

(١) العذير: العاذر والتصير، والتلف: الهلاك. (٢) السُدَف: الظلمة.

(٣) السَّرَف: التجاوز في التعدي.

(٤) هذان البيتان من الأبيات الشعرية التي لا تخضع لقواعد العروض المعروفة ببحور الخليل الشعرية.

(٥) هو عبد الله بن سارة الإشبيلي، الشنتريني، أبو محمد، من القلائد، نادرة الدهر وزهرة الأيام، ولج مدينة الشعر من كل باب، سكن إشبيلية وتعيش فيها بالوراقة وتحول في بلاد الأندلس شرقًا وغربًا. «انظر المغرب في حلى المغرب ١/٤١٩، دار المعارف بمصر».

(٦) العذار: صفحة الخد.

وقال عبد الجليل الأندلسي: [من الكامل]

وَمُعْذِرِينَ كَأَنَّمَا بِخُدُودِهِمْ طُرُقُ الْعَيُونِ وَمَنْهَاجِ الْأَوْهَاجِ^(١)
وَكَأَنَّمَا صَقَلُوا الْجَمَالَ فَأَظْهَرُوا مَشْيَ الثَّمَالِ عَلَى مُتُونِ الْعَاجِ^(٢)

ومما وصف به العذار على طريق الظم، فمن ذلك ما قاله الوزير أبو المغيرة بن حزم^(٣)، عندما عُرِضَتْ عليه رسالة بديع الزمان^(٤) في الغلام الذي خطب إليه وُدّه بعد أن عُدّر، قال:

«ورد كتابك يَنْشُدُ ضَالَّةً وَدُنَا، وَيَرْزَعُ خَلْقَ^(٥) عَهْدِنَا، وَيَطْلُبُ مَا أَفَاءَتْهُ
جَرِيرَتِكَ^(٦) إِلَيْنَا، وَذَهَبَتْ بِهِ جَنَائِثُكَ عَلَيْنَا؛ أَيَّامَ غَصْنُكَ نَاصِرٍ، وَبَدْرُكَ زَاهِرٍ؛ لَا نَجِدُ
رَسُولًا إِلَيْكَ، غَيْرَ لَحْظَةٍ تَخْرِقُ حِجَابَ الدُّمُوعِ، أَوْ زَفْرَةٍ تُقِيمُ مُنَادَ^(٧) الضُّلُوعِ؛ فَإِنْ
رُمْنَا شَكْوَى يَنْقُثُ بِهَا مَصْدُورُنَا، وَيَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا مَهْجُورُنَا؛ لَقِينَا دُونَهَا أَمْنَعُ سَدٍّ، وَأَقْبَحُ
كَفٍّ وَصَدٍّ، وَأَفْدَحُ^(٨) رَدٍّ».

وفي فصل منها:

«حَتَّى إِذَا طَفِئَتْ تِلْكَ النَّيرانُ، وَانْتَصَفَ لَنَا مِنْكَ الزَّمَانُ؛ بِشَعْرَاتٍ أَغْشَتْ^(٩)
هَلَالَكَ كُسُوفًا، وَقَلَبَتْ دِيبَاجَكَ^(١٠) صُوفًا؛ وَأَعَادَتْ نَهَارَكَ لَيْلًا، وَنَاحَتْ عَلَيْكَ تَلَهُفًا

(١) المنهج: الطريق، والأوهاج: مفردها «وهج» وهو اتقاد النار أو انتشار الطيب.

(٢) الصقل: يقال صقل السيف: جلاه، والمتون: مفردها «متن» وهو الظهر، ومتن الشيء: ما ظهر منه، والعاج: ناب الفيل.

(٣) ابن حزم: هو عبد الوهاب بن أحمد بن سعيد، أديب أندلسي، من الكتاب، من أهل قرية الزاوية، كتب عند عدة ملوك، وألف تأليف، واتسعت ثروته، مات شاباً سنة ١٠٤٦ م. «فهرس الأعلام ١٧٩/٤».

(٤) بديع الزمان الهمذاني: هو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، أبو الفضل، وأحد أئمة الكتاب، له «المقامات»، كان قوي الحافظة، يضرب المثل بحفظه، وله ديوان شعر ورسائل عدة، توفي في هرة سنة ١٠٠٨ م. «فهرس الأعلام ١١٥/١».

(٥) الخلق: البالي. (٦) الجريرة: الذنب.

(٧) تقيم مُنَاد الضلوع: أي ما اعوج منها.

(٨) أفدح بالفاء من فدح الأمر بهظ وصعب وكان ثقيلًا لا يحتمل.

(٩) أغشّت: غطّت.

(١٠) الديباج: الحرير، أو ثوب سُداه ولحمته من الحرير.

وَوَيْلًا؛ وأطَارَ حَمَامَكَ غَرَابُكَ، وحَجَبَ ضِيَاءَكَ ضَبَابُكَ؛ فصارَ غُرْسُكَ مَأْتَمًا، وعَادَ وَصْلُكَ مُحَرَّمًا، قال القائل: [من المتقارب]

وَبِتُّ مُدَامًا تُسِيرُ النَزِيفُ فَأَصْبَحْتَ تُجْرِعُ خَلًّا ثَقِيْفًا^(١)
وَصَرْتَ حِجَازًا جَدِيبَ المَحَلِّ وقد كُنْتَ لِلطَّالِبِ الخِضْبَ رِيْفًا^(٢)

«أقبلتُ تتسَلَّلُ إلينا لَوَادًا»^(٣)، وتطلَّبَ مِنَّا عِيَادًا؛ قد أنساكَ ذُلُّ العزل عِزَّ الولاية، وأولاك طَمَعًا نِسْيَانًا تِلْكَ الجَنَاية؛ أَيَّامَ ترشُّقنا سَهَامَ الحَاظِكِ رَشْقًا، وتقتُلنا سَيُوفُ ألفاظك عِشْقًا؛ وتُؤَيِّسُ غَصَبًا، فتثيرُ حُزْنًا؛ وتطلُّعُ شَمْسًا، فتفتَّتَ نَفْسًا.

«فالآن نلقاك بدمع قد جَفَّ، ووجد قد كَفَّ؛ وعزاء قد أَبَدَ»^(٤)، وصبر قد أغار وأنجد؛ وننظر منك إلى روض قد صَوَّحَ»^(٥)، وسار قد أصبح؛ وأعجم قد أفصح، ومُبْهَمٌ قد صرَّح؛ فلا شكَّ قد رُفِعَ الغِطاء، ولا إفكٌ^(٦) قد بَرِحَ الخفاء، ولا لومٌ قد وَقَعَ الجزاء؛ وهَلَّا ذكرت المَثَل الممتَّهَن «الصَّيْفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ!»^(٧)، ونسيتُ من أحرقت قلبه صَدًّا، وأقلقت جنبه رَدًّا؛ وملأت جوانحه نازًا، وتركتُ نومه غِرَارًا»^(٨)؛ أن يُوفِيكَ قَرْضًا، ويجازيك حتَّى ترضى؛ حين نُكْسَ عِلْمُكَ، وعثرت قدمُكَ؛ وضاحت طُرُقُكَ، وأظلم أفقُكَ؛ وهوى نجمُكَ، وخاب قِدْحُكَ، وفُلٌّ سيفُكَ، وحُطْمٌ رُمْحُكَ؛ فأطوِ ثوبَ وصلك فلا حاجة لنا إلى لباسه، وأزُوِ»^(٩) طارقَ شخصيك فلا رغبة لنا في إيناسه؛ فما يشتهي اليومَ زيارةَ رَمْسٍ، مَنْ زَهْدَ فيه

(١) التَّزْيِفُ: السكران، والخلُّ: ما حمض من عصير العنب أو نحوه، وثَقِيْفًا: يريد الخلَّ المنسوب إلى ثَقِيْفٍ، وثَقِيْفٌ حَيٌّ من قيس أو قبيلة، وقد تُقْفُ الخلُّ ثقافةً وثَقِيْفٌ، فهو ثَقِيْفٌ وثَقِيْفٌ، بالتشديد، الأخيرة على النسب: حَذَقٌ وَحَمُضٌ جَدًّا مثل بصلٍ حَرِيفٍ «اللسان مادة ثقف».

(٢) الحِجَاز: قال الأصمعي: ما احتزمت به الحرار، حَزَّةٌ شُورَانٌ وحَزَّةٌ لَيْلَى وحَزَّةٌ وَاقِمٌ وحَزَّةٌ النَّارِ وعامة منازل بني سليم إلى المدينة، فذلك الشَّقُّ كُلُّهُ حِجَازٌ، وقال أبو بكر الأنباري: في الحِجَاز وجهان: يجوز أن يكون مأخوذًا من قول العرب: حَجَزَ الرَّجُلُ بَعِيرَهُ، يحجزه: إذا شَدَّه شَدًّا يقيِّده به، ويقال للحبل: حِجَازٌ، ويجوز أن يكون سُمِّيَ حِجَازًا لأنه يحتجر بالجبال. «معجم البلدان ٢/٢١٨». والحِجَاز هنا: الأرض الجذباء.

(٣) لَوَادًا: تَسْتَرًا. (٤) أَبَدَ: خَلَّدَ.

(٥) صَوَّحَ: ييس وتَشَقَّقُ. (٦) الإفك: الكذب.

(٧) الصَّيْفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ: مثلٌ يضرب لمن يطلب شيئًا قد فَوَّته على نفسه، ويروى: في الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ، «انظر مجمع الأمثال للميداني ٨٣/٢، دار الكتب العلمية».

(٨) الغرار: القليل من التوم.

(٩) ازو: فعل أمر من زوى أي اصرف وابعد، والطارق: الشخص: الزائر ليلاً.

أمس». قال: [من البسيط]

«حانت منيته فاسودَّ عارضه مما تُسودُّ بعد الميِّت الدارُ
يا من نعتُه إلى الإخوان لحيته أدبرت، والناس إقبالٌ وإدبارُ!
فيا لذهرٍ مضى ما كان أحسنه! إذ أنت ممتنعٌ والشَّرْطُ دينارُ
أيَّامٍ وجهُك مصقولٌ عوارضه وللرياض على خديك أنوار!»

وقال علي بن نصر الكاتب^(١) تعزية لمن طلعت لحيته:

«لكل حادثة يفجع بها الدهر - أحسن الله معونتك - حدٌ من القلق والالتياح،
ومبلِّغٌ من التحرق والارتياح؛ تستوجب فتناً من التعزية، وتستحق نصيباً من العظة
والتسلية؛ والاختصار فيها لما قرب خطبه وشانه، والإكثار لما جلَّ محلّه ومكانه».

«ومُصَابُك هذا - أعانك الله - في بياض عارضك لما أسودَّ، كمُصَابُك في سواده
إذا ابيضَّ، والألم ببياض رَوْضه جَمِيمًا^(٢)، نظير الألم به يوم يعود هَشِيمًا^(٣)».

«فليس أحد يدفع عظيمَ النازل بك، ولا يستصغر جسيمَ الطارق لك؛ وإن كان
ما يتعقّبه من المشيب أقذى^(٤) للعيون».

«التفتت عنك النواظر، وكانت ملتفتة إليك، ووقفت عنك الخواطر، وكانت
موقوفة عليك؛ وصيرك قَدْى الأجفان وكنت جَلَاها^(٥)، وجعلك كُرْبَةَ النفوس وكنت
هواها؛ وأبدلك من أنس التقبل، وحشة التنقل؛ وعوّضك من رقة الترفرف، كلفة
التأفف؛ فتبارك الله الذي صرف عنك الأبصار، ونقل فيه الأطوار!...^(٦) فعويلاً دائماً
وبكاء! وعزاء عن الذكر الجميل عزاء! فلكلّ أجل كتاب، وعلى كل جائحة^(٧)
ثواب».

(١) علي بن نصر الكاتب: هو محمد بن علي بن نصر الشعلبي، أبو الحسن، أديب، من أهل بغداد، له كتاب «المفاوضة»، قال ابن خلكان: وهو من الكتب الممتعة في ثلاثين كراسة، وله رسائل، ولد ببغداد، ومات بواسط سنة ١٠٤٥ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٢٧٥».

(٢) الجميم: الكثير المجتمع من كل شيء.

(٣) الهشيم: الضعيف البدن، واليابس من كل شيء.

(٤) أقذى: من القذى؛ وهو ما يتكوّن في العين من رمصٍ وغمصٍ وغيرها.

(٥) جلاها: أي صقالها، وجلا الشيء: صقله.

(٦) الأطوار: مفرداها «طور» وهو الحال والهيئة.

(٧) الجائحة: المصيبة تحلّ بالرجل.

«ولقد استوفيت أمد الصُّبا والصِّبابة، واستنبتت الحسرة عليها والكآبة، فرزيتك راسية والرزايا سوائر^(١)، ومصيبتك ثابتة والمصائب عوائر^(٢)، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٥٦]».

«ثم لا حيلة، فإنها الأيام التي لا تثبت على حالة، ولا تعرف غَيْرَ التنقل والاستحالة! فأجرك الله في وجه نَضَبِ ماؤه، وذهب رَوَاؤه^(٣) ومات حياؤه! وفي ضيعة استأجم^(٤) برُّها، واستدغل^(٥) نَوْرُها؛ وأسبغ طريقها، واتسعت ثَنُوفُها^(٦)! وفي جاه كان عامراً فخرَّب، ودخل كان وافراً فذهب، وتذكار كان واصلاً إلى القلوب فحُجِب! فأصبحت مسبوق السُّكيت، وظللت حياً وأنت الميت؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله من مَحَنٍ دُفِعَتْ إليها، ولم تُعَنْ بحالٍ عليها».

«وقد يشغل الإنسان عن نوائبه المشاركون فيها، ويسلِّيه عنها المساهمون في مَعْنَى معانيها؛ وأنت من بين هذه المنزلة لا شريك لك، فإنهم يعتاضون عنها ولست بمعتاض، ويركضون للعيش ولست برُّكَّاض. والدهر يطوي محاسنك طيَّ السَّجَلِ^(٧) كتابه، وينشر مقابحك نشر اليماني^(٨) أثوابه. ويملُّ الطرف رؤيتك فلا يُفِيْق عليك جفنًا، ويمجُّ السمع ذكرَكَ فلا يجد عنده أذنًا».

ومنها:

«وقد جعلت رُقعتي هذه جامعةً بين البكاء عليك والأنين، وناظمةً بين العزاء والتأبين. لها حلاوة النثر، وعليها طلاوة الشعر. نتجتها قريحةً عليك، ونسجتها خواطر خاطرت إليك؛ تخفَّف غرامك والناس مشاغيلُ بتثقيله، وتكرم مكانك والإجماع واقع على تهوينه، فإن عرفت لي ذاك، وإلا عرفه الصُّدُق؛ وإن شكرته، وإلا شكره الحق».

«والسلام عليك من أسير لا يخلص بالفدية، وقتيل بسيف السُّبَالِ^(٩) واللَّحْية».

(١) الرّاسية: الثابتة المقيمة، والرّزايا: المصائب، وسوائر: متنقلة.

(٢) العوائر: مفردها عائرة، وهي الكثيرة والعظيمة.

(٣) ذهب رواؤه: أي ذهب شبابه ونضرتة.

(٤) استأجم: أصبح كالأجمة، والأجمة: الشجر الكثير الملتف.

(٥) استدغل: أصبح كاللدغل، وهو الشجر الكثير الملتف الذي يُتَوَارَى فيه للختل والغيلة.

(٦) الثَنُوف: الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس. (٧) السَّجَل: الكتاب والصحيفة.

(٨) اليماني: نسبة إلى اليمن، ويريد: نشر البرود اليمانية، وهي معروفة ومشهورة.

(٩) السُّبَال: مفردها «السُّبلة» وهي طرف الشارب من الشعر، أو مقدّم اللّحية.

وقال الصنوبري: [من الخفيف]

ما بدت شجرةً بخدك إلا
أنت بدرٌ جئى الخسوف عليه
فأسوداد العذار بعد ابضاض
كابيضاض العذار بعد أسوداد

وقال آخر: [من مخلع البسيط]

أضبح نخسا - وكان سغدا -
بكى على حُسنه زمانا
لو نبت الشجرُ في وصال
لما رأى الشجرُ قد تبدى^(١)
لعاد ذاك الوصال صدا!

وقال الخبزأرزي: [من المتقارب]

بدا الشجرُ في وجهه، فانتقم
وما سلط الله نبت اللحي
توخشت العين في وجهه
إذا اسود فاضل قرطاسه
لعماسقه منه لما ظلم
على المرد إلا زوال النعم^(٢)
وحق لها وحشة في الظلم
فما ظنه بمجاري القلم؟^(٣)
ن إلا وأسفله كالحمن^(٤)
ولم يغل في خده كالدخا

وقال التنوخي^(٥): [من السريع]

قلت لأصحابي، وقد مرّ بي
بالله، يا أهل وداي! قفوا
مُنْتَقِبًا بعد الضيا بالظلم^(٦)
كَي تُبْصِرُوا كَيْفَ زَوَالِ النِّعَمِ!^(٧)

(١) تبدى: ظهر.

(٢) المرد: مفردهما أمرد، وهو الفتى الذي بلغ ولم تبدُ لحيته بعد.

(٣) القرطاس: الصحيفة التي يكتب فيها، ويريد: صفحة الوجه البيضاء.

(٤) الحمن: الفحم.

(٥) التنوخي: هو أبو القاسم علي بن محمد بن داود بن فهم التنوخي، من أعيان العلم والأدب وأفراد الكرم وحسن الشيم، تقلد قضاء البصرة، واتصل بسيف الدولة الحمداني، فأكرمه. «يتيمة الدهر ٣٩٣/٢».

(٦) المنتقب: الذي وضع على رأسه الثقاب، وهو القناع.

(٧) في اليتيمة ص ٤٠٤: «كيف تزول النعم».

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي^(١) في ملتج: [من الكامل]
 ما للعذار، وكانَ وَجْهُكَ قِبْلَةً قد خَطَّ فيه من الدُّجَى مِخْرَابًا
 وإذا الشَّبَابُ - وكان ليس بخاشع - قد خَرَّ فيه رَاكِعًا، وَأَنَابًا^(٢)
 وقال أيضًا: [من الكامل]

وافى بأوله صحيفةً صَفْحَةً جعل العِذارُ بها يَسِيلُ مِدَادًا
 مُتَجَهِّمًا تُكَلِّ الشَّبَابُ كَأَنَّمَا لَيْسَ العِذارُ على الشَّبَابِ حِدَادًا^(٣)
 وقال عمر المطوعي، من شعراء اليتيمة: [من الوافر]

غَدَا - مُنْذُ اتُّحَى - لَيْلًا بِهِيمًا وكان كَأَنَّهُ القَمَرُ المُنِيرُ
 فقد كَتَبَ السَّوَادُ بَعَارِضِيهِ لمن يقرأ: «وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ»
 وقال عبد الجليل الأندلسي، من شعراء الذخيرة: [من الوافر]

وأمرَدَ يَسْتَهِيْمُ بكلِّ وإِدٍ وَيَنْصِبُ لِلْحَشَا خِذَا صَلِيْبًا^(٤)
 دعوتُ دُعَاءٍ مَظْلُومٍ عَلَيْهِ وكان الله مُسْتَمِعًا مُجِيبًا
 فَطَوَّقَهُ الزَّمَانُ بِمَا جَنَاهُ وَعَلَّقَ مِنْ عِذَارِيهِ الذُّنُوبَا



ومما قيل في العُتُق، يقال:

الجَيْدُ، طولها - التَّلْعُ، إشرافها - الهَنَعُ، تطامئُها^(٥) - العَلَبُ، غِلْظُها -
 البَتْعُ، شِدَّتُها - الصَّعَرُ، ميلُها - الوَقْصُ، قِصْرُها - الخَضْعُ، خُضُوعُها - الحَدَلُ،
 عوجُها.

(١) إبراهيم بن خفاجة الأندلسي: هو إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الهواري الأندلسي، شاعر غزل، من الكتاب البلغاء، غلب على شعره وصف الرِّياض ومناظر الطبيعة، له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ١١٣٨ م. «فهرس الأعلام ٥٧/١».

(٢) أناب: تاب ورجع إلى رشده.

(٣) المتجهّم: المقطّب الوجه والجبين من حزن أو غضب، والثكل: فقد الحبيب.

(٤) الحشا: ما انضمت عليه الضلوع، والصليب: الممتلىء لحمًا وشحمًا، أو الخد الذي أحرقتة الشمس فبدت حمرة شديدة.

(٥) التطامن: الانخفاض والسكون.

وقال دِغْبَل^(١): [من الوافر]

أَتَاخَ لَكَ الْهَوَى بِيضَ حِسَانٍ سَلَبْنِكَ بِالْعُيُونِ وَبِالْثُحُورِ
نَظَرْتُ إِلَى الثُّحُورِ فَكِدْتُ تَقْضِي فَأُولَى لَوْ نَظَرْتُ إِلَى الْخُصُورِ

وقال قيس بن الخطيم^(٢): [من الطويل]

وَجِيدٌ كَجِيدِ الرِّيمِ صَافٍ يَزِينُهُ تَوَقَّدُ يَاقُوتٌ وَقْضُلُ زَبَرْجَدٍ^(٣)
كَأَنَّ الثَّرِيًّا فَوْقَ ثُغْرَةٍ نَخَرَهَا تَوَقَّدُ فِي الظُّلْمَاءِ أَيُّ تَوَقَّدٍ^(٤)

ومما قيل في اليد إذا باشرت^(٥) وما يعلّق بها، يقال:

من اللحم عَمِرة، ومن الشحم زَهْمة، ومن السمن نَسِمة، ومن الزبد وَصِرة،
ومن الجبن نَشِمة، ومن اللبن مَذقة، ومن البيض زَهْكة، ومن السمك صَمِرة، ومن
الزيت قَنِمة، ومن الخمر عَتِكة، ومن الخل خَمِطة، ومن العسل ونحوه لَزِجة، ومن
الطبيب عَطِرة، ومن الغالية^(٦) عَبِقة، ومن الزعفران رَدِعة، ومن العنبر لَطِخة، ومن
الخلوق^(٧) ضَمِخة، ومن الحنّاء قَنِنة، ومن الدّم ضَرْجة، ومن الماء بَلِلة، ومن الطين
لَيْثقة وِرْدِعة، ومن البرد صَرِدة، ومن التراب كَثِية وَعَضِرة، ومن القار^(٨) حَلِكة، ومن
الفحم حَمِمة، ومن المداد طَرِسة، ومن الحديد سَهِكة، ومن الفضة سَبِكة، ومن
الذهب نَضِرة، ومن النار شَعِلة، ومن الرياحين فَوِحة، ومن البقل زَهْرة، ومن الفاكهة
الرطبة لَزِقة، ومن اليابسة فَكِهة، ومن العمل مَجِلة ونَفِطة، ومن الخُسونة شَيْنة وثَفِنة،

(١) هو دِغْبَل بن علي الخزاعي، أبو علي، شاعر هجاء، أصله من الكوفة، شعره جيّد، له ديوان شعر، توفي بعد أن طال عمره ببلدة تدعى «الطيب» سنة ٨٦٠ م. «فهرس الأعلام ٣٣٩/٢».

(٢) هو قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، ومات قبل أن يدخل فيه، له ديوان شعر، مات سنة ٦٢٠ م. «فهرس الأعلام ٢٠٥/٥».

(٣) الياقوت: حجر كريم شفاف صلب، ذو ألوان مختلفة منها الأحمر والأزرق والأصفر والأخضر، والزبرجد: حجر كريم يشبه الزمرد، والجيد: العنق، والزيم: الغزال.

(٤) الثريا: مجموعة من النجوم في صورة الثور، وثغرة النحر: نقرته.

(٥) باشرت: لامست، أو بدا عليها أثر الشيء.

(٦) الغالية: الطيب، أو أخلاط منه كالمسك والعنبر.

(٧) الخلق: ضرب من الطيب.

(٨) القار: الرّفت، مادة سوداء تطلّى بها السفن والجمال وغيرها.

ومن الشوك مَشْطَة وشَطِيَّة، ومن الحطب حَزِمَة، ومن الرمح كَعْبَة، ومن الصولجان لَعْبَة، ومن العجود سَيْطَة، ومن العطية مَنِحَة، ومن البخل جَعِدَة، ومن المنع لَحْزَة، ومن العدم تَرِبَة، ومن الرز زَنَخَة، ومن الصابون حَفرة، ومن الفِرصاد^(١) قَانِيَة، ومن الرجيع^(٢) قَيْمَة، ومن كل القاذورات قَذِرَة، ومن الوسخ دَرَنَة اهـ.

ومما مُدِّحت به أليدُ، قال مؤيد الدين الطُّغرائي: [من الكامل الأحذ]

ويَدِ تُمِدُّ المَالَ راحَتُها أبداً، ويَغْمُرُ ظَهْرَها القُبْلُ
إِنْ ضَنَّ غَيْثٌ أَوْ خَبَا قَمَرٌ فَجَبِيئُهُ وَيَمِيئُهُ البَدَلُ^(٣)

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهاني: [من السريع]

قالوا: بَدَثَ عَارِضَةٌ - لا بَدَثَ! - في كَفِّ ذَاكَ السَّيِّدِ الأَوْحِدِ
راحَتُهُ راحَةٌ مِنْ يَجْتَدِي وكَفُّهُ كَفُّ الَّذِي يَغْتَدِي^(٤)
فَلا أَصَابَتْ يَدَهُ آفَةٌ! فكم يَدِ عِنْدِي لَتلك اليَدِ!^(٥)

وقال ابن دُرَيْد^(٦): [من الكامل]

يا مَنْ يَقْبَلُ كَفَّ كُلِّ مُمَخْرِقٍ هذا ابن يحيى ليس بالمَخْرَاقِ!^(٧)
قَبْلُ أَنامِلُهُ، فَلَسَنُ أَنامِلَا لكنهنَّ مَفاتِحُ الأَرْزاقِ!

وقال إبراهيم بن العباس بن محمد^(٨): [من مجزوء المتقارب]

لفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تقاصَرَ عنها المَثَلُ^(٩)

(١) الفِرصاد: صَيْغُ أحمر.

(٢) الرَجِيع: الزَّوْث.

(٣) ضَنَّ: بخل، وخبا: غاب، والبذل: العوض.

(٤) يجتدي: يسأل الحاجة، والزَّاحَة: الكَفُّ أو باطن الكَفِّ الذي لا يَنْبِت فيه الشعر.

(٥) الآفَة: المصيبة، فكم يَدِ عِنْدِي لتلك اليَدِ: يريد أن لها حقوقاً عليه.

(٦) ابن دريد: هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تقدت ترجمته. «انظر فهرس الأعلام ٦/٨٠».

(٧) الممخرق: الرَّجُل الطويل الحسن الجسم، والمخراق هنا: الكاذب والجاهل.

(٨) هو إبراهيم بن العباس بن محمد الصولي، أبو إسحق، كاتب العراق في عصره، وشاعر مجيد، توفي سنة ٨٥٧ م. «فهرس الأعلام ١/٤٥».

(٩) هو الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس، وزير المأمون، ويلقب بذئ الرياستين «الحرب والسياسة» كان حازماً عاقلاً فصيحاً، قُتل غيلة في الحمام سنة ٨١٨ م. «فهرس الأعلام =

فباطئها للئدى	وظاهرها للقبيل
وبسطئها للغنى	وسطوئها للأجل ^(١)
وقال ابن الرومي: [من الكامل]	
فأمذد إلي يدا تعود بطنها	بذل الثوال، وظهرها التقبيل
وقال أبو نؤاس: [من السريع]	
يا قمرًا، أبرزة مآتم	يئذب شجوا بين أثراب ^(٢)
ينكي فيذري الدر من نرجس	ويلطم الورد بعُئاب ^(٣)
وقال الناشي ^(٤) : [من الكامل]	
من كف جارية كأن بنائها	من فضة قد طرفت عُبابا
وكان يُمنها إذا نطقت بها	تُلقي على يدها الشمالِ حسابا
وقال الرازي بالله: [من الكامل]	
قالوا: الرجيل! فأنشبت أظفارها	في خدها، وقد اعتلقت خضابا
فاخضر تحت بنانها فكأنها	غرست بأرض بنفسج عُبابا
وقال ابن كيغلغ ^(٥) : [من الكامل]	
لما اعتنقنا للوداع وأعربت	عبرائنا عنا بدمع ناطق ^(٦)
فرقن بين معاجر ومحاجر	وجمعن بين بنفسج وشقائق ^(٧)

= ١٤٩/٥. وتقاصر عنها المثل: أي لم يستطع أن يجد لها أوصافًا تشبهها.

(١) البسطة: كناية عن العطاء، ويسط كفه: فتحها عكس «قبضها»، والسطوة: البطش، والأجل: الموت.

(٢) شجوا: حزنا، والأثراب: الأصحاب في سن واحد.

(٣) يذري: يذرف، والورد هنا: الخدود، والعتاب: كناية عن أصابع الكف.

(٤) الناشي: هو علي بن عبد الله بن وصيف، أبو الحسن المعروف بالناشيء الأصغر، شاعر مجيد من أهل بغداد، قصد سيف الدولة، مات سنة ٩٧٦ م. «فهرس الأعلام ٣٠٤/٤».

(٥) ابن كيغلغ: هو منصور بن كيغلغ من أولاد أمراء الشام، شاعر رقيق النظم، ذكره صاحب اليتيمة وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٢٤٤/٣، توفي نحو سنة ٩٦٠ م. «فهرس الأعلام ٧/٣٠٣».

(٦) أعربت: أظهرت وأفصحت.

(٧) المعاجر: مفردها «العجار» ثوب تلقه المرأة على استدارة وجهها. والمحاجر: ما أحاط بالعين.

وقال كُشاجم: [من الطويل]

فما أنسها، لا أنس منها إشارة بسبابة اليمنى إلى خاتم القم!
وأعلنت بالشكوى إليها فأومأت جذرا من الواشين أن لا تكلم
فلم أر شكلا واقعا فوق شكله كعنابة تومي بها فوق عندي^(١)

ومما قيل في النهود، يُقال:

تُدوة الرجل، تُذي المرأة، خُلف الناقة، ضُرع الشاة والبقرة، طُبِي الكلبة.

قال ابن الرومي: [من الوافر]

صُدرَ فوقهنَّ حِقاقُ عاجٍ وحَلِي زائهُ حُسْنُ اتِّساقِ!^(٢)
يقولُ الناظرونُ إذا رأوها أهذا الحَلِي من هَلِذي الحِقاقِ؟
وما تِلْكَ الحِقاقُ سِوى تُدِي قُدرنَ من الحِقاقِ على وفاقِ^(٣)
نَواهِدُ لا يُعدُّ لهنَّ عَيْبٌ سِوى مَنعِ المُحبِّ من العِناقِ

وهو مأخوذ من قول بعض الأعراب: [من الكامل]

أَبَتِ الرّوَادِفُ والثُّدِي لَقَمَصُها مَسَّ البُطونَ، وأن تَمَسَّ ظُهُورًا^(٤)

وقال محمد بن مبادر: [من المديد]

ولها تُذيانِ ما عَدَوا من حِقاقِ العاجِ أن كَعَبًا^(٥)
فُسيَمَتِ رِضْفَيْنِ دِغَصَ نَقَا وقَضِيبا لَأَنَّ، فاضْطَرَبَا^(٦)

(١) الشَّكْل: صورة الشيء وهيئته أو المثل والشبيه، والعناب: ثمر أحمر حلو لذيق الطَّعم على شكل ثمرة التِّيق، والعندم: نبات يصنع به.

(٢) الحِقاق: مفردا «حق» وهو وعاء صغير يتخذ من عاجٍ أو زجاج، وتوضع به أنواع الطَّيب، والاتِّساق: النظام والمماثلة.

(٣) قُدرن: جُعلن، وقدر الله عليه الأمر: أي حكم به عليه، وقدر الرزق: قسمه.

(٤) الروادف: مفردا ردف وهو الكفل، والقمص: مفردا قميص وهو الشَّعار تحت الدَّثار، يريد أن الأرذاف الممتلئة والنهود البارزة منعت القميص أن يمسَّ صفحة البطن الضامرة.

(٥) ما عدوا: ما تجاوزوا، وكعب النهد: برز في صدر الفتاة.

(٦) الدَّعَص: الكثيب، والثَّقَا: القطعة من الرَّمْل المحدوبة، يريد: لأن قوامها ودق، وعظمت أَرادفها.

وقال عبد الله بن أبي السَّمُط بن مَرْوَانَ^(١): [من المتقارب]

كَأَنَّ الثُّدِيَّ إِذَا مَا بَدَتْ وَزَانَ الْعُقُودُ بِهِنَّ الثُّحُورَا
حِقَاقٍ مِنَ الْعَاجِ مَكْنُونَةٌ يَسْغَنَ مِنَ الدَّرِّ شَيْئًا كَثِيرَا

وقال علي بن الجَهْم: [من الرَّمْل]

كَنتُ مُشْتَقًّا وَمَا يَحْجُزُنِي عَنْكَ إِلَّا حَاجِزٌ يَمْنَعُنِي
شَاخِصٌ فِي الصَّدْرِ، غَضْبَانٌ عَلَى قَبَبِ الْبَطْنِ وَطِيَّ الْعُكَنِ^(٢)
يَمَلَأُ الْكَفَّ وَلَا يَفْضُلُهُ وَإِذَا أَثْنَيْتَهُ لَا يَنْثُنِي

وقال ابن الرومي: [من الخفيف]

مَلَقَمَاتٌ أَطْفَالُهُنَّ تُدِيَا نَاهِدَاتٍ كَأَحْسَنِ الرُّمَانِ^(٣)
مُفْعَمَاتٌ كَأَنَّهَا حَافِلَاتٌ وَهِيَ صِفْرٌ مِنْ دِرَّةِ الْأَلْبَانِ^(٤)

وقال ابن المعتز: [من المتقارب]

قَبِيحٌ بِمِثْلِكَ أَنْ تَهْجُرِي وَأَقْبَحُ مِنْ ذَاكَ أَنْ تُهْجُرِي
أَقَاتِلَنِي بِفُتُورِ الْجُفُونِ وَرُمَانَتَيْنِ عَلَى مِثْبَرِ
كُحْقَيْنِ مِنْ لُبِّ كَافُورَةٍ بِرَأْسَيْهِمَا نُقْطَتَا عَنبرِ!



ومما قيل في البطن، يقال:

الدَّحْل، عِظْمُهُ - الْحَبْن، خُرُوجُهُ - الثَّجَل، اسْتِرْحَاؤُهُ - الْقَمَل، ضَحْمُهُ -
الضُّمُور، لَطَافَتُهُ - الْعَجَرُ وَالْبَجَرُ، شُخُوصُهُ^(٥) - التَّخْزُخْرُ، اضْطِرَابُهُ.

(١) عبد الله بن أبي السَّمُط بن مروان: لعله مروان بن أبي حفصة، الذي يكنى أبا السَّمُط لبيتِ قَالِه، وهو شاعر مفلح مدح معن بن زائدة الشيباني، وهلك في زمن الرشيد سنة ١٨٢ هـ. «المؤتلف والمختلف» للآمدي ص ٣٩٦، دار الكتب العلمية.

(٢) شاخص: بارز، والقبيب: ضمور البطن ودقة الخصر، والعكن: مفردا «عكنة» وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمًا.

(٣) ملقعات: أي مرضعات.

(٤) المفعم: المليء، وهي صفر: أي خالية، والدرة: ما يدره ثدي المرضع من لبن.

(٥) الشخوص: ما عظم وضحخم وبرز.

قال محمد بن مبادر: [من مخْلَع البسيط]

والبَطْنُ ذُو عُكْنَةٍ لَطِيفٌ صِفْرٌ وَشَاحَاهُ جَائِلَانِ^(١)
أَشْرَفَ مِنْ فَوْقِهِ عَلَيْهِ ثُدَيَانِ مَيْلَانِ نَاهِدَانِ

ومما قيل في الأرداف والخصور، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

فمنه قول عبد الله بن طاهر^(٢): [من السريع]

صَبٌّ كَثِيبٌ يَشْتَكِيكَ الْهَوَى كَمَا اشْتَكَى خَضْرُكَ مِنْ رِذْفِكَ
لِسَائِهِ عَنْ وَصْفِ أَسْقَامِهِ أَكَلٌ مِنْهُ عَنْ مَدَى وَصْفِكَ^(٣)

وقال ابن أبي البغل: [من المنسرح]

كَأَنَّهُ فِي اعْتِدَالِهِ غُضُنٌ وَفِي السَّرَاوِيلِ مِنْهُ أُمُوجُ^(٤)
إِذَا مَشَى كَالْقَضِيبِ جَاذِبُهُ رِذْفٌ لَهُ كَالْكَثِيبِ رَجْرَاجُ^(٥)
وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّنِي رَجُلٌ إِلَيْهِ مَذَقٌ كَبُرْتُ مُحْتَاجُ

وأنشد أبو بكر بن دُرَيْدٍ عفا الله عنه ورحمه: [من الكامل]

قَدْ قُلْتُ لَمَّا مَرَّ يَخْطُرُ مَاشِيَا وَالرِّدْفُ يَجْذِبُ خَضْرَهُ مِنْ خَلْفِهِ
يَا مَنْ يُسَلِّمُ خَضْرَهُ مِنْ رِذْفِهِ سَلِّمُ فُؤَادَ مُحِبِّهِ مِنْ طَرْفِهِ

وقال السري الرفاء: [من الكامل]

ضَعُفْتُ مَعَاقِدُ خَضْرَهُ وَعُهْدُهُ فَكَأَنَّ عَقْدَ الْخَضِرِ عَقْدُ وَفَائِهِ

وقال المتنبّي: [من الوافر]

وَحْضَرِ تَثَبُّتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقِ نِطَاقَا^(٦)

(١) الوشاح: نسج عريض تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها، وجائلان: لا يستقران.

(٢) عبد الله بن طاهر: لعل المقصود غير عبد الله بن طاهر الخزاعي أمير خراسان، وأحد أكبر قادة المأمون العباسي وأكرهم، بل المقصود: طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر شاعر خراسان «أبو الطيب»، وهو شاعر هجاء. «انظر اليتيمة ٧٩/٤».

(٣) أكل: أضعف وأعجز. (٤) يريد بالأمواج هنا: الأرداف.

(٥) والزرجاج: المتحرك والمضطرب كال موج.

(٦) تثبت الأبصار: تطيل النظر، والحدق: العيون، والتطاق: حزام يشد به الوسط.

وقال السريّ الرّقاء: [من الطويل]

أحاطت عيونُ الناظرينَ بخُضره فهُنَّ له دُونَ النُّطاقِ نطَاقُ

وقال الأمير سيف الدين المشدّ: [من مخلّع البسيط]

وأَهْيَفَ القَدْ بَتْ أَشْكَو له تَلَاْفِي وما تَلَاْفِي^(١)
فَلَانَ عَطْفًا ودَقَّ خَضْرَا وإنَّما رَدَفُه تَجَاْفِي

وقال أبو نُؤاس: [من الرمل]

لَيْنَ القَدْ لَذِيذُ المُعْتَنَقِ يُشْبِهُ البَدْرَ إذا البَدْرُ اتَّسَقِ^(٢)
مَثَقْلُ الرَّدْفِ إذا وَلَّى حَكى مُوْتَقًا في القيدِ يَمْشِي في زَلْقِ^(٣)
وإذا أَقْبَلَ كادَتْ أَعْيُنُ نَحْوُهُ تَجْرَحُ فيه بِالْحَدَقِ

وقال آخر وأجاد: [من الهزج]

أَيَّامَنْ نَضَفُهُ غُصْنٌ يَمِيلُ وَنَضَفُهُ كَفْلٌ^(٤)
صَفَاتُكَ في تَبَايُنِهَا فَمُنْفَصِلٌ وَمُتَّصِلٌ
فَنَصْفُكَ مَوْجٌ عاصِفَةٌ وَنَصْفُكَ شَارِبٌ ثَمِلٌ

ومما وصفت به على لفظ التأنيث، فمنه قول أبي عُبادة البَحْرِيّ: [من البسيط]

كَأَنَّهُنَّ وَقَدْ قَارَظْنَ في نَظَرِي ضِدَيْنِ في الحِسنِ تَثْقِيلًا وإِخْطَافًا^(٥)
رَدَدْنَ ما خَفَّفَتْ عَنْهُ الخُصُورُ إلى ما في المَآزِرِ فَاسْتَثَقَلْنَ أَزْدَافًا

وقال آخر: [من الوافر]

لِهَا رَدَفٌ تَعَلَّقَ في لَطِيفِ فذاك الرَّدْفُ لي وَلِهَا ظَلُومٌ^(٦)
يُعَذِّبُنِي إذا فَكَّرْتُ فيه وَيُشْعِبُهَا إذا قَصَدْتُ تَقُومُ

(١) الأهيف: الضامر، والتلاف: الهلكة، وتلافي: توقى واحترز.

(٢) اتسق البدر: اكتمل.

(٣) ولّى: مشى مبدئاً دُبُرُهُ، وحكى: شابه، والزلق: الموضع الذي لا تثبت عليه قدم لملامسته.

(٤) الكفل: العجز من الإنسان والذابة، مؤخر كلّ شيء أو مؤخر الجسم.

(٥) الإخطاف: الهزال والضعف، أو خفة اللحم، يريد بالضدين: ثقل الأرداف وضمور الخصر.

(٦) اللطيف: الضامر، أراد به الخصر.

وقال مؤمل وأفرط: [من مجزوء الخفيف]

مَنْ رَأَى مِثْلَ حَبَّتِي تُشْبِهُ الْبَدْرَ إِذْ بَدَأُ^(١)
تَدْخُلُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَدْ خُلْ أَرْدَافُهَا غَدَا

وقال أبو هلال: [من الكامل]

تَمْشِي بِأَرْدَافِ أَبْنَى قُعُودِهَا بَيْنَ النِّسَاءِ كَمَا أَبْنَى قِيَامِهَا

وقال علي بن عطية البلنسي: [من الطويل]

وَأَنْسِيَّةٌ زَارَتْ مِنَ اللَّيْلِ مَضْجَعِي فَعَانَقْتُ عُصْنَ الْبَانِ مِنْهَا إِلَى الْفَجْرِ
أَسْأَلُهَا أَيْنَ الْوِشَاحُ؟ وَقَدْ سَرَتْ مُعْطَلَةٌ مِنْهُ، مُعْطَرَةٌ النَّشْرِ^(٢)
فَقَالَتْ: وَأَوَمْتُ، لِلسَّوَارِ نَقْلُتُهُ إِلَى مِعْصِي لِمَا تَقَلَّقَلْ فِي خَضِرِي^(٣)

وقال الطائي: [من الطويل]

مِنَ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاحِلَ صُيِّرَتْ لَهَا وَشَحَا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاحِلُ

وقال إسحق الموصلي^(٤): [من الهزج]

ظُبَاءٌ كَالْيَعَافِيرِ كُنُوسٌ فِي الْمَقَاصِيرِ^(٥)
وَأَدْبَرْنَ بِأَعْجَازٍ كَأَوْسَاطِ الزَّنَابِيرِ^(٦)

وقال عمر بن أبي ربيعة: [من الخفيف]

يَتَقَابَلْنَ كَالْبُدُورِ عَلَى الْأَغْ صَانٍ فِي مُثْقَلٍ مِنَ الْأَرْدَافِ
بُخْصُورٍ تَحْكِي خُصُورَ الزَّنَابِ يِرْ ضِعَافٍ هَمَمْنٌ بِالْأَنْقِصَافِ

(١) حَبَّتِي: أي من يحب ويهوى، وبدا: ظهر.

(٢) الْمُعْطَلَةُ: التي لا تلبس هنا الوشاح، ويقال: جيدٌ معطل: إذا خلا من الحلي، والنشر: الرائحة الطيبة.

(٣) أَوَمْتُ: أشارت، والسَّوَارِ: حلقة من ذهب تتخذ في المعصم حلية، وتقلقل: تحرك، أراد أن خصرها بات لضموره ونحافته كمعصم اليد.

(٤) إسحق الموصلي: هو إسحق بن إبراهيم الموصلي، أبو محمد، من أشهر ندماء الخلفاء، تفرّد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الكلام والدين، شاعراً وراويّة أشعار، توفي سنة ٨٥٠ م. «فهرس الأعلام ١/٢٩٢».

(٥) اليعافير: مفردا «يعفور»، وهو ظبيّ لونه العفر، وهو بياضٌ تخالطه الحمرة، وكنوس: من كنس الظبي: إذا دخل كناسه، أي بيته، والمقاصير: مفردا مقصورة: وهي الدّار الواسعة المحصنة التي لا يدخلها إلّا صاحبها.

(٦) الزنابير: مفردا «زنبور» وهي حشرة أليمة اللسع من الفصيلة الزنبورية.

وقال آخر: [من الكامل]

عَظُمَتْ رَوَادِفُهَا فَأَذَتْ خَصْرَهَا وَشَاحُهَا قَلَقٌ كَقَلْبِ الْمُغْرَمِ

وقال آخر: [من المنسرح]

آخِرُهَا مُثْعِبٌ لِأَوَّلِهَا فَبَعْضُهَا جَائِزٌ عَلَى بَعْضِ

وقال آخر: [من الكامل الأحذ]

تَمْشِي فَتُثْقِلُهَا رَوَادِفُهَا فَكَأَنَّهَا تَمْشِي إِلَى خَلْفِ

وقال البجلي: [من الكامل]

إِنَّ الْعَزِيزَ عَلَيَّ خَصْرُكَ إِنَّهُ بِالرُّذْفِ حُمْلٌ مِنْكَ مَا لَا يُحْمَلُ

فُخْذِي لَهُ جِسْمِي مَكَانَ وَشَاحِهِ إِنَّ الْعَلِيلَ بِشَكْلِهِ يَتَعَلَّلُ^(١)

ومما قيل في السُّوق^(٢)، فمن ذلك قول الأمير سيف الدين المشد: [من

المنسرح]

سَاقٍ تَجَلَّى كَأَنَّهُ قَمَرٌ يَحْمَلُ شَمْسًا، أَفْئِدِيهِ مِنْ سَاقٍ!

شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ غَلَائِلُهُ فَقُلْتُ: مَهَلًا، وَأَكْفُفُ عَنِ الْبَاقِي!^(٣)

لَمَّا رَأَيْتِي، وَقَدْ فُتِنْتُ بِهِ مِنْ قَرْطٍ وَجَدِي وَعُظْمِ أَشْوَاقِي

غَنَى وَكَأْسُ الْمُدَامِ فِي يَدِهِ قَامَتْ حُرُوبُ الْهَوَى عَلَى سَاقٍ

وقال غزوة^(٤): [من الطويل]

فَقُمْنَ بِطَيِّئًا مَشِيهْنَ تَأَوَّدَا عَلَى قَصَبٍ قَدْ ضَاقَ عَنْهُ خَلَاخُلُهُ

كَمَا هَزَبَ الْمِيزَانَ رِيحٌ فَحَرَّكَتْ أَعَالِيهِ مِنْهُ وَارْجَحَّتْ أَسَافِلُهُ^(٥)

(١) العليل: المريض، ويتعلل: يتداوى ويشفى.

(٢) السُّوق: مفردا السَّاق، وهو ما بين الرِّكْبَةِ وَالْقَدَمِ.

(٣) الغلائل: مفردا غلالة، وهي الثوب الرقيق يلبس تحت الذئار.

(٤) عروة: هو عروة بن حزام بن مهاجر الضنبي، من بني عذرة، شاعر من متيمي العرب، كان يحب ابنة عمه «عفراء»، مات ودفن في وادي القرى قرب المدينة نحو سنة ٦٥٠ م، له ديوان شعر مطبوع. «فهرس الأعلام ٢٢٦/٤».

(٥) ارجحت: تحركت واهتزت وتمايلت.

وقال كُثَيْرُ عَزَّة^(١): [من الوافر]

وَيَجْعَلُنَ الْخَلَائِلَ حِينَ تَلْوِي بِأَسْوَقِهِنَّ فِي قَصَبِ خَدَالِ^(٢)

وقال كُشَاجِم: [من السريع]

قُلْتُ: وَقَدْ أَبْصَرْتُهَا حَاسِرًا عَنْ سَاقِهَا فَاضِلَ سِرْبَالِهَا

لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ بَرْدِ سَاقِهَا لَاحْتَرَقَتْ مِنْ نَارِ خَلْخَالِهَا

وله أيضًا: [من مجزوء الكامل]

وَإِذَا لَيْسَ خَلَاخِلًا كَذُبْنَ أَسْمَاءَ الْخَلَائِلِ

ومما وصفت به القدود، فمن ذلك قول أبي فِرَاس الحمداني: [من مجزوء

الوافر]

غُلَامٌ فَوْقَ مَا أَصِفُ كَأَنَّ قَوَامَهُ أَلِفُ

إِذَا مَا مَالٌ يُزْعِبُنِي أَخَافُ عَلَيْهِ يَنْقَصُفُ

وَأَشْفَقُ مِنْ تَأْوَدِهِ أَخَافُ يُذِيبُهُ التَّرَفُ^(٣)

وقال الْخُبْرُزُّي: [من المنسرح]

أَهْيَفُ يَخْكِي بِقَدِّهِ الْأَلِفَا يَخْسِرُ مَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ كَلِيفَا^(٤)

أَحْسَنُ مِنْ بَهْجَةِ الْخَلَافَةِ وَالْأَمِّ نَ لِمَنْ قَدْ يُحَاذِرُ التَّلَفَا

لَوْ أَبْصَرَ الْوَجْهَ مِنْهُ مُنْهَزِمٌ يَطْلُبُهُ أَلْفُ فَارِسٍ، وَقَفَا

وقال مَانِي^(٥): [من الخفيف]

أَتَمَّنَى الَّذِي إِذَا أَنَا أَوْمَ أَتُ إِلَيْهِ بِطَرْفِ عَيْنِي، تَجَنَّى

أَهْيَفُ كَالْقَضِيبِ لَوْ أَنَّ رِيحًا حَرَكْتَ هُذْبَ ثَوْبِهِ، لَتَثْنَى!

(١) كُثَيْرُ عَزَّة: هو كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرِ الْخَزَاعِيِّ، أَبُو صَخْرٍ، شَاعِرٌ مَتِينٌ مشهور، من أهل المدينة، أخبره مع عَزَّةَ بِنْتِ جَمِيلِ الضَّمْرِيَّةِ كَثِيرَةً، تُوْفِي سَنَةَ ٧٢٣ م. «فهرس الأعلام ٢١٩/٥».

(٢) الخَلَائِلُ: جمع خَلَائِلٍ وهو حَلِيَّةٌ تَلْبَسُهَا النِّسَاءُ فِي سَوَاقِهِنَّ، وَالْخَدَالُ: الْمَمْتَلَى التَّامُ.

(٣) تَأْوَدَ: مِيلَهُ وَالتَّوَانَهُ، وَالتَّرَفُ: التَّنْعَمُ وَسَعَةُ الْعَيْشِ.

(٤) الْأَهْيَفُ: الضَّامِرُ، وَالْكَلْفُ: الْمَحَبَّةُ.

(٥) مَانِي: هو مَانِيُ الْمَوْسُوسِ، مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ، تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ. «انظر الأغاني ١٩٠/٢٣».

وقال آخر: [من الطويل]

أَيَا سَائِلِي عَنْ قَدْ مَحْبُوبِي الَّذِي كَلِفْتُ بِهِ وَجَدًا وَهَمْتُ غَرَامَا
أَبَى قِصَرَ الْأَغْصَانِ ثُمَّ رَأَى الْقَنَا طَوَالًا، فَأَضْحَى بَيْنَ ذَاكَ قَوَامَا^(١)

وقال آخر، وهو محمد بن التلمساني^(٢): [من مجزوء الكامل]

يَا مُخْجِلًا بِقَوَامِهِ أَغْصَانٌ بِنَاتِ اللَّوَى!^(٣)
مَا أَنْتَ عِنْدِي وَالْقَضِي بُ اللَّدْنُ فِي حَدِّ سَوَى!^(٤)
هَذَاكَ حَرَّكَهُ الْهَوَا وَأَنْتَ حَرَّكَتَ الْهَوَى!

وقال آخر: [من مجزوء الرجز]

يَا غُصْنًا رَاحَ الصَّبَا يَثْنِيهِ، لَا رِيحُ الصَّبَا!^(٥)
مَا إِنْ بَدَا لِلْعَيْنِ إِلَّا ارْتِاحَ قَلْبِي وَصَبَا^(٦)
وَلَا أَتَنَّى يَخْطُرُ إِلَّا أَزْدَادَ قَلْبِي وَصَبَا^(٧)

وقال آخر، وهو كُشَاجِم: [من السريع]

مُعْتَدِلٌ مِنْ كُلِّ أَعْطَافِهِ مُسْتَحَسَنُ الْقَامَةِ وَالْمُلْتَقَتِ
لَوْ قِيسَتِ الدُّنْيَا وَلَذَاتُهَا بِسَاعَةٍ مِنْ وَضْلِهِ، مَا وَفَّتِ
سُلْطَتِ الْأَلْحَاطِ مِنْهُ عَلَى قَلْبِي، فَلَوْ أَوْدَتْ بِهِ مَا اشْتَقَّتِ^(٨)
وَاسْتَعَذَبَتْ رُوحِي هَوَاهُ فَلَا تَضْحُو وَلَا تَسْلُو، وَلَوْ أَثْلَقَتْ

(١) القنا: الزمّاح، والقوام: الاعتدال.

(٢) محمد بن التلمساني: هو محمد بن سليمان بن عليّ التلمساني المعروف بـ «الشاعر الطّريف»، ويقال له: ابن العفيف، شاعر مترقّق، مقبول الشعر، له ديوان شعر مطبوع، توفي بدمشق سنة ١٢٨٩ م. «فهرس الأعلام ٦/ ١٥٠».

(٣) بنات: مفردها «بناة» وهي ضرب من الشجر اللّين، ورقه طويل، أبيض الزهر، واللّوى: ما انعطف والتوى وانثنى من الرّمل أو مسترقه.

(٤) اللّدن: الطريّ الميّاس.

(٥) الصّبا: الشباب وميعته، والصّبا: ريح باردة تهبّ فتتعش.

(٦) صبا: مال وحنّ.

(٧) انثنى: تمايل، ويخطر: يتبختر في مشيته، والوصب: الألم والوجع.

(٨) أودت به: ذهبت وأهلكته.

ومما قيل في العِناق، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

فمنه قول الحسين بن الضحَّاك^(١): [من الكامل]

وَمَوْشَحٍ، نازعتُ فضلَ وشاحه وكسوتُهُ من ساعِدَيَّ وشاحا
باتَ العَيُورُ يشقُّ جِلْدَةَ خَدِّه وأمالَ أعطافًا عليَّ مِلاحًا^(٢)
وقال آخر: [من مخلَع البسيط]

بِثٍّ وبدرُ الدُّجَى نديمي وهو مُوَاتٍ بلا أُمْتِناعٍ
فقلتُ للحاسِدينَ لَمَّا أشرقتِ الشمسُ بالشُّعاعِ
القَلْبُ والطَّرْفُ مَنْزِلَاهُ وهو إلى الآنَ في الذُّراعِ
وقال ابن المعتز: [من السريع]

ما أَقْصَرَ الليلَ على الراقدِ! وأهْوَنَ السُّقَمِ على العائِدِ!^(٣)
يَفْدِيكَ ما أَبْقَيْتَ من مُهَجَّتِي لستُ لِمَا أُولَيْتَ بالجاحِدِ
كَأَنَّنِي عَانَقْتُ رِيحَانَةً تنفَّستُ في ليلِها الباردِ
فلو تراءنا في قَمِيصِ الدُّجَى حَسِبْتَنَّا في جَسَدٍ واحدِ

وقال أبو هلال في نحو ذلك: [من السريع]

ونحنُ في نَظْمِ الهوى واحدٌ كأننا عِقْدانِ في نَحرٍ

وقال ابن الصولي^(٤): [من مجزوء الزمل]

طالَ عُمرُ اللَّيلِ عِنْدِي إذ تَوَلَّغْتَ بِصَدِّ
يا ظَلُومًا نَقَضَ العَهْدَ دَ ولم يُوفِ بِعَهْدِ!
أَنَسَيْتَ الوصلَ إذ بِثَّ لنا على مَرْقَدٍ وَزِدْ

(١) هو الحسين بن الضحَّاك: المعروف بالخليع، أبو علي، أصله من خراسان، بصري المولد والمنشأ، وهو شاعر ماجن، عداده في الطبقة الأولى من شعراء الدولة العباسية المجيدين، ولد سنة ١٦٢ هـ، وتوفي في بغداد سنة ٢٥٠ م. «معجم الأدباء ١٢٨/٣».

(٢) الأعطاف: مفردا «عطف»، وهو من الإنسان من لدن رأسه إلى وركه.

(٣) العائد: الذي يزور مريضًا.

(٤) ابن الصولي: هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحاق، تقدّمت ترجمته. «انظر فهرس الأعلام ٤٥/١».

واعْتَنَقْنَا كَوْشَاحَ وانتَظَمْنَا نَظْمَ عِقْدِ
وتَعَطَّفْنَا كَغُضْنِ بينَ فِقْدَانَا كَقَدِّ^(١)

وقال ابن عَبدَكَان^(٢) الكاتب: [من الرمل]

وَكَلَّانَا مُرْتَدٍ صَاحِبَهُ كَارِتْدَاءِ السَّيْفِ فِي يَوْمِ الْوَعَى
بُخْدُودٍ شَافِيَاتٍ مِنْ جَوَى وَشَفَاهِ مُزَوِيَاتٍ مِنْ ظَمَا
نَتَسَاقَى الرِّيقَ فِيمَا بَيْنَنَا رَقُّ أُمَاتِ الْقَطَا رُغْبَ الْقَطَا^(٣)

وقال علي بن الجَهم: [من الطويل]

سَقَى اللَّهُ لَيْلًا ضَمَّنَا بَعْدَ فُرْقَةٍ وَأَذْنَى فُؤَادًا مِنْ فُؤَادِ مُعَذِّبٍ!
فَبَيْنَا جَمِيعًا: لَوْ تُثْرَقُ زُجَاجَةٌ مِنْ الْخَمْرِ فِيمَا بَيْنَنَا، لَمْ تَسْرَبِ^(٤)

وقال الخُبْرَازِيُّ: [من الكامل]

طَوْقُهُ طَوْقُ الْعِنَاقِ بِسَاعِدِي وَجَعَلْتُ كَفِّي لِلثَّامِ وَشَاحَا
هَذَا هُوَ الْفُؤُزُ الْعَظِيمُ فَخَلَّنَا مُتَعَانِقِينَ فَمَا تُرِيدُ بَرَّاحَا!^(٥)

وقال صالح بن يونس: [من السريع]

لِي سَيِّدٌ مَا مِثْلُهُ سَيِّدٌ تَصَدَّتِ الْحُمَى لَهُ فَاشْتَكَى^(٦)
عَانَقْتُهُ عِنْدَ مُوَفَاتِهِ وَالْأَفْقُ بِاللَّيْلِ قَدْ أَخْلَوَلَا^(٧)
فَجَاءَتِ الْحُمَى كَعَادَاتِهَا فَلَمْ تَجِدْ مَا بَيْنَنَا مَسْلَكَا!

وقال الحسين بن علي بن بشر الكاتب: [من المنسرَح]

ضَمَمْتُهُ ضَمَّ مُفْرِطِ الضَّمِّ لَا كَأَبِ مُشْفِقٍ وَلَا أُمٍّ^(٨)

(١) تعطفنا: تمايلنا، والقَدَّ: القامة أو القوام.

(٢) ابن عبدَكَان الكاتب: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن مودود، أبو جعفر، كاتب من كبار المنشئين، ولي البريد بدمشق وحمص، له رسائل مدونة في عشر مجلدات، وله شعر، توفي سنة ٨٨٣ م. «فهرس الأعلام ٦/٢٢٣».

(٣) زَقَهُ الطعام: أطعمه بمنقاره، والقَطَا: طائر صحراوي يشبه الحمام، والزُغْب: الفراخ التي ظهر أول ريشها.

(٤) لم تسرب: لم تنفذ من مكانها إلى مكان آخر، ويقصد هنا شدة الالتحام.

(٥) ما نريد برّاحًا: أي ما نريد مغادرة. (٦) تصدّت له: اعترضته وهاجمته.

(٧) موافاته: إتيانه لزيارته ولقائه. (٨) المفراط: المكثّر.

ولم نَزَلْ، والظلامُ حَارِسُنَا جَسَمَيْنِ مُسْتَوْدَعَيْنِ فِي جِسْمِ
 أَلْثَمِهِ فِي الدُّجَى، وَيَزُقُّ نُنَا يَاہُ يُرِينِي مُوَاضِعَ اللَّثَمِ^(١)
 ثُمَّ افترقنا عِنْدَ الصَّبَاحِ وَقَدْ أَثَرْتُ فِيهِ كَهَيْئَةِ الْخَتَمِ^(٢)
 وقال أبو عبد الله الحامدي: [من الطويل]

سَقَانِي وَحَيَّانِي وَبَاتَ مُعَانِقِي! فَيَا عَطْفَ مَعْشُوقٍ عَلَى ذُلِّ عَاشِقٍ!
 وَيَا لَيْلَةً، بَاتَتْ سَوَاعِدُنَا بِهَا تَدُورُ عَلَى الْأَعْنَاقِ دَوْرَ الْمَخَانِقِ!^(٣)
 نُبْتُ مِنَ الشُّكُوى حَدِيثًا كَأَنَّهُ قَلَانْدُ دُرٍّ فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ^(٤)

* * *

ومما ورد على لفظ التانيث، فمن ذلك قول أبي إسحق الصابي^(٥): [من
 المجتث]

هَيْفَاءُ تَحْكِي قَضِيْبًا قَدْ جَمَّشْتُهُ الرِّيَاحُ^(٦)
 تَفْتَرُّ عَنْ سِمَطِ دُرٍّ عَلَيْهِ مِنْكَ وَرَاحُ^(٧)
 جَرْدُتُهَا وَأَعْتَنَفْنَا كُلُّ لُكُلٍ وَشَاخُ!
 بَاتَتْ، وَكُلُّ مَضُونٍ لِي مِنْ جَمَاهَا مُبَاخُ
 فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَعْنِهَا فِي الدَّهْرِ إِلَّا الصَّبَاخُ

(١) أَلْثَمُهُ: أَقْبَلُهُ، وَالتَّيْنَايَا: الْأَسْنَانُ الْأَرْبَعُ فِي مَقْدَمَةِ الْفَمِ.

(٢) أَثَرْتُ فِيهِ كَهَيْئَةِ الْخَتَمِ: يَرِيدُ أَنَّ الْقَبْلَ قَدْ تَرَكْتُ آثَارًا فِي جِسْمِهِ كَمَا يَتْرَكُ الْخَتَمُ آثَارًا عَلَى الْوَرَقِ.

(٣) الْمَخَانِقُ: مَفْرَدُهَا «مَخْنَقَةٌ»، وَهِيَ الْقَلَادَةُ تَحِيطُ بِالْعُنُقِ.

(٤) نُبْتُ: نَظَّهْتُ، وَالْعَوَاتِقُ: الْكَرَائِمُ وَالْحَرَاثِرُ مِنَ النِّسَاءِ.

(٥) أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي: هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ الْحَزَانِي، نَابِغَةُ كِتَابِ جِيلِهِ، كَانَ صَلْبًا فِي دِينِ الصَّابِنَةِ، وَأَحْبَهُ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ، وَتَعْصَبَ لَهُ، لَهُ كُتُبٌ عَدَّةٌ، وَدِيَّوَانُ شَعْرٍ، تُوُفِيَ سَنَةَ ٩٩٤ م. «فهرس الأعلام ١/٧٨».

(٦) جَمَّشْتُهُ: دَاعَيْتُهُ وَلاَعْبَيْتُهُ وَغَازَلْتُهُ.

(٧) تَفْتَرُّ: تَبْتَسِمُ، وَسِمَطُ الدَّرِّ: كُنَايَةٌ عَنْ أَسْنَانِهَا الَّتِي تُشَبِّهُ عَقْدًا مِنَ الدَّرِّ.

وقال أيضًا: [من الطويل]

أقول وقد جَرَدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا وَعَانَقْتُهَا كَالْبَدْرِ فِي لَيْلَةِ التَّمِّ^(١)
لَيْنَ أَلَمْتُ صَدْرِي بِشِدَّةِ ضَمِّهَا لَقَدْ جَبَرَتْ قَلْبِي وَإِنْ أَوْهَنْتُ عَظْمِي!^(٢)

وقال أبو الفضل الأصبهاني^(٣): [من مجزوء الكامل]

يَا لَيْلَةَ قُرِنْتُ لَنَا فِيهَا الْمَارِبُ بِالنَّجَاحِ
بِثْنَا بِرَغَمٍ وَشَاتِنَا مُتَعَانِقَيْنِ إِلَى الصُّبَاحِ
مَتَمَازِجَيْنِ كَأَنَّنا رُوحَانِ مِنْ مَاءٍ وَرَاحِ^(٤)
ظَنَّ الْوِشَاءَ لَفَرَطِ ضَمِّ يَ أَتْنِي بَعْضُ الْوِشَاحِ!

ومما قيل في وصف مَشْيِ النساء، يقال:

تَهَالَكْتَ الْمَرْأَةُ، إِذَا انْفَتَلَتْ فِي مِشْيَتِهَا.

تَأَوَّدَتْ، إِذَا اخْتَالَتْ فِي تَثْنٍ وَتَكْسُرٍ.

بَدَحَتْ وَتَبَدَّحَتْ، إِذَا أَحْسَنْتِ مِشْيَتِهَا.

تَهَزَّعَتْ تَهَزُّعًا، إِذَا اضْطَرَبَتْ فِي مِشْيَتِهَا.

فَرَضَعَتْ فَرَضْعَةً، وَهِيَ الْمِشْيَةُ الْقَبِيحَةُ؛ وَكَذَلِكَ مَثَعَتْ مَثَعًا.

وقال الأعشى: [من البسيط]

غَرَاءُ، فَرَعَاءُ، مَضْقُولُ عَوَارِضِهَا تَمْشِي الْهُوَيْتَى كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحْلُ^(٥)
كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ: لَا رَيْثَ وَلَا عَجَلَ^(٦)

(١) لَيْلَةُ التَّمِّ: أَي لَيْلَةُ التَّمَامِ، وَهِيَ لَيْلَةُ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ مِنَ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ حَيْثُ يَكُونُ الْقَمَرُ بَدْرًا.

(٢) أَجْبَرَتْ قَلْبِي: ضَمَدَتْ انْكَسَارَهُ وَأَنْعَشَتْهُ، وَأَوْهَنْتُ: أَضْعَفْتُ.

(٣) أَبُو الْفَضْلِ الْأَصْبَهَانِي: لَعَلَّهُ، يَقْصِدُ أَبُو الْفَضْلِ الْهَمْدَانِي «بَدِيعَ الزَّمَانِ» تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ. «انْظُرْ

فَهْرَسُ الْأَعْلَامِ ١/١١٥، وَبَيْتِيَةُ الدَّهْرِ ٤/٢٩٣».

(٤) الرَّاحُ: الْخُمْرَةُ.

(٥) الْغَرَاءُ: الْبَيْضَاءُ، وَالْفَرَعَاءُ: الطَّوِيلَةُ الشَّعْرُ، وَالْعَوَارِضُ: الْأَسْنَانُ، وَالْوَجِي: الدَّابَّةُ الَّتِي تَشْتَكِي

حَافِرَهَا، وَالْوَحْلُ الْوَاقِعُ فِي الْوَحْلِ.

(٦) الرِّيثُ: الْبَطْءُ.

وقال آخر: [من الكامل]

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا الْبِطَاحِ تَأْوَدًا قَبَ الْبِطُونِ، رَوَاجِحِ الْأَكْفَالِ^(١)
وقال ابن عائشة^(٢) من أبيات: [من الكامل الأحذ]

فَكَأَنَّهِنَّ إِذَا أَرَدْنَ خُطَا يَفْلَعْنَ أَرْجُلَهُنَّ مِنْ وَحَلٍ
وقال أبو الفتح كُشَاجِم: [من المتقارب]

وَتَهْتَزُّ فِي مَشْيِهَا مِثْلَ مَا تَهْزُ الصُّبَا غُضْنَا نَاعِمًا
وَتَأْمُرُ بِالْأَمْرِ فِيهِ الَّذِي كَرِهْتُ فَأَرْضَى بِهِ رَاغِمًا^(٣)
وقال آخر: [من الكامل]

شَبَّهْتُ مَشْيَئِهَا بِمَشْيَةِ ظَافِرٍ يَخْتَالُ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وَسُيُوفٍ^(٤)
صَلَفٍ تَبَاهَتْ نَفْسُهُ فِي نَفْسِهِ لَمَّا أَنْثَى بَسِيتَانِهِ الْمَرْغُوفِ^(٥)
وقال آخر: [من المنسرح]

تَمْشِي الْهُوَيْنَى إِذَا مَشَتْ فُضْلًا مَشْيَ التَّزْيِيفِ الْمَخْمُورِ فِي صَعْدٍ^(٦)
تَظَلُّ مِنْ زُورٍ بَنِيَتْ جَارَتِهَا وَاضِعَةً كَفُّهَا عَلَى الْكَيْدِ
وقال الْمُنْخَلُ الشُّكْرِيُّ^(٧): [من مجزء الكامل]

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَا إِذِ الْخَذَرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ^(٨)

(١) القطا: طائر صحراوي أغبر اللون يشبه الحمام، والبطاح: جمع أبطح ويطحاء، وهو المكان المتسع المنبسط الذي يسيل فيه الماء فيخلف التراب والحصى الصغار. والتأود: الميل والاعوجاج، وقب البطون: ضامراتها، ورواجح الأكفال: ثقلات العُجْز.

(٢) ابن عائشة: هو عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي، شاعر متأذب من أهل البصرة، قصد بغداد، واتصل بالقافي أحمد بن أبي دؤاد فمدحه ولم يجد ما يرضيه، فهجاه، توفي سنة ٨٤٢ م. «فهرس الأعلام ٣/٣١٥».

(٣) راغماً: مكرهاً.

(٤) الظافر: المتصر، ويختال: يمشي متبختراً فخوراً، والأسنة: الرماح.

(٥) الصلف: المتكبر، والمرغوف: الذي يقطر دماً.

(٦) الهوينى: التؤدة والرفق، وامرأة فُضِّل: متفضلة بثوب واحد، والتزيف: السكران، والصعد: المشقة والتعب.

(٧) المنخل الشكري: هو المنخل بن عبيد بن عامر، من بني يشكر، شاعرٌ قديم جاهلي كان يشبب بهذا أخت عمرو بن هند، وقد آتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر، وكان جميلاً، قتله عمرو بن هند. «الشعر والشعراء: ص ٢٥٥».

(٨) الخدر: سترٌ يمدُّ للمرأة في ناحية البيت.

فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشَى الْقَطَاةُ إِلَى الْعَدِيرِ^(١)
وَلِئِمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ كَتَنَفَّسَ الظَّنْبِي الْبَهِيرَ^(٢)

وقال عمر بن أبي ربيعة: [من المنسرح]

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً، وَنَسَوْتُهَا يَمِشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ^(٣)
يَرْفُلُنَ فِي الرِّئِطِ وَالْمُرُوطِ كَمَا تَمِشِي الْهُوَيْنَى سَوَاكُنُ الْبَقَرِ^(٤)
وقال ابن مقبل^(٥): [من البسيط]

يَهْزُرُنَ لِلْمَشْيِ أَوْصَالًا مَنْعَمَةً هَزَّ الْجَنُوبُ ضُحَى عَيْدَانِ يَبْرِينَا^(٦)
أَوْ كَاهِتِزَازِ رُدَيْنِي تَدَاوَلُهُ أَيْدِي التَّجَارِ فَزَادُوا مَثْنَهُ لَيْنَا^(٧)
يَمِشِينَ هَيْلَ النَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَالُ الثَّرَى حِينَا^(٨)
وقال أشجع السلمي^(٩): [من الطويل]

وَمَاجَتْ كَمْوَجَ الْمَاءِ بَيْنَ ثِيَابِهَا يَمِيلُ بِهَا شَطْرُ وَيَغْدِلُهَا شَطْرُ
إِذَا وَصَفَتْ مَا فَوْقَ مَجْرَى وَشَاحِهَا غَلَاثُلُهَا رَدَّتْ شَهَادَتَهَا الْأُزْرُ^(١٠)

- (١) دفعتها: غازلها وحركتها.
(٢) البهير: المجهد.
(٣) المقام والحجر: بين ركن الكعبة والحجر الأسعد، يريد أنهم في الطواف.
(٤) يرفلن: يجزرن أثوابهن، والرئط: مفردها الرئطة، وهي الملاءة من نسج واحد، والمروط: مفردها المرط وهو كساء من خز أو صوف أو كتان يؤتز به وتلفع به المرأة.
(٥) ابن مقبل: هو تميم بن أبي بن مقليل، من بني العجلان، أبو كعب، شاعر جاهلي إسلامي، أدرك الإسلام وأسلم، ورثى عثمان بن عفان، له ديوان شعر، وهو أوصف العرب لقدح، مات بعد سنة ٦٥٧. «الشعر والشعراء»: ص ٢٩٧.
(٦) الأوصال: أجزاء الجسم وأعضاؤه، والجنوب: الريح تهب جنوبًا، والعيدان: النخل الطوال، ويبرين: اسم قرية كثيرة النخل والعيون العذبة، من أصقاع البحرين بينه وبين الإحساء وهجر مرحلتان. «معجم البلدان ٤٢٧/٥».
(٧) الرديني: الرتمح، والتجار: المتاجرين به، والتمن: ما ظهر من الشيء.
(٨) الهيل: ما تنهال من الرمل، والنقا: الكتيب من الرمل، وينهال: يسقط.
(٩) أشجع السلمي: هو أشجع بن عمرو، من بني سليم، كان مُتَصَلًّا بِالْبَرَامِكَةِ، وله فيهم أشعار كثيرة، من شعراء العصر العباسي، وقد مدح الرشيد وغيره. «الشعر والشعراء»: ص ٦٠١.
(١٠) الوشاح: نسيج عريض يرصع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحتها، والغلائل: جمع غلالة وهي الستر الرقيق الذي يلبس تحت الثوب، والأزر: مفردها إزار وهو الملحفة، أو الثوب الذي يحيط بالنصف الأسفل من البدن.

وقال العباس بن الأحنف: [من البسيط]

شمسٌ مقدرةٌ في خَلْقٍ جاريةٍ كأنما كَشَحُها طَيُّ الطَّوامِيرِ^(١)
 كأنها حينَ تمشي في وَصائِفِها تَخْطُو على البَيْضِ أو خُضِرِ القَوَارِيرِ!^(٢)

انتهى الغرض في وصف الأعضاء، وما شاكلها واتصل بها.

فلنذكرُ إن شاء الله تعالى ما جاء فيما قدمناه من الأمثال.

فأما ما جاء منها في الإنسان، يقال:

شديدٌ على الإنسان ما لم يَعُودَ.

وما عُلِمَ الإنسانُ إلا لِيَعْلَمَا.

الناسُ من جهة التمثيلِ أَكْفَاءُ.

الناسُ أَخْيَافٌ^(٣) وَشَتَّى في الشِّيمِ.

الناسُ بَزَمَانِهِمْ أَشْبَهُ مِنْهُمْ بِآبَائِهِمْ.

وما النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ.

[من البسيط]

والناسُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أن قد أَقْلَ فَمَهْجُورٌ ومَحْفُورٌ^(٤)

(١) الكشف: ما بين الخاصرة والسرة ووسط الظهر من الجسم، والطوامير: مفردا «الطامور» وهو الصحيفة.

(٢) الوصائف: مفردا «الوصيفة» وهي هنا الخادمة، والقوارير: جمع قارورة وهي وعاء الطيب المصنوع من الزجاج، تطلق على المرأة تشبها بها في سهولة الكسر.

(٣) في مجمع الأمثال للميداني ٣٩٤/٢، دار الكتب العلمية: الناس إخوانٌ وشَتَّى في الشِّيمِ. والإخوان: الأشباه والأشكال، وشَتَّى: من الشَّت وهو التفرُّق، والشِّيم: الأخلاق الكريمة، أي إنهم وإن كانوا مجتمعين بالأشخاص فشييمهم مختلفة، والأخفاف: الضُّروب المختلفة في الأخلاق والأشكال، أو الناس الذين أمهم واحدة وآباؤهم شَتَّى، يقال: الناس أخفاف أي لا يستوون، ويقال: ذلك في الإخوة. «اللسان، مادة خيف».

(٤) بنو العلات: أي أبناء الرجل الواحد من أمهات شَتَّى، والعلة: الضرة.

وقال آخر: [من البسيط]

الناس أكيس من أن يحسدوا رجلاً حتى يروا عنده آناز إحصان^(١)
ويقال:

المرء أعلم بشأنيه.

المرء مع من أحب.

دع امرءاً وما أختار.

كلُّ امرئٍ في شأنه ساع.

كلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أهله.

كلُّ امرئٍ من شَجْوِ صاحبه خلو^(٢).

المرء يعجزُ لا محالة.

المرء تواقٌ إلى ما لم يتل.

المرء يجمع، والزمان يفرق.

ويقال:

الرجال بالأموال.

تقطع أعناق الرجال المطامع.

ولكلِّ دهر دولة ورجال.

ومما يتمثل به في ذكر النفس، يقال:

النفس مولةٌ بحُبِّ العاجل.

النفس أعلم من أخوك النافع.

أكذب النفس إذا حدثتها.

ما عاتب الرجل اللبيب كتنفسيه.

(١) أكيس: أعقل.

(٢) الشجو: الحزن، والخلو: المستريح والمفارق.

الجُودُ بالنفس أقصى غاية الجُود.

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا^(١).

ومما يتمثل به من أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة:

ما قيل في الرأس والشعر:

مَنْ نَجَا بِرَأْسِهِ فَقَدْ رَيَّحَ.

رماه بأفحافٍ رأسه، أي بالدواهي.

اختلفت رؤوسها فرتعت^(٢).

كلُّ رأسٍ به صداع.

ويقال:

أدقُّ من الشعر.

أهونُ من الشعر الساقط.

ما يتمثل به من ذكر الوجه:

وجهُ المحرَّش أقبحُ، أي وجه مبلَّغ القبيح أقبح من وجه قائله.

في وَجْهِ مالِكٍ تُعرفُ إمرته.

قَبْلَ الْبُكَاءِ كانَ وَجْهُكَ عَابِسًا.

قال أبو تمام: [من البسيط]

وما أبالي، وخَيْرُ القولِ أصدقه حقَّتْ لي ماءٌ وجهي أم حقَّتْ دَمِي

(١) نفسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا: هو شطر بيت من الرُّجَزِ للناطقة الذبياني، وتماهه:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وعَلِمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

ويقال: هو حاجب النعمان الذي قال له النابغة: ما وراءك يا عصام؟ «انظر المستقصى في أمثال

العرب ٣٦٩/٢، دار الكتب العلمية». «وانظر ديوان النابغة الذبياني ص ١١٨ دار صادر».

(٢) رتعت الماشية: رعت في خصب وبحبوحة، يريد: إذا اختلف رؤوس القوم اهتم كل واحد منهم باستمالة الرعية إليه.

وقال ابن الرومي: [من البسيط]

وَقَلَّ مَنْ ضَمِنَتْ خَيْرًا طَوِيَّتُهُ إِلَّا فِي وَجْهِهِ لِلْخَيْرِ عُتْوَانُ^(١)
لَهُ مُحْيَاً جَمِيلٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى جَمِيلٍ، وَلِلْبُطْنَانِ ظُهُرَانُ

وقال آخر: [من السريع]

صَلَابَةُ الْوَجْهِ صَلَاحُ الْفَتَى وَرِقَّةُ الْوَجْهِ مِنَ الْخُرْقَةِ^(٢)

ما يتمثل به من ذكر العين، يقال:

أُسْرِعُ مِنْ طَرْفِ الْعَيْنِ.

أُسْرِعُ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ.

الْعَيْنُ تَرْجُمَانُ الْقَلْبِ.

شَاهِدُ الْبُغْضِ اللَّحْظُ.

رُبَّ عَيْنٍ أَنْتُمْ مِنْ لِسَانِ^(٣).

لَيْسَ لِمَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ ثَمَنٌ.

نَظْرَةٌ مِنْ ذِي عَلَقٍ^(٤).

عَيْنٌ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ.

لِحَظُهُ أَصْدَقُ مِنْ لَفْظِهِ.

لَيْسَ لِعَيْنٍ مَا رَأَتْ، وَلَكِنْ لِكَيْفِ مَا أَخَذَتْ.

لَا تَطْلُبُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ^(٥).

(١) الطوية: الضمير.

(٢) الخرقه: الطيش والجهل.

(٣) هذا مثلٌ كقولهم: جَلَى محبٌ نظره، وكقولهم: شاهد اللحظ أصدق. «انظر مجمع الأمثال للميداني ٣٩٧/١». وأنتم من النميمة، وهي الوشاية.

(٤) نظرة من ذي علق: أي ذي مودة، مثل يضرب في نظر المحب. «المستقصى في أمثال العرب ٣٦٨/٢».

(٥) الأثر: ما بقي من رسم الشيء، ويطلب أثراً بعد عين: أي يترك شيئاً يراه ثم يتبع أثره بعد فوت عينه.

من أطاع طَرْفَه، أصاب حَتْفَه.

وأيُّ عارٍ على عين بلا حَوَر.

والدَّمَعُ قد يُغْلِنُ ما في الصُّدُور.

ومن الأبيات: [من الطويل]

وعَيْنُ الرُّضَا عن كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا^(١)

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي^(٢): [من السريع]

كَمْ وَالِدٍ يَخْرِمُ أَوْلَادَه وَخَيْرُهُ يَخْطِئُ بِهِ الْأَبْعَدُ^(٣)

كَالْعَيْنِ لَا تَنْظُرُ مَا حَوْلَهَا وَلَخَطُّهَا يُذَرِّكُ مَا يَبْعُدُ

ما يتمثل به من ذكر الأنف:

أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ^(٤)، يضرب في القريب السُّوء.

شَفِيتُ نَفْسِي وَجَدَعْتُ أَنْفِي.

لَأَمْرِ مَا جُدِعَ قَصِيرٌ أَنْفُهُ^(٥).

كُلُّ شَيْءٍ أَخْطَأَ الْأَنْفَ جَلَلُ^(٦).

لِدِغَتْ حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِي أَنْفَهُ، يضرب للأمر الذي لا دواء له.

(١) الكليلة: الضعيفة، أو هي التي تغضي، والسُّخْطُ: الغضب.

(٢) الأمير أبو الفضل الميكالي: هو الأمير عُبيد الله بن أحمد الميكالي، مكانه من آل ميكال كواسطة العقد، يتفرد بمزج الأدب الذي هو ابن بجدة، وأبو عذرة، وأخو جملته، وما على ظهرها اليوم أحسن منه كتابة وأعم بلاغة. «انظر اليثيمة ٤٠٧/٤ وما بعدها».

(٣) الأبعد: الذي لا ينتمي إليه بصلة نسب أو قرابة.

(٤) الأجْدَعُ: المقطوع.

(٥) في المستقصى من أمثال العرب: «لأمرٍ ما حَزَّ قصير أنفه»، وهو قصير بن سعد، أخذ ثار جذيمة، قال المتلمس:

ومن حذر الأيام ما حَزَّ أنفه قصير ورام الموت بالسيف بيهس

«انظر المستقصى في أمثال العرب ٢/٢٤٠».

(٦) كَلَّ شَيْءٌ أَخْطَأَ الْأَنْفَ جَلَلُ: أي يسير وهين، وأصله أن رجلاً صرع رجلاً، وأراد جدع أنفه فأخطأه، وجرح وجهه، فحدث به رجل فقال ذلك، مثل يضرب في وجوه المحاماة عن العز. «المستقصى في أمثال العرب ٢/٢٢٦».

رُبَّ حَامٍ لَأَنْفِهِ وَهُوَ جَادِعُهُ، يُضْرَبُ لِمَنْ أَنْفٌ مِنَ الشَّيْءِ فَتُوقَعُ الْأَنْفَةُ فِي أَشَدِّ مِنْهُ.

مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ^(١).

جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيْرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ، وَأَسْتُ فِي السَّمَاءِ!^(٢)

مَا يَتِمَثَّلُ بِهِ مِنْ ذِكْرِ الْفَمِ، وَاللِّسَانِ، وَالْأَسْنَانِ:

كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ.

حَدَّثَنِي، فَاهُ إِلَى فِيّ.

فَلَانُ خَفِيفُ الشُّقَّةِ، أَيُّ قَلِيلِ الْمَسْأَلَةِ.

سَكَتَ أَلْفًا، وَنَطَقَ خَلْقًا^(٣).

قَرَعَ سِنَّ النَّادِمِ^(٤).

كَدَمْتُ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ^(٥)، أَيُّ طَلَبَ غَيْرَ مَطْلَبٍ.

(١) مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ: هُوَ أَنْ يَمُوتَ عَلَى فَرَاشِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْتُلَ، فَتَخْرُجَ نَفْسُهُ مِنْ أَنْفِهِ وَفَمِهِ. «المستقصى في أمثال العرب ٣٣٨/٢».

(٢) أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ وَأَسْتُ فِي الْمَاءِ: مَثَلٌ يَضْرِبُ لِمَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ وَهُوَ لَثِيمُ الْحَسَبِ، قَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِي:

بِالْأَرْضِ اسْتَأْهَمَ عَجْزًا وَأَنْفَهُمْ
عِنْدَ الْكَوَاكِبِ بَغِيًّا يَا لَذَا عَجَبًا
«المستقصى في أمثال العرب ٣٩٥/١».

(٣) سَكَتَ أَلْفًا وَنَطَقَ خَلْقًا: أَيُّ رَدِيئًا، وَهُوَ مَثَلُ قِيلَ فِي رَجُلٍ أَطَالَ الصَّمْتَ عِنْدَ الْأَحْنَفِ حَتَّى أَعْجَبَهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: يَا بَاهِرًا! أَتَقْدِرُ أَنْ تَمْشِيَ عَلَى شُرْفِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ ذَلِكَ. «المستقصى في أمثال العرب ١١٩/٢».

(٤) قَرَعَ سِنَّ النَّادِمِ: أَيُّ نَدَمَ، قَالَ الْكَمِيتُ:

سَيَقْرَعُ مِنْهَا سِنَّ خَزِيَّانِ نَادِمٍ
إِذَا الْيَوْمَ ضَمَّ النَّاكِثِينَ الْعَصِيبُ
وَقَالَ جَرِيرُ:

إِذَا رَكِبْتَ قَيْسُ بَخِيلٍ مَغِيرَةً
عَلَى الْقَيْنِ يَقْرَعُ سِنَّ خَزِيَّانِ نَادِمٍ
«المستقصى في أمثال العرب ١٩٦/٢».

(٥) كَدَمْتُ فِي غَيْرِ كَلَامٍ: أَيُّ عَضِضْتُ غَيْرَ مَعْضٍ، مَثَلٌ يَضْرِبُ لِمَنْ طَلَبَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَطْلَبِهِ. «المستقصى في أمثال العرب ٢١٧/٢».

وَجُرَحَ الذَّهْرُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ.

وَجُرَحَ اللِّسَانُ كَجُرَحِ الْيَدِ.

ما يتمثل به من ذكر الأذن:

جاء فلان ناشراً أُذُنَيْهِ.

لَيْسَتْ عَلَى ذَلِكَ أُذُنِي.

أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِيَّاهُ.

كَلَامُهُ يَدْخُلُ فِي الْأُذُنِ بَلَا إِذْنَ.

جَعَلْتُ ذَلِكَ دَبْرَ أُذُنِي^(١).

ما يتمثل به من ذكر العُنُق:

حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ.

أَذَلَّ الْحَرَصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ.

وقال أبو الفتح البستي: [من الوافر]

فَكَمْ دَقَّتْ وَشَقَّتْ وَاسْتَرْقَّتْ فُضُولُ الْعِيشِ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ^(٢)

ما يتمثل به من ذكر اليد:

أَهْدَى مِنَ الْيَدِ إِلَى الْقَمِ.

الزُّمُّ مِنَ الْيَمِينِ لِلشُّمَالِ.

يَدَاكَ أَوْكَتَا، وَفُوكَ نَفَخَ^(٣).

(١) في «المستقصى في أمثال العرب ٥٣/٢»: جعلته دَبْرَ أُذُنِي: أي ألقيته خلفي ولم ألتفت إليه، والضمير في «جعلته» للقول.

(٢) فُضُولُ الْعِيشِ: طلب الزيادة على الحاجة والمطلوب.

(٣) يداك أوكتا وفوك نفخ: مثل يضرب للجاني على نفسه، وأصله أن رجلاً نفخ في زق ولم يوثق وكاءه، فركبه ليعبر نهراً، فلما توسط انحل الوكاء، وخرجت الريح، فغرق، وحين غشيه الموت استغاث برجل فقال له ذلك. «المستقصى في أمثال العرب ٤١٠/٢».

اليَدُ العُلْيَا خيرٌ من اليَدِ السُّفْلَى .
 آثُرٌ لَدَيْهِ من يَمِينِ يَدَيْهِ .
 ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا، أَي مَتَفَرِّقِينَ .
 بِالسَّاعِدِ تَبْطِشُ الكَفُّ .
 عَلَى يَدَي دَارِ الحَدِيثِ، إِذَا كَانَ خَبِيرًا بِالْأَمْرِ .
 هُوَ عَلَى حَبْلِ ذِرَاعِهِ، أَي مُوَافِقٌ لَهُ .
 تَرَبَّثَ ^(١) يَدَاهُ، دَعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْفَقْرِ .
 مَا تَبَلُّ إِحْدَى يَدَيْهِ الْأُخْرَى، لِلْبَخِيلِ .
 تَرَكَهُ عَلَى أَتَقَى مِنَ الرَّاحَةِ .
 فَلَانُ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ .
 سَقِطٌ فِي يَدَيْهِ، لِلنَّادِمِ .
 أَعْطَاهُ عَنْ ظَهْرِ يَدٍ، أَي ابْتَدَأَهُ لَا عَنْ مُكَافَأَةٍ .
 مَا سَدُّ فَقْرِكَ مِثْلُ ذَاتِ يَدِكَ .
 إِنْ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدٌ ^(٢) .
 يَدٌ تَشِجُ، وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي ^(٣) .
 عَلَى الْيَدِ رَدُّ مَا أَخَذْتُ .
 وَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِضْبَعٌ ثُمَّ إِضْبَعٌ .

- (١) تربت يداك: مثل يضرب في الدعاء على الرجل بالفقر، قال سليمان بن ربيعة:
 تربت يداك وهل رأيت لقومه مثلي على يُسْري وحين تعلّتي
 «المستقصى في أمثال العرب ٢/٢٣» .
- (٢) الدليل: الخضوع المقهور، والعضد: الساعد، وهو من المرفق إلى الكتف. يريد: يذل المرء حين لا يتكل على نفسه .
- (٣) في «المستقصى في أمثال العرب ٢/٤١١»: يَدٌ تَشِجُ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:
 إِنِّي لَأَكْثَرُ مِمَّا سَمَتْنِي عَجَبًا يَدٌ تَشِجُ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
 مثل يضرب لمن يسيء ويحسن .

ومن الأبيات: [من المنسرح]

قد تَطَّرِفُ الْكَفَّ عَيْنَ صَاحِبِهَا وَلَا يَرَى قَطْعَهَا مِنَ الرَّشِيدِ^(١)

وقال آخر: [من الطويل]

فَلَوْ أَنَّهَا إِحْدَى يَدَي رُزْئِثِهَا وَلَكِنْ يَدَي بَانَتْ عَلَى إِثْرِهَا يَدُ^(٢)

وقال أبو تمام: [من الطويل]

وَهَلْ يَسْتَعِضُّ الْمَرْءُ مِنْ خَمْسٍ كَفَّهُ وَلَوْ صَاعٌ مِنْ خُرِّ اللَّجَيْنِ بَنَانِهَا؟^(٣)

ما يتمثل به من ذكر الصدر والقلب:

صَدْرُكَ أَوْسَعَ لِسْرِكَ.

صُدُورُ الْأَحْرَارِ، قُبُورُ الْأَسْرَارِ.

لَا بَدَّ لِلْمَصْدُورِ مِنْ أَنْ يَنْفُثَ^(٤).

أَلْزَمَ لَهُ مِنْ شَعَرَاتِ صَدْرِهِ.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: الآية ٤].

الْقَلْبُ طَلِيعَةٌ.

الْقُلُوبُ تَتَقَلَّبُ.

قال بعض الشعراء: [من الطويل]

مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذِّكْيَّ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حَمِيًّا، تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ^(٥)

وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

إِنَّ التَّبَاعُدَ لَا يَضُرُّ إِذَا تَقَارَبَتِ الْقُلُوبُ

(١) تطرف: تصيها بأذى. (٢) رزئثها: أصبت بها، وبانت: بعدت.

(٣) صاع: صنع، والحر: الخالص من الشوائب، واللجين: الفضة.

(٤) المصدور: المسلول، أو من يشكو صدره، وينفث: يخرج ما في صدره.

(٥) الذكي: المتوقد، والقلب هنا: العقل، والصارم: السيف، والحمية: الأنفة والكبرياء.

ما يتمثل به من ذكر الظهر والبطن والجنب:

استظهر^(١) على الدهر بخفة الظهر.

قلب الأمر ظهرًا لبطن.

لا تجعل حاجتي بظهر، أي لا تلقها وراء ظهرك.

انقطع السلى^(٢) في البطن، لتناهي الشدة.

نزت^(٣) به البطنة، لمن لا يحتمل النعمة.

لكل جنب مضرع.

لجنبه فلتكن الوجبة، في الدعاء عليه.

دمت^(٤) لجنبك قبل النوم مضطجعًا.

ما يتمثل به من ذكر الكبد والدم والعروق:

يا برزها على الكيد!

فلأن بين الخلب^(٥) والكيد.

ما ينفع الكيد يضرب الطحال.

ويقال:

جرى منه مجرى الدم في العروق.

هو أعز من دم الفؤاد.

(١) استظهر: تقو.

(٢) انقطع السلى في البطن: السلى: هو الذي يكون فيه الولد تشيته سليان، وهو مثل يضرب للأمر المتناقض. «المستقصى في أمثال العرب ١/٣٩٧».

(٣) نزت به البطنة: مثل يضرب لمن لا يحتمل النعمة، قال غسان بن ذهل:
ولقد نزت بك من شقائق بطنة أردتك حتى طحت في القمقم
«المستقصى في أمثال العرب ٢/٣٦٦».

(٤) دمت لجنبك قبل النوم مضطجعًا: هو من قول لقيط:
إذ عابه عائب يومًا فقال له دمت لجنبك قبل النوم مضطجعًا
ويروى: «قبل الليل» مثل يضرب في الاستعداد للأمر قبل حصوله. «المستقصى في أمثال العرب ٢/٨١».

(٥) الخلب: حجاب ما بين القلب والكبد.

سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ .

لا تَكَايِلُ^(١) بِالْدَمِ .

لا يَحْزُنُكَ دَمٌ هَرَّاقَهُ أَهْلُهُ ، لِلْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ .

فَلَا تَنْ لا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ .

الْعِرْقُ نَزَّاعٌ^(٢) .

أَلَا إِنَّ عِرْقَ السُّوءِ لَا بُدَّ مُدْرِكُ !

ما يتمثل به من ذكر الساق والقدم، يقال :

التَّقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ، فِي الشَّدَةِ .

كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا ، وَكَشَرَتْ عَنْ نَاقِهَا .

قَدَحَ فِي سَاقِهِ ، إِذَا عَمِلَ فِي شَيْءٍ يَكْرَهُهُ .

لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا .

قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا ، فَشَمَّرِي ! فِي الْحَثِّ عَلَى الْجِدِّ .

ويقال :

لَهُ قَدَمٌ فِي الْخَيْرِ ، أَيُّ سَابِقَةٍ .

إِنَّكَ لَا تَسْعَى بِرَجْلَيْكَ مَنْ أَتَى .

وقال الشاعر : [من الرجز]

إِنَّ قُرَيْشًا - وَهِيَ مِنْ خَيْرِ الْأُمَمِ - لَا يَضَعُونَ قَدَمًا عَلَى قَدَمٍ

من ضُرب به المثل من الرجال على لفظ أفعل للتفضيل :

يقولون :

أَسْحَى مِنْ حَاتِمٍ^(٣) .

(١) التكايل : يقال : تكايل الرجلان : إذا تعارضا بالشتم .

(٢) العرق : الأصل ، ونزاع : ميال ، ونزع الولد أباه : أشبهه .

(٣) السخاء : الكرم ، وحاتم : هو حاتم الطائي الشاعر الجاهلي المعروف . وفي «المستقصى من

أمثال العرب ١/ ٥٣» : أجود من حاتم .

- أجودُ من كَعْبِ بن مَأمَةَ^(١).
 أجودُ من هَرِم. قال الميداني: هو هَرِم بنُ سِنان بن أبي حارثة.
 وفيه يقول زُهَيْر بن أبي سُلَمى: [من البسيط]
 إِنَّ الْبَحِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَمْ يَكُنَّ الْجَوَادُ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمُ^(٢)
 أَقْرَى من مَطَاعِيمِ الرِّيح. ومطاعيم الرِّيح أربعة: منهم أبو مِخْجَن الثَّقَفِي.
 وكان لبيدُ بن ربيعة العامري يُطْعِم إذا هَبَّت الصَّبَا.
 أَشْجَعُ من ربيعة بن مُكْدَم^(٣).
 أعزُّ من كُلَيْب بن وائل^(٤).
 أعزُّ من مَرْوان القرظ^(٥).
 أسودُ من قَيْس بن عاصم.
 أَخْلَمُ من الأحنف بن قيس.
 أَرْكَنُ من إِيَّاس بن معاوية^(٦).

(١) أجود من كعب بن مامة الأيادي، ومامة اسم أمه، يقال: خرج كعب في شهر ناجر مع رفاق له، فضلل الركب الطريق فتصافنوا الماء، فأنتهى القعب إلى كعب، ورأى رجلاً من التمر بن قاسط ينظر إليه، فقال للساقي: اسق أخاك النمري! وفعل اليوم الثاني كذلك حتى وردوا الماء فقال له: رد كعبُ إنك وَّزاد، فعجز عن الجواب، وتركوه فغاظ، أي مات. «المستقصى في أمثال العرب ٥٤/١».

(٢) على علّاته: على ما ينويه من قلة ذات يد وعوز.

(٣) هو ربيعة بن مكدم، من بني كنانة، أحد فرسان مُضَر المعدودين في الجاهلية، له أخبارٌ أشهرها حماية الظعن بعد مقتله، قتل نحو سنة ٥٥٨ م. «فهرس الأعلام ١٧/٣».

(٤) هو كليب بن ربيعة بن تغلب بن وائل، سيد ربيعة وقائد نزار كلها، وكان لا يظلم إلا القوي، ويحمي الكلاً فلا يقرب، ولقب بكليب وائل، لأنه كان يكتنع قوائم كلبه فيلقيه في روضة تروقه فحيث بلغ عواء الكلب كان حمى لا يرعى. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/٢٤٦».

(٥) هو مروان بن زنباع العبسي، كان حمى القرظ بعزّه، وقيل: كان يغزو اليمن، وهي منابت القرظ. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/٢٤٧».

(٦) أركن: أعلم وأفهم، وإيَّاس بن معاوية، أبو وائلة، المعروف بالقاضي إيَّاس، أحد أعاجيب الذَّهر في الفطنة والذكاء، يضرب المثل بذكائه وزكته، توفي بواسط سنة ٧٤٠ م. «فهرس الأعلام ٣٣/٢».

أَفْتَلُكُ مِنَ الْبَرَّاضِ بْنِ قَيْسِ النَّمِرِيِّ، خَلِيعِ بَنِي كِنَانَةَ. فَتَكَ بِعُرْوَةِ الرَّحَالِ،
وَالْمُسَاوِرِ بْنِ مَالِكِ الْعَطْفَانِيِّ، وَأَسَدِ بْنِ خَيْثَمِ الْغَنَوِيِّ بِسَبَبِ لَطِيمَةِ النِّعْمَانِ، وَيَسَبِّبُ
ذَلِكَ كَانَتْ أَيَّامُ الْفَجَارِ الْآخِرِ^(١)؛ وَنَسْأَلُهَا فِي وَقَائِعِ الْعَرَبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.
أَوْفَى مِنَ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ، وَخَبْرُهُ مَشْهُورٌ مَعَ مَهْلَهْلِ أَخِي كُلَيْبٍ لَمَّا أَمَنَهُ يَوْمَ
تَخْلَاقِ اللَّئِمِ^(٢).

أَوْفَى مِنْ عَوْفٍ بْنِ مُحَلِّمٍ^(٣).

أَوْفَى مِنْ هَانِيءِ بْنِ قَبِيصَةَ، وَخَبْرُهُ مَشْهُورٌ فِي أَدْرَعِ النِّعْمَانِ؛ وَبِسَبَبِهَا كَانَتْ
وَقْعَةُ ذِي قَارٍ^(٤).

أَوْفَى مِنَ السَّمْوَالِ بْنِ عَادِيَاءَ.

أَجْمَلُ مِنْ ذِي الْعِمَامَةِ، وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ أُمِيَّةَ، وَيَكْنَى أَبَا أَحْيَحَةَ؛ وَهُوَ
الْمَقُولُ فِيهِ: [مِنْ الْبَسِيطِ]

أَبُو أَحْيَحَةَ مَنْ يَغْتَمُّ عَمَّتَهُ يُضْرَبُ وَلَوْ كَانَ ذَا مَالٍ وَذَا وَلَدٍ
أَمْضَى مِنْ سُلَيْكِ الْمَقَانِبِ^(٥).

أَعْلَى فِدَاءً مِنْ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ؛ وَمِنْ بَسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ؛ وَمِنْ الْأَشْعَثِ. أَسْرَثَهُ
مَذْجِجٌ فَفَدَى نَفْسَهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ بَعِيرٍ.

أَعْدَى مِنَ الشُّنْفَرِيِّ، وَمِنْ السُّلَيْكِ بْنِ السُّلْكََةِ.

(١) يوم الفجار: قيل: أيام الفجار أربعة، وسمت قريش هذه الحرب فجاراً لأنها كانت في
الأشهر الحرم، فقالوا: قد فجرنا إذا قاتلنا فيها، أي فسقنا. «انظر مجمع الأمثال للميداني
٥١٢/٢».

(٢) يوم تحلاق اللئيم أو «يوم التحالقي»، كان ذلك اليوم بين بكر وتغلب، سمي بذلك لأنهم حلقوا
رؤوسهم، أعني أحد الفريقين، ليكون علامة لهم. «مجمع الأمثال للميداني ٥٢٢/٢».

(٣) عوف بن محلم: هو أبو خماعة، من بني شيبان، من أشراف العرب في الجاهلية، طلب منه
الملك عمرو بن هند رجلاً كان قد أجاره، فمنعه، وكانت تضرب له قبة في عكاظ. «فهرس
الأعلام ٩٦/٥».

(٤) يوم ذي قار: كان من أعظم أيام العرب، وهو يوم لبني شيبان، انتصرت فيه العرب على جيش
إبرويز ملك العجم. «انظر معجم الأمثال للميداني ٥١٣/٢».

(٥) سليك المقانب: هو عمير بن يثرب السعدي، الذي يقال له: سليك بن السلركة وسليك
المقانب، أحد الأغربة، والسلركة أمه، وكانت سوداء. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/
٢٣٨».

أبطاً من فند، وهو مولى لعائشة بنت طلحة؛ وقال أبو هلال العسكري: عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، بعثت به مولاته ليقتبس^(١) نازاً، فأتى مصر، فأقام بها سنة، ثم جاء يشتد ومعه ناز، فتبددت فقال: تَعَسَّت العجلة!

أَنُومَ من عبود، كان عبود عبداً أسود، وكان الله عز وجل قد بعث نبياً إلى قومه. قال الميداني: إن النبي هو خالد بن صفوان، نبي أهل الرّس، فلم يؤمن به أحد منهم إلا ذلك العبد الأسود، وإن قومه احتفروا له بئراً فصيّروه فيها وأطبقوا عليه صخرة، فكان ذلك الأسود يخرج من القرية فيحطب، ويبيع الحطب فيشتري به طعاماً وشراباً، ثم يأتي به إليه فيُعِينُهُ الله تعالى على الصخرة فيرفعها ويدلي إليه الطعام والشراب، فاحتطب يوماً وجلس فنام على شقه الأيسر سبع سنين، ثم هب من نومه فانقلب على شقه الأيمن، فنام سبع سنين، وهو يظن أنه نام ساعة من نهار. ثم احتمل حُزْمَتَهُ وأتى القرية، فباع الحطب وجاء إلى الحفرة فلم يجد النبي وكان قد بدا للقوم فأخرجوه، فكان يسأل عن الأسود، فيقولون: لا نَدْرِي، فُضِرَبَ به المثل لمن ينأى نوماً طويلاً، وقيل فيه غير ذلك. وذكره الميداني في أمثاله ولم يذكر السبعة الثانية، وإنما ذكرها صاحب كتاب المفاهر^(٢).

أَنُعَمَ من خُرَيْم الناعم، وهو رجل من ولد سنان بن أبي حارثة، كان في زمن الحجاج.

أُبْلَغَ من سَخْبَانٍ وائل، ويقال أَخْطَبُ من سَخْبَان، وهو الذي يقول: [من الطويل]

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّ الْيَمَانُونَ أَنَّنِي إِذَا قُلْتُ: أَمَّا بَعْدُ، أَنِّي خَطِيبُهَا

أَخْطَبُ من قُسٍّ، هو قُسٌّ بن ساعدة بن حُذَافَةَ بن زُهَيْرِ بن إِيَادِ بن نَزَار، وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب من فلان إلى فلان؛ وأول من أقر بالبعث من غير علم؛ وأول من قال: «البينة على من أدعى، واليمين على من أنكر»، وقيل: إنه عُمر مائة وثمانين سنة.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: وَقَدْ وَفَدَ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فلما فرغ من حوائجهم، قال: أَفِيكُمْ مَنْ يَعْرِفُ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ

(١) يقتبس النار: أي يأتي بقبس أو جذوة منها.

(٢) هو كتاب: الفاخر، وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية.

الإيادي؟ فقالوا: كلنا نعرفه! قال: ما فعل؟ قالوا: هَلَك! فقال النبي ﷺ: كأني به على جملٍ أحمرَ بعكاظ قائماً، يقول: «أيها الناسُ اجتمعوا واسمعوا وعُوا! كلُّ مَنْ عاش مات، وكلُّ مَنْ مات فَات، وكل ما هو آتٍ آت! إنَّ في السماء لخبراً، وإن في الأرضَ لَعِبْرًا: مهادٌ^(١) موضوع، وسَقَف مرفوع، وبحارٌ تُمُوج، وتجارةٌ لن تَبُور، وليلٌ داج^(٢)، وسماءٌ ذات أبراج! أقسم قُسٌ حقًا: إن كان في الأرض رضا لِيَكُونَنَّ بعده سخط! وإن الله عز وجلٌ دينًا وهو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم إليه! ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون! أرَضُوا فأقاموا؟ أم تُركوا فناموا!»، ثم أنشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه شِعْرًا حفظه له، وهو: [من مجزوء الكامل]

في الذاهبين الأول	مين من القُرون لنا بصائرُ
لَمَّا رأيتُ مَوَارِدًا	للموت ليس لها مَصَادِرُ ^(٣)
ورأيتُ قَوزي نَحْوَهَا	تسعى: الأصاغر والأكابر
لا يَرْجِعُ الماضي إلَيَّ	ولا من الباقيين غَابِرُ ^(٤)
أيقنتُ أني لا مَحَا	لَهُ حيث صار القومُ صَائِرُ!

ويقال: أغيا من باقلٍ، وهو رجل من ربيعة ابتاع ظبيًا وخشيًا بأحدَ عشرَ درهماً، وجعل بقية الدراهم في فيه. فسُئِلَ عن ثمنه، ففعل بيديه تُجَاه السائل أي فتح أصابعه وفغر فاه وأدلى لسانه يشير بذلك إلى ثمنه، فحصل من ذلك انفلات الطبي، وسقوط الدراهم، والإساءة على السائل، فَضُرِبَ به المثل.

أَبْرُ من العَمَلَس، كان بَرًّا بآمته فكان يحملها على عاتقه.

أَبْرُ من فَلَحَس، وهو رجل من شيان، حمل أباه على ظهره وحجَّ به.

(١) المهاد: الفراش، أو الأرض المنخفضة المستوية.

(٢) الداجي: المظلم الذي يعم بظلمته كل شيء.

(٣) الموارد: الذين يردون إلى الموت ليشربوا كأسه الذي لا يبقى ولا يذر، والمصادر: الذين يعودون بعد الشرب، ولكن في الموت لا يعود أحد، أي لا يصدر أحد بعد أن يشرب كأس الموت.

(٤) الغابر: الباقي، أي لن يبقى أحد بسبب الموت.

وفيه أيضًا يقال:

أَسْأَلُ مِنْ فَلَحْسٍ، كَانَ سَيِّدًا عَزِيزًا، يَسْأَلُ سَهْمًا فِي الْجَيْشِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَيُعْطَى لِعَزَاهُ؛ فَإِذَا أُعْطِيَ سَأَلَ لَامْرَأَتَهُ، فَإِذَا أُعْطِيَ سَأَلَ لَبْعِيرِهِ، وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ يُقَالُ لَهُ زَاهِرٌ، فَكَانَ مِثْلَهُ، فَقِيلَ فِيهِ: «الْعَصَا مِنَ الْعَصِيَّةِ».

ويقال:

أَخْبِبُ صَفْقَةً مِنْ شَيْخٍ مَهْوٍ، وَهُوَ حَيٌّ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ اشْتَرَوْا الْفُسُو^(١) مِنْ إِيَادٍ، وَكَانُوا يُعْرِفُونَ بِهِ، فَعَرَفَتْ بِهِ عَبْدِ الْقَيْسِ. قَالَ الْمِيدَانِي: هَذَا الشَّيْخُ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَيْدَرَةٍ، اشْتَرَى الْفُسُو مِنْ إِيَادٍ بِبُرْدِي جَبَرَةٍ^(٢)، وَقَالَ لِقَوْمِهِ: اشْرِئْتُ لَكُمْ عَارَ الدَّهْرِ، فَقَالَتْ عَبْدِ الْقَيْسِ فِي ذَلِكَ: [مَنْ الرِّجْزُ]

إِنَّ الْفُسَاةَ قَبَلْنَا إِيَادُ وَنَحْنُ لَا نَفْسُو وَلَا نَكَادُ

وفيهم يقول شاعر: [مَنْ الرِّجْزُ]

يَا مَنْ رَأَى كَصَفْقَةِ ابْنِ بَيْدَرَةٍ مِنْ صَفْقَةٍ خَاسِرَةٍ مُخَسَّرَةٍ؟
الْمُشْتَرِي الْعَارَ بِبُرْدِي جَبَرَةٍ! شَلْتُ يَمِينُ صَافِقٍ مَا أَخْسَرَهُ!^(٣)

أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ أَبِي عَبْشَانَ، فَإِنَّهُ بَاعَ مَفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ مِنْ قُصَيِّ بَرْقُ خَمَرٍ^(٤).

أَضَلُّ مِنْ سِنَانٍ، وَهُوَ ابْنُ أَبِي حَارِثَةَ الْمَرِّي، وَكَانَ قَوْمُهُ عَنَفَوْهُ عَلَى الْجُودِ، فَركب نَاقَةً لَهُ وَرَمَى بِهَا الْفَلَاةَ، فَلَمْ يَرُ بَعْدَ ذَلِكَ. وَسَمَّتهُ الْعَرَبُ ضَالَّةً غَطْفَانٍ، وَقَالُوا: إِنَّ الْجَانَّ اسْتَفْحَلْتَهُ^(٥) تَطْلُبُ كَرَمَ نَجْلِهِ.

أُبْطِشُ مِنْ دَوْسَرٍ، وَهِيَ كَتِيبَةُ النِّعْمَانِ.

أَهْدَى مِنْ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ.

أَفْرَعُ مِنْ حَجَّامٍ^(٦) سَابَاطُ، يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ إِذَا أَعْوَزَهُ مِنْ يَخْجُمُهُ حَجْمُ أُمِّهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَحْجُمُهَا حَتَّى نَزَفَ دَمُهَا، فَمَاتَتْ.

(١) الْفُسُو: الرِّيحُ إِذَا خَرَجَ بِهَا صَوْتُ يَسْمَعُ.

(٢) الْبُرْدَى الْحَبْرَةُ: ثَوْبٌ مَخْطُوطٌ يَلْتَحِفُ بِهِ، وَهُوَ مِنَ الثِّيَابِ الَّتِي تَضَعُ بِالْيَمَنِ.

(٣) شَلْتُ: أَصَابْتُ بِالشَّلَلِ.

(٤) الزَّق: وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ، يَجَزُّ شَعْرَهُ وَلَا يَنْتَفِ، يَسْتَعْمَلُ لِلشَّرَابِ وَغَيْرِهِ.

(٥) اسْتَفْحَلْتَهُ: أَيِ جَعَلْتَهُ فَحْلًا يَنْزُو عَلَى نَسَائِهَا، وَكَرَمَ نَجْلِهِ: كَرَمَ أَصْلَهُ.

(٦) الْحَجَّامُ: مُحْتَرَفُ الْحِجَامَةِ، وَهِيَ امْتِصَاصُ الدَّمِ بِالْمَحْجَمِ.

أَتَدُمُ مِنَ الْكُسْعِيِّ، واسمه مُحَارِبُ بْنُ قَيْسٍ، وقيل: غامد بن الحارث، وكان أرمى الناس، لا يخطيء له سهم، فخرج ومعه قوس وخمس سهام فرمى صيداً في الليل فأصاب سهمه ونقذ، فوقع في الحَجَرِ فَقَدَحَ ناراً. ثم رمى كذلك حتى استنفد السَّهَامَ، وهو يظنُّ أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي الْجَمِيعِ فَكَسَرَ قَوْسَهُ، وخلع إبهامه، فلما أصبح رأى رميته، فندم على فعله.

أَمْنَعُ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ، وسيأتي خبره في وقائع العرب^(١).

أَبْخَلُ مِنْ مَادِرٍ، وسيأتي خبره في باب الهجاء^(٢).

أَكْذَبُ مِنْ مُسَيَّلَمَةَ الْحَنْفِيِّ، (وخبره مشهور في دعواه النبوة)، ومن الْمُهْلَبِ، (وكان يكذب لأصحابه في حرب الأزارقة^(٣)، يَعُدُّهُمْ بِالنُّجْدَةِ والإمداد).

أَحْمَقُ مِنْ رَاعِي ضَاوٍ^(٤) ثَمَانِينَ، (وذلك أن أعرابياً بَشَّرَ كِسْرَى بِبَشَارَةٍ سُرَّ بِهَا، فقال له كسرى: سلني ما شئت! فقال: أسألك ضاأنا ثمانين)؛ ومن هَبَّئَقَةً، وهو ذو الْوَدَعَاتِ، واسمه يزيد بن ثُرْوَانٍ أَحَدُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وبلغ من حُمْقِهِ أَنَّهُ ضَلَّ لَهُ بَعِيرٌ، فَنَادَى مَنْ وَجَدَ بَعِيرِي فَهُوَ لَهُ، فقيل له: فَلَمْ تُنْشِدْهُ؟ قال: فأين حلاوة الْوُجْدَانِ، وفيه يقول الشاعر: [من الخفيف]

عِشْ بِجَدٍّ وَكُنْ هَبَّئَقَةً الْقَيْدِ سَيِّئِ نَوْكَاً أَوْ شِيئَةً بَنَ الْوَلِيدِ^(٥)

رُبُّ ذِي إِزْبَةٍ مُقِلُّ مِنَ الْمَا لِ وَذِي عُجْجِيَّةٍ مَجْدُودِ^(٦)

العنجهية: الجهل.

أَحْمَقُ مِنْ رَبِيعَةَ الْبَكَاءِ، هو رَبِيعَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، ومن حُمْقِهِ أَنَّهُ تَزَوَّجَتْ بَعْدَ أَبِيهِ، فدخل عليها الْخَبَاءُ، وكان قد أَلْتَحَى فوجد

(١) هو الحارث بن ظالم بن غيط المزني، أبو ليلي، أشهر فتاك العرب في الجاهلية، نشأ يتيمًا، وآلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن خديجة، قتل في حوران نحو سنة ٦٠٠ م. «انظر فهرس الأعلام ١٥٥/٢».

(٢) أبخل من مادر: وهو أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة، سقى إبله ثم سلح في فضلة بقيت في أسفل الحوض، ومدره بها لتعافه إبل غيره فلا ترده. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/ ١٣».

(٣) الأزارقة: فرقة من الخوارج. (٤) الضأن: ذو الصوف من الغنم.

(٥) التوك: الحمق.

(٦) الإربة: الذهاء والحيلة، والعنجهية: الجهل، والمجدود: المحظوظ.

زوجها يباضعها^(١)، فتوهم أنه يريد قتلها، فبكى وهتَكَ الخباء، فأجتمع الناس وسألوه عن شأنه، فأخبرهم أنه وجده على بطنها يريد قتلها، فقالوا: «أهون مقتول»، فصار مثلاً.

أَتَيْهِ من أحمقٍ ثَقِيفٍ، وهو يوسف بن عمرو.

أَلَصُّ من شِطَّاظٍ، وهو رجل من بني ضَبَّةَ.

أَزْنَى من قِرْدٍ، وهو قِرْدٌ بن معاوية بن هُذَيْل.

أَمْطَلُ^(٢) من عُرْقُوب.

وقال كعب بن زهير: [من البسيط]

كَانَتْ مَوَاعِيْدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيْدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ^(٣)

أَشَامُ من خَوْتَعَةٍ، وهو رجل من بني غَفِيلَةَ بن قاسطٍ أخي النمر بن قاسط.

أَشَامُ من قُدَّارٍ (وهو عاقر الناقة)، ومن أحمر ثمودَ (وهو عاقرها أيضًا)،

أَشَامُ من طُوَيْسٍ، وهو مخنث، كان يقول إنه ولد يوم مات النبي ﷺ، وفُطِمَ

يوم مات أبو بكر؛ وبلغ يوم قتل عُمرَ، وتزوَّج يوم قتل عثمان، وولد له يوم قتل عليّ.

أَمَكَّرُ من قيس بن رُهَيْرٍ.

وأما من ضرب بها المثل من النساء:

يقال: أَنْجَبُ من مَارِيَّةَ، ولدت لزُرَّارةَ حاجبًا، وَلَقِيْطًا، وَعَلْقَمَةَ.

(١) يباضعها: أي يباشرها.

(٢) أمطل من عرقوب: عرقوب: قيل: هو رجل من خيبر، كان يهوديًا وكان يعد ولا يفي، فضربت به العرب المثل، وقيل: هو رجل من العماليق أتاه أَخٌّ له يسأله، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعتها، فلما أطلعت أتاه للعدة فقال: دعها حتى تصير بلحًا، فلما أبلحت قال: دعها حتى تصير رطبًا، فلما أرطبت قال: دعها حتى تصير تمرًا، فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجذها ولم يعط أخاه منها شيئًا، فصار مثلاً. «انظر ديوان كعب بن زهير ص ١١٠، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض».

(٣) الأباطيل: الأوهام والكذب.

أَنْجَبُ من بنت الحارث^(١)، وَلَدَتْ لَزِيَادَ الْعَبْسِيِّ بَنِيهِ الْكَمَلَةَ، وَهُمْ: ربيعة الكامل، وعمارة الوهاب، وقيس الحافظ، وأَسُّ الْقَوَارِس.

أَنْجَبُ من أُمِّ الْبَنِينَ^(٢)، وَلَدَتْ لِمَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ، مُلَاعِبِ الْأَسْنَةِ عَامِرًا، فَارِسًا.

أَنْجَبُ من عَاتِكَةَ^(٣)، وَلَدَتْ لِعَبْدِ مَنْافٍ هَاشِمًا، وَعَبْدَ شَمْسٍ، وَالْمُطَلَّبَ.

أُسْرَعُ من نِكَاحِ أُمِّ خَارِجَةَ، وَهِيَ عُمَيْرَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُدَارِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْغُوْثِ بْنِ أَنْمَارِ بْنِ أَرَّاشِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْغُوْثِ بْنِ ثَبَّتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبْلٍ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ، وَلَدَتْ فِي ثِيْفٍ وَعِشْرِينَ حَيًّا مِنَ الْعَرَبِ، كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لَهَا: خِطْبُ! فنقول: نِكْحُ!

قال أبو الفرج الأصبهاني: فمن ولدت، الدليل، وليث، والحارث بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة، وغاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، والعنبر، وأسيد، والهَجِيم بنو عمرو بن تميم، وخارجة بن يشكر (وبه كانت تكتئ)، وسعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مُزَيْقِيَا (وهو أبو الْمُصْطَلِق).

قال: وزعموا أن بعض أزواجها طَلَّقَهَا فرحل بها ابنُ لها عن حيِّه إلى حيِّها فلقِيها رَاكِبًا، فلما تَبَيَّنَتْه، قالت لابنها: هذا خاطب لي لا شكَّ فيه، أفتراه يجعلني أن أنزل عن بعيري، فجعل ابنها يسبُّها.

أَحْمَقُ من المَمْهُورَةِ إِحْدَى خَدَمَتَيْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ زَوْجَهَا طَلَّقَهَا، فَطَالَبَتْه بِمَهْرِهَا، فَأَخَذَ أَحَدَ خَلْأَلِهَا مِنْ رِجْلِهَا وَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ، فَفُضِيَتْ بِهِ.

أَحْمَقُ من دُعَاةٍ^(٤)، هِيَ مَارِيَةُ بِنْتُ مَعْنَجٍ بن ربيعة بن عجل، وقيل بنت مَنُجَجٍ، تَزَوَّجَتْ وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي بَنِي الْعَنْبَرِ بن تميم، فحملت، فلما أدركها المخاض، ظَنَّتْ أَنَّهَا تَرِيدُ الْخَلَاءَ، فَتَبَزَّزَتْ فَوَلَدَتْ فَاسْتَهَلَّ الْوَلَدُ، فَاَنْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقْدَرُ أَنَّهَا إِنَّمَا

(١) الصواب: بنت الخُرْشُب، وهي فاطمة بنت الخرشب الأنمارية. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/٣٨٣».

(٢) أم البنين: هي بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء. «انظر المستقصى ١/٣٨٢».

(٣) عاتكة: هي بنت هلال بن مرة السلمية. «انظر المستقصى ١/٣٨٤».

(٤) أحقق من دُعَاةٍ: نقصانها أو أو ياء في الأصل من قولهم: فلان ذو دغوات ودغيات أي أخلاق رديّة، لَقِبَتْ بِذَلِكَ لِحَمَقِهَا وَرَدَاءَةِ أَخْلَاقِهَا. «المستقصى في أمثال العرب ١/٧٩».

أحدثت، فقالت لضرتها: يا هتاه، هل يفغر الجعرُ فاه^(١)؟ قالت: نعم، ويدعو أباه! فمضت ضرئتها للولد فأخذته، فبنو العنبر تسمى بني الجعراء.

أبصرُ من رزقاء اليمامة، وهي امرأة من طسُم، كانت تُبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليالٍ، وسيأتي إن شاء الله تعالى خبرها في وقعة طسُم وجديس.

أزنى من هرٍّ، وهي امرأة يهودية، وهي التي قطع المهاجرُ يدها فيمن قطع من النساء حين شمتن بموت رسول الله ﷺ.

أشبقُ^(٢) من حُبَي المدنية.

أشام من البسوس، وهي جارة جساس بن مرة، صاحبة الناقة التي قتل بسببها كليب، واثارت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة.

ويقال:

أمنع من أم قزفة، وهي امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاربي، كان يعلّق في بيتها سبعون سيفًا، كلُّ سيفٍ لذي محرّم منها، فضرب بها المثل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الثالث

من القسم الأول من الفن الثاني

في الغزل، والنسيب، والهوى، والمحبة، والعشق

ولنبداً بذكر الهوى، لأنه السبب الباعث على الغزل، وذلك أنه إذا حلّ في الأجسام ارتاحت النفوس، ورقت القلوب، وانجذبت الخواطر، وصفت الأذهان، وسهل على القرائح فأبرزته الألسن، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.

ذكر شيء مما قيل في الهوى، والمحبة، والعشق، وما قيل في ماهية العشق، وحقيقته وسببه، وما قيل في مدحه، وذمه، والممدوح منه، والمذموم، وضرر العشق

(١) يفغر: يفتح، وفغر فاه: فتحه على وسعه، والجعر: ما ييس في الدبر من العذرة، والجعراء: الدبر، والمراد بالجعر هنا: القبل.

(٢) الشبق: شهوة الجماع، وحبي: هي امرأة مزواج، تزوجت على كبرها فتى شابًا، ولها ابنٌ كهل، وكانت نساء المدينة يسمونها حواء أم البشر لأنها علمتهن ضروب الجماع. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/ ١٨٥ - ١٨٦».

في الدنيا، والآفات التي تجري على العاشق: من المرض، والجنون، والضنا^(١)، والمخاطر بالنفوس، وإلقائها إلى الهلاك.

ثم نذكر أخبار... ومن أخرجه عن دينه حتى كفر بربه، ومن قتل، وقُتِل فيه، ومن قتل نفسه.

ثم نذكر ما ورد في التحذير من فتنة النساء، وذم الرّنى، والنظر إلى المُزدان^(٢)، والتحذير من اللواط، وعقوبة اللائط، وغير ذلك من أمر العشق، على ما سنشرحه إن شاء الله تعالى فنقول، وبالله التوفيق.

أمّا ماهية^(٣) العشق وحقيقته، فقد تكلم عليه أوائل الحكماء والفلاسفة وغيرهم من المسلمين، على ما نشرحه إن شاء الله تعالى.

فأما كلام الحكماء والفلاسفة

فقال أفلاطون^(٤): العشق، حركة النفس الفارغة بغير فكرة.

وسئل ديوجانس^(٥) عن العشق، فقال: سوء اختيارٍ صادف نفساً فارغة.

وقال أرسطاطاليس^(٦): العشق، هو عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب.

وقال فيثاغورس^(٧): العشق، طبع يتولد في القلب ويتحرك وينمى ثم يتربى،

(١) الضنا: المرض والهزال.

(٢) المزدان: مفردا أمرد، وهو الغلام الذي طرّ شارب، ولم تبدُ لحيته بعد.

(٣) الماهية: من الشيء أو الأمر أو الإنسان: حقيقته وطبيعته، وما يقوم به من صفات.

(٤) أفلاطون: هو ابن أرسطو بن أرسطوقليس من أثينية، معروف بالتوحيد والحكمة، ولد حوالي سنة ٤٢٧ ق.م. في زمان أردشير بن دارا، تتلمذ لسقراط، وقام مقامه بعد اغتياله بالسم. «انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ٤٠٥».

(٥) ديوجانس: ولد بمدينة سينوب سنة ٤١٣ ق.م، وكان من قدرية الفلاسفة لما كان في كلامه من الميل إلى القدر، وكان يلقب بالكلبي تتلمذ في أثينا على يد أنتيشتيوس، عاش حياة فقر وضنك، وآثر أن يظل حافيًا طوال حياته. «انظر الملل والنحل ص ٤٧٢».

(٦) هو أرسطاطاليس: ابن نيقوماخوس، من أهل أسطوخرا، وهو المقدم المشهور، والمعلم الأول والحكيم، ولد سنة ٣٨٤ ق.م، تتلمذ على يد أفلاطون، وتعلم مع فيليس أبي الإسكندر، وسُمّي بالمعلم الأول لأنه واضع التعاليم المنطقية. «انظر الملل والنحل ص ٤٤٤».

(٧) فيثاغورس: ولد في الجزيرة الأيونية، ولما ناهز الأربعين قصد إيطاليا الجنوبية، وكان بها المهاجرون اليونانيون، عرف بالفضل والعلم، ولقوة شخصيته شاعت حوله الأساطير والقصص، وهو أحد الحكماء الذين اشتغلوا بالإلهيات. «انظر الملل والنحل ص ٣٨٥، دار الكتب العلمية».

ويجتمع إليه موادّ من الحرص، وكلما قوّي ازداد صاحبه في الاهتياج واللّجاج^(١)،
والتمادي في الطمع، والفكر في الأماني، والحرص على الطلب، حتى يؤذيه ذلك
إلى الغم المقلق.

والى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله: [من الطويل]

وما العشق إلا غرّة وطماعةٌ يعرض قلبُ نفسه فيُصابُ

وقال بعض الفلاسفة: لم أرَ حقّاً أشبه بباطل، ولا باطلاً أشبه بحق من العشق:
هزله جدّ، وجده هزل، وأوله لعب، وآخره عطب^(٢).

وقد ذهب بعضهم إلى أنه مرضٌ وسواسيّ شبيه بالماليخوليا^(٣).

وأما كلام الإسلاميين وما قالوه فيه

فقد حكى عن أبي العالية الشاميّ، قال: سأل المأمون يحيى بن أكثم^(٤) عن
العشق ما هو؟ فقال: هو سوانحٌ للمرء يهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه! قال: فقال له
ثمّامة^(٥): اسكت يا يحيى! إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاقٍ أو مُحَرِّمٍ صادٍ طبيّاً،
أو قتلٍ نملّة؛ فأما هذه فمسائلنا نحن! فقال له المأمون: ما العشق؟ يا ثمّامة، فقال:
العشق جليسٌ مُمتّع، وأليفٌ مُؤنس، وصاحبٌ مملّك، ومالكٌ قاهر، مسالكة لطيفة،
ومذاهبة غامضة، وأحكامه جائرة؛ مَلَكُ الأبدانِ وأرواحها، والقلوبُ وخواطرها،
والعيونُ ونواظرها، والعقولُ وآراءها، وأُعطيَ عنانَ طاعتها، وقيودُ تصرفها، توارى
عن الأبصار مدخله، وغِيضُ^(٦) في القلوب مسلكه! فقال له المأمون: أحسنت والله،
يا ثمّامة! وأمر له بألف دينار.

وحكى عن الفضل بن يعقوب، قال: لما اجتمع ثمّامة بن أشرس، ويحيى بن
أكثم عند المأمون، قال ليحيى: خبرني عن العشق ما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين،

(١) اللّجاج: العناد والخصومة والتمادي فيها. (٢) العطب: الهلاك والفساد.

(٣) الماليخوليا: مرض نفسي يتوهم فيه المصاب أشياء وتصورات.

(٤) يحيى بن أكثم التميمي المروزي، أبو محمد، قاضٍ رفيع القدر، يتصل نسبه بأكثم بن صيفي،
حكيم العرب، متقدّم في الفقه والقضاء، توفي سنة ٨٥٧ م. «فهرس الأعلام ١٣٨/٨».

(٥) ثمّامة: هو ثمّامة بن أشرس التميمي، أبو معن، من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء
المقدّمين، وكان ذا نواذر وملح، وعده المقرئ في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يُسمّون
«الثمّامية» نسبةً إليه، توفي سنة ٨٢٨ م. «فهرس الأعلام ١٠٠/٢».

(٦) غيض: من غاض الشيء: غاب واحتبس.

سوانح تسنح للعاشق يؤثرها، ويهيم بها تسمى عشقًا! فقال له ثمامة: يا يحيى، أنت بمسائل الفقه أبصر منك بهذا، ونحن بهذا أحذق^(١) منك! فقال المأمون: فهات ما عندك! فقال: يا أمير المؤمنين، إذا امتزجت خواطر النفوس بوصل المشاكلة^(٢) نتجت^(٣) لمح نور ساطع تستضيء به نواظر العقول، ويتصوّر من ذلك اللّمح نور خاص بالنفوس متصل بجواهرها يسمى عشقًا! فقال له المأمون: صدقت، هذا وأبيك الجواب!

وحكي عن الأصمعي^(٤)، قال: دخلت على هارون الرشيد، فقال: يا أصمعي، إني أرتق ليلتي هذه، فقلت: مم؟ أنا الله عين أمير المؤمنين، قال: فكُرت في العشق مم هو، فلم أفق عليه، فصِفْه لي حتّى إخاله جسمًا مجسمًا! قال الأصمعي: لا والله ما كان عندي قبل ذلك فيه شيء فأطرقت مليًا، ثم قلت: نعم يا سيدي، إذا تقاربت الأخلاق المشاكلة وتمازجت الأرواح المشابهة، لمح نور ساطع يستضيء به العقل، وتهتز لإشراقه طباع الحياة، ويتصوّر من ذلك النور خلق خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمى العشق! فقال: أحسنت والله! يا غلام، أعطه أعطه وأعطه! فأعطيت ثلاثين ألف درهم.

وحكي عن الأصمعي أنّه قال: لقد أكثر الناس في العشق، فما سمعت أوجز ولا أجمل من قول أعرابيّة (وقد سُئِلت عن العشق)، فقالت: ذلٌّ وجنونٌ. قلت: هذه صفة ثمرة العشق ومآله^(٥).

والتحقيق أن العشق شدّة ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها، فإذا قوي فكرها فيه تصوّرت حصولها وتمتّت ذلك، فيتجدّد من شدّة الفكر مرضٌ.

وقيل لبعضهم: ما العشق؟ فقال: ارتياح في الخلقة، وفرح يجول في الرّوح، وسرور ينساب في أجزاء القوي.

(١) أحذق: من الحذق وهو المهارة والمعرفة الواسعة.

(٢) المشاكلة: المشابهة.

(٣) نتجت: ولدت، واللمح: لمعة البرق أو قدرها من الزّمان.

(٤) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي، أبو سعيد، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، مولده ووفاته بالبصرة سنة ٨٣١ م، كان الرشيد يسميه شيطان الشعر، له مصنفات عديدة. «انظر فهرس الأعلام ١٦٢/٤».

(٥) المآل: المرجع والمصير.

وقال أبو العيناء^(١): سألت أعرابياً عن الهوى، فقال: هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يُرى، كامنٌ ككمون^(٢) النار في الحجر، إن قدحته^(٣) أورى^(٤)، وإن تركته توارى.

وسئل يحيى بن معاذ عن حقيقة المحبة، فقال: التي لا تزيد بالبرّ، ولا تنقص بالجفاء.

وسئل بعض الصوفية عن الهوى والمحبة، فقال: الهوى يحلّ في القلب، والمحبة يحلّ فيها القلب!
وللعشق مراتب من ابتدائه إلى انتهائه.

ذكر مراتب العشق وضروبه

قالوا: أوّل ما يتجدّد الاستحسان للشخص تحدّث إرادة القرب منه، ثم المودة، (وهو أن يودّ لو ملكه)، ثم يقوى الودّ فيصير محبة، ثم يصير هوى، (فيهوى بصاحبه في محابّ المحبوب من غير تمالك)، ثم يصير عشقاً، ثم يصير تتيماً (والتّيم حالة يصير بها المعشوق مالِكاً للعاشق لا يوجد في قلبه سواه)، ثم يزيد التّيم فيصير وَلَهَا (والوَلَه الخروج عن حدّ الترتيب، والتعطّل عن أحوال التمييز).

وقال بعضهم: أوّل مراتب العشق الميّل إلى المحبوب، ثم العلاقة، ثم الحبّ، ثم يستحكم الهوى فيصير مودة تزيد بالمؤانسة، وتدرّس^(٥) بالجفاء والأذى، ثم الخلّة^(٦)، ثم الصّباية (وهي رقة الشوق) تولدها الألفة، ويبعثها الإشفاق، ويهيئها الذكر، ثم تصير عشقاً، وهو على أضرب، فمبدؤه يصقّي الذهن، ويهذب العقل؛ كما قال ذو الرياستين^(٧) لأصحابه: «أعشقوا، ولا تعشقوا حراماً! فإن عشق الحرام يطلق اللسان ويرفع التبلّد ويطلق كفّ البخيل ويبعث على النظافة ويدعو إلى الذكاء، فإذا زاد؛ مرض الجسد، فإذا زاد، أخرج العقل وأزال الرأي فاستهلك، ثم يترقّى

(١) أبو العيناء: هو محمد بن القاسم بن خلّاد بن ياسر الهاشمي، أديب فصيح من ظرفاء العالم، اشتهر بنوادره ولطائفه، وكان ذكياً جداً وحسن الشعر، ضرير، مات سنة ٨٩٦ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٣٣٤».

(٢) كمون النار: اختفاؤها.

(٣) قدحته: استخرجت النار منه بالقدح أي بالاحتكاك.

(٤) أورى: أشعل نازاً، وأوقد.

(٥) تدرّس: تمحى وتعفو.

(٦) الخلّة: الصداقة والمحبة.

(٧) ذو الرياستين: هو الفضل بن سهل.

فيصير وَلَهَا، ويسمى ذو الوله مُدْلَهَا، ومستهامًا، ومستَهْتَرًا، وحيرانًا؛ ثم بعدها التَّيَمُّ فيدعى مَتِيَمًا، والتَّيَمُّ نهاية الهوى، وآخر العشق؛ ومن التَّيَمُّ يكون الداء الدَّوِّي^(١)، والجنون الشاغل».

وقال بعض الحكماء: أوَّل الحب العلاقة (وهو شيء يحدثه النظر أو السمع فيخطر للبال، ويعرض للفكر، ويرتاح له القلب، ثم ينمى بالطمع، واللَّجاج، وإدمان الذكر)، ثم يقوى فيصير حُبًّا، ثم يصير هَوًى، ثم يصير خُلَّةً، ثم عشقًا، ثم وَلَهَا، فيسمى صاحبه مُدْلَهَا، ومستهامًا، وهائمًا، وحيرانًا، ثم يصير مَتِيَمًا، وهو أرفع منازل الحب؛ لأن التَّيَمُّ التَّعَبُّد، والوجد ألم الحب، والهَيَمَانُ الذهاب في طلب غرض لا غاية له، والكَلْفُ والشَّغْفُ اللَّهْج بطلب الغرض.

وقال الفراء^(٢): اللُّوْعَةُ، حُرْقَةُ القلب من الحب.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام^(٣): العلاقة الحب اللازم للقلب، والجوى الهوى الباطن، واللُّوْعَةُ حُرْقَةُ الهوى، واللاعج الهوى المحرق، والشَّغْفُ أن يبلغ الحب شَغَاف القلب (وهو جلد دونه)، والتَّيَمُّ أن يستعبده الهوى، والتَّئُلُّ أن يُسْقِمه الهوى، يقال: رجل متبول، والتَّذْلِيَةُ، ذهاب العقل من الهوى، يقال: رجل مُدْلَةٌ، والهَيُومُ أن يذهب على وجهه، والشَّغْفُ إحراق القلب مع لَذَّة يجدها وهو شبيه باللُّوْعَةِ.

وقال أبو عبد الله بن عرفة^(٤): الإرادة قبل المحبة، ثم المحبة، ثم الهوى، ثم العشق.

وقال ابن دُرَيْد: الصَّبَابَةُ رَقَّةُ الهوى، واشتقاق الحب من أَحَبَّ البعير، إذا بَرَكَ من الإعياء.

(١) الداء: المرض، والدَّوِّي: الشديد.

(٢) الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، وكان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، وكان فقيهاً متكلماً عالماً بأيام العرب وأخبارها، مات سنة ٨٢٢ م. «فهرس الأعلام ٨/١٤٥».

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلام: الهروي الأزدي الخزاعي، من كبار علماء الحديث والأدب والفقه، من أهل هراة له مؤلفات عدَّة، منها «الغريب المصنف» في غريب الحديث، والمذكر والمؤنث، والمقصود والممدود، توفي بمكة سنة ٨٣٨ م. «فهرس الأعلام ٥/١٧٦».

(٤) ابن عرفة: هو محمَّد بن محمد الورغمي، أبو عبد الله، إمام تونس وخطيبها وعالمها، تولَّى إمامة الجامع الأعظم فيها، له مؤلفات عديدة في الفقه، توفي سنة ١٤٠٠ م. «فهرس الأعلام ٤٣/٧».

ذكر ما قيل في الفرق بين المحبة والعشق

قالوا: المحبة جنس^(١)، والعشق نوع^(٢)، فإن الرجل يحب أباه وأمه، ولا يبعثه ذلك على تَلَف نفسه، بخلاف العاشق.

وقد حكى أن بعض العشاق نظر إلى جارية كان يهواها، فارتعدت فرائضه^(٣) وغشي عليه، فقيل لبعض الحكماء: ما الذي أصابه؟ فقال: نظر من يحبه، فانفراج قلبه، فتحرّك الجسم لانفراج القلب! فقيل له: فنحن نحب أهالينا ولا يصيبنا ذلك! فقال: تلك محبة العقل، وهذه محبة الروح!

وقالوا: كل عشق يسمّى حُبًّا، وليس كل حبّ يسمّى عشقًا؛ لأنّ العشق اسم لما فَضِّل^(٤) عن المحبة، كما أن السرف^(٥) اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما نقص عن الاقتصاد، والجبن اسم لما فَضِّل عن شدة الاحتراس، والهوج اسم لما فَضِّل عن الشجاعة.

قال الشاعر:

ثلاثة أحباب: فحبّ علاقةٌ وحُبّ تِمْلَاقٌ، وحُبّ هو القتل!^(٦)

وأما سبب العشق وما قيل فيه، فقالوا: سبب العشق مصادفة النفس ما يلائم طبيعتها فتستحسنه وتميل إليه، وأكثر أسباب المصادفة النظر. ولا يكون ذلك باللمح، بل بالتثبّت في النظر ومعاودته بالنظر، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبته النفس، ورامت التقرب منه، وتمنّت الاستمتاع به، فيصير فكرها فيه، وتصويرها إياه في الغيبة حاضراً، وشغلها كلّ به، فيتجدّد من ذلك أمراضٌ لانصراف الفكر إلى ذلك المعنى، وكلما قويت الشهوة البدنية، قويّ الفكر في ذلك، وقد أمر الله عزّ وجلّ بِغَضِّ البصر، فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: الآية ٣٠]، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: الآية ٣١]، فقرن غَضُّ البصر بحفظ الفرج؛ لأنه يسببه ويؤول إليه.

(١) الجنس: الأصل، أو ما يدلّ على عددٍ من الأنواع كالحويّات المشتملة على الحيوان والإنسان.

(٢) النوع: الصنف من كلّ شيء الذي يتّصف بصفات خاصة ميّزه له عن غيره.

(٣) الفرائض: مفردا الفريضة، وهي لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع.

(٤) فَضِّل: زاد.

(٥) السرف: التجاوز في البذل.

(٦) تَمْلَاق: غير صادق من مالت؛ وهو التودّد باللسان وليس بالقلب.

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُتَّبِعِ النظرة النظرة، فإن لك الأولى! وليست لك الآخرة».

وعن أبي هريرة^(١) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَزَنَاهُمَا النَّظَرُ».

وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي، اتَّقِ النظرة بعد النظرة! فإنها سَهْمٌ مَسْمُومٌ، يُورِثُ الشَّهْوَةَ فِي الْقَلْبِ».

وعن أنس^(٢) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى مَحَاسِنِ الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ».

وعن يحيى بن سعيد^(٣) قال: كان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول: «النظرُ يَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ، وَكَفَى بِهَا حَاطِيَةً!».

وعن سفيان^(٤) قال: قال عيسى عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالنَّظَرَ! فَإِنَّهُ يَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ، وَكَفَى بِهَا لَصَاحِبِهَا فِتْنَةً!».

وقال الحسن البصري^(٥): من أطلق طَرْفَهُ^(٦)، أطال أَسْفَهَهُ.

(١) أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، قيل: كان اسمه عبد شمس فغيّر، كان حافظاً مثبِتاً ذكياً صاحب صيام وقيام، ولي إمرة المدينة مَرَات، وهو من رواة الحديث المشهورين، توفي سنة ٥٧ هـ، وقيل: ٥٩ هـ. «الكاشف للذهبي ٣/٣٤١، دار الكتب العلمية».

(٢) أنس: هو أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، الصحابي، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، من رواة الحديث، مات بالبصرة سنة ٩٣ هـ. «الكاشف ١/٨٨».

(٣) يحيى بن سعيد: لعلة يحيى بن سعيد بن فروخ الحافظ الكبير، أبو سعيد التميمي مولا هم البصري القطان، ولد سنة ١٢٠ هـ، ومات سنة ١٩٨ هـ في صفر، وكان رأساً في العلم والعمل. «الكاشف ٣/٢٢٥».

(٤) هو سفيان الثوري بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله، كان سيّد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ولد ونشأ في الكوفة، وهو أمير المؤمنين في الحديث، توفي بالبصرة سنة ٧٧٨ م. «فهرس الأعلام ٣/١٠٤».

(٥) هو الحسن البصري، أبو سعيد، إمام أهل البصرة، وحبر زمانه، وأحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان، ولد بالمدينة وشبّ في كنف علي بن أبي طالب، أخباره كثيرة، وكلماته سائرة، توفي سنة ٧٢٨ م. «فهرس الأعلام ٢/٢٢٦».

(٦) الطرف: النظر.

وقال ذو النون^(١): اللَّحَظَات تَوْرَثُ الْحَشَرَات: أُولُهَا أَسْفُ، وَآخِرُهَا تَلَفُ، فَمَنْ تَابَعَ طَرَفَهُ، تَابَعَ حَتْفَهُ^(٢).

وقال حكيم: أَوَّلُ الْعِشْقِ النَّظَرُ، وَأَوَّلُ الْحَرِيقِ الشَّرَرُ.

وقال أبو الفرج بن الجوزي^(٣): البصر صاحب خَبَرِ القلب، ينقل إليه أخبار المُبْصِرَات، وينقش فيه صُورَهَا، فيجول الفكر فيها فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة. فاحذَرُ من شرِّ النظر! فكم أهلك من عابد، وفَسَخَ عَزَمَ زَاهِد! وهو سبب الآفات، إِلَّا أَنْ عَلاجه فِي بَدَايته قَرِيب، فَإِذَا كَرَّرَ تَمَكَّنَ الشَّرُّ فَصُئِبَ عَلاجه، فَإِنَّ النِّظْرَةَ إِذَا أَثَّرَتْ فِي الْقَلْبِ، فَإِنَّ أَعْجَلَ الْحَازِمِ بُغْضَهَا وَحَسَمَ الْمَادَّةَ مِنْ أُولُهَا سَهْلٌ عَلاجه، وَإِنْ كَرَّرَ النَّظَرَ نَقَّبَ^(٤) عَنْ مَحَاسِنِ الصُّورَةِ وَنَقَلَهَا إِلَى قَلْبٍ مَتَفَرِّغٍ وَنَقَشَهَا فِيهِ، فَكَلَّمَا تَوَاصَلَتِ النَّظَرَاتُ كَانَتْ كَالْمِيَاهِ تَسْقَى بِهَا الشَّجَرَةُ، فَلَا تَزَالُ تَنُمُو فَيَفْسُدُ الْقَلْبُ، وَيُعْرِضُ عَنِ الْفِكْرِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ، وَيُخْرِجُ بِصَاحِبِهِ إِلَى الْمِحْنِ، وَيُوجِبُ ارْتِكَابَ الْمُحْظَوْرَاتِ، وَيَلْقِي فِي التَّلَفِ.

وقد أكثر الشعراء في وصف ما يحدثه النظر من البلايا، فمن ذلك، قول الفرزدق: [من الطويل]

تَزَوَّدَ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدَعْ لَهُ فُؤَادًا، وَلَمْ يَشْعُرْ بِمَا قَدْ تَزَوَّدَا
فَلَمْ أَرِ مَقْتُولًا وَلَمْ أَرِ قَاتِلًا بَغَيْرِ سِلَاحٍ مِثْلَهَا حِينَ أَقْصَدَا^(٥)

وقال إبراهيم بن العباس بن صول الكاتب: [من الطويل]

فَمَنْ كَانَ يُؤْتَى مِنْ عَدُوٍّ وَحَاسِدٍ فَإِنِّي مِنْ عَيْنِي أُتِيتُ وَمِنْ قَلْبِي!^(٦)
هُمَا أَعْتَوَرَانِي نَظْرَةً ثُمَّ فِكْرَةً فَمَا أَبْقِيََا لِي مِنْ رُقَادٍ وَلَا لُبٍّ!^(٧)

(١) هو ذو النون المصري: هو ثوبان بن إبراهيم المصري، أبو الفيض، أحد الزهاد والعباد المشهورين نوبياً من أهل مصر، كانت له فصاحة وحكمة وشعر، توفي بالجيزة سنة ٨٥٩ م. «فهرس الأعلام ١٠٢/٢».

(٢) الحتف: الموت.

(٣) أبو الفرج بن الجوزي: هو عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي، علامة عصره في التاريخ والحديث، له مؤلفات عديدة ومتنوعة، مولده ووفاته ببغداد سنة ١٢٠١ م. «فهرس الأعلام ٣/٣١٦».

(٤) نقب عن الشيء: فحص عنه فحصاً بليغاً. (٥) أقصد السهم: أصاب ولم يخطيء.

(٦) يؤتى: يصاب ويؤرمى. (٧) اعتور: تداول، واللَّب: العقل.

وقال إسماعيل بن عمار الأعرابي^(١): [من المنسرح]

عَيْنَانِ مَشْؤُومَتَانِ، وَيَحَهُمَا!
وَالْقَلْبُ حَيْرَانٌ مُبْتَلَى بِهِمَا
عَرَفْتَاهُ الْهَوَى لظُلْمِهِمَا
يَا لَيْتَنِي قَبْلَهُ عَدَمْتُهِمَا!

وقال أبو عبد الله المارستاني: [من الطويل]

رَمَانِي بِهَا طَرْفِي فَلَمْ يُخْطِ مَقْتَلِي
وَمَا كُلُّ مَنْ يُزْمَى تُصَابُ مَقَاتِلُهُ!^(٢)
إِذَا مُتُّ، فَاَبْكُونِي قَتِيلًا لِطَرْفِهِ
قَتِيلَ عَدُوٍّ حَاضِرٍ مَا يُزَايِلُهُ!^(٣)

وقال ابن المعتز: [من السريع]

مَتَّيْمٌ يَزْعَى نُجُومَ الدُّجَى
يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً عَازِلُهُ!^(٤)
عَيْنِي أَشَاطَتْ بِدَمِي فِي الْهَوَى
فَاَبْكُوا قَتِيلًا بَعْضُهُ قَاتِلُهُ!

وقال المتنبّي: [من الكامل]

وَأَنَا الَّذِي أَجْتَلَبَ الْمَيِّتَةَ طَرْفُهُ
فَمَنْ الْمَطَالِبُ؟ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ!

وقال ابن المعتز: [من الوافر]

وَمَا أَذْرِي، إِذَا مَا جَنَّ لَيْلٌ
أَشَوْقًا فِي فُؤَادِي أَمْ حَرِيقًا؟^(٥)
أَلَا يَا مَقْلَتِي، دَهَيْتُمَانِي
بَلْخِظْ كَمَا فَذُوقًا! ثُمَّ دُوقًا!

وقال أبو عبد الله بن الحجاج^(٦): [من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ رَأَى سُقْمِي يَزِيدُ
دَ وَعِلَّتِي تُغْيِي طَبِيبِي
لَا تَغْجَبَنَّ فَهَكَذَا
تَجْنِي الْعَيُونَ عَلَى الْقُلُوبِ!

(١) إسماعيل بن عمار الأعرابي: لعله إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل الأسدي، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ينزل بالكوفة، وكان هجاءً مرأً، مات نحو سنة ٧٧٤ م. «فهرس الأعلام ١/ ٣٢٠».

(٢) رماه طرفه: أي نظره، نظر إليها فرمته، وكان طرفه سيباً لما أصابه.

(٣) الطرف: النظر، ما يزايله: ما يفارقه.

(٤) يرعى نجوم الدجى: كناية عن سهره الليل، والعاذل: اللائم.

(٥) جنّ الليل: أظلم، فأخفى الأشياء بظلمته.

(٦) أبو عبد الله بن الحجاج: هو الحسن بن أحمد بن الحجاج، كان من سحرة الشعر وعجائب العصر، فرد زمانه في فقه الذي اشتهر به، وأنه لم يسبق إلى طريقته، شاعر هزل ماجن، مدح الأمراء والوزراء والرؤساء، له ديوان شعر. «اليتيمة ٣/ ٣٥».

وقال أبو منصور بن الفضل: [من الطويل]

لواحِظْنَا، تَجَنَّبِي وَلَا عَلِمَ عِنْدَهَا (١)
وَأَنْفُسُنَا مَأْخُودَةٌ بِالْجَرَائِرِ
وَلَمْ أَرِ أَغْبَى مِنْ نَفْسٍ عَفَائِفٍ تُصَدِّقُ أَخْبَارَ الْعُيُونِ الْفَوَاجِرِ (٢)
وَمَنْ كَانَتْ الْأَجْفَانُ حُجَابَ قَلْبِهِ أَذِنَ عَلَى أَحْشَائِهِ بِالْفَوَاقِرِ! (٣)

وقال أبو محمد بن الخفاجي^(٤): [من الطويل]

رَمَتْ عَيْنُهَا عَيْنِي، وَرَاحَتْ سَلِيمَةً! فَمَنْ حَاكَمَ بَيْنَ الْكَيْحِيلَةِ وَالْعَبْرَاءِ؟ (٥)
فِيَا طَرْفُ، قَدْ حَدَرْتُكَ النُّظْرَةُ الَّتِي خَلَسَتْ فَمَا رَاقَبْتَ نَهْيًا وَلَا زَجْرًا!
وَيَا قَلْبُ، قَدْ أَرَدَاكَ مِنْ قَبْلُ مَرَّةً! لِمَ طَاوَعْتَهُ مَرَّةً أُخْرَى؟ (٦)

وقال عبد المحسن بن غالب الصوري^(٧): [من السريع]

مَا نَظْرَةٌ إِلَّا لَهَا سَكْرَةٌ كَأَنَّمَا طَرَفُكَ خَمَارُ
هَذَا هَوًى يَصْدُرُّ عَنْهُ جَوًى يَسْتَلُوهُ لَوَاعَاتُ وَأَفْكَارُ
وَهَذِهِ أَفْعَالُهَا، هَذِهِ! مَا بَعْدَ رَأْيِ الْعَيْنِ إِخْبَارُ
وَلَمْ يَكُنْ أَوَّلَ مَنْ غَرَّنِي! كُلُّ غَرِيرِ الطَّرْفِ غَرَّارُ! (٨)

(١) الجرائر: الآثام والذنوب.

(٢) أغبى: من الغباء، وهو الجهل وقلة الفطنة.

(٣) أذن: أبحن وسمحن، والأحشاء: مفردا الحشى: وهو ما انضمت عليه الضلوع، والفواقير: مفردا الفاقرة: وهي الذاهية.

(٤) أبو محمد بن الخفاجي: هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، شاعر أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري، كانت له ولاية بقلعة «عزاز» من أعمال حلب وعصي بها، مات مسموماً وله ديوان شعر وكتاب سرّ الفصاحة. «فهرس الأعلام ١٢٢/٤».

(٥) الكحيلية: العين التي عتبها الكحل، وهي عين المعشوقة، والعبرا: الدامعة، وهي هنا عين العاشق.

(٦) أرداك: قتلك وأهلكك.

(٧) هو عبد المحسن بن غالب الصوري، أبو محمد، ويلقب بـ «ابن غبون»، شاعر حسن المعاني من أهل صور في بلاد الشام، مولده ووفاته فيها سنة ١٠٢٨ م. «فهرس الأعلام ١٥٢/٤».

(٨) غرير الطرف: حسنه، والغرّار: الذي يغتر ويطمع بالباطل.

وقال أبو شجاع الوزير^(١): [من الكامل]

لأَعَذَّبَنَّ العَيْنَ غَيْرَ مَفْكَرٍ فيها، جَرَتْ بالدمعِ أمَ فاضَتْ دَمًا!
ولأَهْجَرَنَّ من الرُّقَادِ لَذِيذَهُ حتَّى يصيرَ على الجُفُونِ مُحْرَمًا!
سَفَكَتْ دَمِي، فَلَأَسْفِكَنَّ دُمُوعَهَا وهي التي بَدَأَتْ فكَانَتْ أَظْلَمًا!
هِيَ أَوْعَتْنِي فِي حِبَائِلِ فِتْنَةٍ لو لم تُكُنْ نَظَرْتُ، لَكُنْتُ مُسْلَمًا!

وقال آخر عفا الله عنه: [من مجزوء الكامل]

يَا عَيْنُ أَنْتِ قَتَلْتَنِي وجَعَلْتَ ذَنْبَكَ من ذُنُوبِي!
وَأَرَاكِ تَهْوِيَنَّ الدُّمُ عَ كَأَنَّهَا وَفَقَ الحَبِيبِ
تَاللهِ، أَحْلِفُ صَادِقًا والصَّدُوقُ من شَيْمِ الأَرِيبِ^(٢)
لَوْ مُيِّزْتَ ثُوبَ الزَّمَا ن من البعيدِ إلى القَرِيبِ
مَا كُنَّ إِلَّا دُونَ مَا جَنَّتِ العَيُونُ على القُلُوبِ!

وقال آخر، وأجاد: [من مجزوء الرَّمَلِ]

أَنَا مَا بَيْنَ عَدُوَيْنِ نِ هَمَا: قَلْبِي وَطَرْفِي
يَنْظُرُ الطَّرْفُ وَيَهْوِي الـ قَلْبُ، والمَقْصُودُ حَتْفِي

وقال ابن الحريري^(٣): [من الخفيف]

فَتَصَبَّرْ، وَلَا تَشْمَ كُلَّ بَرْقٍ! رُبَّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنٍ!^(٤)
وَأَغْضُضِ الطَّرْفَ، تَسْتَرِّخْ من غَرَامٍ تَكْتَسِي فِيهِ ثُوبٌ ذُلٌّ وَشَيْنٌ
فَقِيَادُ الْفَتَى موافقَةُ النفسِ س، وبَدءُ الهوى طُمُوحُ العَيْنِ^(٥)

(١) أبو شجاع الوزير: هو محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو شجاع الروذراوري، ظهير الدين، ولي الوزارة للمقتدي العباسي سنة ٤٧٦ هـ، وكان وافر العقل عالماً بالأدب، له شعر رقيق، توفي سنة ١٠٩٥ م. «فهرس الأعلام ٦/١٠٠».

(٢) تالله: التاء هنا للقسمة، والأريب: العاقل الحكيم.

(٣) ابن الحريري: لعله أبو بكر بن علي بن محمد بن علي المعروف بابن الحريري، فقيه شافعي من أهل دمشق، رحل إلى القاهرة ومكة، وناب في القضاء بدمشق وأتى ودرس إلى أن توفي سنة ١٤٤٧ م. «فهرس الأعلام ٢/٦٨».

(٤) تشم: تنظر وتتأمل، والحين: الهلاك والموت.

(٥) قياد الفتى: انقياده واستعباده وخضوعه، وطموح العين، جموحها.

فصل

قالوا: ومن أسباب العشق، سماع الغناء وإنشاد الغزل، فإن ذلك يصور في النفس نقوش صور فتخمر خميرة صورة موصوفة، ثم تصادف نظراً مستحسنًا، فتعلق النفس بما كانت تطلبه حالة الوصف.

فصل

وذكر بعض الحكماء أنه لا يقع العشق إلا لمجانس، وأنه يضعف ويقوى على قدر التشاكل^(١). واستدل بقول النبي ﷺ: «الأرواح جنود مجنونة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»، قال: وقد كانت الأرواح موجودة قبل الأجسام، فمال الجنس إلى الجنس، فلما افرقت في الأجساد، بقي في كل نفس حب ما كان مقارناً لها، فإذا شاهدت النفس من نفس نوع موافقة، مالت إليها ظانة أنها هي التي كانت قريبتها، فإن كان التشاكل في المعاني كانت صداقة ومودة، وإن كان في معنى يتعلق بالصورة، كان عشقًا. وإنما يوجد الملل والإعراض من بعض الناس لأن التجربة أبانت ارتفاع المجانسة والمناسبة.

وأشدوا على ذلك: [من السريع]

وقائل: كيف تهاجرئما؟ فقلت قولاً فيه إنصاف
لم يك من شكلي ففارقته والناس أشكال وألاف

قال أبو الفرج بن الجوزي: فإن قيل إذا كان سبب العشق نوع موافقة بين شخصين في الطباع، فكيف يحب أحدهما صاحبه والآخر لا يحبه؟ فالجواب: أنه يتفق في طبع المعشوق ما يوافق طبع العاشق، ولا يتفق في طبع العاشق ما يلائم طبع المعشوق. فإذا كان سبب العشق اتفاقاً في الطباع بطل قول من قال: إن العشق لا يكون إلا للأشياء المستحسنة، إنما يكون العشق لنوع مناسبة وملاءمة، ثم قد يكون الشيء حسناً عند شخص غير حسن عند آخر. وحكى على ذلك حكاية رفعها بالسند^(٢) إلى علي بن الحسين القرشي^(٣)، عن رجل من أهل المدينة كان أديباً ظريفاً

(١) التشاكل: التشابه.

(٢) رفعها بالسند: أي سلسلها بالسند أي بالقول عن فلان وفلان إلى القائل الأول.

(٣) لعنه علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني، من أئمة الأدب الأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والأثار واللغة=

طَلَّابًا^(١) للدُّبِّ والمُلْح، قال: كنت يومًا في مجلس رجل من قريش ومَعَنَا قَيْنَةٌ^(٢) ظريفة حَسَنَةُ الصُّورَةِ، ومعنا فتى من أَقْبَحَ ما رَأَتْهُ العَيْنُ، والقَيْنَةُ مقبلة عليه بحديثها وغنائها؛ فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا فتى من أحسن الناس وجهًا، وأسراهم ثوبًا، وأطيبهم ريحًا، فأقبل عَلَيَّ صاحب البيت، فقال: إن في أمر هُذَيْنَ لعجبًا! قلت: وما ذاك؟ قال: هذه الجارية تحب هذا (يعني القبيحَ الوجهَ) وليس لها في قلبه محبة، وهذا الحسن الوجه يحبها، وليس له في قلبها محبة؛ فبينما نحن على شرابنا إذ سرَّ الفتى الحسن الوجه فتغنَّى وقال: [من الكامل الأحد]

بَيِّدَ الَّذِي شَغِفَ الْفُؤَادُ بِهِمْ فَرَجُ الَّذِي أَلْقَى مِنَ السُّقْمِ!^(٣)

فَاسْتَيْقِنِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ ثُمَّ أَفْعَلِي مَا شِئْتُ عَنْ عِلْمِ!^(٤)

فأقبلت عليه، وقالت: قد علمنا ذاك، فَمَهْ^(٥)! ثم تركته، وأقبلت على القبيح الوجه، فلبثنا ساعة، ثم تغنَّى الفتى أيضًا: [من الطويل]

أَلَا لَيْتَنِي أَعْمَى أَصُمُّ تَقْوُذُنِي بُئِثْنَةُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا!

فقلت: اللَّهُمَّ أعطِ عبدك ما سأل! فغاظتني، فقلت لها: يا فاجرة تختارين هذا، وهو أقبح من ذنوب المُصْرِينَ^(٦)، على هذا الذي هو أحسن من توبة التائبين، فقلت لي: ليس الهوى بالاختيار! ثم أنشأت تغني وتقول: [من الوافر]

فَلَا تَلُمِ الْمُحِبَّ عَلَى هَوَاهُ فَكُلُّ مَتِيَمٍ كَلِفٍ عَمِيدٍ^(٧)

يَظُنُّ حَبِيبَهُ حَسَنًا جَمِيلًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبُ مِنَ الْقُرُودِ!

فقلت: أجل! إنه لكما قلت، وليس في هذا حيلة، وذكرت قول عُمر بن أبي ربيعة: [من الرَّمَل]

فَتَضَاحَكُنْ، وَقَدْ قُلْنَا لَنَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَا تَوَدُّ!^(٨)

= والمغازي، من كتبه «الأغاني»، توفي ببغداد سنة ٩٦٧ هـ. «فهرس الأعلام ٤/ ٢٧٨».

(١) طَلَّابًا: كثير الطلب.

(٢) القَيْنَةُ: الأمة، وغلب اللقب على المغنِّية.

(٣) الشَّغَف: الولع في الحب، وألقى: أي استسلم.

(٤) كلف به: أحبه وأولع به، وعن علم: عن معرفة ودراية.

(٥) مَهْ: اسم فعل مبني على السكون بمعنى «كُفَّ» وقد تكسر الهاء.

(٦) المَصْرِينَ: المعترفين بالذنب ومعاودة ارتكابه.

(٧) العميد: الذي أضناه العشق.

(٨) تَوَدُّ: تحب وتعشق.

فصل

قالوا: ويتأكد العشق بإدمان النظر، وكثرة اللقاء، وطول الحديث، فإن انضمت إلى ذلك معانقة أو تقبيل، فقد تم استحكامه.

وقد ذكر حكماء الأوائل أنه إذا وقعت القبل بين المُتَحَابِّين ووصلت بِلَّةً من ريق كل واحدٍ منهما إلى مَعِدَةِ الآخر، اختلط ذلك بجميع البدن ووصل إلى جِزْم^(١) الكبد، وهكذا إذا تنفس كل واحد منهما في وجه صاحبه، فإنه يخرج مع ذلك النفس شيء من نسيم كل واحد منهما فيختلط بأجزاء الهواء، فإذا استنشق من ذلك الهواء دخل في الخياشيم^(٢)، فوصل بعضه إلى الدماغ فسرى فيه كَسْرِيَانِ الثور في جِزْمِ البلور، ووصل بعضه إلى جِزْمِ الرئة، ثم إلى القلب فيَدِبُ^(٣) في العروق الضوارب^(٤) في جميع البدن، فينعقد في بَدَنٍ هذا ما تحلل من بَدَنٍ هذا فيصير مزاجًا، فيتولد به العشق ويُسمى.

هذا ما قيل في سبب العشق، والله أعلم.

وأما ما قيل في مدحه وذمه والممدوح منه والمذموم، قال ابن الجوزي في كتابه المترجم بـ «ذم الهوى»: اختلف الناس في العشق، هل هو ممدوح أو مذموم، فقال قوم: هو ممدوح، لأنه لا يكون إلا من لطافة الطبع، ولا يقع عند جامد الطبع. ومن لم يجد منه شيئًا فذلك من غِلَظِ الطبيعة، فهو يجلو العقول، ويصفّي الأذهان، ما لم يُفْرِط. فإن أفرط عاد سُمًّا قاتلاً. وقال آخرون: هو مذموم؛ لأنه يستأسر العاشق ويجعله في مقام المستعبد. قال: قلت: وفصل الحكم في هذا الفصل أن نقول: أما المحبة والود والميل إلى الأشياء المستحسنة والملائمة فلا يُذَمُّ، وأما العشق الذي يزيد على حد الميل والمحبة فيملك العقل ويُصَرِّف صاحبه على غير مقتضى الحكمة، فذلك مذموم، ويتحاشى من مثله الحكماء.

هذا ما قيل في مدحه وذمه مجملًا، والله تعالى أعلم.

(١) الجِزْم: الجسم.

(٢) الخياشيم: مفردا الخيشوم، وهو أقصى الأنف.

(٣) يدب: يمشي مشيًا بطيئًا.

(٤) الضوارب: المتشعبة.

فأما الممدوح منه، وهو الذي قدّمنا ذكره، فقد وقع فيه جماعة من الخلفاء والأكابر فلم يُعَبّ عليهم ولا تُقَصِّمهم، وقد تكلموا في مدحه وتفضيله بما سنذكر منه إن شاء الله تعالى طَرَفًا^(١).

فقالوا: العشق يولّد الأخلاق الحميدة! وقالوا: لو لم يكن في الهوى إلا أنه يشجّع الجبان، ويصفّي الأذهان، ويبعث حزم العاجز، لكفاه شرفًا!
وقال أعرابي: من لم يُحِبَّ قطّ فهو رديء التركيب جافّي الطبع كَرُّ^(٢) المعاطف.

وقد روي أن الشعبي^(٣) كان ينشد: [من الطويل]
إذا أنت لم تَغشَقْ ولم تَذِرْ ما الهوى فأنّت وعيّر في الفلاة سَوَاءً!^(٤)
وسمع ابن أبي مليكة^(٥) غناء وهو يؤدّن، فطرب، ف قيل له في ذلك، فقال:
[من الطويل]

إذا أنت لم تَطْرَبْ ولم تَذِرْ ما الهوى فكن حَجَرًا من يابس الصخر جَلَمَدًا!^(٦)
وسئل أبو نوفل^(٧): هل يَسْلَمُ أحدٌ من العشق؟ فقال: نعم الجِلْفُ^(٨) الجافّي الذي ليس فيه فضل ولا عنده فَهْم. فأما من في طبعه أدنى ظَرْفٍ أو معه دَمَاءَةٌ أهل الحجاز ورقّة أهل العراق، فهيهات^(٩).

-
- (١) الطرف: الطائفة، وطرفًا من الحديث: أي طائفة منه.
(٢) الكَرّ: القاسي الذي قلّ خيره، والمعاطف: من العطف.
(٣) الشعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري، أبو عمرو، راوية من التابعين يضرب المثل بحفظه، كان نديمًا لعبد الملك بن مروان ورسوله إلى ملك الروم، كان محدثًا وفقيرًا وشاعرًا، توفي سنة ٧٢١ م. «فهرس الأعلام ٣/٢٥١».
(٤) العيّر: حمار الوحش.
(٥) ابن أبي مليكة: هو عبد الله بن عبيد الله التيمي المكي، قاضٍ، من رجال الحديث، ولاء ابن الزبير الطائف، مات سنة ٧٣٥ م. «فهرس الأعلام ٤/١٠٢».
(٦) الجلمد: الصخر الصلب الشديد.
(٧) أبو نوفل: لعله عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، صحابي من القضاة، استقصاه مروان بن الحكم بالمدينة، فكان أبو هريرة يقول: هذا أوّل قاضٍ رأيناه في الإسلام. «فهرس الأعلام ٤/١٤٢».
(٨) الجلف: الكَرّ الغليظ الجافّي.
(٩) هيهات: اسم فعل مبني على الكسر، معناه: «بُعْد».

وحكى أبو الفرج بن الجوزي بسند يرفعه إلى اليمان بن عمرو مولى ذي الرياستين، قال: كان ذو الرياستين يبعثني ويبعث أحدائنا من أهله إلى شيخ عالم بخراسان، له أدب وحسن معرفة بالأمور، ويقول لنا: تعلّموا منه الحكمة، فإنه حكيم! وكنا نأتيه، فإذا انصرفنا من عنده، سألنا ذو الرياستين واعترض ما حفظناه فنخبره به، فقصدناه ذات يوم، فقال: أنتم أدباء، وقد سمعتم الحكمة ولكم جدات^(١) ونعم، فهل فيكم عاشق؟ فقلنا: لا، فقال: أعشّقوا، فإن العشق يُطْلِقُ اللسان العي، ويفتح جبلة^(٢) البلبد، ويبعث على التنظيف وتحسين اللباس وتطيبب المطعم، ويدعو إلى الحركة والذكاء، ويُسْرِفُ الهمة! وإياكم والحرام! فانصرفنا من عنده إلى ذي الرياستين، فسألنا عما أخذنا في يومنا ذلك فهيّأه أن نخبره، فعزّم علينا فأخبرناه، فقال: صدق والله! فهل تعلمون من أين أخذ هذا؟ فقلنا: لا، قال ذو الرياستين: إن بهرام جور^(٣) كان له ابن، وكان قد رشّحه للأمر من بعده، فنشأ الفتى ناقص الهمة، ساقط المروءة، خامل النفس، سيّء الأدب. فغمّه ذلك ووكل به من يلزّمة من المؤدّبين والحكماء ليعلموه. فكان يسألهم عنه فيحكّون عنه ما يغمّه من سوء فهمه وقلة أدبه، إلى أن سأل بعض مؤدّبيه يوماً، فقال له المؤدّب: قد كنّا نخاف سوء أدبه، فحدث من أمره ما صيرنا إلى اليأس من فلاحه، قال: وما ذاك الذي حدث؟ قال: إنه رأى ابنة فلان المَرْزُبان^(٤) فعشّقها حتى غلب عليه هواها، فهو لا يَهْدِي إلّا بها، ولا يتشاغل إلّا بذكرها. فقال بهرام: الآن رجوت فلاحه! ثم دعا بأبي الجارية، فقال: إني مُسرٌّ إليك سرّاً فلا يعدّونك^(٥). فضمن له ستره، فأعلمه أن ابنه قد عشّق ابنته، وأنه يريد أن يُنكِحها إياه، وأمره أن يأمرها بإطماعه في نفسها ومراسلته من غير أن يراها، فإذا استحکم طمعه فيها تجنّث عليه وهَجَرْتُهُ، فإن استعبتّها أعلمته أنها لا تصلح إلّا لملك ومن همته همة الملوك، وأنه يمنعها من مواصلته أنه لا يصلح للملّك، ثم ليعلمه خبرهما، فقبل أبوها ذلك منه. ثم قال للمؤدّب الموكل به خوفه متي وشجعه على مراسلة المرأة! ففعل ذلك وفعلت الصبيّة ما أمرها به أبوها، فلما انتهت إلى التجنّث عليه، وعلم الفتى السبب الذي كرهته له، أخذ في الأدب وطلب

(١) الجدات: العطايا.

(٢) الجبلة: الخلقة، والبلبد: القليل الذكاء والتشاط.

(٣) هو بهرام جور بن يزدجرد الأثيم من ملوك الطبقة الرابعة «الأكاسرة» كانت مدّة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو أوّل من سنّ للضيف صدر المجلس. «انظر صبح الأعشى ٤١٢/٤ و١/٤٩١».

(٥) يعدّونك: يتجاوزك إلى غيرك.

(٤) المرزبان عند الفرس: الرئيس.

الحِكْمَةُ والعلم والفُروسِيَّة والرِّمَاية وضرب الصَّوالِجَةِ^(١) حَتَّى مَهَر في ذلك، ثم رفع إلى أبيه أنه محتاج من الدوابِّ والآلات والمطاعم والملابس والندماء^(٢) إلى فوق ما عنده، فسُرَّ الملك بذلك، وأمر له بما طلب. ثم دعا مؤدِّبه، فقال: إِنَّ الموضع الذي وضع به ابني نفسه من حبِّ هذه المرأة لا يُزْرِي^(٣) به، فتقدَّم إليه أن يرفع ذلك إليَّ ويسألني أن أزوجه إياها، ففعل، ورفع الفتى ذلك إلى أبيه، فاستدعى أباها، وزوجه بها، وأمر بتعجيلها إليه، وقال له: إذا اجتمعت بها فلا تحدث شيئاً حَتَّى آتيك! فلمَّا اجتمع أتاها، فقال: يا بُنَيَّ لا يَضَعَنَّ^(٤) منها عندك مراسلتها إِيَّاكَ، وليست في حبالك^(٥)! فإني أنا أمرتها بذلك، وهي أعظم الناس مِثَّةً عليك، بما دعتك إليه من طلب الحكمة والتخلُّق بأخلاق الملوك، حَتَّى بلغت الحدَّ الذي تصلح معه للمُلْكِ بعدي، فزِدْها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحقُّ منك! ففعل الفتى ذلك، وعاش مسروراً بالجارية، وعاش أبوه مسروراً به، وأحسن ثواب أبيها، ورفع مرتبته وشرفه بصيانة سرِّه وطاعته، وأحسن جائزة المؤدِّب، وعقد لابنه على المُلْك من بعده.

قال اليمان: ثم قال لنا ذو الرياستين: سلوا الشيخ الآن: لِمَ حملكم على العشق؟ فسألناه، فحدَّثنا بحديث بهرام جور وابنه.

فهذا ممَّن ارتفع بالهوى وترقَّى بسببه إلى مرتبة الملك.

وحكى ابن الجوزيَّ أيضاً، قال: حدَّث القاسم بن محمد الثُمَيْريَّ، قال: ما رأيت شاباً ولا كهلاً من ولد العباس^(٦) أضوَّ لنفسه، وأضبط لجأشه وأعفَّ لساناً وفَرَّجاً من عبد الله بن المعتز! وكان ربما عبثنا بالهزل في مجلسه، فجرى معنا فيه فيما لا يقدر^(٧) به عليه قادح. وكان أكثر ما يَشْغَل به نفسه سماعُ الغناء، وكان كثيراً

(١) الصَّوالِجَةُ: من الصَّولِجَةِ، وهي إحدى الألعاب التي يضرب بها الفارس الكرة بعضاً معقوفة الرأس.

(٢) الندماء: جمع نديم، وهو الرِّفيق والصاحب والمجالس على الطعام والشراب.

(٣) لا يزري به: لا يعيبه أو يقلل من شأنه.

(٤) يضعنَّ منها: أي يحطرنَّ من قيمتها ومكانتها.

(٥) في حبالك: أي في صلة من الصِّلات التي تسمح لها أن تراسلك «كالزواج» أو غير ذلك.

(٦) العباس: أي العباس بن عبد المطلب الهاشمي، عمَّ النبي ﷺ، والذي إليه ينتمي الخلفاء العباسيون.

(٧) يقدر: يعيب ويذم.

ما يَعِيبُ الْعِشْقُ، ويقول: هو ضرب من الحمق! وكان إذا رأى مَثًا من هو مطرق أو مفكّر اتهمه بالعشق، ويقول: وقَعْتَ والله يا فلان! وقلّ عقلك وسَخُفْتَ! إلى أن رأيناه، وقد حدث به سهو شديد، وفكر دائم، وزفير متتابع، وسمعناه ينشد أشعارًا منها: [من مجزوء الرجز]

ما لي أَرَى الثُّرَيَّا ولا أَرَى الرَّقِيبَا؟^(١)
يا مُزِيلًا غَزَالًا أما تَخَافُ ذَيْبَا؟

وسمعناه مرّة أخرى ينشد، وهو يشرب في إناء قد لَقَّه، فاتهمناه فيه، وكتب عليه هذا الشعر: [من المديد]

ما قَلِيلٌ مِنْكَ لي بِقَلِيلٍ يا مُنَى عيني وغاية سُولِي!^(٢)
سَلْ بِحَقِّ الله عَيْنِيكَ عَنِّي هل أَحَسَّتْ في الهوى بِقَتِيلٍ؟
أَنْتَ أَفْسَدْتَ حَيَاتِي بِهَجْرٍ وَمَمَاتِي بِحِسَابِ طَوِيلٍ!
وأنشد: [من مجزوء الرمل]

أَسَرَ الْحُبُّ أَمِيرًا لَمْ يَكُنْ قَبْلُ أُسِيرًا
فَازْحَمُوا ذُلَّ عَزِيزٍ صَارَ عَبْدًا مُسْتَجِيرًا!

وأنشد يومًا، وقد رأى دار بعض الناس، فقال: [من المتقارب]

أيا دارَ كَمْ فِيكَ مِنْ لَذَّةٍ وَعَيْشٍ لَنَا، كَانَ ما أَطْيَبَهُ!
وَمِنْ قَيْنَةٍ أَفْسَدَتْ نَاسِكًا وَكَانَتْ لَهُ فِي الثُّقَى مَرْتَبَهُ
وقال أيضًا مرّة: [من الطويل]

لَقَدْ قَتَلْتَ عَيْنَاكَ نَفْسًا كَرِيمَةً فلا تَأْمَنْنِ إِنْ مُتْ سَطْوَةٌ ثَائِرًا!^(٣)
كَأَنَّ فُؤَادِي فِي السَّمَاءِ مُعَلَّقٌ إِذَا غَبَّتْ عَنْ عَيْنِي، بِمُخْلَبٍ طَائِرًا!^(٤)

وأنشد يومًا، وفي يده خاتم: [من المجتث]

حَصَلْتُ مِنْكَ عَلَى خَا تَمَّ حَوْتُهُ الْبِنَانُ!

(١) الثريا: اسم علم، أو هي مجموعة كواكب في السماء، تعرف بهذا الاسم، والرقيب: الحارس.

(٢) الغاية: القصد، وسولي: أصلها سولي، حَقَّتْ الهمزة للضرورة الشعرية.

(٣) السطوة: البطش.

(٤) المخلب: ظفر كل سبع من الحيوان والطائر.

فَمَا يُفَارِقُ كَفِّي كَأَنَّهُ قَهْرَمَانُ^(١)
يَا أَهْلَ وُدِّي بَعُدْثُمْ وَأَنْتُمْ جِيرَانُ!

قال النُمَيْرِيُّ^(٢): فَقُلْتُ لَهُ: جَعَلْنَا اللَّهَ فِدَاكَ! هَذِهِ أَشْيَاءٌ قَدْ كُنْتَ تَعِيبُ أَمْثَالَهَا مَنَا، وَنَحْنُ الْآنَ نَنْكَرُهَا مِنْكَ! وَكَانَ يَرْجِعُ عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ تَصَنُّعًا، ثُمَّ لَا يَلْبِثُ مُسْتَوْرَهُ أَنْ يَظْهَرَ حَتَّى تَحَقِّقَ عِنْدَنَا عَشْقَهُ، وَدَخَلَ فِي طَبَقَةِ الْمَرْحُومِينَ، فَسَمِعْتُهُ يَوْمًا يَنْشُدُ:
[مَنْ الرِّجْزُ]

مَكْتُومٌ، يَا أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ لَا تَثْرُكِينِي هَكَذَا بِاللَّهِ!
ثُمَّ تَنْفَسُ إِثْرَ ذَلِكَ فَأُجِبْتُهُ:

قَدْ ظَفِرَ الْعِشْقُ بَعْدَ اللَّهِ وَأَنْهَيْتَكَ السُّتْرُ بِحَمْدِ اللَّهِ
فَقُلْ لَهُ: سَمِّ لَنَا سَيِّدِي هَذَا الَّذِي تَهْوَى، بِحَقِّ اللَّهِ!
فَضَحَكَ وَقَالَ: لَا، وَلَا كَرَامَةَ!

فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْعَدِيدِ: [مَنْ الْمُتَقَارِبُ]

بَكَّتْ عَيْنُهُ وَشَكَا حُرْقَةً مِنْ الْوَجْدِ فِي الْقَلْبِ مَا تَنْطَفِي
فَقُلْتُ لَهُ: سَيِّدِي، مَا الَّذِي أَرَى بِكَ؟ قَالَ: سِقَامٌ خَفِيَ
فَقُلْتُ: أَعْشَقُ؟ فَقَالَ: أَقْتَصِرُ عَلَى مَا تَرَى بِي، أَمَا تَكْتَفِي؟
فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ: [مَنْ الْمَجْتَبُ]

يَا مَنْ يُحَدِّثُ عَنِّي بَظَنٍّ سَمِعَ وَعَيْنٍ!
إِنْ كُنْتَ تَخْطُبُ سِرِّي فَارْجِعْ بِخُفْيِ حُئَيْنٍ!^(٣)

(١) القهرمان: أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه.

(٢) النُمَيْرِيُّ: هو القاسم بن محمد التُمَيْرِيُّ، نديم بن المعتز الشاعر.

(٣) خطب سرّه: استوضحه واستكشفه، وخفّي حنين: قيل: كان حُنين إسكافًا، فساومه إعرابي بخفّين، فاختلفا، فأراد غيظه، فألقى أحد الخفّين في طريقه ثم استقام على الطريق فألقى له الآخر وكمن له، فلمّا رأى الإعرابي الخفّ الأوجل قال: ما أشبه هذا بخفّ حُنين، ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى حتى انتهى إلى الآخر فأناخ راحلته ورجع ليأخذ الثاني فركب حنين راحلته ومضى بها، ورجع الإعرابي إلى أهله خائبًا. «انظر المستقصى في أمثال العرب ١/ ١٠٦».

فكتبت إليه: [من المجتث]

هَيْهَاتَ لِحَظِّكَ عِنْدِي يُقَرُّ فِيهِ بِعِشْقِكَ!
دَغَّ عَنْكَ خُفِّي حُنَيْنٍ وَأَخْرِضْ عَلَى حَلِّ رِبْقِكَ! ^(١)
تَعَالَ نَخْتَالُ فِيمَا تَهْوَى، بِرِفْقِي وَرِفْقِكَ!
وصرتُ إليه فقال: يا أبا طيب، قد عصيت إيليس أكثر مما عصى ربُّه إلى أن أوقعني في حباله ^(٢)، فأشدته: [من المجتث]

مَنْ أَيْنَ لَا كَانَ إِبْلِيَسُ سُنْ جَاءَنِي بِكَ يَسْعَى؟
أَبْدَاكَ لِي مِنْ بَعِيدٍ فَقُلْتُ: طَوْعًا وَسَمْعًا!
فأخبرني بقصته، فسعيت له بلطف الحيلة وأعانني بحزم الرأي حتى فاز بالظفر.

قال أبو بكر الصولي ^(٣): اعتل عبد الله بن المعتز فأتاه أبوه عائداً ^(٤)، وقال: ما عراك، يا بني؟ فأنشأ يقول: [من الخفيف]

أَيُّهَا الْعَاذِلُونَ، لَا تَعْذِلُونِي وَاَنْظُرُوا حُسْنَ وَجْهَهَا تَعْذِرُونِي!
وَاَنْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ أَحْسَنَ مِنْهَا إِنْ رَأَيْتُمْ شَبِيهَهَا فَاعْذِلُونِي! ^(٥)
بِي جُنُونُ الْهَوَى، وَمَا بِي جُنُونٌ وَجُنُونُ الْهَوَى جُنُونُ الْجُنُونِ!
قال: ففتبع أبوه الحال حتى وقع عليها، فابتاع الجارية التي شُغف بها بسبعة آلاف دينار، ووجهها إليه.

وحكي أن الرشيد كان له ثلاث جوارٍ اشتدَّ شغفه بهنَّ، فقال العباس بن الأحنف على لسانه: [من الكامل]

مَلَكُ الثَّلَاثِ الْآنِسَاتُ عَنَانِي وَحَلَّلَنْ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ!

(١) الرِّبْق: حبلٌ ذو عُرى يربط به.

(٢) الحبال: الأشرار «للصيد».

(٣) أبو بكر الصولي: هو محمد بن يحيى بن عبد الله، من أكابر علماء العرب، وكان من أحسن الناس لعباً بالشطرنج، نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، له مصنفات كثيرة، توفي بالبصرة مستتراً سنة ٩٤٦ م. «فهرس الأعلام ١٣٦/٧».

(٤) العائد: الزائر لمن به مرض.

(٥) العذل: اللوم.

ما لي تُطاوَعُنِي البريَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عِضْيَانِي؟
 ما ذاك إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الهَوَى وَبِهِ عِزْزَنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي!
 أخذ المعنى والرويّ سليمان بن الحَكَم المستعين^(١)، أحدُ خلفاء بني أُمَيَّة بالأندلس، فقال: [من الكامل]

عَجَبًا يَهَابُ اللَّيْثُ حَدَّ سِنَانِي وَأَهَابَ لَحْظَ قَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ!^(٢)
 وَأَقَارُعُ الْأَهْوَالِ لَا مُتَهَيِّبًا مِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرَانِ!^(٣)
 وَتَمَلَّكَتْ نَفْسِي ثَلَاثٌ كَالدُّمَى زُهرُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ!^(٤)
 كَكَوَاكِبِ الظُّلُمَاءِ لُحْنٌ لِنَاظِرٍ مِنْ فَوْقِ أَغْصَانٍ عَلَى كُثْبَانٍ!^(٥)
 هَذَا الْهَلَالُ، وَتِلْكَ بِنْتُ الْمُشْتَرِي حُسْنًا، وَهَذِي أَخْتُ غُضَنِ الْبَانِ!^(٦)
 حَاكَمْتُ فِيهِنَّ السُّلُوْ إِلَى الصَّبَا فَقَضَى لِسُلْطَانٍ عَلَى سُلْطَانٍ!^(٧)
 فَأَبْخَنَ مِنْ قَلْبِي الْحِمَى وَثَنَيْنِي عَنْ عِزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِي!^(٨)
 لَا تَعْذِلُوا مَلِكًا تَذَلُّ فِي الْهَوَى ذُلُّ الْهَوَى عِزٌّ وَمُلْكٌ ثَانِي!
 إِنْ لَمْ أُطِغْ فِيهِنَّ سُلْطَانُ الْهَوَى كَلَفًا بِهِنَّ، فَلَسْتُ مِنْ مَرْوَانِ!
 وَإِذَا الْكَرِيمُ أَحَبَّ، أَمِنَ الْفَقْهُ خَطْبُ الْقَلَى وَخَوَادِثُ السُّلُوَانِ!^(٩)

(١) سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، الأموي، أبو أيوب، من ملوك الدولة الأموية في الأندلس، قتل بقرطبة سنة ١٠١٦ م، وبمقتله انقطع ذكر بني أُمَيَّة على منابر الأندلس مدة سبع سنين، وكان أدبيًا شاعرًا. «فهرس الأعلام ٣/ ١٢٣».

(٢) السَّنان: السيف والرمح، والقواتر: الضعاف. (٣) الإعراض: الصدود.

(٤) الدُّمى: مفرداها الدِّمىة، وهي الصورة الممثلة من العاج وغيره، يضرب بها المثل في الحُسْن، وتشبه النساء بها، والزَّهر: البيض.

(٥) الكُثبان: مفرداها كُثيب، وهو الرمل المستطيل المحدودب تشبه به أرداف النساء.

(٦) الهلال: القمر، والمشتري: نجم في السماء منير، والبان: ضربٌ من الشجر ورقه كورق الصفصاف، تشبه به الحسان في الطول واللين.

(٧) السُّلُو: الصبر، والصَّبَا: الشباب. (٨) العاني: الذليل، أو الأسير.

(٩) القلى: البغض والهجر.

وقال العباس^(١): [من البسيط]

لا عَارَ فِي الْحُبِّ إِنَّ الْحَبَّ، مَكْرُمَةٌ لَكِنَّهُ رَبِّمَا أَزْرَى بِذِي الْخَطَرِ!^(٢)

وأما القسمُ المذموم منه، وهو الذي تُثْنِيَا بذكره في صندر هذا الفصل، فقد أكثر الناس القول في ذمّه، ويُنَوِّوا أسبابه.

فقال ابن الجوزي: بيان ذمّه أن الشيء إنما يعرف مذموماً أو ممدوحاً بتأمل ذاته وفوائده وعواقبه، وذات العشق لَهَجٌ بصورة، وهذا ليس فيه فضيلة فُتْمَدِّحٌ، ولا فائدة في العشق للنفس الناطقة، إنما هو أثر غلبة النفس الشّهوانية.

وقال بعض الحكماء: ليس العشق من أدواء الحُصَفَاءِ^(٣) الحكماء، إنما هو من أمراض الخُلَعَاءِ الذين جعلوا دأبهم وَلَهْجهم^(٤) متابعة النفس وإرخاء عِثَانِ^(٥) الشهوة وإمراح^(٦) النظر في المستحسنات من الصور، فهناك تنقيد النفس ببعض الصور فتأنس، ثم تألف، ثم تُتَوَقُّ، ثم تُلَهَّج، فيقال: «عَشِقَ»، وليس هذا من صفة الحكماء؛ لأن الحكيم من استطال رأيّه على هواه، وتسَلَّطت حكمته على شهوته، فَرُغُونَاتِ^(٧) طبعه مقيّدة أبداً كصبي بين يدي معلّمه أو عبد بمرأى سيّده، وما كان العشق قط إلا لأرعن^(٨) بَطَّال، وَقَلَّ أن يكون لمشغول بصناعة أو بتجارة، فكيف لمشغول بالعلوم والحكم، فإنها تصرفه عن ذلك، ولهذا لا تكاد تجده في الحكماء.

وقال ابن عُقَيْل: العشق مرض يعتري^(٩) النفوس العاطلة، والقلوب الفارغة المتلمحة للصور لدواع من النفس، ويساعدها إدمان المخالطة، فيتأكد الإلف ويتمكن الأُنْس، فيصير بالإدمان شَعْفًا، وما عَشِقَ قط إلا فارغٌ، فهو من علل البَطَّالين وأمراض

(١) العباس: هو العباس بن الأحنف، أبو الفضل، شاعر رقيق تقدّم ذكره. «انظر الأعلام ٢٥٩/٣».

(٢) أزرى: ألحق العيب والتقصير، وذو الخطر: أي ذو المكانة والقوة «كالملك والقائد».

(٣) الحصفاء: مفردها: الحصيف: وهو من استحکم عقله وجاد رأيّه.

(٤) الذأب: الجهد، واللهج: العادة والمثابرة على اتباع أمر من الأمور.

(٥) العنان: الزمام. (٦) إمراح النظر: إجالته.

(٧) الرغونة: الطيش والهوج.

(٨) الأرعن: الأهوج، والبطلال: الذي لا عمل له.

(٩) يعتري: يصيب.

الفارغين من النظر في دلائل العبر، وطلب الحقائق؛ المستدل بها على عظم الخالق. ولهذا قلما تراه إلا في الرُغن البَطْرين^(١)، وأرباب الخَلَاعة التَّوَكِّي^(٢)، وما عَشِق حكيم قط؛ لأن قلوب الحكماء أشدَّ تمتعًا عن أن توقفها صورة من صُور الكون مع شدّة تطلبها، فهي أبدًا تُلحظ وتَخْطَف ولا تقف، وقلَّ أن يحصل عشق من لمحة، وقلَّ أن يُضَيّف حكيم إلى لَمحة نظرة، فإنه ماز في طلب المعاني، ومن كان طالبًا لمعرفة الله لا توقفه صورة عن الطلب؛ لأنها تحجبه عن الصور.

وقال ابن الجوزي: واعلم أن العشاق قد جاوزوا حدَّ البهائم في عدم ملكة النفس في الانقياد إلى الشهوات؛ لأنهم لم يَرْضَوْا أن يصيبوا شهوة الوطء^(٣)، وهي أفتح الشهوات عند النفس الناطقة من أي موضع كان حتى أرادوها من شخص بعينه فضمُّوا شهوة إلى شهوة، ودَلُّوا للهوى ذلًّا على ذلِّ، والبهيمة إنما تقصد دفع الأذى عنها حسب، وهؤلاء استخدموا عقولهم في تدبير نيل شهواتهم.

ثم قال: والعشق بيِّن الضرر في الدِّين والدنيا. أمَّا في الدِّين. فإنه يشغل القلب عن الفكر فيما له خُلق: من معرفة الله تعالى، والخوف منه، والقرب إليه، ثم ينفذ ما ينال من موافقة غرضه المحرَّم الذي يكون فيه خُسران آخرته، ويعرّضه لعقوبة خالقه، فكلَّمًا قُرْب من هواه، بُعد من مولاه، ولا يكاد العشق يقع في الحلال المقدور عليه فإن وقع، فيا سَرعان زواله! قالت الحكماء: كل مملوك مملول. وقال الشاعر: [من البسيط]

وزادني شَغَفًا بِالْحَبِّ أَنْ مَنَعْتُ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا

فإن كان المعشوق لا يباح، اشتدَّ القلق به والطلب له، فإن نيل منه غرض، فالعذاب الشديد في مقابله، على أن بلوغ الغرض يزيد ألمًا فتزبي^(٤) مرارة الفراق على لذّة الوصال؛ كما قال الشاعر: [من الخفيف]

كُلُّ شَيْءٍ رَبِّحْتُهُ فِي التَّدَانِي والتَّلَاقِي، خَسِرْتُهُ فِي الْفِرَاقِ

فإن منعه خوفُ الله تعالى عن نيل غرض، فالامتناع عذاب شديد، فهو معذب في كل حال.

(١) البطرين: من البطر، وهو التكبر عند حلول النعمة، أو شدّة المرح والرعونة.

(٢) التَّوَكِّي: الحمقى والجهال.

(٣) الوطء: الجماع.

(٤) تربي: تزيد.

هذا ضرره في الدين .

وأما ضرره في الدنيا، فإنه يورث الهمَّ الدائم، والفكر اللازم، والوسواس، والأرق^(١)، وقلة المَطْعَم، وكثرة السهر، ويتسلط على الجوارح^(٢) فتنشأ الصفرة في البدن، والرعدة في الأطراف، واللجلجة^(٣) في اللسان، والتحول في الجسد، فالرأي عاطل، والقلب غائب عن تدبير مصلحة، والدموع هواطل، والحسرات تتتابع، والزفّرات تتوالى، والأنفاس لا تمتدّ، والأحشاء تضطرم، فإذا غشى على القلب غشاء ثانياً أخرج إلى الجنون، وما أقرّبه حينئذٍ من التلف!

قال: هذا، وكم جنى من جناية على العِرض^(٤)، ووَهْن الجاه بين الخلق، وربما أوقع في عقوبات البدن وإقامة الحدود.

وقال جالينوس^(٥): العشق من فعل النفس، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد.

وفي الدماغ ثلاثة مساكن:

مسكن للتخيّل، وهو في مقدّم الرأس؛

ومسكن للفكر، وهو في وسطه؛

ومسكن للذكر^(٦)، وهو في مؤخره.

ولا يسمّى عاشقاً إلا من إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيله فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيّل والفكر والذكر، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به.

وقال الجاحظ: ذكر لي عن بعض حكماء الهند أنّه قال: إذا ظهر العشق عندنا في رجل أو امرأة، غَدَوْنَا على أهلّه بالتعزية.

(١) الأرق: الامتناع من النوم ليلاً.

(٢) الجوارح: مفردُها الجارحة، وهي العضو العامل من أعضاء الإنسان كاليد والرجل.

(٣) اللجلجة: التردّد في الكلام دون إيضاحه وإبانه.

(٤) العرض: الشرف، وما يحافظ عليه.

(٥) جالينوس: أحد الحكماء اليونانيين المشهورين بالطبّ، مات بالقزما وهي بلدة خراب على شاطئ بحر الرّوم، وبها قبره. «انظر صبح الأعشى ٤٣٧/٣».

(٦) للذكر: أي التذكر، أو الذّاكرة في الإنسان.

قال: وبلغني أن عاشقاً مات بالهند عشقاً، فبعث ملك الهند إلى المعشوق فقتله به .

وقال الربيعي^(١): سمعت أعرابية تقول: مسكينُ العاشق! كل شيءٍ عدوّه! هُبُوبُ الريح يُقْلِقُه، ولَمَعانُ البرق يُؤرِّقُه، ورسومُ^(٢) الديار تُخرِّقُه، والعَذْلُ يؤلمُه، والتذكُّرُ يُسَقِّمُه، والبعدُ والقُرْبُ يهيجُه، والليلُ يُضاعِفُ بلاءَه، والرقادُ يهرُبُ منه، ولقد تداوَيْتُ بالقرب والبعد فلم ينجع^(٣) فيه دواء، ولا عَزَّ بي عزاء.

وقال شاعر: [من الطويل]

وقد زَعَمُوا أَنَّ المحبَّ إذا دَنَا يَمَلُّ، وَأَنَّ النَّائِيَّ يَشْفِي مِنَ الوَجْدِ!
بكلِّ تداوينا، فلم يُشَفِّ ما بِنَا! على أَنَّ قُرْبَ الدارِ خَيْرٌ مِنَ البعدِ!
وأُنشد المارستاني: [من الطويل]

إذا قَرُبْتُ دَارَ كَلَفْتُ، وإن نَأَتْ أَسِفْتُ! فلا بالقُرْبِ أَسْلُو ولا البُعْدُ!^(٤)
وإن وَعَدْتُ زادَ الهوى لانتظارها وإن بَخِلْتُ بالوعدِ مُتَّ على الوَعْدِ!
ففي كُلِّ حُبٍّ لا محالةَ فَرْحَةٌ وحُبُّكَ ما فيه سِوَى مُحْكَمِ الجَهْدِ!^(٥)

وحكى الزبير بن بَكَار^(٦) قال: حدَّثني موهوب بن راشد قال: وقفت امرأة من بني عُقَيْلٍ على أُخْتٍ لها، فقالت لها: يا فلانة، كيف أصبحتِ من حُبِّ فلان؟ قالت: قَلَقَلْتُ^(٧) والله حُبُّه الساكن، وسَكُنَ المتحرِّك! ثم أنشدتها: [من الطويل]

ولو أَنَّ ما بي بالحصى قَلَقَ الحصى وبالريحِ لم يَسْمَعْ لَهُنَّ هُبُوبُ!^(٨)
ولو أَنَّنِي أَسْتَغْفِرُ اللهَ كُلَّما ذَكَرْتُكَ لم يُكْتَبْ علي دُثُوبُ!

(١) الزبيعي: لعنه محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة، أبو سليمان بن زبر الربيعي، مؤرخ من حفاظ الحديث، كان محدث دمشق وابن قاضيها، له تصانيف عدة، توفي سنة ٩٨٩ م. «فهرس الأعلام ٦/ ٢٢٥».

(٢) رسوم الديار: الآثار المتبقية منها بعد عفائها.

(٣) ينجع: ينفع. (٤) كلفْتُ: من الكلف، وهو العشق الشديد.

(٥) المحكم: المتقن، والجهد: المشقة والتعب.

(٦) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، من أحفاد الزبير بن العوام، أبو عبد الله، عالمٌ بالأنساب وأخبار العرب، راوية، ولد في المدينة، وولي قضاء مكة، وتوفي فيها سنة ٨٧٠ م، له تصانيف عدة. «فهرس الأعلام ٣/ ٤٢».

(٧) قلقل: حرَّك وزعزع. (٨) قلق الحصى: شطرها وشقها.

قالت: لا جَرَمَ^(١) والله، لا أقف حتَّى أسأله كيف أصبح من حَبْكِ! فجاءته فسألته فقال: إنما الهوى هَوَانٌ، وإنما خُولف باسمه، وإنما يعرف ما أقول من كان مثلي قد أبكته المَعَارِف والطلول^(٢).

وقال مسلم بن عبد الله بن جندب^(٣) الهذلي: خرجت أنا وريّان السِّوَّاق إلى العقيق^(٤)، فلقينا نسوة نازلات من العقيق ذوات جمال وفيهنّ جارية حسناء العينين، فأنشد ريان قول أبي: [من الطويل]

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ، هَذَا أَخُوكُمْ قَتِيلٌ! فَهَلَّا فِيكُمْ الْيَوْمَ ثَائِرٌ؟
خُذُوا بِدَمِي إِنْ مِتُّ كُلَّ خَرِيدَةٍ مَرِيضَةٍ جَفْنِ الْعَيْنِ، وَالطَّرْفِ سَاحِرٍ!^(٥)

وأقبل عليّ، وأشار إليها فقال: يا ابن الكرام دُم أبيك في أثوابها، فلا تطلب أثرًا بَعْدَ عَيْنٍ! قال: فأقبلت عليّ امرأة جميلة، أجملُ من تيك، فقالت: أنت ابن جندب؟ فقلت: نعم، قالت: إن أسيرنا لا يُفَكُّ، وقتيلنا لا يُودى^(٦)، فاحتسب أباك، واغتتم نفسك! وَمَضَيْنَ.

ذكر شيء من الشعر المقول في ذمّ العشق والحبّ

قال الأضَمَعِيُّ: سئل أعرابي عن الحُبِّ، فقال: وما الحبّ؟ وما عسى أن يكون؟ هل هو إلّا سحر أو جنون؟ ثم قال: [من الطويل]

هَلِ الْحُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدٌ؟^(٧)
وَفَيْضُ دُمُوعِ الْعَيْنِ مِثِّي كُلَّمَا بَدَأَ عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو؟

(١) لا جَرَمَ: لا يَدَّ.

(٢) الطلول: مفردھا الطَّلَل، وهو ما بقي شاخصاً من آثار الدَّار أو نحوھا.

(٣) مسلم بن عبد الله بن جندب الهذلي، من رواة الحديث، روى عن أبيه وجده. «انظر الكاشف للذهبي ١٢٣/٣».

(٤) العقيق: واد بناحية المدينة فيه عيون ونخل، والعرب تقول لكل مسيل ماء: شَقَّه السَّيْلُ فِي الْأَرْضِ فَأَنْهَرَهُ وَوَسَّعَهُ: عَقِيق. «انظر معجم البلدان ١٣٨/٤ وما بعدها».

(٥) الخريدة: اللؤلؤة لم تثقب، والمراد بها الفتاة البكر.

(٦) يودی: أي لا تدفع دِيَّتَهُ إِلَى أَهْلِهِ.

(٧) الأحشاء: ما انضمت عليه الضلوع من الصدر، والبرد: هبوط الحرارة، وهو هنا: الوصل من الحبيب.

وقال: قلت لأعرابي: ما الحب؟ فقال: [من البسيط]

الحُبُّ مَشْعَلَةٌ عَنْ كُلِّ صَالِحَةٍ وَسَكْرَةٌ الْحُبِّ تَنْفِي سَكْرَةَ الْوَسَنِ^(١)

وقال محمد بن عبد الله بن مبادر: [من مجزوء الرمل]

مَنْ فَتَى أَصْبَحَ فِي الْحُبِّ سَقَاهُ الْحُبُّ سُمًّا؟
كُلَّمَا أَخْفَى جَوَى الْحُبِّ عَلَيْهِ الدَّمْعُ نَمًّا^(٢)
سَاهِرٌ لَا يَطْعَمُ النَّوْءُ إِذَا اللَّيْلُ أَذْلَهَمَّا^(٣)
كُلَّمَا رَاقَبَ نَجَمًا فَهَوَى، رَاقِبَ نَجَمًا
أَنْتُمُوهْمِي فَإِنْ لَمْ تَصِلُونِي مَتًى غَمًّا
يَا ثِقَاتِي، خَطَمَ الْحُبُّ لَكُمْ أَنْفِي وَزَمًّا^(٤)
يَا أَخِي، دَائِي جَوَى الْحُبِّ وَدَاءُ النَّاسِ حُمَّى
لَا تَلُمُ مُفْتَضِحًا فِي الدَّحَى، إِنْ الْحُبُّ أَغْمَى

وقال محمد بن أبي أمية^(٥): [من الطويل]

فَوَاللهُ، مَا أَذْرِي أَمِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى صَبَرْتُ عَلَى التَّقْصِيرِ أَمْ لَيْسَ لِي قَلْبٌ؟
أَقْبَحُ أَمْرًا، وَالْفُؤَادُ يُوَدِّهِ أَجْنُ فُؤَادِي فِي الْهَوَى؟ بَلْ هُوَ الْحُبُّ

وقال أبو عبادة البحتري: [من الرمل]

قَالَ بُطْلًا وَأَفَالُ الرَّأْيِ مَنْ لَمْ يَقُلْ إِنَّ الْمَنَايَا فِي الْحَدَقِ!^(٦)
إِنْ تَكُنْ مُحْتَسِبًا مَنْ قَدْ ثَوَى بِحِمَامٍ، فَاحْتَسِبْ مَنْ قَدْ عَشِقَ!^(٧)

(١) الوسن: التماس.

(٢) جوى الحب: حرقته وشدته، ونم: أظهر ووشى.

(٣) ادلهم: اشتد ظلامه.

(٤) خطم الأنف: من الخطام، وهو حبل يجعل في عنق الجمل ويثنى في خطمه ليقاد به، وزم: شد، أي أن الحب أذله وأسره.

(٥) هو محمد بن أبي أمية، شاعر غزل، وكنيته أبو حشيشة، وصفه مخارق للمأمون وهو بدمشق، فخرج إليه وهو حدث وغناه، ومدح المتوكل وغيره من الخلفاء العباسيين. «المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٤١٨، ٤٢٧».

(٦) أفال الرأي: ابتعد به عن الصواب، والمنايا: الموت، والحدق: العيون.

(٧) محتسبًا: من حسب الشيء: أي عدّه وقدره، وثوى: مات، والحمام: الموت.

وقال أبو تمام: [من الكامل]

أما الهوى فهو العذاب، فإن جَرَتْ فيه النَّوَى فالتَّيْمُ كُلُّ التَّيْمِ
وقال ابن أبي حُصينة^(١): [من الكامل]

والعشق يجتذب النفوس إلى الرَّدَى بالطَّبع، واحسدًا لمن لم يَعشَقِ!^(٢)
طَرَقَ الخيالُ فهاج لي بطُروقه وَلَهَا، فليت خيالها لم يَطْرُقِ!^(٣)
وقال صالح بن عبد القدوس^(٤): [من السريع]

عاصِ الهوى إنَّ الهوى مَزَكَبُ يَضْعُبُ بعد اللَّين منه الذُّلُولُ!
إن يَجْلِبِ اليَوْمَ الهوى لَذَّةً ففي عَدٍ منه البُكا والعويلُ
وقال ابن المعتز: [من الخفيف]

فكَأَنَّ الهوى امرؤٌ عَلَوِيٌّ ظَنُّ أَنِّي وُلَيْتُ قَتْلَ الحُسَيْنِ!
وكأني لَدَيْهِ نَجْلُ زِيَادٍ فهو يَخْتَارُ أوجَعَ القِثْلَتَيْنِ!^(٥)
وقال أبو عبد الله بن الحجاج: [من السريع]

وَيَحَكَ، يا قَلْبِي ما أَغْفَلَكَ! تَعَشَّقُ مَنْ يَعْشَقُ أن يَفُتْلَكَ؟
وأنتَ يا طَرْفِي أَوْفَعْتَنِي وَيَحَكَ يا طَرْفِي ما لي وَلَكَ؟
قد كَانَ من حَقِّ بكائي على تَبَثُّلي بالحُبِّ أن يَشْغَلَكَ!^(٦)
حَتَّى توصلت لِقَتْلِي، فلا كُنْتُ ولا كان الذي أَرْسَلَكَ!

(١) ابن أبي حُصينة: هو الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار، أبو الفتح السُّلَمي، شاعر من الأمراء، ولد ونشأ في معزة النعمان بسوريا، وانقطع إلى دولة بني مرداس في حلب، له ديوان شعر مطبوع، توفي في سروج سنة ١٠٦٥ م. «فهرس الأعلام ١٩٧/٢».

(٢) واحسدًا، وا: حرف نداء مخصص للنديّة.

(٣) الولّه: اشتدادُ جوى الحبّ، والطارق: الزائر ليلاً.

(٤) هو صالح بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، أبو الفضل، شاعر حكيم، كان متكلمًا يعظ الناس بالبصرة، وشعره كلّهُ أمثال وجُكُم وآداب، اتهم عند المهدي العبّاسي بالزندقة، فقتله نحو سنة ٧٧٧ م. «فهرس الأعلام ١٩٢/٣».

(٥) نجل زياد: هو عبيد الله بن زياد بن أبيه والي معاوية ويزيد على البصرة، وفي أيامه قتل الحسين بن علي رضي الله عنه وعلى يديه. «انظر فهرس الأعلام ١٩٣/٤».

(٦) التَّبَثُّل: الانقطاع والتفرُّع للعبادة والعشق.

وقال عبد المحسن بن غالب الصوري: [من المتقارب]

وكانَ ابتداء الذي بي مُجونا فلَمَّا تمكَّنَ أمسى جُنونا^(١)
وكنْتُ أَظُنُّ الهوى هَيِّنَا فَلَاقَيْتُ مِنْهُ عَذْبًا مُهِينَا

وقال أبو بكر بن محمد بن عمر العنبري^(٢): [من السريع]

يا صاح، إِنِّي مُذْ عَرَفْتُ الهوى غَرِقْتُ فِي بَحْرٍ بِلاَ سَاحِلِ!
عَيْنِي لِحَيْنِي نَظَرْتُ نَظْرَةً رُحْتُ بِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلِ
عَلَّقْتُهُ فِي الْبَيْتِ مِنْ فَارِسٍ لَكِنَّهُ فِي السُّخْرِ مِنْ بَابِلِ^(٣)
يَظْلِمُنِي، وَالْعَدْلُ مِنْ شَأْنِهِ! مَا أَوْجَعَ الظُّلَمَ مِنَ الْعَادِلِ!

وقال آخر: [من مخلع البسيط]

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَرَى الْمَنَايَا بِعَيْنِهِ مَنَظَرًا صَرَاخَا^(٤)
فَلْيُخَسِّ كَأَسَا مِنَ التَّجَنِّي وَلْيَعَشِّقِ الْأَوْجَةَ الْمَلَاخَا!^(٥)
يَا أَغِيْنَا أُرْسِلْتُ مِرَاضَا فَاخْتَلَسْتُ أَغِيْنَا صِحَاخَا!^(٦)

وقال آخر: [من البسيط]

مَا أَقْتَلَ الْحُبَّ! وَالْإِنْسَانُ يَجْهَلُهُ وَكُلُّ مَا لَمْ يَذُقْهُ فَهُوَ مَجْهُولُ
رَاحَ الرُّمَاءُ إِلَى بَعْضِ الْمَهَا، فَإِذَا بَعْضُ الرُّمَاءِ يَبْغِضُ الصَّيْدَ مَقْتُولُ!^(٧)

وأما الآفات التي تجري على العاشق من المرض والضنا والجنون والمخاطر بالنفوس، وإلقائها إلى الهلاك، فهي كثيرة جدًا، مشاهدة ومسموعة.

(١) المجون: قلة الحياء.

(٢) هو محمد بن عمر العنبري، أبو بكر، أديب ظريف، حسن الشعر، من أهل بغداد، كان متصوفًا وخرج على المتصوفين ودمهم بقصائد، أورد ابن الجوزي إحداها في كتابه: تلبس إبليس، توفي سنة ١٠١٢ م. «فهرس الأعلام ٦/٣١٢».

(٣) بابل: مملكة كانت مشهورة في التاريخ، وبابل عاصمتها. قال ابن حوقل: هي أقدم أبنية العراق، وإليها ينسب إقليم بابل، وكانت ملوك الكنعانيين يقيمون بها. «انظر صبح الأعشى ٤/٣٣١».

(٤) الصراح: الواضح.

(٥) حسا الكأس: تناول ما فيه جرعة جرعة: «شربه».

(٦) المراض: التي فيها فتور وانكسار وضعف، وتكون أشد لأسر القلوب.

(٧) المها: البقر الوحشية، تشبه عيون النساء بعينيها.

فمن ذلك ما حكاه أبو الفرج بن الجوزي بسند يرفعه، قال: لما بعثت قريش عمارة بن الوليد مع عمرو بن العاص^(١) إلى النجاشي يكلمانه فيمن قدم عليه من المهاجرين، فراسل عمارة جارية لعمرو بن العاص كانت معه فصغت إليه، فاطلع عمرو على ذلك فوجد^(٢) على عمارة، وكان عمارة أخبر عمراً أن زوجة النجاشي علقت وأدخلته إليها فوشى عمرو بعمارة عند النجاشي وأخبره بالخبر، فقال له النجاشي: أئني بعلامة أستدل بها على ما قلت! ثم عاد عمارة فأخبر عمراً بأمره وأمر زوجة النجاشي، فقال له عمرو: لا أقبل هذا منك إلا أن تُعطيك من دهن^(٣) الملك الذي لا يدهن به غيره، فكلّمها عمارة في ذلك، فقالت: أخاف من الملك فأبى أن يرضى منها حتى تعطيه من ذلك الدهن فأعطته منه، فأعطاه عمراً فجاء به عمرو إلى النجاشي فنفخ سحراً في إحليل^(٤) عمارة، فذهب مع الوحش (فيما تقول قريش) فلم يزل متوحشاً يرد ماء في جزيرة بأرض الحبش حتى خرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه فرصده على الماء فأخذه فجعل يصيح به: يا بجير أرسلني^(٥)! فإني أموت إن أمسكتني! فأمسكه فمات في يده.

وحكى عن محمد بن زياد الأعرابي^(٦) قال: رأيت بالبادية أعرابياً في عنقه تائم^(٧) وهو غزيان وعلى سوائته خرقة وفي رجله حبل ومن خلفه عجوز آخذة بطرف الحبل وهو يعض ذراعيه، فقلت للعجوز: من هذا؟ فقالت: ابن ابنتي! فقلت لها: أبة مس من الجن؟ فقالت: لا والله ولكنه نشأ وابنة عم له في مكان واحد، فغلقها وعلقته، فحبسها أهلها ومنعوها منه فزال عقله وصار إلى ما ترى! فقلت لها: ما اسمه؟ قالت: عكرمة، فقلت: أيا عكرمة ما أصابك؟ قال: أصابني داء قيس وعروة وجميل، فالجسم مني نحيل، والفؤاد عليل، قال: فتركته ومضيت.

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله، فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم، كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في ذات الحديبية، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٤ م. «فهرس الأعلام ٧٩/٥».

(٢) وجد عليه: حقد. (٣) الدهن: الطيب الذي يتطيب به.

(٤) الإحليل: الذكر من الرجل. (٥) أرسلني: أطلقني.

(٦) هو محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله، راوية، ناسب، علامة باللغة، من أهل الكوفة، ولم ير أحد في الشعر أعلم منه، وهو ربيب المفضل الضبي، مات بسمراء سنة ٨٤٥ م، له تصانيف كثيرة. «فهرس الأعلام ١٣١/٦».

(٧) التائم: مفردا تيمة، وهي عوذة تعلق في العنق لدفع العين والسحر.

وحكي عن عباس بن عبيد، قال: كان بالمدينة جارية ظريفة حاذقة بالغناء فهويت فتى من قریش، فكانت لا تُفارقة ولا يفارقه، فملأها الفتى وفارقه، وتزايدت محبتها له حتى ولهت، وتفاقم الأمر بها حتى هامت على وجهها ومزقت ثيابها، فرأها مولاها في ليلة من الليالي، وهي تدور في السُّكك^(١) ومعه أصحاب له، فجعلت تبكي وتقول: [من الكامل]

الحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لَجَاجَةً تَأْتِي بِهِ وَتَسُوْقُهُ الْأَقْدَارُ^(٢)
حَتَّى إِذَا افْتَحَمَ الْفَتَى لُجَجَ الْهَوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ
قال: فما بقي أحدٌ إلا رحمها، فقال لها مولاها: يا فلانة، أمضي معنا إلى بيتنا! فأبت وقالت: [من الخفيف]

* شَغَلَ الْحَلِيَّ أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا^(٣) *

قال: وذكر بعض من رآها ليلة وقد لقيتها جارية أخرى مجنونة فقالت لها: فلانة، كيف أنت؟ قالت: كما لا أحب، فكيف أنت ومن ولّك وحُبّك؟ قالت: على ما لم يزل، يتزايد على مرّ الأيام! قالت لها: فغني بصوت من أصواتك فإني قريبة الشبه بك! فأخذت قصبة تُوَقَّع بها وغتت: [من البسيط]

يَا مَنْ شَكَا أَلَمًا لِلْحُبِّ شَبَّهَهُ بِالنَّارِ فِي الْقَلْبِ مِنْ حُزْنٍ وَتَذْكَارِ!
إِنِّي لِأَعْظُمُ مَا بِي أَنْ أَشَبَّهَهُ شَيْئًا يُقَاسُ إِلَى مِثْلٍ وَمِقْدَارِ
لَوْ أَنَّ قَلْبِي فِي نَارٍ لِأَحْرَقَهَا لِأَنَّ أَجْزَاءَهُ أَذْكَى مِنَ النَّارِ^(٤)
ثم مضت.

وحكى عن سليمان بن يحيى بن معاذ^(٥) قال: قدم عليّ بنيسابور^(٦) إبراهيم بن

(١) السُّكك: مفردا سَكَّة، وهي الطريق المستوي، أو الصف من الشجر.

(٢) اللجاجة: التماذي والملازمة.

(٣) شغل الحكي أهله أن يعارا: أي أهل الحكي احتاجوا أن يعلقوه على أنفسهم، فلذلك لا يعيرون، مثل يضره المسؤول شيئا هو أخرج إليه من السائل. «مجمع الأمثال ١/ ٤٧٢».

(٤) أذكى من النار: أشد لها واشتعالا.

(٥) هو سليمان بن يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، من أهل الري، والده يحيى واعظ زاهد، أقام ببلخ ومات بنيسابور، له كلمات سائرة. «انظر فهرس الأعلام ٨/ ١٧٢».

(٦) نيسابور: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء، سميت بذلك لأن سابور مرّ بها وفيها قصب كثير، فقال: يصلح أن يكون هاهنا مدينة، فقبل لها نيسابور. «انظر=

سبابة الشاعر البصري، فأنزلته عليّ فجاء ليلة من الليالي وهو مكروب قد هاج، فجعل يصيح بي: يا أبا أيوب! فخشيت أن يكون قد غشيته بليّة، فقلت: ما تشاء؟

فقال: [من مخلّع البسيط]

* أَعْيَانِي الشَادِنُ الرَّبِيبُ! ^(١) *

فقلت: بماذا؟

فقال:

* أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَا يُجِيبُ! *

فقلت: داره وداه!

فقال:

مَنْ أَيْنَ أَبْغِي شِفَاءَ دَائِي؟ وَإِنَّمَا دَائِي الطَّبِيبُ!

فقلت: إذن يفرّج الله عزّ وجلّ!

فقال:

يَا رَبِّ، فَرِّجْ إِذَا وَعَجَلْ فَإِنَّكَ السَّامِعُ الْمُجِيبُ!

ثم انصرف.

وحدّث عن علي بن محمد النوفليّ عن أبي المختار عن محمد بن قيس العبديّ، قال: إني لبمزدلفة ^(٢) بين النائم واليقظان إذ سمعت بكاء حرقاً وغناء عاليّاً، فاتبعْتُ الصوت فإذا أنا بجارية كأنها الشمس حسناً ومعها عجوز، فلطُطْتُ ^(٣) بالأرض لأمتع عيني بحسنها، فسمعتها تقول: [من الطويل]

دَعْوَتُكَ يَا مَوْلَايَ سِرّاً وَجَهْرَةً دَعَاءَ ضَعِيفِ الْقَلْبِ عَنْ مُحَمِّلِ الْحَبِّ!

بُلِيتُ بِقَاسِيِ الْقَلْبِ لَا يَغْرِفُ الْهَوَى وَأَقْتُلُ خَلْقَ اللَّهِ لِلْهَائِمِ الصَّبِّ! ^(٤)

= معجم البلدان ٣٣١/٥.

(١) الشادن: ولد الظبية.

(٢) المزدلفة: المشعر الحرام، ومصلّى الإمام يصلي فيه العشاء والمغرب والصبح، وهو مبيت للحاج ومجمع الصلاة إذا صعدوا من عرفات، قيل: إنّ آدم لما هبط إلى الأرض لم يزدلف إلى حواء أو تزدلف إليه حتى تعارفا بعرفة، واجتمعا بالمزدلفة فسميت جمعا ومزدلفة. «انظر معجم البلدان ١٢٠/٥، ١٢١».

(٣) لطّطت بالأرض: لصقت بها.

(٤) الصبّ: العاشق الذي رنّ واشتاق.

فإن كنت لم تقض المودة بيننا فلا تُخل من حب له أبداً قلبي!
رضيت بهذا ما حييت فإن أمت فحسبي معاداً في المعاد به حسبي!^(١)

قال: وجعلت تردّد هذه الأبيات وتبكي، فقمّت إليها وقلت: بنفسي من أنت؟ مع هذا الوجه وهذا الجمال يمتنع عليك من تريدين؟ قالت: نعم! والله إنه يفعل تصبّراً وفي قلبه أكثر مما في قلبي! قلت: فإلى كم البكاء؟ قالت: أبداً! أو يصير الدمع دماً وتتلف نفسي غماً. فقلت: إن هذه آخر ليلة من ليالي الحجّ، فلو سألت الله تعالى التوبة مما أنت فيه، رجوت أن يذهب حبه من قلبك! قالت: يا هذا، عليك بنفسك في طلب رغبتك، فإني قد قدّمت رغبتني إلى من ليس يجهل بغيتي! وحولت وجهها عني، وأقبلت على بكائها وشعرها.

وحكى أبو الفرج، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن الجوزي في كتابه المترجم بـ «دَمّ الهوى» بسند رفعه إلى هشام بن عروة^(٢)، قال: أذن معاوية بن أبي سفيان يوماً للناس، فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عُذرة، فلما أخذ الناس مجالسهم، قام الفتى العذري بين السماطين^(٣)، فأنشأ يقول: [من الطويل]

مُعَاوِي، يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْحِلْمِ وَالْعَقْلِ وَذَا الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْجُودِ وَالْبَذْلِ!^(٤)
أَتَيْتُكَ لَمَّا ضَاقَ فِي الْأَرْضِ مَسْكَنِي وَأَتَكَّرْتُ مِمَّا قَدْ أَصَبْتُ بِهِ عَقْلِي
فَفَرَجَ - كَلَاكَ اللَّهُ - عَنِّي فَإِنِّي وَخُذْ لِي - هَذَاكَ اللَّهُ - حَقِّي مِنَ الَّذِي لَقِيتُ الَّذِي لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ قَبْلِي!^(٥)
وَكُنْتُ أَرْجُو عِذْلَهُ إِنْ أَتَيْتُهُ رَمَانِي بِسَهْمٍ كَانَ أَهْوَنُهُ قَتْلِي!
سَبَانِي سُعْدَى وَانْبَرَى لَخُصُومَتِي فَأَكْثَرُ تَرْدَادِي مَعَ الْحَبْسِ وَالْكَبْلِ!^(٦)
فَطَلَّقْتُهَا مِنْ جَهْدٍ مَا قَدْ أَصَابَنِي وَجَارَ وَلَمْ يَعْدِلْ وَغَاصَبَنِي أَهْلِي
فَهَذَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَدْلِ؟^(٧)

(١) حسبي: يكفيني، والمعاد: الحشر، أي يوم القيامة.

(٢) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسديّ، أبو المنذر، تابعي من أئمة الحديث، من علماء المدينة، ولد وعاش فيها ووفد على المنصور العباسي في بغداد، فكان من خاصته وتوفي هناك سنة ٧٦٣ م. «فهرس الأعلام ٨/ ٨٧».

(٣) السماطين: مثني سباط، وهو الصفّ أو الجانب.

(٤) البذل: العطاء.

(٥) كلاك الله: حفظك الله ورعاك.

(٦) الكبل: القيد.

(٧) العذل: اللوم.

فقال معاوية: أذنُ بارك الله عليك! ما خَطْبُك؟ فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين! إنني رجل من بني عُذرة، تزوجت ابنة عمِّ لي، وكانت لي صِزْمة^(١) من الإبل وشَوِيْهات^(٢) فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابتنني نائبة الزمان وحادثات الدهر، رَغِب عني أبوها. وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكِرِهْتُ مخالفة أبيها، فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستصرخاً به راجياً لنصرتي، فذكرت له قصتي، فأحضر أبوها وسأله عن قصيتي، وكان قد بلغه جمالها، فدفع لأبيها عشرة آلاف درهم، وقال له: هذه لك، وزوجني بها وأنا أضمن خلاصها من هذا الأعرابي! فرغب أبوها في البذل فصار الأمير لي خصماً وعليّ منكرًا! فانتهرني وأمر بي إلى السجن وأرسل إليّ أن أطلقها، فلم أفعل. فحبسني وضيق عليّ وعذّبنني بأنواع العذاب، فلما أصابني مَسُّ الحديد وألَمُ العذاب ولم أجد بُدّاً عن ذلك، طلقتها. فما استكملت عذتها حتّى تزوّج بها. فلما دخل بها أرسل إليّ فأطلقني. وقد أتيتك يا أمير المؤمنين مستجيرًا بك، وأنت غياث المكروب، وسند المسلوب، فهل من فرج؟ ثم بكى وقال في بكائه: [من المجتث]

في القَلْبِ مِئِّي نَارُ	والنارُ فيها استِعارًا! ^(٣)
والجِسمِ مِئِّي نَجِيلُ	واللَوْنُ فيه اضْفِرارُ
والعَيْنُ تَبْكِي بِشَجْوٍ	فَدَمْعُهَا مِذْرارُ ^(٤)
والحُبُّ داءٌ عَسِيرُ	فيه الطَّيِّبُ يَحَارُ
حُمِلْتُ مِنْهُ عَظِيمًا	فما عليه اضْطِبارُ ^(٥)
فَلَيْسَ لِيْلِي لَيْلًا	ولا نَهَارِي نَهَارًا!

فرّق له معاوية وكتب إلى ابن الحكم كتابًا غليظًا، وكتب في آخره: [من

البسيط]

رَكِبْتُ أَمْرًا عَظِيمًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ	أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ جَوْرِ أَمْرِي زَانِي!
قَدْ كُنْتُ تُشَبِّه صُوفِيًّا لَهُ كُتُبُ	من الفرائضِ أو آياتِ فُرْقَانِ

(١) الصرمة: الجماعة والقطعة.

(٢) الشويّهات: من الغنم، «الشويهة»: الشاة الصغيرة.

(٣) استعزّت النار: توقّدت.

(٤) الشجو: الهم والحزن، والمدرار: السائل الذي لا يتقطع.

(٥) حُمِلْتُ: عانيت، وحملت ثَقِيلًا منه.

حَتَّى أَتَانَا الْفَتَى الْعَذْرَىٰ مَنَحِبًا يَشْكُو إِلَيَّ بِحَقِّ غَيْرِ بُهْتَانٍ^(١)
 أُعْطِيَ الْإِلَهِ عَهْدًا لَا أَحْيَسُ بِهَا أَوْ لَا فُبِرْتُ مِنْ دَيْنٍ وَإِيمَانٍ^(٢)
 إِنْ أَنْتَ رَاجَعْتَنِي فِيمَا كَتَبْتُ بِهِ لِأَجْعَلَنَّكَ لَحْمًا بَيْنَ عِقْبَانٍ^(٣)
 طَلَّقْتُ سُعَادًا، وَجَهَّزَهَا مَعْجَلَةً مَعَ الْكُمَيْتِ، وَمَعَ نَضْرَ بْنِ ذِيانٍ!
 فَمَا سَمِعْتُ كَمَا بُلِّغْتُ مِنْ عَجَبٍ وَلَا فِعَالُكَ حَقًّا فِعْلَ إِنْسَانٍ!

ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الكميت ونصر بن ذيان، وقال: اذهبا به إليه!

قال: فلما ورد كتاب معاوية على ابن الحكم وقرأه تنفّس الصُّعْدَاءُ^(٤)، وقال: وَدِدْتُ أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَلَّى بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَنَةً ثُمَّ عَرْضَنِي عَلَى السَّيْفِ! وجعل يؤامر^(٥) نفسه في طلاقها فلا يقدر، فلما أزعجه الوفد طلقها وأسلمها إليهما، فلما رآها الوفد على هذه الصورة العظيمة وما اشتملت عليه من الجمال المفرط، قالوا: لا تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين! وكتب ابن الحكم كتابًا لأمير المؤمنين معاوية، ودفعه إليهما مع الجارية، فكان مما كتب فيه يقول: [من البسيط]

لَا تَحَنَّنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ أَوْفَى بِعَهْدِكَ فِي رَفْقٍ وَإِحْسَانٍ
 وَمَا رَكِبْتُ حَرَامًا حِينَ أَعْجَبَنِي فَكَيْفَ سُمِّيتُ بِاسْمِ الْخَائِنِ الزَّانِي؟
 أَعِزُّ فَيَا نِكَ لَوْ أَبْصَرْتَهَا لَجَرْتُ مِنْكَ الْأَمَانِي عَلَى تَمَثَالِ إِنْسَانٍ!
 وَسَوْفَ تَأْتِيكَ شَمْسٌ لَيْسَ يَغْدِلُهَا عِنْدَ الْبَرِيَّةِ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ!
 حَوْرَاءُ يَقْصُرُ عَنْهَا الْوَصْفُ إِنْ وُصِفَتْ أَقُولُ ذَلِكَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ!^(٦)

فلما ورد الكتاب على معاوية وقرأه، قال: لقد أحسن في الطاعة، ولكن أظن^(٧) في ذكر الجارية! ولئن كانت أعطيت حسن الثَّغْمَةِ مع هذا الوصف الحسن فهي أكمل البرية! فأمر بإحضارها، فلما مثلت بين يديه، استنطقها فإذا هي أحسن الناس كلامًا وأكملهم شكلاً ودَلَالًا، فقال: يا أعرابي، هذه سعدى! ولكن هل لك

(١) البهتان: الكذب والافتراء.

(٢) العقبان: مفردا عقاب، وهو طائر من الجوارح، تأكل اللحوم والحشرات.

(٣) تنفّس الصُّعْدَاءُ: أي تنفّس نفسًا ممدودًا طويلًا من توجع وحسرة.

(٤) يؤامر نفسه: يشاورها.

(٥) الحوراء من النساء: البيضاء، لا يقصد بذلك حور عينيها.

(٦) أظن: أظال وبالف.

عنها من سَلوة بأفضل الرغبة؟ قال: نعم، إذا فرّقت بين رأسي وجسدي! فقال: أعوّضك عنها يا أعرابي ثلاث جوارٍ أبكار ومع كل واحدة ألف دينار، وأقسم لك من بيت المال ما يكفيك في كل سنة ويعينك على صحبتهم. فشهو شهقة ظنّ معاوية أنه مات، فقال له: ما بالك يا أعرابي؟ قال: أشرُّ بال وأسوأ حال، استجرت بعدلك من جور ابن الحكم، فعند من أستجير من جورك؟ ثم أنشأ يقول: [من البسيط]

لا تَجْعَلَنِي وَالْأَمْثَالَ تُضْرَبُ بِي كَالْمُسْتَغِيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ! ^(١)
أُرَدُّ سَعَادَ عَلَى حَيْرَانٍ مَكْتَتِبٍ يُنْمِسي وَيُضْبِحُ فِي هَمٍّ وَتَذْكَارٍ!
قَدْ شَفَّهُ قَلَقٌ مَا مِثْلُهُ قَلَقٌ وَأُسْعِرَ الْقَلْبُ مِنْهُ أَيَّ إِسْعَارٍ! ^(٢)
كَيْفَ السُّلُوءُ، وَقَدْ هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا وَأَصْبَحَ الْقَلْبُ عَنْهَا غَيْرَ صَبَّارٍ؟

قال: فغضب معاوية غضباً شديداً، ثم قال: يا أعرابي، أنت مقرر بأنك طلقته! ومروان مقرر بأنه طلقها، ونحن نخيرها فإن اختارتك أعدناها إليك بعقدٍ جديد، وإن اختارت سواك زوجناه بها. ثم التفت إليها أمير المؤمنين وقال: ما تقولين، يا سعادى؟ أيما أحب إليك، أمير المؤمنين في عزّه وشرفه وسلطانه وما تصيرين إليه عنده، أو مروان بن الحكم ^(٣) في عُسفه ^(٤) وجوره، أو هذا الأعرابي في فقره وسوء حاله؟ فأنشأت تقول: [من البسيط]

هذا، وَإِنْ كَانَ فِي فَقْرٍ وَإِضْرَارٍ أَعَزُّ عِنْدِي مِنْ قَوْمِي وَمِنْ جَارِي! ^(٥)
وصاحبِ النَّجَاحِ أَوْ مَرْوَانَ عَامِلِهِ وَكُلَّ ذِي دِرْهَمٍ عِنْدِي وَدِينَارٍ!

(١) الرَّمْضَاءُ: الأرض أو الحجارة التي حميت من شدة حرارة الشمس، وفي المثل: كالمستغيث من الرمضاء بالنار، يضرب مثلاً في الخلتين من الإساءة تجمعان على الرجل. «انظر مجمع الأمثال ١٧٨/٢».

(٢) شَفَّهُ الْقَلَقُ: أذواه وبراه وأزقه.

(٣) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك، ولّاه معاوية، وقد تولى الخلافة بعد معاوية بن يزيد، وإليه يُنسب بنو مروان ودولتهم المروانية، ولد بمكة، توفي بدمشق سنة ٦٨٥ م.

(٤) العسف: الظلم.

(٥) لقد ورد في كتاب «ذم الهوى لابن الجوزي ص ٣٤١، تحقيق مصطفى عبد الواحد» ذكر هذه الأبيات على الشكل التالي:

هذا وإن أصبح في أطمار وكان في نقص من اليسار
أكثر عندي من أبي وجاري وصاحب الدرهم والدينار
أخشى إذا غدرت حر النار

ثم قالت: والله يا أمير المؤمنين، ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدرات الأيام! وإن لي معه صحبة لا تُنسى ومحبة لا تبلى! والله إنني لأحق من صبر معه في الضراء كما تنعمت معه في السراء! فعجب كل من كان حاضراً، فأمر له بها ثم أعادها له بعقد جديد، وأمر لهما بألف دينار، فأخذها وانصرف يقول: [من الرجز]

خَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ لِلأَعْرَابِي! أَلَمْ تَرَوْا، وَنَحْكُمُ مِمَّا بِي؟

[قال: فضحك معاوية وأمر بها فأدخلت في قصوره حتى انقضت عدتها من ابن الحكم، ثم أمر بدفعها إلى الأعرابي]^(١).

ولقد ساق ابن الجوزي في كتابه من أخبار العشاق وما نالهم من الأمراض والجنون والضنا، وقص كثيرًا من أخبارهم، تركنا إيراد ذلك رغبة في الاختصار، لأنه أمر غير منكور.



وأما من خاطر بنفسه وألقاها إلى الهلاك لأجل محبوه، فمن ذلك ما روى عن أبي ریحانة أحد حجاب عبد الملك بن مروان، أنه قال: كان عبد الملك يجلس يوماً في الأسبوع جلوساً عاماً للناس، فبينما هو جالس في مُسْتَشْرِفٍ^(٢) له وقد أدخلت عليه القصص، إذ وقعت في يده قصّة غير مترجمة، فيها:

«إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة تغتني ثلاثة أصوات ثم ينفذ في ما شاء من حكمه، فعل!».

فاستشاط^(٣) من ذلك غضباً وغيظاً، وقال: يا رباح! عليّ بصاحب هذه القصة! فخرج الناس جميعاً فأدخل عليه غلام كما عُدَّ^(٤)، من أحسن الفتيان، فقال له عبد الملك: يا غلام، هذه قصّتك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وما الذي غرّك مني؟ والله لأمثلنّ بك ولأردعنّ بك نظراءك من أهل الجسارة^(٥)! ثم قال: عليّ بالجارية فجيء بها كأنها فُلقة قمر! ويدها عودها ووضع لها كرسي، فجلست، فقال عبد الملك: مُزها يا غلام! فقال لها: يا جارية، غتيني بشعر قيس بن ذريح^(٦):

(١) ما بين قوسين زيادة من كتاب «ذم الهوى ص ٣٤١».

(٢) المستشف: المكان الذي انتصب وعلا. (٣) استشاط غضباً: ثار واشتد غضبه.

(٤) عُدَّ: نبت شعر عذاره. (٥) الجسارة: الجراءة.

(٦) هو قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكتاني، شاعر من العشاق المتيمين، اشتهر بحب «البنى» =

[من الطويل]

لقد كنتِ حَسْبَ النفسِ، لو دام ودنا ولكتما الدنيا متاع غُرور!^(١)
وكنا جميعًا قبل أن يَظْهَرَ الهوى بأنعمِ حالي غبطة وسُرورِ
فما بَرِحَ الواشونَ حتَّى بدتْ لنا بُطُونُ الهوى مقلوبةً لظهورِ

فغنت، فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريبًا^(٢)، ثم قال له عبد الملك: مُرها تغنك الصوت الثاني! فقال: غنّيني بشعر جميل: [من الطويل]

ألا لَيْتَ شِغْري! هل أَيْتَرَ ليلَةً بوادي القُرى؟ إني إذا لَسَعِيدُ!^(٣)
إذا قلتُ: ما بي يا بُثِينَةُ قَاتِلي من الحُبِّ! قالت: ثابتٌ وَيَزِيدُ!^(٤)
وإن قلتُ: رُدِّي بعضَ عَقْلي أَعِشْ بهِ مع الناس! قالت: ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ!
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالِبًا ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ!^(٥)
يموتُ الهوى مَتًى إذا ما لَقِيَتْها وَيَحْيَا إذا فارقَتْها فيَعُودُ!

فغنته الجارية، فسقط الغلام مغشيًا عليه ساعة، ثم أفاق، فقال له عبد الملك: مُرها فلتغنك الصوت الثالث! فقال: يا جارية! غنّيني بشعر قيس بن الملوّح^(٦): [من الطويل]

وفي الجيرة الغادينَ من بَطْنِ وَجْرةٍ غزالُ غَضِيضُ الْمُقْلَتَيْنِ رَبِيبُ^(٧)
فلا تحسبي أنّ العَرِيبَ الذي نَأى ولكنّ من تَنَائَنٍ عَنْهُ غَرِيبُ!

= بنت الحباب الكعبية، من شعراء العصر الأموي كان رضيعًا للحسين بن عليّ بن أبي طالب، أخبره مع لبنى كثيرة جدًا، وشعره عالي الطبقة في التشبيب ووصف الشوق والحنين. «فهرس الأعلام ٢٠٥/٥ - ٢٠٦».

(١) متاع غرور: أي متاع يخدع الإنسان ويغره ببعض الأشياء الزائلة.

(٢) تخريبًا: تمزيقًا.

(٣) وادي القري: موضع قرب المدينة كان يقيم فيه جميل بن معمر وبثينة. «ديوان جميل ص ٣٩، دار صادر».

(٤) ثابت: مقيم. (٥) يبيد: يفنى ويهلك.

(٦) هو قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري، مجنون ليلي، شاعر غزل من المتيّمين، من أهل نجد، لم يكن مجنونًا وإنما لُقّب بذلك لهيامه بليلي بنت سعد مات سنة ٦٨٨ م، وله ديوان مطبوع. «فهرس الأعلام ٢٠٨/٥».

(٧) بطن وجرة: قال الأصمعي: وجرة بين مكة والبصرة، ليس فيها منزل، فهي مربّب للوحش. «معجم البلدان ٣٦٢/٥». وعضيض المقلتين: أي في طرفه فتور وانكسار.

فغنته الجارية فطرح نفسه من المستشرف، فتقطع قبل وصوله إلى الأرض، فقال عبد الملك: ويحه^(١)! لقد عجّل على نفسه! ولقد كان تقديره فيه غير الذي فعل! وأمر بإخراج الجارية عن قصره، فأخرجت، ثم سأل عن الغلام فقالوا: غريب، لا يعرف إلا أنه منذ ثلاث ينادي في الأسواق، ويده على رأسه: [من الطويل].

غَدَا يَكْثُرُ الْبَاكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَتَزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بُغْدًا!

وحكي أن مثل هذه الحكاية جرت في مجلس سليمان بن عبد الملك.

حُكي عن أبي عثمان الجاحظ أنه قال: قعد سليمان بن عبد الملك^(٢) يوماً للمَظَالِمِ^(٣) وعُرضت عليه القِصَصُ فمرت به قصة فيها: إن رأى أمير المؤمنين أن يُخرج إليّ فلانة (إحدى جواريه) حتى تغنيني ثلاثة أصوات، فعل. فاغتاظ سليمان وأمر أن يؤتى برأسه، ثم أتبع الرسول برسول آخر فأمره أن يدخل الرجل إليه. فلما مثل بين يديه، قال له: ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقال: الثقة بحلمك، والاتكال على عفوك! فأمره بالجلوس، فجلس حتى لم يبق من بني أمية أحد. ثم أمر بإخراج الجارية فأخرجت ومعها عود، ثم قال: اختر! فقال: تغني لي بقول قيس بن الملوّح: [من الطويل]

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا وَمِنْ بَعْدِ أَنْ كُنَّا نِطَافًا وَفِي الْمَهْدِ!^(٤)
فَعَاشَ كَمَا عِشْنَا فَأَصْبَحَ نَامِيَا وَلَيْسَ - وَإِنْ مَثْنَا - بِمَنْقِصِ الْعَهْدِ^(٥)
يَكَادُ قُضِيضُ الْمَاءِ يَخْدِشُ جِلْدَهَا إِذَا اغْتَسَلَتْ بِالْمَاءِ مِنْ رَقَّةِ الْجِلْدِ^(٦)
وَأُنِّي لِمُشْتَاقٍ إِلَى رِيحِ جَنِيْبِهَا كَمَا اشْتَاقَ إِدْرِيسٌ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ^(٧)

(١) ويحه: كلمة ترخّم وتوجّع، أو هي بمعنى «ويل».

(٢) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب، الخليفة الأموي. «انظر فهرس الأعلام ٣/ ١٣٠».

(٣) المظالم: أي الشكاوى، وهو يوم كان يجلس فيه الخليفة فيستمع بنفسه إلى شكاوى الناس، ومن ذلك كان «ديوان المظالم».

(٤) التطفاف: من التطفة، وهي المنى.

(٥) منقصف العهد: أي متقطع، والعهد: الميثاق.

(٦) قضيض الماء: ما تنثر من الماء أو رذاذه.

(٧) الجيب: من القميص ونحوه: ما يدخل منه الرأس عند لبسه، يريد: عنقها، وإدريس: نبي من أنبياء الله ورد ذكره في القرآن الكريم «سورة مريم، الآية ٥٦».

فغئت. ثم قال: تأمر لي برطل. فأمر له به فشربه. ثم قال: تغني بقول جميل:
[من الطويل]

عَلِقْتُ الهوى منها وَلِيدًا، فلم يَزَلْ إلى اليوم يَنْمِي حُبُّها وَيَزِيدُ
وَأَفْنَيْتُ عُمْري في انتظار نَوَالِها وَأَبْلَيْتُ فيها الدَّهرَ وهو جَدِيدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالِبًا ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ
إذا قلتُ: ما بي يا بُشِينَةُ قَاتِلِي من الحُبِّ! قالت: ثابت وَيَزِيدُ
وإن قلتُ: رَدِّي بعضَ عَقْلِي أعِشْ به مع الناسِ! قالت: ذاكَ منك بعيدُ

فغئت، فقال له سليمان: قل ما تريد؟ قال: تأمر لي برطل، فأمر له به فشربه.

ثم قال: تغني بقول قيس بن ذريح: [من المضارع]

* لقد كنت حَسْبَ النفس *

الآيات.

فغئت. فقال له سليمان: قل ما تشاء! قال: تأمر لي برطل! فأمر له به، فما
استتمه حتى وثب فصعد إلى أعلى قبة ثم رَجَّ^(١) نفسه على دماغه فمات. فاسترجع
سليمان وقال: أترأه توهم الجاهل أني أخرج إليه جاريته وأرذها إلى ملكي؟ يا غلام
خذ بيدها فانطلق بها إلى أهله إن كان له أهل، وإلا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه.
فلما انطلقوا بها، نظرت إلى حفرة في الدار قد أُعِدَّت للمطر، فجذبت يدها من
أيديهم وأنشأت تقول: [من السريع]

مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلِيُمْتُ هَكَذَا! لا خَيْرَ في عِشْقٍ بِلَا مَوْتٍ!

وزجت نفسها في الحفرة على دماغها. فماتت.

وقد حُكِيَ أيضًا مثل هذه، وأنها وقعت للرشيد.

رُوِيَ عن أبي بكر محمد بن عليّ المخزوميّ قال: اشتريتُ للرشيد جارية
مدنية. فأعجب بها وأمر الفضل بن الربيع^(٢) أن يبعث في حَمَلِ أهلها ومواليها
لينصرفوا بجوائزها. وأراد بذلك تشريفها. فوفد إلى مدينة السلام^(٣) ثمانون رجلًا،

(١) رَجَّ نفسه: رمى بها.

(٢) هو الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس، وزير أديب حازم، كان من خصوم البرامكة ووراء
نكبتهم من هارون الرشيد، توفي بطوس سنة ٨٢٤ م. «فهرس الأعلام ١٤٨/٥».

(٣) مدينة السلام: بغداد.

ووفد معهم رجل من أهل العراق استوطن المدينة كان يهوى الجارية. فلما بلغ الرشيد خبر مَقْدَمِهِم أمر الفضل أن يخرج إليهم ليكتب اسم كل واحد منهم وحاجته، ففعل. فلما بلغ إلى العراقي قال: ما حاجتك؟ قال له: إن أنت كتبتني وضمنت لي عَرْضَهَا مع ما يُعرض، أنبأتك بها. فقال: أفعل ذلك. فقال: حاجتي أن أجلس مع فلانة حتّى تغنيني ثلاثة أصوات وأشرب ثلاثة أرطال، وأخبرها بما تُجِنُّ^(١) ضُلوعي من حبّها! فقال الفضل: أنت مؤسوس^(٢) مدخول عليك في عقلك! فقال: يا هذا، قد أمرت أن تكتب ما يقول كل واحد منّا فاكتب ما أقول واعرضه، فإن أُجبت إليه وإلا فانت في أوسع العذر، فدخل الفضل مغضباً فوقف بين يدي الرشيد، وقرأ عليه ما كتب من حوائجهم. فلما فرغ قال: يا أمير المؤمنين فيهم واحد مجنون! سأل ما أُجلّ مجلس أمير المؤمنين عن التفوّ به. فقال: قل، ولا تجزَعن!^(٣) فقال: قال كذا وكذا، فقال: أخرج إليه، وقل له: «إذا كان بعد ثلاث، فأحضِرْ لِنَجْزَ لك ما سألت»، وكن أنت متولّي الاستئذان له. ثم دعا بخادم فقال له: أمضِ إلى فلانة فقل لها: حضّر رجل يذكر كذا وكذا، وقد أجبناه إلى ما سأل فكوني على أهبة^(٤)، وخرج الفضل إلى الرجل وأخبره بما قال الرشيد، فانصرف وجاء في اليوم الثالث، فعرف الفضل الرشيد خبره فقال: يوضع له بحيث أرى، كرسي من فضة، وللجارية كرسي من ذهب! وليُخرج إليه ثلاثة أرطال! ففعلوا ذلك وجاء الفتى فجلس على الكرسي، والجارية بإزائه، فجعل يحدثها والرشيد يراهما، فقال له الخادم: لم تُدْخِل فتشوّ وتُصَيّف! فأخذ رطلاً وخزّ ساجداً، وقال: إن شئت أن تُعْني فُعْني: [من الطويل]

خَلِيلِي عُوْجَا! بَارِكْ اللهُ فِيكُمَا وَإِنْ لَمْ تُكُنْ هُنْدَ بَارِضِكُمَا قَضَدَا!^(٥)

وَقُولَا لَهَا: لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَازَنَا وَلَكِنَّمَا جُزْنَا لِنَلْقَاكُمَا عَمْدَا!^(٦)

عَدَا يَكْثُرُ الْبَاكُونَ مِنَّا وَمِثْلُكُمْ وَتَزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بُغْدَا!

فغنت، فشرب الرطل، وحادثها ساعة، فاستحثه الخادم فأخذ الرطل بيده،

وقال: غني جعلني الله فداءك: [من الطويل]

تَكَلَّمْ مِنَّا فِي الْوُجُوهِ عِيُونُنَا فَنَحْنُ سُكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ!

وَنَغْضَبُ أَحْيَانًا وَنَرْضَى بِطَرْفِنَا وَذَلِكَ فِيمَا بَيْنَنَا لَيْسَ يَغْلَمُ!

(١) تجنّ الضلوع: تخفي وتستر.

(٢) مؤسوس: داخله من جنون أو غيره.

(٣) الجزع: الخوف.

(٤) أهبة: استعداد.

(٥) عوجا: عاج على المكان: عطف ومال.

(٦) أجازنا: جعلنا نجتاز دياركم ونؤم.

فغنته وشرب الرطل الثاني وحادثها ساعة، واستعجله الخادم فخر ساجداً يبكي وأخذ الرطل بيده واستودعها الله وقام ودموعه تستبق استباق المطر، وقال: إذا شئت أن تغني غنئي: [من السريع]

أَحْسَنَ مَا كُنَّا تَفَرَّقْنَا وَخَانَنَا الدُّهْرُ وَمَا خُنَّا!
فَلَيْتَ ذَا الدُّهْرَ لَنَا مَرَّةً عَادَ لَنَا الدُّهْرُ كَمَا كُنَّا!

فغنته الصوت، فقلَّب الفتى طرفه فَبَصُرَ بدرجة في الصحن، فأمها^(١)، فأتبعه الخدم لِيَهْدُوهُ الطريق، ففاتهم وصعد الدرجة فألقى نفسه إلى الأرض على رأسه، فمات. فقال الرشيد: عَجِّل الفتى! ولو لم يعجل لو هبَّتْها له!



وممن خاطر بنفسه في هواه وعَرَضَهَا للتلف فنجأ ونال خيراً، ما حكاها ابن الجوزي بسند يرفعه إلى أبي الفرج أحمد بن عثمان بن إبراهيم الفقيه المعروف بابن الترسي قال: كنت جالساً بحضرة أبي، وأنا حَدَّثُ^(٢)، وعنده جماعة، فحدَّثني حديث وصول النعم إلى الناس بالألوان الظريفة. وكان ممن حضر صديق لأبي، فسمعتة يحدث أبي، قال: حضرت عند صديق لي من التُّجَّار - كان يَتَجَرُّ بمائة ألف دينار - في دعوة. وكان حسن المروءة، فقدم مائدة وقدم عليها ديكريكة^(٣) فلم يأكل منها، فامتنعنا. فقال: كُلُوا! فَإِنِّي أَنَا ذِي بَأْكِ هَذَا اللَّوْن، فقلنا: نَسَاعِدُكَ عَلَى تَرْكِهِ. قال: بل أساعدكم على الأكل، وأحتمل الأذى! فأكل وأكلنا، فلما أراد غسل يده أطال، فعددت عليه أَنَّهُ قد غسلها أربعين مرة. فقلت: يا هذا، وسوست! فقال: هذه الأذية التي قرفت منها! فقلت: وما سببها؟ فامتنع من ذكر السبب، فلما أَلْحَحْتُ عليه، قال: مات أبي وسني عشرون سنة، وخَلَّفَ لي نعمة وفيرة ورأس مال ومتاعاً في دكانه. فقال لما حضرته الوفاة: يَا بُنَيَّ! إِنَّهُ لَا وَارثَ لِي غَيْرِكَ، وَلَا ذِينَ عَلَيَّ

(٢) الحدث: الصغير السن.

(١) أمها: قصدها.

(٣) «ديكبريكة» في كتاب صفة الأطعمة، دار الكتب المصرية: يقطع اللحم أوساطاً ويترك في القدور، ويلقى عليه يسير ملح وكف حمص مقشور وكفرة يابسة، وورطة ويصل مقطّع وكزات ويطرح عليه غمرة ماء ويغلى، ثم تؤخذ رغوته ويلقى عليه بعض الأفاويه، ويطبخ حتى يتبين طعمه، والظاهر أن صواب اللفظ «ديكبر ديكة» ثم اختصر وحرف إلى «ديكريكة»، ففي المعاجم الفارسية «ديك برديك»، فمعنى «ديك» القدر، و «بر» فوق وعلى، فيكون المراد قدر فوق قدر، وتقول المعاجم: إن هذا النوع المزدوج يستعمل لأعمال التصعيد والتقطير، ولا يستبعد أن يكون هذا الطعام ممّا يعالج طبخه بهذه الطريقة فسمي باسم وعائه...

ولا مَظْلِمةٌ^(١)! فإذا أنا مِتُّ فأحسِنْ جهازي وتصدَّقْ عني بكذا وكذا، وأخرج عني حَجةً بكذا، وبارك الله لك في الباقي! ولكن أحفظ وصيتي! فقلت: قُلْ! قال: لا تسرف^(٢)! في مالك، فتحتاجَ إلى ما في أيدي الناس فلا تجده. واعلم أن القليل مع الإصلاح كثير، والكثير مع الفساد قليل. فالزم السوقَ وكن أوَّلَ من يدخلها، وأخِرَ من يخرج منها، وإن استطعت أن تدخلها سَحَرًا^(٣) ليليل فافعل، فإنك تستفيد بذلك فوائد تكشفها لك الأيام، ومات. فأنفذت وصيته، وعملتُ بما أشار به، وكنت أدخُلُ السوقَ سَحَرًا، وأخرج منها عِشاءً، فلا أعدُّ من يجيء يطلب كفنًا فلا يجد من قد فتح غيري فأحتكم عليه، ومن يبيع شيئًا والسوق لم تقم فأبتاع منه، وأشياء من هذه الفوائد، ومضى عليَّ سنة وكسر، فصار لي بذلك جاه عند أهل السوق وعرفوا استقامتي وأكرموني. فبينما أنا جالس يومًا ولم تتكامل السوق، وإذا بامرأة راكية حمازًا مصريًا وعلى كفله^(٤) منديل ديبقي^(٥) ومعها خادم وهي بزي القهارمة^(٦)، فبلغت آخر السوق ثم رجعت، فنزلت عندي. فقممت إليها وأكرمتها، وقلت: ما تأمرين؟ وتأملتُها فإذا بامرأة لم أرَ قبلها ولا بعدها إلى الآن أحسن منها في كل شيء، فتكلمتُ وقالت: أريد كذا وكذا (ثيابًا طلبتها). فسمعت نعمة ورأيت شكلاً قتلني فعشيقتها في الحال أشدَّ عشق، وقلت: أصبري حتى يخرج الناس، فأخذ ذلك لك فليس عندي إلا القليل مما يصلح لك. وأخرجت الذي عندي وجلستُ تحدثني، وكان السكاكين في فؤادي من عشقها، وكشفت عن أنامل رأيتها كالطَّلُع^(٧)، ووجه كدارة القمر. فقممتُ لئلا يزيد عليَّ الأمر، وأخذتُ لها من السوق ما أردتُ، وكان ثمنه مع مالي نحو خمسمائة دينار، فأخذته وركبتُ ولم تعطني شيئًا. وذهب عني لما تداخلني من حبِّها أن أمنعها من المتاع إلَّا بالمال، وأن أستدلَّ على منزلها ومن دار من هي؟ فحين غابت عني، وقع لي أنها محتالة وأن ذلك سبب فقري. فتحيرتُ في أمري وكتمتُ خبري، لئلا أفتضح بما للناس عليّ،

(١) المظلمة: ما يطلبه المظلوم من مالٍ مغتصب.

(٢) لا تسرف: لا تبذر. (٣) السحر: آخر الليل، قبيل الفجر.

(٤) الكفل: العجز من الإنسان والدابة.

(٥) ديبقي: نسبة إلى دبيق، مدينة كانت بالقرب من دمياط، وكانت مشهورة بنقائس المنسوجات التي

تُعرف باسمها، ويقول ياقوت: إنها كانت بين القَرَمَا وتيس من أعمال مصر. «معجم البلدان ٢/ ٤٣٨».

(٦) القهارمة: القهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه.

(٧) الطَّلُع: من التخل شيء كالكوز يفتح عن حبٍ منضود فيه مادة إخصاب النخلة.

وأجمعتُ على بيع ما في يدي من المتاع وإضافته إلى ما عندي من الدراهم وأدفع أموال الناس إليهم ولزوم البيت والاقتصار على غلة العقار الذي ورثته، وأخذتُ أشرع في ذلك مدة أسبوع، وإذا بها قد أقبلتُ ونزلتُ عندي، فحين رأيتهَا أنسيْتُ جميع ما جرى عليّ، وقمتُ إليها، فقالت: يا فتى، تأخرنا عنك لشُغل عرض لنا، وما شككنا في أنك لم تشك أنا احتلنا عليك، فقلت: قد رفع الله قدرك عن هذا! فقالت: هاتِ التخت^(١) والطيّار^(٢)، فأحضرتها، فأخرجتُ دنائير عُنُقًا، فوفتني المال بأسره، وأخرجتُ تذكرة بأشياء أُخر، فأنفذتُ إلى التجّار أموالهم وطلبتُ منهم الذي أرادت، وَحَصَلْتُ أنا في الوسط ربّحًا جيّدًا، وأحضر التجّار الثياب فقمتُ وثمنتها معهم لنفسي. ثم بعتهَا عليها بربح عظيم، وأنا في خلال ذلك أنظر إليها نظر مَن تألف حبها، وهي تنظر إليّ نظر مَن فطنتُ بذلك ولم تنكره. فهَمَمْتُ بخطابها ولم أقدر عليه، وجمعتُ المتاع فكان ثمنه ألف دينار، فأخذتهُ، وركبتُ ولم أسألها عن موضعها، فلما غابت عني، قلتُ: هذه الآن الحيلة المُحكّمة! أعطيتني خمسمائة دينار وأخذت ألف دينار، وليس إلا بيعُ عقاري الآن، والحصولُ على الفقر! وتناولتُ غيبتهَا عني نحو شهر، وألحَ التجّار عليّ بالمطالبة، فعرضتُ عقاري على البيع، ولازميني بعضُ التجّار فوزنتُ جميع ما كنت أملكه وَرَقًا^(٣) وَعَيْنًا^(٤). فبينما أنا كذلك، إذ نزلت عندي. فزال عني جميعُ ما كنت فيه برؤيتهَا. واستدعتُ الطيّار والتخت، فوزنتُ المال ورمتُ إليّ تذكرة يزيد ما فيها على ألفي دينار بكثير، فتشاغلْتُ بإحضار التجّار ودفع أموالهم إليهم وأخذ المتاع منهم، وطال الحديث بيننا، فقالت لي: يا فتى، ألك زوجة؟ فقلت: لا، والله ما عرفت امرأة قطّ، وأطمعني ذلك فيها، وقلت: هذا وقت خطابها، والإمساكُ عنها عجزٌ، ولعلّها تعود أو لا تعود. وأردتُ كلامها فهبتهَا، وقمتُ كأنّي أحتُ التجّار على جمع المتاع. وأخذتُ يد الخادم وأخرجتُ إليه دنائير وسألته أن يأخذها ويقضي لي حاجة، فقال: أفعل، فقصصتُ عليه قصتي وسألته توسّط الأمر بيني وبينها. فضحك وقال: والله إنها لك أعشق منك لها! والله ما بها حاجة إلى أكثر هذا الذي تشتريه، وإنما تأتيك محبةً لك وطريقًا إلى مطاولتك، فخاطبتها ودعني، فجسّرتني على خطابها فخاطبتها وكشفت لها عشقي ومحبي وبكيتُ،

(١) التخت: وعاء تصان فيه الثياب والأقمشة.

(٢) الطيّار: معيار الذهب لأنه على شكل الطائر، وهو ميزان لا لسان له.

(٣) الورق: الدراهم المضروبة، وتكون من فضة أو غيره.

(٤) العين: ما ضرب نقدًا من الدنانير، وتكون من ذهب أو غيره.

فضحككت. وتقبّلت ذلك أحسن قبول، وقالت: الخادم يأتيك برسالتي، ونهضت ولم تأخذ شيئاً من المتاع، فرددته على أصحابه، وحصل لي ممّا اشتريته أولاً وثانياً ألف دراهم ربخاً، ولم أعرف النوم في تلك الليلة شوقاً إليها، وخوفاً من انقطاع السبب بيننا. فلما كان بعد أيام جاءني الخادم، فأكرّمته وسألته عن خبرها، فقال: هي والله عليلة من شوقها إليك، فقلت: اشرح لي أمرها، فقال: هذه مملوكة السيدة أم المقتدر^(١) وهي من أخصّ جواريهها، واشتهت رؤية الناس والدخول والخروج. فتوصلت حتّى جعلتها قهرمانة^(٢). وقد والله حدّثت السيدة بحديثك وبكت بين يديها وسألته أن تزوّجها منك، فقالت السيدة: لا أفعل أو أرى هذا الرجل، فإن كان يستأهلك وإلا لم أدعك ورأيك. وتحتاج أن تحتال في إدخالك الدار بحيلة، فإن تمّت وصلت بها إلى تزويجك بها، وإن انكشفت ضرب عنقك. وقد أنقذتني إليك في هذه الرسالة، وقالت لك: إن صبرت على هذا، وإلا فلا طريق لك والله إليّ، ولا لي إليك بعدها! فحملني ما في نفسي أن قلت: أصبر، فقال: إذا كانت الليلة فاعبر إلى المحرم، وادخل إلى المسجد، وبت فيه. ففعلت ذلك، فلما كان وقت السحر، إذا بطيار^(٣) قد قدم، وخدم قد رفعوا صناديق فراغاً، فجعلوها في المسجد وانصرفوا. وخرجت الجارية فصعدت إلى المسجد، والخادم معها. فجلست وفرقت باقي الخدم في حوائج، واستدعّني فعانقّني وقبّلني، ولم أكن نلتُ ذلك منها قبله، ثم أجلسني في بعض الصناديق وأقفلته. وطلعت الشمس وجاء الخدم بثياب وحوائج من المواضع التي كانت أنفذتهم إليها، فجعلت ذلك بحضرتهم في باقي الصناديق، وأقفلتها، وحملت إلى الطيّار وانحدر. فلما حصلت فيه ندمت وقلت: قتلت نفسي لشهوة، وأقبلت ألومها تارة، وأشجّعها وأمنّيها أخرى، وأنذر النذور على خلاصي، وأوطن^(٤) مرّة نفسي على القتل إلى أن بلغنا الدار، وحمل الخدم الصناديق، وحمل صندوقي الخادم الذي يعرف الحديث، وبادر به أمام الصناديق وهي معي، والخدم يحملون بقيّتها. وكلّما جازت بطائفة من الخدم والبوابين، قالوا: نريد أن نفكّش الصندوق، فتصيح عليهم وتقول: متى جرى الرسم معي بهذا؟ فيمسكون عنها

(١) المقتدر العباسي: هو جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل، المقتدر بالله بن المعتضد بن الموفق، خليفة عبّاسي، وُلد في بغداد ويُويع بالخلافة بعد أخيه المستكفي فاستصرغه الناس، فخلعوه، ونصبوا عبد الله بن المعتزّ ثم قتلوا ابن المعتزّ ونصبوه مكانه، قتل سنة ٩٣٢ م. «فهرس الأعلام ١٢١/٢».

(٢) القهرمانة: مديرة شؤون البيت والخدم. (٣) الطيّار: زورق من الزوارق الخفيفة.

(٤) وطن نفسه على أمر: حملها عليه.

ورُوي في السِّياق إلى أن انتهينا إلى خادم خاطبته هي بالأستاذ، فعلمت أنه أجل الخَدَم، فقال: لا بدّ من فتح الصندوق الذي معك، فخاطبته بلين وذلّ، فلم يجبها. وعلمت أنها ما دُلّت ولها حيلة، فأغمي عليّ. وأنزلوا الصُّندوق ليفتحوه، فبُلت من شدّة ما نالني من الفَزَع، فجرى البول من خلال الصندوق، فصاحت: يا أستاذ، أهلكت علينا متاعاً بخمسة آلاف دينار في الصندوق، ثياب مصبّغات وماء ورد، وقد انقلب على الثياب، والساعة تختلط ألوانها، وهي هلاكي مع السيدة! فقال لها: خذي صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو، مُرّي! فصاحت بالخدم: آحملوا، فأدخلت الدار ورجعت إليّ روي، فبينا نحن كذلك إذ قالت: واويلاه! الخليفة والله! فجاءني أعظم من الأوّل. وسمعت كلام خدام وهو يقول من بينهم: ويك يا فلانة! إيش في صندوقك؟ أريني هو، فقالت: ثياب لسّي يا مولاي، والساعة أفتحه بين يديها، وتراه، وقالت للخدم: أسرّعوا ويلكم! فأسرعوا فأدخلتني إلى الحجرة وفتحت الصندوق وقالت: أصعد من هذه الدرجة إلى الغُرْفَة فاجلس فيها، وفتحت صندوقاً آخر فقلبت بعض ما فيه إلى الصندوق الذي كنت فيه، وأقفلت الجميع، وجاء المقتدر وقال: أفتحيه، ففتحته، فلم ير شيئاً فيه. فصعدت إليّ وجعلت تقبلني وترشّفتني^(١). ونسيّت ما جرى، ثم تركتني، وأقفلت باب الحجرة يومها. ثم جاءني ليلاً فأطعمتني وسقنتني وانصرفت. فلما كان من غد جاءتني، فقالت: السيّد الساعة تجيء، فانظر كيف تخاطبها، ثم عادت بعد ساعة مع السيّد، وقالت: أنزل، فنزلت، فإذا بالسيّد جالسة على كرسيّ وليس معها إلّا وصيفتان^(٢) وصاحبتي، فقبّلت الأرض وقمت بين يديها، فقالت: أجلس، فقلت: أنا عبد السيّد وخادمها، وليس من محلي أن أجلس بحضرتها، فتأمّلتني وقالت: ما اخترت يا فلانة إلّا حسن الوجه والأدب، ونهضت، فجاءتني صاحبتني بعد ساعة، وقالت: أبشر، فقد أدنّت لي في تزويجك، وما بقي إلّا عقبة إلّا الخروج. فقلت: يسلم الله! فلما كان من غدٍ حملتني في الصندوق، فخرجت كما دخلت بعد مخاطرة أُخرى وفزع ثانٍ، ونزلت في المسجد ورجعت إلى منزلي، فتصدّقت، وحمدت الله تعالى على السلامة. فلما كان بعد أيام جاءني الخادم ومعه كيس وفيه ثلاثة آلاف دينار عيّنًا، وقال: أمرتني سّيّ بإنفاذ هذا إليك من مالها. وقالت: اشتر به ثياباً ومركوباً وخدمًا، وأصلح به ظاهرك، وأحضر يوم الموكب إلى باب العامّة، وقِفْ حتّى تُطلّب. فقد وافق الخليفة أن يزوّجك بحضرتة، فأخذت المال وأجبت عن رُقعة كانت معه، واشترت ما قالوه بشيء يسير منه وبقي الأكثر عندي.

(١) رشف الماء ونحوه: مضّه بشفتيه. (٢) الوصيقة: الخادمة التي تقوم بأمر سيّدتها.

وركبْتُ إلى باب العاقمة في يوم الموكب بزِّي حسن، وجاء الناس فدخلوا إلى الخليفة، ووقفْتُ إلى أن استُدْعِيْتُ ودخلْتُ. فإذا أنا بالمقتدر جالساً والقضاة والقوَّاد وغيرهم من الهاشميين، فهبْتُ المجلس وعُلِّمْتُ كيف أُسَلِّمُ، ففعلت. وتقدَّم المقتدر إلى بعض القضاة الحاضرين فخطب لي وزوجني، وخرجت من حضرته، فلما انتهيت إلى بعض الدهاليز، عُدِلَ^(١) بي إلى دار عظيمة مفروشة بأنواع الفُرُش الفاخرة وفيها من الآلات والخدم والقماش ما لم أر مثله قط، وانصرف من أدخلي، فجلستُ يومي لا أقوم إلَّا إلى الصلاة، وخدمٌ يدخلون وخدم يخرجون، وطعام عظيم يُنقل وهم يقولون: الليلة تُزَفُ فلانة (باسم صاحبتني) إلى زوجها البرَّاز^(٢)، وأنا لا أصدِّق فرحاً، فلما جاء الليل أُرِّرُ فيَّ الجوع وأُفْلِتُ الأبواب، ويُسْتُ من الجارية، فقامت أطوف الدار فوقعت على المَطْبَخ. ووجدت الطبَّاحين جُلُوساً فاستطعمتهم فلم يعرفوني وقدروني بعض الوكلاء. فقدموا إليَّ هذا اللون مع رغيفين فأكلتهما وغسلت يدي بأشنان^(٣) كان في المطبخ، وقدَّرت أنها قد نقيت، وعدت إلى مكاني. فلما جنَّ الليل إذا طبول وزمور وأصوات عظيمة، وإذا أنا بالأبواب قد فُتِّحت وصاحبتني قد أُهْدِيت إليَّ وجاؤوا بها فجلوها عليَّ، وأنا أقدر أن ذلك في النوم، ثم تُرِكَت معي في المجلس، وتفرَّق ذلك البَوْشُ^(٤)، فلما خلونا، تقدَّمتُ إليها فقبلتها وقبلتني، فلما شَمْتُ رائحة لحيتي، رَفَسَنِي^(٥) فرمت بي عن المِنْصَةِ وقالت: أنكرْتُ والله أن تُفْلِح يا عامي، يا سَفِلة، وقامت لتخرج، فقامت وعَلِقَتْ بها وقبلتُ الأرض ورجليَّها، وقلت: عَرَفَنِي ذنبي واعلمي بعده ما شئت، فقلت: ويحك، أكلت ولم تغسِلْ يدك! فقصصت عليها قصتي، فلما بلغت إلى آخرها قلت: عليَّ وعليَّ - وحلفتُ بطلاقها وطلاق كل امرأة أنزَّوجها وصدقة مالي وجميع ما أملكه والحجَّ ماشياً على قدمي وكلِّ ما يحلف به المسلمون - لا أأكلُ بعدها ديكيريكة إلا غسَلْتُ يدي أربعين مرَّة. فاستحيْتُ وتبسَّمت وصاحت: يا جوارِي! فجاء مقدار عشر جوارٍ ووصائف، فقلت: هاتوا شيئاً نأكل، فقُدِّمَتْ ألوان ظريفة وطعام من أطعمة الخلفاء، فأكلنا وغسلنا أيدينا. واستدعت شراباً فشرَبنا وغَتَّى أولئك الوصائفُ أطيبَ غناء وأحسنه، ثم قمنا إلى الفراش فخلوتُ بها وبْتُ بأطيب ليلة، ولم نفترق أسبوعاً. وكانت يوم الأسبوع وليمةً

(١) عُدِلَ: عُطِفَ وأُمِيلَ.

(٢) البرَّاز: الذي يبيع البرَّ، والبرَّ نوعٌ من الثياب.

(٣) الأشنان: مفردا شَن، وهو القربة الصغيرة، والشَّانة: الماء السائل قطرة قطرة من إناء.

(٤) البَوْش: الجماعة في كثرة واختلاط. (٥) رَفَسَ: دفع بقدمه.

عظيمة اجتمع فيه الجوارى، فلما كان من الغد، قالت لي: إن دار الخلافة لا تحتمل المُقامَ فيها أكثر من هذا مع جارية غيري، لمحبة سيديتي لي، وجميع ما تراه فهو هبة من السيدة لي. وقد أعطتني خمسين ألف دينار من عين وورق وجوهر. ولي ذخائر^(١) في خارج القصر كثيرة من كل لون، وجميعها لك، فاخرج إلى منزلك، وخذ معك مالاً واشتر داراً سرية^(٢) واسعة الصحن^(٣)، فيها بستان، كثيرة الحُجر، وتحول إليها، وعرفني لأنقل إليها هذا كله، ثم آتيك، وسلّمت إليّ عشرة آلاف دينار عيّنًا. فخرجت وابتعتُ الدار وكتبتُ إليها بالخبر، فحملت إليّ تلك النعمة بأسرها، فجميع ما أنا فيه منها، فأقامت عندي كذا وكذا سنة أعيش معها عيش الخلفاء، ولم أدع مع ذلك التجارة، فزاد مالي وعظمت منزلتي وأثرتُ حالي، وولدت لي هؤلاء الفتيان (وأوماً إلى أولاده)، ثم ماتت رحمها الله وبقي عليّ من مضرة الديكيريكة ما شاهدته.

وبالجملة فلا يغتر أحد بهذه الحكاية وأمثالها، فيجهل^(٤) بنفسه فيهلكها، «فما المغرر^(٥) محمود وإن سلّمًا».



وأما من كفر بسبب العشق فكثير جدًا لا ينحصرون، ومما ورد في ذلك حكاية عجيبة أوردتها لغرابتها وهي مما حكاه ابن الجوزي في كتابه المترجم بـ «ذم الهوى»، قال:

سمعت شيخنا أبا الحسن عليّ بن عبيد الله الزاغوني^(٦) يحكي أن رجلاً اجتاز بباب امرأة نصرانية، فرآها فهوىها من وقته، وزاد الأمر به حتّى غلب على عقله، فحمل إلى البيمارستان^(٧)، وكان له صديق يتردد إليه ويترسل بينه وبينها، ثم زاد الأمر

(١) الذخائر: مفردا «ذخيرة» وهي ما أذخر وحُفِظ لوقت الحاجة.

(٢) السرية: أي جيدة حسنة.

(٣) صحن الدار: ساحتها.

(٤) يجهل بنفسه: يحملها على الجهل ويغرر بها.

(٥) المغرر: الذي يعرض نفسه للهلكة.

(٦) هو عليّ بن عبيد الله الزاغوني، كما ورد في كتاب «ذم الهوى ص ٤٥٩»، وقد جرى التصويب بعد أن كان الاسم محرفاً بالأصل إلى «الزعفراني»، وعليّ بن عبيد الله، مؤرخ فقيه من أعيان الحنابلة، ومن أهل بغداد، كان متفناً في علوم شتى من الأصول والفروع والحديث والوعظ، توفي سنة ١١٣٢ م. انظر فهرس الأعلام ٤/٣١٠...

(٧) البيمارستان: المستشفى «فارسي معرب».

به، فقالت أمه لصديقه: إني أجيء إليه فلا يكلمني، فقال: تعالي معي، فأتت معه، فقال له: إن صاحبتك بعثت إليك رسالة، قال: كيف؟ قلت: هذه أمك تؤذي رسالتها. فجعلت أمة تحدّثه عنها بشيء من الكذب، ثم زاد الأمر عليه ونزل به الموت، فقال لصديقه: قد جاء الأجل وحان الوقت وما لقيت صاحبتني في الدنيا، وأنا أريد أن ألقاها في الآخرة، فقال له: كيف تصنع؟ قال: أرجع عن دين محمد، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم، فقال ذلك ومات.

فمضى صديقه إلى تلك المرأة فوجدها علية فجعل يحدثها، وأخبرها بموت صاحبها، فقالت: أنا ما لقيته في الدنيا وأنا أريد أن ألقاه في الآخرة، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنا بريئة من دين النصرانية. فقام أبوها فقال للرجل: خذوها الآن فإنها منكم، فقام الرجل ليخرج، فقال له: قف ساعة، فوقف، فما لبث أن مات.

قال: وبلغني عن رجل ببغداد (يقال له صالح المؤذن، أذن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح)، أنه صعد يوماً إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصراني كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتن بها، فجاء فطرق الباب فقالت له: من أنت؟ قال: أنا صالح المؤذن. ففتحت له الباب فدخل وضمّتها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات، فما هذه الخيانة؟ فقال: إن وافقتيني على ما أريد وإلا قتلتك، فقالت: لا، إلا أن تترك دينك، فقال كلمة الكفر وبرىء من الإسلام. ثم تقدّم إليها فقالت: إنما قلت هذا لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك، فكل من لحم الخنزير، فأكل منه، قالت: فاشرب الخمر، فشرّب. فلما دبّ^(١) الشراب فيه دنا منها فدخلت بيتاً وأغلقت بينها وبينه الباب، وقالت له: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوجني منك. فصعد فسقط فمات. فخرجت إليه ولقته في مسح^(٢)، وجاء أبوها فقصّت عليه القصة فأخرجته في الليل ورماه في السكة^(٣). وظهر حديثه، فرُمي على مزبلة.

وأما من قتل بسبب العشق فلا يكاد ذلك يحصر كثرة، وأعظمه وأشدّه واقعة عبد الرحمن بن ملجم المرادي، لعنه الله.

(١) دبّ الشراب: سرى في جسمه وفي عقله فأوهنهما.

(٢) المسح: الكساء من شعر. (٣) السكة: الطريق.

قال النبي ﷺ لابن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «يا علي أشقى الأولين عاقر ناقة صالح، وأشقى الأولين والآخرين قاتلك، وهو هذا»، وأشار إلى ابن ملجم قبحه الله تعالى ولعنه، وأوجب له خزيه ومقته^(١) وعذابه، وذلك نكالا^(٢) لما اجترأ عليه في قتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وذلك أن ابن ملجم قبحه الله رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام، كانت من أجمل النساء وكانت ترى رأي الخوارج، وقد قتل علي رضي الله عنه قومها يوم الثهروان. فلما رآها ابن ملجم عَشَقَهَا فخطبها فقالت: لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة، وأن تقتل علي بن أبي طالب. فحملة العشق على أن خسر الدنيا والآخرة، وتزوجها على ذلك. وكان من خبره في قتل علي رضي الله عنه ما نذكره إن شاء الله تعالى في التاريخ.

وفي ذلك يقول الشاعر:

فَلَمْ أَرْ مَهْرًا سَاقَهُ دُو سَمَاحَةٍ كَمَهْرٍ قَطَامٍ بَيْنًا غَيْرَ مُعْجَمٍ^(٣)
ثَلَاثَةُ آلَافٍ، وَعَبْدٌ، وَقِينَةٌ وَضَرْبُ «عَلِيٍّ» بِالْحُسَامِ الْمُصَّمِّمِ^(٤)
فَلَا مَهْرَ أَغْلَى مِنْ «عَلِيٍّ» وَإِنْ عَلَا وَلَا فُتْكَ إِلَّا دُونَ فُتْكِ ابْنِ مُلْجَمٍ!

ومنهم من حملة العشق على قتل أبيه، وهو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، ويعرف هذا «بالطليق». كان يتعشق جارية كان أبوه قد ربّأها معه وذكر أنها له، ثم استأثر بها وخلا معها، فحملة العشق على أن انتضى^(٥) سيفًا ورصد أباه في بعض خلواته بها فقتله. فسجنه المنصور بن أبي عامر^(٦) سنين، ثم أطلقه. فلُقّب به «الطليق» واعتراه من ذلك شبه الجنون، فكان يُضْرَعُ في بعض الأوقات.

(١) المقت: البغض.

(٢) النكال: العقاب.

(٣) البين: الواضح، والمُعْجَم: المبهم.

(٤) المصمّم: الذي يمضي إلى العظم.

(٥) انتضى: شهر.

(٦) هو المنصور بن أبي عامر، محمد بن عبد الله المعافرين القحطاني، أمير الأندلس، وأحد الشجعان الذّهاء، وفي عهده تمت فتوحات كثيرة، وجال المسلمون إلى أن وصلوا إلى جنوب فرنسا، مات في إحدى غزواته بمدينة سالم سنة ١٠٠٢ م. «انظر فهرس الأعلام ٦/ ٢٢٦».

وأما من قُتل بسبب العشق، فروى عن الشعبي قال: دخل عمرو بن معديكرب^(١) على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: يا عمرو، أخبرني عن أشجع مَنْ لقيت، فقال: نعم يا أمير المؤمنين.

خرجت مرة أريد الغارة، فبينما أنا أسير إذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز^(٢)، وإذا رجل جالس، وهو كأعظم ما يكون من الرجال خلقاً، وهو محتب^(٣) بسيف. فقلت له: خذ جذركَ فإني قاتلك، فقال: وَمَنْ أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معديكرب، فشبهق شهقة فمات.

فهذا أجبن من رأيت يا أمير المؤمنين.

وخرجت يوماً حتى انتهيت إلى حيّ، فإذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز وإذا صاحبه في وهدة^(٤) يقضي حاجةً، فقلت: خذ جذركَ فإني قاتلك، قال: مَنْ أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معديكرب، قال: أبا ثور، ما أنصفتني، أنت على ظهر فرسك، وأنا في بئر، فأعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وأخذ جذري، فأعطيته عهداً أن لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره. فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه وجلس. فقلت له: ما هذا؟ فقال: ما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك، فإن نكثت عهدك فأنت أعلم، فتركته ومضيت.

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت!

ثم إنني خرجت يوماً آخر حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع^(٥) فيه، فلم أرَ أحداً فأجريت فرسي يميناً وشمالاً فظهر لي فارس. فلما دنا مني إذا هو غلام قد أقبل من نحو اليمامة، فلما قُربَ مني سلّم فرددت عليه وقلت: مَنْ الفتى؟ قال: أنا الحارث بن سعد، فارس الشهباء^(٦)، فقلت له: خذ جذركَ، فإني قاتلك، فقال: الويل لك! مَنْ أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معديكرب، قال: الحقير الذليل؟ والله ما

(١) عمرو بن معديكرب بن ربيعة، فارس اليمن، وصاحب الغارات المعروفة، وفد على المدينة سنة ٩ هـ، فأسلم ومن معه، شهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه، وشهد القادسية، يكتى أبا ثور، أخبار شجاعته كثيرة، وله شعر جيد، توفي على مقربة من الري سنة ٦٤٢ م. «فهرس الأعلام ٨٦/٥».

(٢) المركوز: الثابت المستقر.

(٣) المحتبى: المتمنطق.

(٤) الوهدة: الأرض المنخفضة.

(٥) أقطع فيه: أي أقطع الطرق وأغير على المازين فأسلبهم.

(٦) الشهباء: القطعة العظيمة من الجيش، وهنا الشهباء: الصحراء.

يمني من قتلك إلا استصغارك، فتصاغرت نفسي إليّ وعَظُمَ عندي ما استقبلني. فقلت له: خذ حذرَكَ، فوالله لا ينصرفُ إلا أحدنا، قال: أغرب^(١)، ثُكَلْتُكَ أُمُّكَ! ^(٢)فإني من أهل بيت ما نَكَلْنَا^(٣) عن فارس قطاً! فقلتُ: هو الذي تسمع، قال: اختر لنفسك، إما أن تُطْرِدَ لي^(٤)، وإما أن أُطْرِدَ لك، فاغتنمتها منه، فقلت: أطرِد لي، فأطردَ وحملتُ عليه، حتى إذا قلتُ إني وضعت الرمح بين كتفيه، إذا هو قد صار حراماً لفرسه، ثم اتبعني فقرع بالقناة^(٥) رأسي، وقال: يا عمرو، خذها إليك واحدة، فوالله لولا أنني أكره قتل مثلك لقتلتُكَ، فتصاغرتُ إليّ نفسي، وكان الموت والله يا أمير المؤمنين أحبَّ إليّ مما رأيت، فقلتُ: والله لا ينصرف إلا أحدنا، فقال: اختر لنفسك، فقلت: أطرِد لي، فأطرد لي. فظننت أنني قد تمكّنت منه واتبعته حتّى إذا ظننت أنني قد وضعت الرمح بين كتفيه، فإذا هو قد صار ليلاً^(٦) لفرسه، ثم اتبعني فقرع رأسي بالقناة، وقال: يا عمرو، خذها إليك اثنتين، فتصاغرتُ إليّ نفسي فقلت: والله لا ينصرف إلا أحدنا، فقال: اختر لنفسك، فقلت: أطرِد لي، فأطرد حتّى إذا قلتُ إني وضعت الرمح بين كتفيه وثب عن فرسه، فإذا هو على الأرض، فأخطأته ومضيتُ، فاستوى على فرسه واتبعتني فقرع بالقناة رأسي، وقال: يا عمرو، خذها إليك الثالثة، ولولا أنني أكره قتل مثلك لقتلتُكَ، فقلتُ له: اقتلني، فإن الموت أحبَّ إليّ مما أرى بنفسي وأن تسمع فتیانُ العرب بهذا، فقال: يا عمرو! إنما العفو ثلاث، وإني إن استمكنت منك الرابعة قتلتك، وأنشأ يقول: [من الرجز]

وَكُذْتُ أَغْلَظًا مِنَ الْإِيمَانِ إِنْ عُدْتُ يَا عَمْرُو إِلَى الطَّعَانِ^(٧)
لَتَوْجَرَنَّ لَهُبَ السُّنَانِ أَوْ لَا، فَلَسْتُ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ!^(٨)

فلما قال هكذا، كرهت الموت، وهبته هيبة شديدة، وقلت: إن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قلت: أكون لك صاحباً، ورضيتُ بذلك يا أمير المؤمنين، قال: لست من أصحابي، فكان ذلك والله أشدَّ عليّ وأعظم مما صنع. فلم أزل أطلب

(١) أغرب: ابتعد وارتحل.

(٢) نكلنا: جئنا وتراجعنا.

(٣) القناة: الرمح.

(٤) اللب: ما يشد في صدر الدابة ليمنع تأخر الرجل أو السرج.

(٥) وكذ الأيمان الغليظة: أقسم وصمم أن لا تراجع.

(٦) وجره بالرمح: طعنه.

(٧) ثُكَلْتُكَ أُمُّكَ: دعاء عليه بالهلاك.

(٨) أطرِد له: فر منه كيذا ثم كرّ عليه.

إليه حتى قال: ويحك، وهل تدري أين أريد؟ قلت: لا، قال: أريد الموت عياناً^(١)، فقلت: رضيت بالموت معك، فقال: أمض بنا، فسرنا جميع يومنا وليلتنا حتى جئنا^(٢) الليل وذهب شطره. فوردنا على حيٍّ من أحياء العرب، فقال لي: يا عمرو في هذا الحي الموت، ثم أوماً إلى قبة في الحي، فقال: وفي تلك القبة الموت الأحمر، فإما أن تمسك عليّ فرسي فأنزل فأتي بحاجتي، وإما أن أمسك عليك فرسك فتتزل فتأتينني بحاجتي، فقلت: لا، بل انزل أنت، فأنت أعرف بموضع حاجتك، فرمى إليّ بعنان الفرس ونزل، فرضيت لنفسي يا أمير المؤمنين أن أكون له سائساً^(٣). ثم مضى حتى دخل القبة فاستخرج منها جارية لم تر عيناها قط مثلها حسناً وجمالاً، فحملها على ناقة، ثم قال: يا عمرو، قلت: لبيك، قال: إما أن تحميني وأقود أنا، وإما أن أحملك وتقود أنت، قلت: بل تحميني أنت، وأقود أنا، فرمى إليّ بزمام^(٤) الناقة، وسرنا بين يديه وهو خلفنا حتى أصبحنا، فقال لي: يا عمرو، قلت: لبيك، ما تشاء؟ قال: التفت فانظر هل ترى أحداً؟ قال: فالتفت، فقلت: أرى جمالاً، قال: أغد^(٥) السير، ثم قال لي: يا عمرو، قلت: لبيك، قال: أنظر، فإن كان القوم قليلاً فالجَلَد والقوة والموت، وإن كانوا كثيراً فليسوا بشيء، قال: فالتفت، فقلت: هم أربعة أو خمسة، قال: أغد السير، ففعلت، وسمع وقع الخيل، فقال لي: يا عمرو، قلت: لبيك! قال: كن عن يمين الطريق، وقف وحول وجوه دوابنا إلى الطريق، ففعلت، ووقفت عن يمين الراحلة ووقف هو عن يسارها. ودنا القوم متاً، فإذا هم ثلاثة نفر فيهم شيخ وهو أبو الجارية وأخواها غلامان شابان، فسلموا فرددنا السلام، ووقفوا عن يسار الطريق. فقال الشيخ: خلّ عن الجارية يا ابن أخي، فقال: ما كنت لأخليها ولا لهذا أخذتها، فقال لأصغر ابنه: أخرج إليه، فخرج وهو يجزّ رمحه وحمل عليه الحارث، وهو يقول: [من الرجز]

مِنْ دُونِ مَا تَرْجُوهُ خَضْبُ الذَّابِلِ مِنْ فَارِسٍ مُسْتَلِيمٍ مُقَاتِلِ^(٦)
يُثْمَى إِلَى شَيْبَانٍ خَيْرِ وَاثِلِ مَا كَانَ سَيْرِي نَحْوَهَا بِبَاطِلِ^(٧)

(٢) جئنا الليل: أخفانا وسترنا.

(١) العيان: أي رأي العين.

(٣) السائس: الذي يخدم الخيل لأصحابها.

(٤) الزمام: الخيط أو الحبل الذي تقاد به الناقة وغيرها.

(٥) أغد السير: أسرع فيه.

(٦) الذابِل: الرمح، وخضب الذابِل: أي أن يقطر الرمح دماً.

(٧) يثْمى: يعود في نسبه.

ثم شدّ عليه قطعنه طعنة دقّ منها ضلّبه^(١)، فسقط ميتاً. فقال الشيخ لابنه الآخر: أخرج إليه يا بُنيّ، فلا خير في الحياة على الدّلّ، فخرج إليه وأقبل الحارث يقول: [من الرجز]

لَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ كَانَتْ طَعْنَتِي! وَالطَّعْنُ لِلْقِرْنِ الشَّدِيدِ هِمَّتِي^(٢)
وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ فِرَاقِ خُلَّتِي فَقَثَلْتِي الْيَوْمَ وَلَا مَذَلَّتِي!

ثم شدّ عليه قطعنه طعنة سقط منها ميتاً. فقال له الشيخ: خَلّ عن الطعنة^(٣) يا ابن أخي، فإني لستُ كمن رأيت، قال: ما كنت لأخْلِيهَا ولا لهذا قصدتُ، فقال له الشيخ: اختر يا ابن أخي، فإن شئت طاردتك، وإن شئت نازلتك، فاغتنمها الفتى ونزل، ونزل الشيخ وهو يقول: [من الرجز]

مَا أَرْتَجِي بَعْدَ فَنَاءِ عُمْرِي؟ سَأَجْعَلُ السِّنِينَ مِثْلَ الشُّهُرِ
شَيْخٌ يَحَامِي دُونَ بَيْضِ الْخَدْرِ إِنَّ اسْتَبَاحَ الْبَيْضِ قَضُمُ الظَّهْرِ^(٤)

* سوف ترى كيف يكون صبري *

فأقبل الحارث وهو يقول: [من الرجز]

بَعْدَ ارْتِحَالِي وَطَوِيلِ سَفَرِي وَقَدْ ظَفِرْتُ وَشَفَيْتُ صَدْرِي
وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ لِبَاسِ الْعَدْرِ وَالْعَارِ أَهْدِيهِ لِحَيِّ بَكَرٍ

ثم دنا فقال له الشيخ: يا ابن أخي، إن شئت نازلتك، وإن بقيت فيك قوة ضربتني، وإن شئت فاضربني، فإن بقيت فيّ قوة ضربتك، فاغتنمها الفتى فقال: وأنا أبدؤك، قال: هات، فرفع الحارث السيّف، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه، ضرب بطنه ضربة فقدّ معاه^(٥)، ووقعت ضربة الحارث في رأسه. فسقطا ميتين، فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف، ثم أقبلت إلى الناقة فعقدت أعتة الأفراس بعضها إلى بعض وجعلت أقودها، فقالت الجارية: يا عمرو، إلى أين؟ ولست لي بصاحب، ولست كمن رأيت، ولو كنت صاحبي لسلكت

(١) الصُّلب: فقار الظهر.

(٢) القرن: الفارس المثل لغيره في الشجاعة، والمقاوم.

(٣) الطعنة: المرأة التي في الهودج.

(٤) جمع بيضة وكلمة (بيضة) هي التي تستعمل مع كلمة الخدر في كلامهم وبها يصفون الجارية المكونة في خدرها فيقولون (بيضة خدر)، والخدر: البيت السائر للمرأة.

(٥) معاه: من المعى، وجمعه أمعاء، وقدّ: قطع.

سبيلهم! فقلت: أسكتي، قالت: فإن كنت صادقاً فأعطني سيفاً ورمحاً، فإن غلبتني فأنا لك، وإن غلبتك قتلتك، قتلْتُ لها: ما أنا بمعطيك ذلك، وقد عرفتُ أصلك وجُرأة قومك وشجاعَتهم، فرَمَتْ بنفسها عن البعير وهي تقول: [من الرجز]

أَبْغَدَ مَا شَيْخِي وَبَغَدَ إِخْوَتِي أَطْلُبُ عَيْشًا بَعْدَهُمْ فِي لَذَّةٍ؟
* هَلْ لَا تَكُونُ قَبْلَ ذَا مَنِيتِي؟ *

وأهوت إلى الرُمح فكادت تنزعه من يدي، فلما رأيتُ ذلك خِفْتُ إن هي ظفرت بي أن تقتلني، فقتلتها.
فهذا أشدُّ ما رأيته يا أمير المؤمنين.

فقال عمر بن الخطاب: صدقت يا عمرو.

وروى ابن الجوزي بسند يرفعه إلى الليث بن سعد^(١) أنه قال: أتى عمر رضي الله عنه بفتى أمرد^(٢) قد وجد قتيلًا مُلْقَى في الطريق، فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر، ولم يعرف قاتله، فسُقِّ ذلك عليه، وقال: اللَّهُمَّ ظَفَرْنِي بقاتله. حتَّى إذا كان رأس الحول^(٣) أو قريب من ذلك، وَجَدَ صَبِيٍّ مولود مُلْقَى بموضع القتيل فأَتَيْ به عمر، فلما أُتِيَ به وأُخبر بمكانه، قال: ظَفَرْتُ تالله بدم القتيل إن شاء الله تعالى، فدفع الصبي إلى امرأة، وأمرها أن تقوم بشأنه وأعطائها نفقة. وقال: انظري مَنْ يأخذه منك، فإذا وجدتِ امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلميني بمكانها. فلما شبَّ الصبي جاءت جاريةً فقالت للمرأة: إن سيّدتني بعثتني إليك لتبعني إليها بالصبي لتراه وترده إليك. قالت: نعم، اذهبي به إليها وأنا معك، فذهبت بالصبي والمرأة معها إلى سيّدتها. فلما رآته أخذته فقبلته وضمته إلى صدرها، وإذا هي بنت شيخ من الأنصار، من أصحاب رسول الله ﷺ، فأخبرت عمر خبرها. فاشتمل^(٤) على سيفه، ثم أقبل على منزلها، فوجد أباها متكئاً على باب داره، فسلم عليه، وقال له: أبا فلان، قال: لَبَيْكَ، قال: ما فعلت ابنتك

(١) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً، أصله من خراسان، ووفاته في القاهرة سنة ٧٩١ م، كان من الكرماء الأجواد، له تصانيف، قال الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلّا أن أصحابه لم يقوموا به. «فهرس الأعلام» ٢٤٨/٥.

(٢) الأمرد: الذي طرَّ شاربه، ولم تنبت بعدُ لحيته.

(٣) رأس الحول: أوّل العام. (٤) اشتمل على السيف: تمنطق به.

فلانة؟ قال: يا أمير المؤمنين، جزاها الله خيرًا، هي من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق أبيها، مع حُسن صَلَاتِها وصيامها والقيام بدينها، فقال عمر: قد أحببتُ أن أدخل إليها فأزيدها رغبةً في الخير وأحُثُّها على ذلك، فقال: جزاك الله خيرًا يا أمير المؤمنين، أمكُ مكانك حتَّى أعود إليك، فاستأذن بعمر، فلما دخل عمر، أمر من كان عندها بالخروج عنها، فخرجوا. وبقيت هي وعمر ليس معهما ثالث. فكشف عمر عن السيف، وقال: لتصدقيني وإلا ضربت عنقك، وكان عمر لا يُكذب، فقالت: على رِسْلِكَ^(١) يا أمير المؤمنين، فوالله لأصدُقَنَّكَ. إن عجوزًا كانت تدخل عليّ فاتخذتها أمًا، وكانت تقوم من أمري بما تقوم به الوالدة، وكنت لها بمنزلة البنت، فأمضتُ بذلك حينًا. ثم إنها قالت لي يومًا: يا بنية، إنه قد عرض لي سَفَرٌ، ولي بنت في موضع أتخوِّف عليها فيه أن تضيع، وقد أحببتُ أن أضُمَّها إليك حتَّى أرجع من سفري، فعمدتُ إلى ابن لها شاب أمرد، فهَيَّأته كهيئة الجارية وأتتني به لا أشكُّ أنه جارية، فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية، حتَّى أغفلني يومًا وأنا نائمة فما شعرتُ حتَّى علاني وخالطني^(٢). فمددت يدي إلى شَفْرَةٍ^(٣) كانت إلى جنبي فقتلته، ثم أمرتُ به فألقي حيث رأيتُ، فاشتملتُ منه على هذا الصبي، فلما وضعتَه ألقىته في موضع أبيه. فهذا والله خبرهما، فقال عمر: صدقتُ، بارك الله فيك، ثم أوصاها ووغظها ودعا لها وخرج، وقال لأبيها: بارك الله لك في ابنتك، فنعم الابنة هي! وقد وعظتها وأمرتها، فقال: وصلك الله يا أمير المؤمنين، وجزاك خيرًا عن رعيَّتِكَ.

وروى أيضًا بسنده إلى أبي عباد قال: أدركتُ الخادمَ الذي كان يقوم على رأس الحِجَّاجِ^(٤)، فقلت له: أخبرني بأعجب شيء رأيته من الحِجَّاجِ! قال: كان ابن أخيه أميرًا على واسط^(٥)، وكان بواسط امرأة يقال لها أبة، لم يكن بواسط في ذلك الوقت أجملُ منها. فأرسل ابن أخيه إليه يراودها عن نفسها مع خادم له. فأبت عليه وقالت:

(١) على رِسْلِكَ: اتَّند ولا تعجل، أي تمهل. (٢) خالطها: باشرها، وجامعها.

(٣) الشفرة: السكين وغيرها من الحديد المشحوذ.

(٤) الحِجَّاج: هو الحِجَّاج بن يوسف الثقفي، أبو محمد، قائد داهية، سقّاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف، قدّمه الأمويون، وولاه عبد الملك بن مروان مكّة والمدينة والطائف والعراق، بنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة، أخبره كثيرة، مات بواسط سنة ٧١٤ م. «فهرس الأعلام ٢/ ١٦٨».

(٥) واسط: مدينة بناها الحِجَّاج، وسميت واسطًا لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة. «انظر معجم البلدان ٣٤٧/٥».

إن أردتني فأخطبني إلى إخوتي، وكان لها أربعة إخوة فأبى، وقال: لا، إلا كذا. وعابودها فأبت، فراجعها وأرسل إليها بهدية فأخذتها وعزلتها. وأرسل إليها عشيّة الجمعة: إني آتيك الليلة، فقالت لأُمّها: إن الأمير بعث إليّ بكذا وكذا، فأنكرت أُمّها ذلك، وقالت أُمّها لإخوتها: إن أختكم قد زعمت كيت وكيت، فأنكروا ذلك وكذبوها. فقالت: إنه قد وعدني أن يأتيني الليلة، تروّنه. قال: فقعد إخوتها في بيت حيال البيت الذي هي فيه، وجويريّة لها على باب الدار تنتظره. فجاء ونزل عن دابّته وقال لغلامه: إذا أذن المؤذن في الغلس^(١)، فأتني بدابّتي، ودخل والجارية أمامه. فوجد أبةً على سرير مستلقية. فاستلقى إلى جانبها ثم وضع يده عليها، وقال: إلى كم ذا المَطْلُ؟^(٢) فقالت له: كفّ يدك يا فاسق، ودخل إخوتها عليها بأيديهم السيوف فقطّعوه ثم لقّوه في نطع^(٣) وجاؤوا به إلى سكة من سكك واسط فألقوه فيها. وجاء الغلام بالدابة فجعل يدق الباب دقّاً رفيقاً فلا يكلمه أحد. فلما خشي الضوء وأن تعرف الدابة انصرف. وأصبح الناس فإذا هم به على تلك الصفة، فأتوا به الحجاج فأخذ أهل تلك السكة، فقال: أخبروني ما قصّته؟ قالوا: لا نعلم حاله، غير أنا وجدناه ملقى. ففطن الحجاج فقال: عليّ بمن كان يخدمه، فأُتِيَ بذلك الخصي الذي كان الرسول بينهما، فقالوا: هذا كان صاحب سرّه، فقال له الحجاج: أصدقني عن خبره وقصّته، فأبى. فقال: إن صدقتني لم أضرب عنقك، وإن لم تصدقني فعلت بك وفعلت. قال: فأخبره الأمر على جهته. فأمر بالمرأة وأُمّها وإخوتها، فجاء بهم، وعُزلت المرأة عنهم. فسألها فأخبرته بمثل ما أخبر به الخصي، ثم سأل إخوتها، فأخبروه بمثل ذلك ولم يختلفوا، وقالوا: نحن صنعنا به الذي ترى، فأمر برقيقه^(٤) ودوا به للمرأة، فقالت المرأة: هديته عندي، فقال: بارك الله لك فيها، وكثّر في النساء مثلك، هي لك، وما ترك من شيء فهو لك، وقال: مثل هذا لا يُدفن. فألقوه للكلاب، ودعا بالخصي فقال: أما أنت فقد قلت لك إني لا أضرب عنقك! وأمر بضرب وسطه، فقطع نصفين.

والأخبار في مثل هذا كثيرة، فلا نطوّل بذكرها.

(١) الغلس: الظلام.

(٢) المَطْل: التسويف بالوعد وعدم الوفاء به.

(٣) النطع: بساط من الجلد، كثيرًا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل.

(٤) الرقيق: العبيد والمملوك كلّه أو بعضه.

وأما من قتله العشق فكثير جداً لا يكاد يحصر، روي عن عكرمة^(١) قال: إني لَمَعَ ابن عباس^(٢) عشيةً عرفةً، إذ أقبل فتيةٌ يحملون فتىً من بني عُذرة في كساء، وهو ناحل البدن، أحلى من رأيت من الفتيان، فوضعه بين يديه ثم قالوا: استشف لهذا يا ابن عم رسول الله، فقال: وما به؟ فترنم الفتى بصوت ضعيف خفي الأنين، وهو يقول: [من الطويل]

بِنَا من جَوَى الأحزان والحُبِّ لَوْعَةً تَكَادُ لها نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبُ! ^(٣)
ولكنَّما أَبْقَى حَشَاشَةً مُغُولٍ على ما به عُوْدٌ هناك صَلِيبُ! ^(٤)
وما عَجَبَ موتَ المَجِيبِينَ في الهَوَى ولكنَّ بقاءَ العاشِقِينَ عَجِيبُ!

قال: ثم حمل فمات في أيديهم، فقال ابن عباس: هذا قتلُ الحُبِّ، لا عَقْلٌ ولا قَوْدٌ^(٥).

قال عكرمة: فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالى تلك الليلة - حتى أمسى - إلا العافية مما ابتلي به ذلك الفتى.

وروي عن الأصمعيّ قال: حدّثني أبو عمرو بن العلاء^(٦) قال: حدّثني رجل من بني تميم قال: خرجت في طلب ضالّة^(٧) لي، فبينما أنا أدور في أرض بني عُذرة أنشد ضالّتي، إذا بيتٌ معتزل عن البيوت، وإذا في كسر البيت شابٌ مغمى عليه، وعند رأسه عجوز لها بَقِيَّةٌ من جمال، وهي ساهيةٌ تنظر إلى وجه الفتى. فسلمتُ فردّت السلام. فسألته عن ضالّتي فلم يك عندها منها علم. فقلت: أيّتها العجوز، من هذا الفتى؟ قالت: أبني، ثم قالت: هل لك في أجّر لا مؤونة فيه؟ فقلت: والله إني

(١) عكرمة: لعلة عكرمة بن خالد المخزومي، محدث، من الثقات، روى عن أبي هريرة وابن عباس وطائفة، مات بمكة. «انظر الكاشف ٢/ ٢٤٠».

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حَبْرُ الأُمة الصحابي الجليل، ولد بمكة، ولازم رسول الله ﷺ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وسكن في آخر عمره الطائف وتوفي في سنة ٦٨٧ م. «فهرس الأعلام ٤/ ٩٥».

(٣) الجوى: شدة الوجد من حزن وعشق، والشفيق: من الشفقة.

(٤) الحشاشة: بقية الروح، والصليب: الشديد القوي.

(٥) عَقْلٌ: أي عقال وأسر، والقود: قتل القاتل بالقتل «القصاص».

(٦) هو زبّان بن عمار التميمي، المازني المصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء، من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة، نشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة ٧٧١ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٤١».

(٧) الضالة: النائمة من الحيوانات الأليفة «كالناقة مثلاً».

لأَحِبُّ الأَجْرَ وَإِنْ رُزِّتُ! ^(١) فقالت: إِنْ ابْنِي هَذَا يَهُوَى ابْنَةً عَمَّ لَهُ عَلِيقُهَا وَهَمَّا صَغِيرَانِ، فَلَمَّا كَبُرَ حُجِبَتْ عَنْهُ، فَأَخَذَهُ شَبِيهٌ بِالْجُنُونِ. ثُمَّ خَطَبَهَا إِلَى أَبِيهَا فَامْتَنَعَ مِنْ تَرْوِيجِهِ، وَخَطَبَهَا غَيْرَهُ فزَوَّجَهَا إِيَّاهُ. فَتَجَلَّ جَسْمُ وَلَدِي وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ وَذَهَلَ عَقْلُهُ. فَلَمَّا كَانَ مِنْذُ خَمْسٍ، رُفِّتْ إِلَى زَوْجِهَا، فَهُوَ كَمَا تَرَى: لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، مَغْمَى عَلَيْهِ. فَلَوْ نَزَلْتُ إِلَيْهِ فَوَعظْتُهُ!

قال: فنزلتُ إليه فلم أَدْعُ شَيْئًا مِنَ المَوْعِظَةِ إِلَّا وَعَظْتُهُ بِهِ حَتَّى أَنْ قُلْتُ لَهُ فِيمَا قُلْتُ: إِنَّهِنَّ الْغَوَانِي صَاحِبَاتُ يَوْسُفَ ^(٢)، نَاقِضَاتُ الْعَهْدِ، وَقَدْ قَالَ فِيهِنَّ كَثِيرٌ عَزَّةٌ: [مَنْ الْبَسِيطُ]

هَلْ وَضَلُ عَزَّةٌ إِلَّا وَضَلُ غَانِيَةٍ فِي وَضَلِ غَانِيَةٍ مِنْ وَضَلِهَا خَلْفُ؟ ^(٣)
قال: فرفع رأسه، محمّرة عيناه كالْمُغْضَبِ، وقال: لَسْتُ كَكَثِيرٍ عَزَّةٌ! إِنْ كَثِيرًا رَجُلٌ مَائِقٌ ^(٤)، وَأَنَا رَجُلٌ وَامِقٌ ^(٥)، وَلَكِنِّي كَأَخِي تَمِيمٍ حَيْثُ يَقُولُ: [مَنْ الطَّوِيلُ]

أَلَا لَا يَضِيرُ الْحُبُّ مَا كَانَ ظَاهِرًا وَلَكِنْ مَا اخْتَفَا الْفُؤَادَ يَضِيرُ! ^(٦)
أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهُوَى كَيْفَ قَادَنِي كَمَا قِيدَ مَغْلُولِ الْيَدَيْنِ أَسِيرُ!
فَقُلْتُ لَهُ: فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَصِيبَ مِنْكُمْ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِهَا».

فَأَنشَأُ يَقُولُ: [مَنْ الْوَافِرُ]

أَلَا مَا لِلْمَلِيحَةِ لَا تَعُودُ؟ ابْخُلْ بِالْمَلِيحَةِ أَمْ صُدُّوْ؟
مَرَضْتُ فَعَادَنِي أَهْلِي جَمِيعًا فَمَا لَكَ لَا تَرَى فَيَمَنْ يَعُودُ!
فَقَدْتُكَ بَيْنَهُمْ فَبَكَيْتُ شَوْقًا وَفَقَدُ الْإِلْفِ يَا أَمْلِي شَدِيدًا! ^(٧)

(١) رزئت: أصبت برزية أي مصيبة.

(٢) صاحبات يوسف: يريد يوسف الصديق ابن النبي يعقوب، ورد ذكره في القرآن الكريم، «سورة يوسف، رقمها ١٢».

(٣) الغانية: المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة، والغانية: بائعة الهوى.

(٤) المائق: الأحق.

(٥) الوامق: العاشق.

(٦) اختاف: من الخفاء، أي كان باطنًا خفيًا، ويضير: يضر به.

(٧) الإلف: الأنيس والحبيب.

وما استَبْطَأْتُ غَيْرَكَ فاعْلَمِيهِ وَحَوْلِي مِنْ ذَوِي رَحْمِي عَدِيدًا^(١)
ولو كُنْتُ السَّقِيمَةَ، كُنْتُ أَسْعَى إِلَيْكَ وَلَمْ يُنْهِنِيهِنِي الْوَعِيدُ!^(٢)

قال: ثم شهِقُ شَهْقَةً وَخَفَّتْ، فمات. فبكت العجوز وقالت: فاضت والله نفسه! فدخلني أمر لم يدخلني مثله قط. فلما رأت العجوز ما حلَّ بي، قالت: يا فتى لا تُرْعَ! عاش بأجلٍ، ومات بقَدَرٍ، وقدم على ربِّ كريم، واستراح من تباريجه^(٣) وعُصَصه! ثم قالت: هل لك في استكمال الصنِيعَةِ؟ قلت: قلبي ما أحببت! قالت: تأتي البيوت فتنعاه إليهم ليعاينوني على رَمْسِهِ^(٤)، فإني وحيدة. قال: فركبت فرسي وقصدت البيوت، وأقبلت أنعاه إليهم، فبينما أنا أنعاه، إذا خيمة رُفِعَ جانبُ منها، وإذا امرأة قد خرجت كأنها القمر ليلة البدر، ناشرة شعرها، تجرُّ خمارها، وهي تقول: بِفَيْكَ الْكَثْكَثُ!^(٥) بفيك الحَجَرُ! مَنْ تَنْعَى؟ قلت: أنعى فلانًا، قالت: أو قد مات؟ قلت: إي والله قد مات! قالت: فهل سمعت له قولًا، قلت: اللهم لا، إلَّا شعرا، قالت: وما هو؟ فأنشدتها قوله: [من الوافر]

* أَلَا مَا لِلْمَلِيحَةِ لَا تَعُودُ *

الآبيات.

فاستعبرت باكيةً وأنشأت تقول: [من الوافر]

عَدَانِي أَنْ أُرْزِكَ يَا مُنَايَ مَعَاشِرَ كُلِّهِمْ وَاشِ حَسُودًا!^(٦)
أشاعوا ما علِمْتُ مِنَ الدَّوَاهِي وَعَابُونَا، وَمَا فِيهِمْ رَشِيدًا!
فَأَمَّا إِذْ تَوَيْتَ الْيَوْمَ لِحُدَا فكلُّ النَّاسِ دُورُهُمْ لِحُودُ
فَلَا طَابَتْ لِي الدُّنْيَا فَوَاقَا وَلَا لَهُمْ وَلَا أَثَرِي عَدِيدًا!^(٧)

ثم شهقتُ شَهْقَةً وَخَرَّتْ مَغْشِيًا عَلَيْهَا، وَخَرَجَ النِّسَاءُ مِنَ الْبُيُوتِ وَاضْطَرَبَتْ سَاعَةً وَمَاتَتْ، فَوَالله ما يرحُحُ حَتَّى دَفَنْتَهُمَا جَمِيعًا.

(١) ذُو الْأَرْحَامِ: الْقَرَبَى. (٢) يَنْهَنُ: يَمْنَعُ.

(٣) التَّبَارِيحُ: الْأَلَامُ. (٤) الرَّمْسُ: الدَّفْنُ.

(٥) بِفَيْكَ الْكَثْكَثُ: يُقَالُ فِي الدَّعَاءِ عَلَيْهِ، وَالْكَثْكَثُ: التَّرَابُ وَفَنَاءُ الْحَجَارَةِ، أَوْ التَّرَابُ عَامَّةً.

(٦) عَدَانِي: مَنَعَنِي.

(٧) الْفَوَاقُ: مَا يَأْخُذُ الْمُحْتَضِرُّ عِنْدَ التَّرَاكِ، وَالْفَوَاقُ هُنَا: بِمَعْنَى الْعَيْشِ.

وروى الساجي^(١) عن الأصمعي قال: رأيت بالبادية رجلاً قد دقَّ عظمه، وضَوَّلَ جسمه، ورقَّ جلده، فتعجبت وذنوت منه أسأله عن حاله، فقالوا: أذكر له شيئاً من الشعر يكلمك، فقلت: [من الكامل]

سَبَقَ القضاء بأنني لك عاشقٌ حتَّى المماتِ، فأين منك مذهبِي؟

فشهِقَ شهقةً ظننتُ أن روحه قد فارقتَه، ثم أنشأ يقول: [من الكامل]

أخلُو بذُكْرِكِ لا أريدُ محدثاً وكفى بذُكْرِكِ سامِراً وسُروراً!

قال: فقلت له: أخبرني عنك! قال: إن كنت تريد علم ذلك فاحملني وألقني على باب تلك الخيمة! ففعلت، فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه: [من الوافر]

ألا ما للمليحة لا تعودُ أبخلُ بالمليحة أم صدودُ؟

فلو كنتِ المريضة كنتُ أسعى إليك ولم يُنهني الوعيدُ؟

فإذا جارية مثل القمر، قد خرجت فألقت نفسها عليه فاعتنقا، وطال ذلك، فسترتهمما بثوبي خشية أن يراهما الناس. فلما خفتُ عليهما الفضيحة، فرقتُ بينهما، فإذا هما ميتان، فما برحتُ حتَّى صليت عليهما ودُفِنَا، فسألت عنهما، فقيل لي: عامرُ بن غالب، وجميلة بنت أميل المُرَيَّان.

ورى ابن الجوزي بسند يرفعه إلى محمد بن خلف^(٢) قال: ذكر بعض الرواة عن العمري قال: كان أبو عبد الله الجيشاني^(٣) يعشق صفراء العملاقية، وكانت سوداء، فاشتكى من حبها، وضنى حتَّى صار إلى حد الموت. فقال بعض أهله لمولائها: لو وجهت صفراء إلى أبي عبد الله الجيشاني، فلعله أن يعقل إذا رآها! ففعل. فلما دخلت عليه قالت له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: بخير ما لم تبرحي! قالت: ما تشتهي؟ قال: قُرْبِكَ! قالت: ما تشتهي؟ قال: حُبِّكَ! قالت:

(١) الساجي: هو المؤتمن بن أحمد بن علي، أبو نصر الربيعي، المعروف بالساجي، عالم بالحديث، ثقة، له نظم، سكن القدس زماناً، وتوفي ببغداد سنة ١١١٣ م. «فهرس الأعلام ٧/ ٣١٨».

(٢) هو محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام، أبو بكر، مؤرخ، مترجم، عالم بالأدب، نسبته إلى المحوّل، وهي قرية غربي بغداد كان يسكنها، له أكثر من خمسين متقولاً من كتب الفرس، وله تصانيف منها: الجلساء والتدعاء والنساء والغزل، ومن غدر وخان، وله شعر، توفي سنة ٩٢١ م. «فهرس الأعلام ٦/ ١١٥».

(٣) في كتاب ذم الهوى لابن الجوزي ص ٥٢٠: «أبو عبد الله الجيشاني».

فتوصي بشيء؟ قال: نعم، أوصي بك إن قبلوا مني! فقالت: إني أريد الانصراف! قال: فتعجلي ثواب الصلاة علي! فقامت فانصرفت، فلما رآها مولية تنفس الصعداء، ومات من ساعته.

وروى أيضًا بسند يرفعه إلى عَوَانة بن الحكم^(١) أن عبد الله بن جعفر^(٢) وفد إلى عبد الملك بن مَرْوان فحدثه، قال: اشتريت جاريةً بعشرة آلاف درهم، فوصفت لي زيد بن معاوية فأرسل إلي يقول: إما أن تهديها إلي، وإما أن تبيعها بحكمك، فكتبت إليه: لا تخرج والله من ملكي ببيع ولا هبة أبدًا. ومكثت عندي لا أزداد لها إلا حُبًا. حتى أتتني عجوز من عجانزنا، فذكرت أن بعض عُرَّاب المدينة يهواها، وأنه يجيء في كل يوم متنكرًا فيقف بالباب حتى يسمع غناءها. فراعيت مجيئه ليلة، فإذا به قد أقبل متقنع الرأس حتى قعد مستخفيًا فدعوت قيِّمة الجارية، فقلت: أنطلق الساعة فأصلحي هذه الجارية بأحسن ما أمكن، وعجلي بها، ففعلت. فقمْتُ وقبضتُ على يدها وفتحتُ الباب وأتيتُ إلى الرجل فحرَّكته فانتبه مذعورًا. فقلت: لا بأس عليك، خذ هذه الجارية، هي لك، فإذا هممت ببيعها فاردها إلي، فدهش الفتى. فدنوتُ إلى أذنه فقلت: ويحك، قد أظفرك الله عز وجل بيغيتك، فانصرف إلى منزلك، فإذا الفتى ميّت، فلم أر شيئًا قط أعجب من ذلك، وهانت علي الجارية، فكرهتُ أن أوجه بها إلى يزيد فيعلم حالها أو تخبره عن نفسها فيحقد ذلك علي. فمكثت مدةً مديدة ثم ماتت، ولا أظنّها ماتت إلا كمدًا وأسفًا على الفتى.

وروى ابن الجوزي أيضًا بسنده قال: حُكي عن شَبَابة بن الوليد العُدْرِي أن فتى من بني عُذرة يقال له أبو مالك بن النضر، كان عاشقًا لابنة عم له عشقًا شديدًا، فكان على ذلك مدةً، ثم إنه فُقد بضع عشرة سنة، لا يُحسُّ له خبر. قال شَبَابة: فأضللْتُ إبلًا لي، فخرجت في طلبها. فبينما أنا أسير في الرمال إذا بهاتف^(٣) يهتف بصوت

(١) هو عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض، من بني كلب، أبو الحكم، مؤرخ من أهل الكوفة، ضرير، كان عالمًا بالأنساب والشعر، فصيحًا، له كتاب في التاريخ، وسيرة معاوية، توفي سنة ٧٦٤ م. «فهرس الأعلام ٩٣/٥».

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي القرشي، صحابي، ولد بأرض الحبشة لَمَّا هاجر أبواه إليها، وكان كريمًا يُسمى بحر الجود، وللشعراء فيه مدائح، مات بالمدينة سنة ٧٠٠ م. «فهرس الأعلام ٧٦/٤».

(٣) الهاتف: الصوت الذي يُسمع ولا يرى صاحبه.

ضعيف: [من البسيط]

يا ابنَ الوليد، ألا تَحْمُونَ جَارَكُمْ وَتَحْفَظُونَ له حَقَّ الْقَرَابَاتِ؟
عهدي إذا جَارُ قوم نَابِهَ حَدَثُ وَقَوُّهُ من كُلِّ مَكْرُوهِ الْمِلْمَاتِ! ^(١)
هذا أَبُو مالِك المَسْمَى بِبَلْقَعَةٍ من الضُّبَاعِ وَأَسَادِ بَغَابَاتِ! ^(٢)
طَلِيحُ شَوْقٍ، بنار الحبِّ مُحترقُ تَعْتَاذُهُ زَفَرَاتُ إِنْثَرِ لَوَاعَاتِ! ^(٣)
أَمَّا النِّهَارُ فَيُنْضِيهِ تَذْكَرُهُ والليلُ مَرْتَقِبٌ للصَّبحِ هل يَأْتِي ^(٤)
يَهْذِي بِجَارِيَةٍ من عُذْرَةٍ اخْتَلَسَتْ فُؤَادَهُ، فهو مِنْهَا في بَلِيَّاتِ! ^(٥)

فقلت: دُلِّي عليه، رحمك الله! قال: نعم، اقصد الصوت، فقصدته، فسمعت
أنيئا من خباء، فإذا قائل يقول: [من الخفيف]

يا رَسِيسَ الهوى، أَذْبَنْتُ فُؤَادِي وَحَشَوْتُ الْحَشَا عَذَابًا أَلِيمًا! ^(٦)

فدنوت منه فقلت: أبو مالك؟ قال: نعم! قلت: ما بلغ بك إلى ما أرى؟
قال: حُبِّي سَعَادَ ابْنَةِ أَبِي الْهِنْدَامِ الْعَذْرِي. شكوت يومًا ما أجْدُ من حَبِّهَا إلى ابنِ
عَمِّ لَنَا فَاحْتَمَلَنِي إلى هذا الوادي، منذ بضع عشرة سنة، يَأْتِينِي كل يوم بخبرها
وَيَقُوْتُني من عنده. فقلت: إني أَصِيرُ إلى أهلها فَأُخْبِرُهُم ما رأيت، قال: أَنْتَ
وذاك، قال: فانصرفت فَأُخْبِرْتُهُم، فَرَقُوا له فزَوْجوه بحضرتي. فرجعتُ إليه لأَفْرَجَ
عنه، فلما أَخْبَرْتُهُ الخبر، نظر إليّ، ثم تَأَوَّه تَأَوُّها شَدِيدًا بلغ من قلبي، ثم قال:
[من البسيط]

أَلَاَ إِذْ حَشَرَجْتُ نَفْسِي وَخَامَرَهَا فِرَاقُ دُنْيَا وَنَادَاها مُنَادِيهَا! ^(٧)

ثم زَفَرَ زَفْرَةً فَمَات، فدفتته في موضعه، ثم انصرفت فَأُخْبِرْتُهُم الخبر. فأقامت
الجارية بعده ثَلَاثًا لَا تَطْعَمُ، ثم ماتت.

(١) نابه: أصابه، والحدث: المكروه، والملمة: النازلة تنزل بالإنسان.

(٢) في كتاب ذم الهوى ص ٥٢٦: «هذا أبو مالك المُمْسِي»، والبلقعة: الأرض القفر.

(٣) الطليح: المتعب المهزول.

(٤) في كتاب ذم الهوى ص ٥٢٦: «أما النهار فيضنيه»، ويُضْي: يُتعب ويهزل.

(٥) يهذي: يردّد القول.

(٦) رسيس الهوى: يريد: الحبّ الثابت، أو الحبّ الأول.

(٧) حشرجت النفس: أوشكت أن تموت، وخامرها: راودها.

وحكي عن المبرد^(١) قال: خرجت أنا وجماعة من أصحابي مع المأمون، فلما قربنا من الرقة^(٢)، إذا نحن بدير كبير، فقال لي بعض أصحابي: مل بنا إلى هذا الدير لننظر من فيه ونحمد الله تعالى على ما رزقنا من السلامة، فدخلنا إلى الدير، فرأينا مجانين مغلغلين^(٣)، وهم في نهاية القدارة، فإذا فيهم شاب عليه بقية من ثياب ناعمة، فلما بصر بنا قال: من أنتم يا فتیان؟ حياكم الله! فقلنا: نحن من العراق. فقال: بأبي العراق وأهلها! بالله أشدونني أو أنشدكم! فقال المبرد: قلت: والله إن الشعر من هذا لطريف، فقلنا: أنشدنا، فأنشأ يقول: [من الكامل الأحد]

الله يَعلَم أَنِّي كَمِدُ لا أَسْتَطِيعُ أَبْتُ مَا أَجْدُ^(٤)
رُوحان لي: رُوحٌ تَضُمُّنَهَا بِلْدٌ وَأُخْرَى حازَهَا بِلْدُ!
وأرى المقيمة ليس يَنفَعُهَا صَبْرٌ ولا يَفْوَى لَهَا جِلْدُ
وأطنُّ غائبتي كشاهدتي فكأنَّها تجدُّ الذي أَجْدُ!

قال المبرد: بالله زدنا، فأنشأ يقول: [من البسيط]

لَمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عَيْرَهُمْ وَرَحَلُوا فثَارَتْ بِالْهَوَى الْإِبِلُ^(٥)
وقلِّبت من خلال السَّجَفِ ناظرَهَا تَرْنُو إِلَيَّ ودمعُ العين مُنْهَمِلُ^(٦)
وودَّعت ببنانٍ عقدَهَا عَنَّمْ ناديتُ: لا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ يا جَمَلُ!^(٧)
ويُلي من البَيْنِ! ماذا حَلَّ بي وبِهَا مِنْ نازلِ البَيْنِ؟ حانَ البَيْنُ فارتَحَلُوا!^(٨)
يا راجِلَ العيسِ، عَرَّجْ كَيْ نُودَّعَهَا! يا راجِلَ العيسِ، في تَرَحُّلِكَ الأَجَلُ؟^(٩)
إنِّي على العَهْدِ لم أنْقُضْ مودَّتَهُمْ يا ليت شِعْرِي! بعدَ العَهْدِ ما فَعَلُوا؟

(١) المبرد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي، أبو العباس، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، ولد بالبصرة وتوفي ببغداد سنة ٨٩٩ م، من كتبه «الكامل».

«فهرس الأعلام ١٤٤/٧».

(٢) الرقة: هي مدينة مشهورة على الفرات، معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي، ويقال لها: الرقة البيضاء. «انظر معجم البلدان ٥٩/٣».

(٣) مغلغلين: أي مقيدتين بالأغلال. (٤) أبْتُ: أظهر.

(٥) أناخوا: من أناخ العير، أي أبركها وحطَّ عنها رحالها.

(٦) السَّجَف: أحد السترين المقرونين على الرّحل بينهما فُرجة، وترنو: تنظر.

(٧) البنان: الأصابع، والعنم: نبات أملس دائم الخضرة، أزهاره قرمزية يتخذ منها خضاب.

(٨) البَيْن: الفراق.

(٩) العيس: التوق التي يخالط بياضها شقرة، والأجل: الموت.

قال: فقال رجل من البغضاء الذين معي: ما تَوا! قال: قال: إِذَنْ فأموت! فقال له: إن شئت! فتمطى واستند إلى السارية التي كان مشدوداً فيها فمات، فما برحنا حتَّى دفناه.

وحكي عن أبي يحيى التيمي، قال: كنّا نختلف إلى أبي مِشْعَر بن كِدَام^(١)، وكان يختلف معنا فتى من النُّسَّاك، يقال له أبو الحسن، ومعه فتى حسن الوجه يفتنُّ به الناس إذا رأوه، فأكثر الناس القول فيه وفي صحبته إياه، فمنعه أهله أن يصحبه وأن يكلمه، فذهَلَ عقله حتَّى خيف عليه التلف. فلقيته فأخبرته بذلك، فتنفَّس الصُّعْداء، ثم أنشأ يقول: [من المنسرح]

يا مَنْ بدائعُ حُسنِ صُورَتِهِ تَنَنِي إِلَيْهِ أَعِنَّةُ الْحَدَقِ!^(٢)
لي مِنْكَ ما لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ نَظَرٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى الطُّرُقِ
لِكِنَّهُمْ سَعِدُوا بِأَمْنِهِمْ وَشَقِيتُ حِينَ أَرَاكَ بِالْفَرْقِ!^(٣)
ثم صرخ صرخةً وشخص^(٤) بصره نحو السماء وسقط إلى الأرض، فحرَّكته فإذا هو ميت.

وروى ابن الجوزي قال: أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي قال: حدَّثني أبو محمد علي بن أحمد الفقيه الحافظ قال: حدَّثني أبو عبد الله محمد بن الحسن المَذْحِجِي الأديب^(٥)، قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحوي في جماعة، أيام الحَدَاثَةِ^(٦). وكان معنا أسلم بن سعيد قاضي قضاة الأندلس. قال محمد بن الحسن: وكان من أجمل من رأته العيون. وكان معنا عند ابن خطاب

(١) في كتاب ذم الهوى ص ٥٣١: «إلى مسعر بن كدام» وهو الصواب، وهو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي، أبو سلمة، من رواة الحديث وثقاته، كوفي، كان يقال له «المصحف» لعظم الثقة بما يرويه، توفي بمكة سنة ٧٦٩ م. «فهرس الأعلام ٧/٢١٦».

(٢) أعنة الحدق: يريد النظرات التي ترسلها العيون فتكون كالأعنة، أو الشباك التي يقع أسرى لها العاشقون.

(٣) الفرق: الخوف. (٤) شخص: تطلع ورفع نظره.

(٥) هو محمد بن الحسن المَذْحِجِي، أبو عبد الله، المعروف بابن الكتاني، طبيب أندلسي من أهل قرطبة، له علم بالنجوم والفلسفة، ومشاركة في الأدب والشعر، خدم المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر، له رسائل وكتب توفي نحو سنة ١٠٣٠ م. «فهرس الأعلام ٦/٨٣».

(٦) الحداثة: سنّ الشباب.

أحمدُ بن كُليب، وكان من أهل الأدب والشعر فاشتدَّ كلُّفه بأسلم، وفارق صبره، وصرف فيه القول مستترًا بذلك، إلى أن فشت^(١) أشعاره فيه وجرت على الألسنة، وأنشدت في المحافل.

فلعَهدِي بَعُرس في بعض الشوارع و«البكوري» الزامر في وسط المحفل يزمر
بقول أحمد بن كليب في أسلم: [من مجزوء المتقارب]

أَسْلَمَ نِي فِي هَوَا هَ أَسْلَمَ، هَذَا الرَّشَا^(٢)
عَزَالَ لَهُ مُقْلَةً يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَا
وَشَى بَيْنَنَا حَاسِدٌ سَيُسْأَلُ عَمَّا وَشَى
وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَزْتَشِي عَلَى الْوَصْلِ رُوحِي، أَزْتَشِي

ومغنٌ محسن يسايره، فلما بلغ هذا المبلغ، انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على بابه. فكان أحمد بن كليب لا شغل له إلا المرور على باب دار أسلم نهاره كله. فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهارًا، فإذا صلى المغرب واختلط الظلام، خرج مستروحًا^(٣)، وجلس على باب داره. فعيل صبر أحمد بن كليب، فتحيل في بعض الليالي ولبس جبَّة من جباب أهل البادية، واعتَمَ بمثل عمامتهم، وأخذ بإحدى يديه دَجَاجًا وبالأخرى قَفَصًا فيه بيض. وجاء كأنه قدم من بعض الضياع، فتقدَّم إلى أسلم وقبل يده، وقد اختلط الظلام، وقال: يا مولاي، مَنْ يَقْبِضْ هَذَا؟ فقال له أسلم: مَنْ أَنْتَ؟ فقال: أَجِيرُكَ فِي الضَّيْعَةِ الْفَلَانِيَةِ - (وقد كان يعرف أسماء ضياعه) - فأمر أسلم غلامه بقبض ذلك منه على عادتهم في قبول هدايا العاملين في ضياعهم. ثم جعل أسلم يسأله عن أحوال الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام فتأمله فعرفه، فقال له: يا أخي! وإلى هاهنا تتبغني؟ أما كفأك انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملةً، وعن القعود على بابي نهارًا حتى قطعت علي جميع ما لي فيه راحةً فصرت في سجنك؟ والله لا فارقك بعد هذه الليلة فَعَرَّ منزلي، ولا جلست بعدها على بابي، لا ليلاً ولا نهارًا، ثم قام. وانصرف أحمد بن كليب حزينًا كثيرًا. قال محمد: واتصل ذلك بنا فقلنا لأحمد بن كليب: وخسرت دجاجك وبيضك؟ فقال: هات كلَّ ليل قُبْلَةً في يده، وأخسر أضعاف ذلك! فلما يئس من

(١) فشت: اشتهرت وشاعت.

(٢) الرشا: ولد الظبية إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه.

(٣) مستروحًا: مستريحًا وطالبًا لنسيم الريح.

رؤيته البتّة، نهكته العلة وأضعجه المرض. قال محمد بن الحسن: فأخبرني شيخنا محمد بن خطاب قال: فعُدته فوجدته بأسوا حال، فقلت له: لِمَ لا تَدَاوِي؟ فقال: دوائي معروف، وأما الأطباء فلا حيلة لهم في البتّة، فقلت له: وما دواؤك؟ قال: نظرة من أسلم! فلو سعيّت في أن يزورني لأعظم الله جزاءك بذلك، وآجره. قال: فرحمته وتقطّعت نفسي عليه، فنهضت إلى أسلم فاستأذنت عليه، فأذن لي وتلقاني بما يجب، فقلت: لي حاجة، فقال: وما هي؟ قلت: قد علمت ما جمَعَك مع أحمد بن كليب من ذمام^(١) الطلب عندي. فقال: نعم، ولكن قد تعلم أنه برّح^(٢) بي، وشهّر اسمي وآذاني. فقلت له: كلّ ذلك يُغتَفَر في مثل هذه الحال التي هو فيها، والرجل يموت، فتفضّل بعيادته. فقال لي: والله ما أقدر على ذلك، فلا تكلفني هذا! فقلت: لا بدّ من ذلك فليس عليك فيه شيء، وإنما هي عيادة مريض. قال: ولم أزل به حتّى أجاب، فقلت له: فقم الآن، قال: لست والله أفعل، ولكن غداً، فقلت له: ولا خُلف^(٣)، قال: نعم، فانصرفت إلى أحمد بن كليب فأخبرته بوعده فسُرّ بذلك وارتاحت نفسه. فلما كان من الغد بكرّث إلى أسلم، وقلت له: الوعد، قال: فوجِم^(٤)، وقال: والله لقد تحملني على خُطة صعبة عليّ، وما أدري كيف أُطبق ذلك؟ فقلت له: لا بدّ أن تفي بوعدك لي، قال: فأخذ رداءه ونهض معي راجلاً، فلما أتينا منزل أحمد وكان يسكن في درب طويل. فعندما توسّط الزقاق وقف واحمَرّ وخجل، وقال: يا سيّدي، الساعة والله أموت! وما أستطيع أن أعرض هذا على نفسي! فقلت: لا تفعل بعد أن بلغت المنزل، قال: لا سبيل والله إلى ذلك البتّة! ورجع هارباً فاتّبعته وأخذتُ بردائه، فتمادى وتمزّق الرداء وبقيت قطعة منه في يدي لشدة إمساكي له. ومضى ولم أذكره، فرجعت ودخلت على أحمد، وكان غلامه قد دخل عليه لما رأنا من أوّل الزقاق مبشّراً، فلما رأيته تغيّر وجهه وقال: أين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة فاستحال^(٥) من وقته واختلط^(٦) وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من الاسترجاع^(٧). فاستبشعت الحال وجعلت أتوجّع وقمت، فثاب^(٨) إليه

(١) الذّمام: الحرمة والحق والعهد.
(٢) برّح: ألح عليه بالأذى.
(٣) الخُلف: عدم الوفاء بالوعد.
(٤) وجِم: سكت على غيظ، وقطّب.
(٥) استحال: تغيّر.
(٦) اختلط: أصابه الخيل والهذيان.
(٧) الاسترجاع: أن يقال: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون.
(٨) ثاب إليه ذهنه: رجع إليه عقله.

ذهئه، وقال لي: يا أبا عبد الله، قلت: نعم، قال: أسمع مني، وأحفظ عني، وأنشأ يقول: [من مخلع البسيط]

أُسَلِّمُ، يا راحةَ العَلِيلِ رِفْقًا على الهائمِ النَّحِيلِ!
وضْلُكُ أشهى إلى فُؤادي من رحمةِ الخالقِ الجليلِ!

قال: فقلت له: أتق الله، ما هذه العظيمة؟ قال: قد كان، فخرجت عنه فوالله ما توسّطت الزقاق حتّى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا.

وهذه الحكاية مشهورة عند أهل الأندلس، وأسلم هذا من بني خالد، وكانت فيهم وزارة وحجابه. وهذا الباب طويل والحكايات والأخبار والوقائع فيه كثيرة يطول الشرح بذكرها.

وأما من قتل نفسه بسبب العشق، فحكى عن عبد الرحمن بن إسحق القاضي قال: انحدرت من «سُرَّ مَنْ رَأَى» مع محمد بن إبراهيم أخي إسحق^(١)، ودجلة تَزَخَّر^(٢) من كثرة مائها. فلما سِرْنَا ساعة، قال: أَرْقُقُوا بنا، ثم دعا بطعامه فأكلنا، ثم قال: ما ترى في النبذ؟ قلت له: أعز الله الأمير، هذه دجلة قد جاءت بمدّ عظيم يُزْهَبُ مثله، وبينك وبين منزلِك مَبِيتٌ ليلة، فلو شئتَ أخرتَه، قال: لا بدّ لي من الشراب، واندفعت مغنيةً فغَنَّتْ، واندفعت أخرى فغنته: [من مجزوء الكامل]

يا رَحْمَتًا للعاشِقَيْنَا ما إن أرى لَهُمُ معينا!
كم يُشْتَمُونَ وَيُضْرَبُونَ ن وَيُهَجَّرُونَ، فيصيرُونَا!

فقلت لها المغنية الأولى: فيصنعون ماذا؟ قالت: يصنعون هكذا، ورفعت الستارة وقذفت بنفسها في دجلة. وكان بين يدي محمد غلامٌ ذَكَرَ أنَّ شراه ألف دينار، بيده مَذْبَةٌ^(٣)، لم أر أحسن منه. فوضع المَذْبَةَ من يده وقذف بنفسه في دجلة، وهو يقول:

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتِنِي بعد القضاء، لو تَعَلَّمِينَا!

(١) إسحق: هو إسحق بن إبراهيم الموصلي، أبو محمد بن التديم، من أشهر ندماء الخلفاء، تفرد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقى وعلوم الدين، راوياً للشعر، وشاعراً وحافظاً للأخبار، فارسي الأصل، ولد ببغداد وتوفي فيها سنة ٨٥٠ م. «فهرس الأعلام ١/ ٢٩٢».

(٢) تزخر: تفيض ماء قوياً.

(٣) المذبة: ما يدفع به الذباب.

فأراد الملاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما، فصاح بهم محمد: دَعُوهُمَا يَغْرَقَا إلى لعنة الله! قال: فرأيتهما وقد خرجا معتقين ثم غَرَقَا.

وحُكي عن جميل بن معمر العذري أنه قال: دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان فقال لي: يا جميل حَدِّثْني بعض أحاديث بني عذرة، فإنه بلغني أنهم أصحاب أدب وِعَزَل، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، أُنْتَجِعُوا^(١) عن حَيِّهم مرة فوجدوا النُّجعة بموضع نازح^(٢) فقتلوه. فخرجت أريدهم، فبينما أنا أسير، غِلِطُ الطريقَ وجنَّ^(٣) عليَّ الليلُ، فلاح لي باب فقصدته. فوردت على راعٍ في أصل جبل قد ألجا غنمه إلى كهف في الجبل، فسلمت عليه، فردَّ عليَّ السلام، وقال: أَحْسَبُكَ قد ضَلَلْتَ الطريقَ؟ قلت: قد كان ذلك، فأرشدني! قال: بل أنزل حتَّى تُريح ظهرك، وتبيتَ ليلتك، فإذا أصبحتَ وقَّفتك على القصد. فنزلت فرحَّب بي وأكرمني، وعمد إلى شاة فذبحها، وأجج نازًا، وجعل يَشْوِي وَيُلْقِي بين يدي، ويحدِّثني في خلال ذلك. ثم قام إلى كساء فقطع به جانب الخباء ومهَّد لي جانبًا، ونزل جانبًا خاليًا، فلما كان في الليل سمعته يبكي ويشكو إلى شخص. فأرقت ليلتي، فلما أصبحت، طلبت الإذن فأبى، وقال: الضيافةُ ثلاث! فأقمت عنده، وسألته عن اسمه ونسبه وحاله، فانتسب لي. فإذا هو من بني عذرة، من أشرافهم. فقلت: يا هذا، وما الذي أحلك هذا الموضع؟ فأخبرني أنه كان يهوى ابنة عم له وتهواه، وأنه خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إيَّها لِقِلَّة ذات يده، وأنه زوّجها رجلًا من بني كلاب فخرج بها عن الحي وأسكنها في موضعه ذلك، وأنه تنكَّر ورَضِيَ أن يكون راعيًا لتأنيته ويراها. وجعل يشكو إليَّ صبابته بها وعشقه لها، حتى إذا جئنا الليل وحن وقت مجيئها، جعل يتقلقل^(٤) ويقوم ويقعد كالمتوقِّع لها. فلما أبطأت عن الوقت المعتاد وغلبه الشوق، وثبت قائمًا وأنشأ يقول:

[من البسيط]

ما بال مَيَّة لا تأتي لعادتها! أهاجها طَرْبٌ أم صدَّها شُغلٌ؟^(٥)
لكنَّ قَلْبِي لا يُلهِيهِ غَيْرُهُمْ حتَّى المَمَات، ولا لي غَيْرُهُمْ أَمَلٌ!
لو تَعَلَّمِينَ الَّذِي بي من فِرَاقِكُمْ لما أَعْتَلَلْتُ ولا طابَتْ لِكِ العِلَلُ!^(٦)

(١) انتجعوا: طلبوا النجعة والكلأ.

(٢) جنَّ الليل: أظلم وستر الناس بظلامه.

(٣) غِلِطُ: يتحرك ويضطرب.

(٤) يتقلقل: يلهو والغناء، وصدَّها: صرفها.

(٥) العلل: التشاغل.

رُوحِي فِدَاؤُكَ! قَدْ هَيَّجَتْ لِي سَقَمًا تَكَادُ مِنْ حَرِّهِ الْأَعْضَاءُ تَنْفَصِلُ! ^(١)
لَوْ أَنَّ عَادِيَهُ مُنِّي عَلَى جَبَلٍ لَزَالَ وَأَنْهَدَ مِنْ أَرْكَانِهِ الْجَبَلُ! ^(٢)

ثم قال: يا أخا بني عذرة، مكانك حتى أعود إليك! فما أتوهم أن أمر ابنة عمي صحيح! ثم مضى. فما لبث أن أقبل وعلى يده شيء محمول، وقد علا شهيقه ونحيبه، فقال: يا أخا بني عذرة، هذه ابنة عمي، أرادت أن تأتينني فاعترضها الأسد فأكلها! ثم وضعها عن يده، وقال: على رسلك حتى أعود إليك، ومضى فأبطأ حتى يئست من رجوعه، ثم أقبل ورأس الأسد على يده، فألقاها وجعل ينكت ^(٣) على أسنان الأسد ويقول: [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْثُ الْمُخِيلُ بِنَفْسِهِ! هَلَكْتَ! لَقَدْ جَرَّتْ يَدَاكَ لَنَا حُزْنًا! ^(٤)
وَعَادَرْتَنِي فَرْدًا وَقَدْ كُنْتُ أَلْفًا وَصَيَّرْتَ بَطْنَ الْأَرْضِ ثُمَّ لَنَا سِجْنًا!
أَقُولُ لِدَهْرٍ خَانَنِي بِفِرَاقِهِ مَعَادُ إِلَهِي أَنْ أَكُونَ لَهُ خِدْنًا! ^(٥)

ثم قال: يا أخا بني عذرة، إنك ستراني بين يديك ميتًا! فإذا مت فاعمد إلي وابنة عمي، فأدرجنا في كفن واحد، واحفر لنا جدنا واحداً، وأدفنا فيه، وأكتب على قبري هذين البيتين: [من البسيط]

كُنَّا عَلَى ظَهْرِهَا، وَالْعَيْشُ فِي مَهْلٍ! وَالشَّمْلُ يَجْمَعُنَا وَالِدَاؤُ وَالْوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ وَالتَّصْرِيفُ أَلْفَتَنَا فَصَارَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الْكَفَنُ ^(٦)

ورُدَّ الغنم إلى صاحبها وأعلمه بقصتنا، ثم عمَد إلى خناق فطرحه في عنقه، فناشدته الله تعالى أن لا يفعل، فأبى وجعل يخنق نفسه حتى سقط ميتاً. فكفنتهما ودفنتهما في قبر واحد، وكتبت البيتين على قبرهما، ورددت الغنم إلى صاحبها، وأعلمته بقصتهما فحزن حزناً شديداً أشفقت منه على نفسه.

(١) حرّه: شدة حرارته وحرقة.

(٢) عاديه: الهاء في عادية تعود للسقم، والعادي: ما يعودني منه من سقم وحرارة.

(٣) ينكت الأثر: يؤثر فيها يعود أو نحوه.

(٤) المخيل: المعجب المتكبر، وجرت لنا: حملت إلينا.

(٥) الخدن: الصديق.

(٦) التصريف: من صروف الدهر، وهي غيظه وأحداثه، وقد ألف ذلك منه لأنه لم يكن له موأيتاً منذ البداية، والهاء في بطنها يعود إلى الأرض.

ذكر شيء مما ورد في التحذير من فتنة النساء، وذم الزنى، والنظر إلى المزدان، والتحذير من اللواط، وعقوبة اللائط

أما ما ورد من التحذير من فتنة النساء، فقد رُوِيَ عن أبي أمامة بن يزيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما تَرَكَتُ في الناسِ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرجالِ مِنَ النِّسَاءِ».

وعن أبي سعيد الخدري^(١) رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ خَصِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي النِّسَاءَ وَالْخَمْرَةَ».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لم يَكُنْ كُفْرٌ مِّنْ مَّضَى إِلَّا مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ، وَهُوَ كَاتِنٌ، كُفْرٌ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ.

وعن حسان بن عطية^(٢)، قال: مَا أُتِيَتْ أُمَةٌ قَطُّ إِلَّا مِنْ قَبْلِ نِسَائِهِمْ.

وعن سعيد بن المسيب^(٣)، قال: مَا يَنْتَسِ الشَّيْطَانُ مِنْ ابْنِ آدَمَ قَطُّ، إِلَّا أَنَّهُ مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ إِبْلِيسُ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: يَا رَبِّ قَدْ أَهْبِطَ آدَمُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سَيَكُونُ لَهُمْ كِتَابٌ وَرَسُولٌ، فَمَا كِتَابُهُمْ وَرُسُلُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: رَسَلَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ مِنْهُمْ، وَكُتِبَتْ لَهُمُ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزُّبُورُ وَالْفُرْقَانُ، قَالَ: فَمَا كِتَابِي؟ قَالَ: كِتَابُكَ الْوَشْمُ^(٤)، وَقُرْآنُكَ

(١) هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، صحابي، كان من ملازمي النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث كثيرة، غزا اثنتي عشر غزوة، توفي في المدينة سنة ٦٩٣ م. «فهرس الأعلام ٨٧/٣».

(٢) هو حسان بن عطية، أبو بكر المحاربي، محدث ثقة، عابد، نبيل، لكنه قدرى المذهب. «الكاشف للذهبي ١٥٧/١».

(٣) هو سعيد بن المسيب بن حزن الإمام، أبو محمد المخزومي، أحد الأعلام وسيد التابعين، محدث ثقة، حجة، فقيه، رفيع الذكر، رأس في العلم والعمل، عاش تسعاً وسبعين سنة، مات سنة ٩٤ هـ. «الكاشف ٢٩٦/١».

(٤) الوشم: ما يكون من غرز الإبرة في البدن، وذو النيلج عليه حتى يزرق أثره أو يخضر.

الشَّعْر، وَرُسْلُكَ الْكَهَنَةِ، وَطَعَامُكَ مَا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَشَرَابُكَ مِنْ كُلِّ مُسْكِرٍ، وَصِدْقُكَ الْكَذِبُ، وَبَيْتُكَ الْحَمَامُ، وَمَصَايِدُكَ النِّسَاءُ، وَمُؤَذِّنُكَ الْجِزْمَارُ، وَمَسْجِدُكَ الْأَسْوَاقُ».

ومن فتنة النساء، ما روي عن وهب بن منبه^(١) أن عبداً كان في بني إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه. وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت، وكانت بكرًا. فخرج البعث^(٢) عليهم فلم يذروا عند من يُخْلَفُونَ أختهم، ولا من يَأْمَنُونَ عليها. فأجمعوا رأيهم على أن يُخْلَفُوهَا عند العابد. فأتوه وسألوه أن يُخْلَفُوهَا عنده، فأبى ذلك. فلم يزلوا به حتى قال: أنزلوها في بيت جوار صومعتي، فأنزلوها في ذلك البيت، ثم انطلقوا وتركوها. فمكثت في جوار العابد زماناً يُنْزَلُ إليها الطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة^(٣)، ثم يُغْلِقُ بابه وَيَضَعُ صومعته، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام. قال: فتلطف له الشيطان، فلم يزل يُرْعِبُهُ في الخير ويُعْظِمُ عنده خروج الجارية من بيتها نهائراً، ويخوفه أن يراها أحد فيغلّقها. فلم يزل به حتى مشى بطعامها ووضعها عند باب بيتها، ولا يكلّمها. فلبيت بذلك زماناً، ثم جاء إبليس فرعبه في الخير والأجر، وقال له: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها، كان أعظم لأجرك، فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها، فلبيت بذلك زماناً. ثم جاء إبليس فرعبه في الخير وحضه عليه، وقال له: لو كنت تكلّمها وتحديثها، فتأنس بحديثك، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، فلم يزل به حتى حديثها زماناً، يطلّع إليها من فوق صومعته، ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فقال له: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحديثها، وتقعد على باب بيتها فتحدثك، كان آنس لها. فلم يزل به حتى أنزله فأجلسه على باب صومعته يحدثها، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على بابها، فلبيتاً زماناً يتحدثان. ثم جاء إبليس فرعبه في الخير، فقال: لو خرجت من باب صومعتك فجلست قريباً من بيتها فحدثتها، كان آنس لها. فلم يزل به حتى فعل، فلبيتاً بذلك زماناً، ثم جاء إبليس فقال: لو دنوت من باب بيتها، ثم قال: لو دخلت البيت فحدثتها ولم تركها

(١) هو وهب بن منبه الصنعاني، إخباري علامة، قاص، صدوق، صاحب كتب، ولي قضاء صنعاء في آخر خلافة عثمان، مات سنة ١١٤ هـ. «الكاشف ٣/٢١٦».

(٢) البعث: أي خروجهم في الجيش الذي بعث، والبعوث: الجيوش.

(٣) الصومعة: مكان للتعبّد يكون بعيداً عن الناس.

تُبْرَزُ^(١) وجهها لأحد، كان أحسن، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهاره كله. فإذا أمسى صعد في صومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزيئها له حتى ضرب العابد بيده على فخذهما وقبّلها. ثم لم يزل يحسنها في عينه ويسؤل^(٢) له حتى وقع عليها فأحبها، فولدت غلامًا. فجاء إبليس، فقال له: أرايت إن جاء إخوتها، وقد ولدت منك كيف تصنع؟ فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه، فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها، فقتله. ثم جاءه، فقال: أتراها تكتم ما صنعت بها؟ خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها، فذبحها وألقاها في الحفرة. فمكث ما شاء الله حتى قفل^(٣) إخوتها من الغزو. فجأوه فسألوه عن أختهم فنعاهوا لهم وترحم عليها وبكأها، وقال: كانت خير امرأة، وهذا قبرها، فأتى إخوتها القبر فبكوا وترحموا عليها، وأقاموا على قبرها أيامًا ثم انصرفوا إلى أهاليهم. قال: فلما جئهم الليل وأخذوا مضاجعهم، أتاهم الشيطان في النوم فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم، فأخبره بقول العابد وبموتها. فكذبه الشيطان، وقال: لم يصدقكم أمر أختكم، إنه أحبها وولدت منه غلامًا فذبحه وذبحها معه فرقًا^(٤) منكم، وألقاهما في الحفرة خلف باب البيت، وأتى الأوسط في منامه، فقال له مثل ذلك؛ ثم أتى أصغرهم، فقال له مثل ذلك، فلما استيقظ القوم، استيقظوا متعجبين لما رآه كل واحد منهم. فأقبل بعضهم على بعض يقول: لقد رأيت عجبًا! وأخبر بعضهم بعضًا بما رأى، فقال كبيرهم: هذا حُلْمٌ، ليس هذا بشيء، فامضوا بنا ودعوا هذا، فقال أصغرهم: لا أمضي حتى آتي ذلك المكان فأنظر فيه، فانطلقوا فبحثوا الموضع، فوجدوا أختهم وابنها مذبحين. فسألوا عنها العابد، فصديق قول إبليس فيما صنع بهما. فاستغدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدموه ليضلّوه. فلما أوثقوه على الخشبة، أتاه الشيطان، فقال له: قد علمت أنني صاحبك الذي فتنتك في المرأة حتى أحببتها وذبحتها وابنتها، فإن أنت أطعنتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقتك، خلصتك مما أنت فيه، فكفر العابد بالله. فلما كفر، خلّى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلّوه. قال وهب: ففيه نزلت هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٦ فَكَانَ عَقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ [الحشر: الآيتان ١٦، ١٧].

نسأل الله العافية من فتنتهن، ونعوذ به من الشيطان الرجيم.

(١) تبرز: تظهر، وتحسر عن وجهها.

(٢) سؤل له نفسه: حيت إلى الشيء وسهله له.

(٣) قفل: عاد، وأب.

(٤) فرقًا: خوفًا.

وأما ما جاء في ذم الزنى، فكفى به ذمًا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يا أمة محمد، ما أحدٌ أغبر^(١) من الله أن يرى عبده أو أمته تزني».

وعنه ﷺ أنه قال: «اشتد غضب الله تعالى على الزناة».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان سِرْبَالٌ^(٢) يُسْرِبُهُ اللهُ مَنْ يَشَاءُ، فإذا زنى العبد، نُزِعَ منه سِرْبَالُ الإِيمَانِ، فإذا تاب رُدَّ عَلَيْهِ».

وعنه ﷺ أنه قال: «ما مِنْ ذَنْبٍ بَعْدَ الشُّرْكِ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ مِنْ نُطْفَةٍ وَضَعَهَا رَجُلٌ فِي رَحِمٍ لَا يَحِلُّ لَهُ».

وعن أنس^(٣) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالزَّنَى، فَإِنَّ فِي الزَّنَى سِتًّا خِصَالًا، ثلاثٌ في الدنيا، وثلاثٌ في الآخرة. فأما اللواتي في الدنيا، فذهاب نور الوجه، وانقطاع الرزق، وسُرْعَةُ الفناء؛ وأما اللواتي في الآخرة، فعُصْبُ الربِّ، وسوء الحساب، والخلود في النار، إلا أن يشاء الله تعالى».

وعن عبد الله قال: قلت: يا رسول الله أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل الله نِدًّا^(٤)»، وهو خَلْقُكَ! قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك من أجل أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك».

والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة.

(١) أغبر: من الغيرة، وهي شعورٌ بالثورة يتتاب أحد الزوجين أو الحبيبين إذا ما يراه تودد لآخر.

(٢) السربال: لباس، كالقميص أو نحوه.

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاري، أبو تمامة أو أبو حمزة، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، محدث روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثًا، توفي سنة ٩٣ هـ بالبصرة. «الكاشف ٨٨/١».

(٤) الند: المثل والظهير.

وأما ما جاء في النهي عن النظر إلى المزدان ومجالستهم، روي عن أبي السائب^(١) أنه قال: لأننا على القاريء من الغلام الأمرد أخوف منّي عليه من سبعين عذراء. وفي لفظ عنه: لأننا أخوف على عابد من غلام أمرد من سبعين عذراء.

وعن سعيد بن المسيّب أنه قال: إذا رأيتم الرجل يُلحّ^(٢) النظر إلى غلام أمرد، فأتهموه.

وكان سفيان الثوري رضي الله عنه لا يدع أمرد يجالسه.

وعن يعقوب بن سوال قال: كنّا عند أبي نصر بشر بن الحارث^(٣)، فوقفت عليه جارية ما رأينا أحسن منها، فقالت: يا شيخ، أين مكانُ بابِ حَرْبٍ؟ فقال لها: هذا الباب الذي يقال له بابُ حَرْبٍ. ثم جاء بعدها غلام فسأله، فقال له: يا شيخ، أين مكانُ بابِ حربٍ؟ فأطرق بشرٌ. فردّ عليه الغلامُ السؤالَ فغمض عينيه، فقلنا للغلام: أي شيء تريد؟ فقال: باب حرب، فقلنا: بين يديك، فلما غاب، قلنا: يا أبا نصر، جاءك جارية فأجبتها وكلمتها، وجاءك غلام فلم تكلمه؟ فقال: نعم، يروى عن سفيان الثوري أنه قال: مع الجارية شيطان، ومع الغلام شيطانان، فخشيت على نفسي من شيطانيه.

وعن أبي سعيد الخزاز^(٤)، قال: رأيت إبليس في النوم، وهو يمرّ عني ناحية، فقلت: تعال، فقال: أي شيء أعمل بكم؟ أنتم طرّحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس، قلت: ما هو؟ قال: الدنيا، فلما ولّى، التفت إليّ فقال: غير أن لي فيكم لطيفة، قلت: ما هي؟ قال: صحبة الأحداث.

(١) هو أبو السائب الأنصاري، مولى هشام بن زهرة، محدث ثقة، روى عن المغيرة وأبي هريرة، وروى عنه العلاء والزّهري. «الكاشف ٢٩٩/٣».

(٢) يلحّ النظر: يديمه ويطيله.

(٣) هو بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي، من كبار البصالحين، له في الزّهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل مرو، سكن بغداد وتوفي بها سنة ٨٤١ م. «فهرس الأعلام ٥٤/٢».

(٤) لعنه أحمد بن الحارث بن المبارك، الخزاز، مؤرخ من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها سنة ٨٧٢ م، ذكر له ابن النديم كتباً منها: الممالك والمسالك، وأسماء الخلفاء، والصحابة، ومغازي البحر في دولة بني هاشم. «فهرس الأعلام ١٠٩/١».

وعن مظفر القزَمِسِينِي^(١) قال: من صَحِبَ الأحداث على شَرَطِ السَّلامَةِ والنصيحة أذاهُ ذلك إلى البلاء؛ فكيف من صَحِبَهُمْ على غير وجه السَّلامَةِ؟
وقد ذكر أبو الفرج في كتابه المترجم «بذم الهوى» من افتتن بالأحداث، وصرح بأسمائهم، فلم تُؤثر التعرُّض لذلك، لما فيه من التشنيع عليهم والإذاعة لمساوئهم.

وأما ما جاء في التحذير من اللواط وما ورد في سِحاق النساء، روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَلْعُونٌ ملعُونٌ من عَمِلَ بِعَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ»، وعنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لَعَنَ اللهُ من عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ».

وعن جابر بن عبد الله^(٢)، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَخَوْفَ ما أَخَافُ على أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ». وفي لفظ آخر عنه ﷺ: «إِنْ أَخَوْفَ ما أَخَافُ على أُمَّتِي من بَعْدِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ، أَلَا فَلْتَتَرَقَّبْ أُمَّتِي الْعَذَابَ إِذَا كَانَ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَنْظُرُ اللهُ إلى رَجُلٍ أتَى رَجُلًا أو امْرَأَةً في دُبُرِها».

وعن عبد الله بن عَمَرَ رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمْ يَغْلُ فَحْلٌ فَخَلًا حَتَّى كَانَ قَوْمُ لُوطٍ، فَإِذَا عَلَا الْفَحْلُ الْفَحْلَ، ارْتَجَّ أو اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاطَّلَعَتِ الْمَلَائِكَةُ تَعْظِيمًا لِفِعْلِهِمَا، فَقَالُوا: يَا رَبِّ، أَلَا تَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تَغُورَ^(٣) بِهِمَا، وَتَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تَخْصِبَهُمَا^(٤)»، فيقول الله تعالى: إِنِّي حَلِيمٌ لَا يَفُوتُنِي شَيْءٌ».

وعن سَمَّاكُ بْنُ حَرْبٍ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: إِنْ الرِّجُلَ لِيَأْتِيَ الرِّجُلَ فَتَضِجُ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِمَا، وَالسَّمَاءُ مِنْ فَوْقِهِمَا، وَالْبَيْتُ

(١) القزَمِسِينِي: نسبة إلى قزمسين، وهو تعريب كرماني شاهان، بلد معروف قرب الدينور، وهي بين همدان وخُلوان على جادة الحاج. «معجم البلدان ٤/ ٣٣٠».

(٢) هو جابر بن عبد الله السلمي، عقي، أي ممن شهد العقبة، روى حوالي ألف وخمسمائة حديث وأربعون حديثًا، مات سنة ٧٨ هـ. «الكاشف ١/ ١٢٢».

(٣) تغور: أي أن تذهب بهما فتنتشق وتبتلعهما.

(٤) تخصبهما السماء: ترجمهما بالشهب فتحرقهما.

والسقف، كلهم يقولون: أي رب، أئذ لنا ينطبق بعضنا على بعض فنجعلهم نكالا^(١) ومعتبرا، فيقول الله عز وجل: إنهم وسعهم حلمي ولن يفتونني.

وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول: لو أن رجلا عبث بغلام بين إصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة، لكان لواطاً.

وروى عن مكحول^(٢) عن وائلة بن الأسقع^(٣) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سحاق النساء زنى بينهن».

* * *

وأما ما ورد في عقوبة اللواط والمملوط به في الدنيا والآخرة:

أما عقوبة الدنيا، فقد جاء بها نص القرآن في قصة قوم لوط، وشرح أفعالهم، وما عذبوا به في آي^(٤) كثيرة.

وجاء في الأحاديث النبوية، على قائلها أفضل الصلاة والسلام، في عقوبة اللواط والمملوط به ما يدل على التغليظ والتشديد.

فمن ذلك ما روي عن عكرمة^(٥) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيمن عمل عمل قوم لوط: يُقتل الفاعل والمفعول به، وفي لفظ آخر عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «أقتلوا الفاعل والمفعول به»، في عمل قوم لوط.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِ قَوْمِ لُوطِ فَاقْتُلُوهُ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطِ، فَارْجُمُوا الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ».

(١) النكال: العقاب.

(٢) مكحول: هو مكحول فقيه الشام، محدث روى عن عائشة وأبي هريرة، وروى عنه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز، توفي سنة ١١٣ هـ. «الكاشف ١٥٢/٣».

(٣) هو وائلة بن الأسقع اللبني، من أهل الصفة، غزا تبوك، محدث أخذ عنه مكحول ويونس بن ميسرة، عاش ثمانيا وتسعين سنة، مات سنة ٨٥ هـ. «الكاشف ٢٠٤/٣».

(٤) الآي: جمع آية من آيات القرآن الكريم.

(٥) هو عكرمة بن خالد المخزومي، حدث عن ابن عباس وأبي هريرة، وعنه قتادة وأيوب الأوزاعي، مات بعد عطاء بمكة، من الثقات. «الكاشف ٢٤٠/٢».

وعن محمد بن المنكدر^(١) أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه وجد رجلاً في بعض الأضاحي ينكح رجلاً كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر رضي الله عنه لذلك أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، فيهم علي بن أبي طالب، وقال: إن هذا ذنب لم تعمل به أمة إلا أمة واحدة، ففعل الله بهم ما قد علمتم. أرى أن نُحَرِّقَه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ على أن يُحَرَّقَ بالنار، فأمر به أبو بكر رضي الله عنه أن يُحَرَّقَ بالنار، وقد حرَّقهم عبد الله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك.

- وعن يزيد بن قيس^(٢) أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رَجَمَ لُوطِيًّا.

- وعن سعيد بن زيد^(٣) قال: سئل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ما حدّ اللوطي؟ قال: ينظر أعلى بيت في القرية فيرمى منكساً^(٤) ثم يتبع بالحجارة.

وللتابعين ولأئمة العلماء في ذلك أقوال:

فمنهم من رأى أن حدّه كحدّ الزّنى، وفرّق بين المُحصن وغير المُحصن.

ومنهم من رأى أن حدّه القتلُ أحصَن، أو لم يُحصن.

روى سفيان عن جابر عن الشعبي^(٥) أنّه قال: اللّوطي يَرَجُمُ، أخصن أو لم يُحصن.

وعن ابن أبي نجيح عن عطاء^(٦) قال: حدّ اللوطي حدّ الزاني، وإن أخصن^(٧) رَجِمَ، وإلا جلد. وبه قال الهيثم^(٨).

(١) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير القرشي التيمي، المدني الزاهد من رجال الحديث، قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق، توفي سنة ٧٤٨ م. «فهرس الأعلام ١١٢/٧».

(٢) هو يزيد بن قيس، أو قُبَيْس، محدث ثقة. «الكاشف ٢٤٨/٣».

(٣) هو سعيد بن زيد الفزاري، حدّث عن أبيه، وحدّث عنه مسعر وحجاج بن أرطاة، ثقة. «الكاشف ٢٨٦/١».

(٤) المنكس: الذي جعل رأسه إلى أسفل.

(٥) الشعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الحميري، أبو عمرو، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، اتصل بعبد الملك بن مروان، وكان رسوله إلى ملك الرّوم، من رجال الحديث الثقات، مات فجأة بالكوفة سنة ٧٢١ م. «فهرس الأعلام ٢٥١/٣».

(٦) لعنه عطاء بن أبي رباح، أبو محمد القرشي، أحد الأعلام عاش ثمانين سنة، مات سنة ١١٤ هـ. «الكاشف ٢٣١/٢».

(٧) المحصن: المتزوج.

(٨) لعنه الهيثم بن رافع، حدّث عن عطاء وأبي يحيى المكي، صدوق. «وانظر الكاشف ٢٠٣/٣».

وعن قتادة^(١) عن الحسن^(٢) أنه قال في الرجل يخالط الرجل: إن كان أخصن، جُلْد وُرْجَم؛ وإن كان لم يُخَصِّن، جُلْد وَثُقِي.

وعن مالك بن أنس^(٣) عن الزهري^(٤) قال: يُرْجَم، أخصن أو لم يُخَصِّن.

وعن الطيالسي^(٥) قال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْكَوْسَجُ^(٦)، قال: قلت لأحمد بن حنبل: أيرجم اللوطي، أخصن أو لم يُخَصِّن؟ قال: يَرجَم، أخصن أو لم يُخَصِّن.

وقد روي عن أحمد بن حنبل^(٧) أنَّ حَدَّ اللُّوطِيِّ كَحَدِّ الزَّانِي، يختلف بالثبوتية^(٨) والبكارة^(٩)، وهو قول محمد عن الشافعي^(١٠).

وقال الحكم^(١١): يُضْرَبُ اللُّوطِيُّ دُونَ الْحَدِّ. قال ابن الجوزي: وإلى هذا مال أبو حنيفة^(١٢).

(١) لعلة قتادة بن دعامة، أبو الخطاب السدوسي، الأعمى، الحافظ المفسر، مات كهلاً سنة ١١٨ هـ، وقيل ١١٧ هـ. «الكاشف ٣٤١/٢».

(٢) لعلة الحسن البصري، الإمام أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، رفيع الذكر، كان رأساً في العمل والعلم، مات في رجب سنة عشر ومائة هـ. «الكاشف ١٦٠/١».

(٣) هو مالك بن أنس الأصبحي، أبو عبد الله الإمام، روى عن نافع والزهري، ولد سنة ٩٣ هـ، وتوفي في ربيع الأول سنة ١٧٩ هـ، محدث ثقة. «الكاشف ٩٩/٣».

(٤) الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من قريش، أبو بكر، أول من دَوَّن الحديث، وأحد كبار الحفاظ الفقهاء، تابعي من أهل المدينة، مات بشَّغْب، آخر حدِّ الحجاز وأول حدِّ فلسطين سنة ٧٤٢ م. «فهرس الأعلام ٩٧/٧».

(٥) الطيالسي: هو هشام بن عبد الملك الباهلي، أبو الوليد، من كبار حفاظ الحديث من أهل البصرة، روى عنه البخاري ١٠٧ أحاديث، توفي سنة ٨٤١ م. «فهرس الأعلام ٨٧/٨».

(٦) هو إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزي، المعروف بالكوسج، فقيه حنبلي من رجال الحديث، من أهل مرو، استوطن نيسابور ومات فيها سنة ٨٦٥ م. «فهرس الأعلام ١/٢٩٧».

(٧) هو أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، من كتبه «المسند»، توفي سنة ٨٥٥ م. «فهرس الأعلام ١/٢٠٣».

(٨) الثبوتية: من الثيب، وهي المتزوجة التي ليست بكراً.

(٩) البكارة: التي لم تتزوج ولم يُدخل عليها.

(١٠) الشافعي: هو محمد بن إدريس الإمام، صاحب المذهب الشافعي وأحد الأئمة الأربعة، ولد في غزة بفلسطين، توفي بالقاهرة سنة ١٩٩ هـ. «فهرس الأعلام ٢٦/٦».

(١١) لعلة الحكم بن أبان العدني، محدث ثقة، صاحب سنة، كان سيّد أهل اليمن، عاش ثمانين سنة مات سنة ١٥٤ هـ، حدّث عن طاوس وعكرمة. «الكاشف ١٨١/١».

(١٢) أبو حنيفة: هو الثعمان بن ثابت، صاحب المذهب الحنفي، وأحد الأئمة الأربعة، قيل: أصله =

وأما مذهب ابن حزم الظاهري^(١) فإنه لا يضرب في اللواط فوق عشرة أسواط.

وقال النخعي^(٢): لو كان أحد ينبغي أن يُرجم مرتين، لكان ينبغي أن يُرجم اللوطي مرتين.

وحكى أبو الفرج بن الجوزي، قال: أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أخبرنا عبد العزيز بن علي، قال: أخبرنا علي بن جعفر الصوفي، قال: سمعت الموازيني يقول: قال لي رجل من الحاج: مررت بدار قوم لوط، وأخذت حجراً مما رُجموا به، فطرحت في مخلاة، ودخلت مصر. فنزلت في بعض الدور في الطبقة الوسطى، وكان في سُفل الدار حَدَثٌ^(٣)، فأخرجت الحجر من خُرْجي، ووضعت في رَوْزَنَة^(٤) في البيت. فدعا الحدث الذي كان في البيت صبيّاً إلى عنده واجتمع معه، فسقط الحجر على الحَدَث من الروزنة، فقتله.

وقال أيضاً: أخبرتنا شهدة، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن عثمان بن مكي، قال: أخبرني جدي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا المقرئ، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى^(٥) يقول: خرجتُ حاجاً إلى مكة، فلما كانت ليلة عرفت، رأى الإمام الذي حَجَّ بنا تلك الليلة مناماً. فلما صرنا إلى مكة بعد انقضاء الحج، سمعنا منادياً ينادي فوق الحجر: أنصتوا يا معشر الحجيج، فأنصت الخلق، فقال: يا معشر الحجيج، إن

= من أهل الفرس، ولد ونشأ بالكوفة حبسه المنصور إلى أن مات سنة ٧٦٧ م. «فهرس الأعلام ٣٦/٨».

(١) هو علي بن أحمد بن حزم الظاهري، أبو محمد، الإمام، عالم الأندلس في عصره، صاحب مذهب وأتباعه يقال لهم: الحزمية، ولد بقرطبة، توفي في بادية «كيلة» من بلاد الأندلس سنة ١٠٦٤ م. «فهرس الأعلام ٢٥٤/٤».

(٢) لعنه حفص بن غيث بن طلق بن معاوية النخعي الأزدي الكوفي، أبو عمر، قاض من أهل الكوفة، كان من الفقهاء حفاظ الحديث الثقات، وهو صاحب أبي حنيفة، توفي سنة ٨١٠ م.

(٣) الحدث: الغلام الصغير السن. (٤) الروزنة: الكوة غير النافذة.

(٥) هو يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة، أبو موسى الصدفي، من كبار الفقهاء، انتهت إليه رئاسة العلم بمصر، كان عالماً بالأخبار والحديث، وافر العقل، صاحب الشافعي، توفي سنة ٨٧٧ م. «فهرس الأعلام ٢٦١/٨».

إمامكم رأى أن الله عز وجل قد غفر لكل من وافى البيت العام إلا رجلاً واحداً فإنه فسق بغلام.

وأما عقوبته في الآخرة، فقد روي عن أبي سلمة^(١) عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قالوا: خطبنا رسول الله ﷺ فقال في خطبته: «مَنْ نَكَحَ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ غُلَامًا أَوْ رَجُلًا، حُشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَتَنَنَ مِنَ الْجَنَّةِ، يَتَأَذَى بِهِ النَّاسُ حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ نَارَ جَهَنَّمَ، وَيُحْبِطُ اللَّهُ عَمَلَهُ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفًا^(٢) وَلَا عَدْلًا^(٣)، وَيُجْعَلُ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ، وَيُسَمَّرُ عَلَيْهِ بِمَسَامِيرَ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ نَارٍ، فَتَشْتَبِكُ تِلْكَ الْمَسَامِيرُ فِي وَجْهِهِ وَفِي جَسَدِهِ»، قال أبو هريرة: وهذا لمن لم يَتُبْ.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «سَبْعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَجْمَعُهُمْ مَعَ الْعَالَمِينَ، يَدْخُلُونَ النَّارَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا؛ فَمَنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: النَّاكِحُ يَدَهُ، وَالْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ، وَمُذْمِنٌ خَمِيرٍ، وَالضَّارِبُ أَبَوَيْهِ حَتَّى يَسْتَغِيثَا، وَالْمُؤْذِي جِيرَانَهُ حَتَّى يَلْعَنُوهُ، وَالنَّاكِحُ حَلِيلَةَ جَارِهِ».

وعن إبراهيم بن علقمة عن عبد الله^(٤)، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللُّوطِيَّانِ لَوْ اغْتَسَلَا بِمَاءِ الْبَحْرِ، لَمْ يَجْزِهُمَا إِلَّا أَنْ يَتُوبَا».

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، نَقَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ حَتَّى يُخْشَرَ مَعَهُمْ».

قلت: وقد بلغني من كثير من الناس أن رجلين مَشَا على جانب البركة المعروفة ببركة قوم لوط، وهي في غور^(٥) الكرك^(٦) على جانبها ضياع، منها الصافية واللاخية

(١) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن، أحد الأئمة، حدث عن أبيه عبد الرحمن بن عوف، وعن عائشة وأبي هريرة، توفي سنة ٩٤ هـ، وقيل: ١٠٤ هـ. «الكاشف ٣/٣٠٢».

(٢) الصرف: التوبة، وقيل: النافلة. «النهاية في غريب الحديث ٣/٢٤».

(٣) العدل: الفدية، وقيل: الفريضة. «النهاية في غريب الحديث ٣/٢٤».

(٤) لعله عبد الله بن عباس، رضي الله عنه، «تقدم ذكره».

(٥) الغور: الأرض المنخفضة.

(٦) الكرك: كلمة أعجمية، وهي اسم لقلعة حصينة جداً في طرق الشام من نواحي البلقاء في جبالها، بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس، وهي على سن جبل عالٍ تحيط بها أودية. «معجم البلدان ٤/٤٥٣».

وسويمة وغيرها، وتعرف هذه البركة أيضًا بالمنتنة، ويقال: إنها إحدى المدائن التي خُصِفَ بها (من مدائن قوم لوط). فجعلنا يتباسطان، فكان من جملة ما قالاه أو قاله أحدهما للآخر فلم ينكره: هذه بركة أصحابنا، فطلعت من البركة مَوجة اختطفتهما معًا، وألقتهما في البركة، فكان آخر العهد بهما.

وهذه الحكاية يتداولها أهل تلك البلاد، لا ينكرها سامع منهم على قائل، ولا يبعد أن يُعاقَب مَنْ تجاهر بمعاصي الله وانتسب لمن كفر بالله وعصاه وكذَّب رسوله أن يعاقبه الله بما عاقبهم به ويلحقه بهم، وفي بعض هذا عبرة لمن اعتبر. ولنرجع إلى سياق ما جاء في ذلك من الأحاديث والأخبار.

روى أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَبْلَ غُلَامًا بشهوة، عَذَّبَهُ الله في النار أَلْفَ سَنَةٍ؛ ومن جامعه لم يَجِدْ رائحة الجنة، وريحها يُوجَدُ من مسيرة خمسمائة عام، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ».

وعن خالد عن إسماعيل بن كثير^(١) عن مجاهد^(٢)، قال: لو أن الذي يعمل ذلك العملَ (يعني عمل قوم لوط) اغتسل بكل قَطْرَةٍ في السماء وكل قَطْرَةٍ في الأرض، لم يزل نجسًا.

وعن عبَّاد بن الوليد العنبري قال: سمعت إبراهيم بن شَمَّاس يقول: سمعت الفضيل بن عياض^(٣) يقول: لو أن لوطيًّا اغتسل بكل قَطْرَةٍ من السماء، لَقِيَ الله تعالى غير طاهر.

وعن طلحة بن زيد عن بُرد بن سنان عن أبي المنيب عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: يُحْشَرُ اللوطيون يوم القيامة في صورة القردة والخنزير.

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، صاحب «البداية والنهاية»، ولد سنة إحدى وسبعمائة هجرية، وقرئته «مجدل» من أعمال «بصرى» مسقط رأسه، وتوفي سنة ٧٧٤ هـ، ودفن بمقر الصوفيّة، خارج باب النصر بدمشق. «الذَرر الكامنة ١/٣٧٧ - ٣٩٩».

(٢) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، تابعي، مفسر، من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، مات سنة ٧٢٢ م. «فهرس الأعلام ٥/٢٧٨».

(٣) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي، شيخ الحرم المكي، من أكابر العبَّاد الصالحين، كان ثقة في الحديث، ولد في سمرقند، وأصله من الكوفة، سكن مكة وتوفي بها سنة ٨٠٣ م. «فهرس الأعلام ٥/١٥٣».

وعن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير^(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال: مَنْ خرج من الدنيا على حالٍ، خرج من قَبْرِهِ على تلك الحال، حتى إن اللوطي يخرج يعلق ذكره على دبر صاحبه مفتضحين على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

هذا ما أمكن إيرادَه في هذا الفصل على سبيل الاختصار والإيجاز، وإلا فالأخبار في العشق وتوابعه وما يتولد عنه كثيرة جداً، ووقفنا منها على كثير، ولا يحتمل أن يُورد في الكتب الشاملة لفنون مختلفة أكثر مما أوردناه. فلنذكر الآن نبذة مما قيل في الغزل والنسيب.

ذكر نبذة مما قيل في الغزل والنسيب

هذا الباب - أكرمك الله وعافاك، ووقاك من فتنته وكفاك - بابٌ متسع، قد أكثر الشعراء القول فيه، وتنوعوا في أساليبه ومعانيه، لو استقصيناه لطلال به هذا التصنيف، وانبسط هذا التأليف؛ وكان بمفرده كُتُباً مبسوطه وأسفاراً كبيرة، فلخصنا منه درراً نفيسة وأعلاماً^(٢) خطيرة، واقتصرنا منه على ما رَقَّ معناه وراق^(٣)، وحَسُنَ لفظه وشاق، وارتاحت إليه النفوس، وتحلّت به الطروس^(٤)، ولمَحَتْه النواظر، وانجذبت إليه الخواطر^(٥)، وقد تنوع الشعراء في الغزل، فتغزلوا في المحبوب باسمه، وكَنُوا عنه واستعاروا له، ووصفوا أعضائه وشبّهوها بأشياء، فشَبَّهوا العيون بالترجس، وأفعالها بالخمير والسَّهام، وشَبَّهوا الحواجب بالقيسي^(٦)، والجبين بالصباح، والشُّعور بالليالي، والسُّوَالِف بالغوالي^(٧) والصَّوَالِج^(٨) والعقارب؛ وشَبَّهوا الوجه بالشمس والقمر؛ وشَبَّهوا الخدود بالورد والثَّقَاح؛ وشَبَّهوا الثُّغُور بالأفْحُوان، واللمى^(٩)

(١) هو سعيد بن جبير الوالي، أحد الأعلام، قتل شهيداً في شعبان سنة ٩٥ هـ، قتله الحجاج بسبب خروجه مع ابن الأشعث. «الكاشف ١/ ٢٨٢».

(٢) العلق: النفس من كل شيء. (٣) راق: خَلَصَ وحَسُنَ.

(٤) الطروس: الصحائف.

(٥) الخواطر: مفردُها الخاطرة، وهي القلب أو النفس «على المجاز».

(٦) القسي: مفردُها قوس، آلة على شكل الهلال ترمى بها السَّهام.

(٧) الغوالي: أخلاط الطيب.

(٨) الصَّوَالِج: مفردُها الصَّوَلِجان، عصا معقوفة يضرب بها الفرس كرة في رياضة خاصة.

(٩) اللمى: سمره مستحبة في الشفاء.

بالخمر، والريق بالشهد، والشفاة بالعقيق، والأسنان باللؤلؤ؛ وشبهوا اليهود بالرثمان، والقوام بالغصون، والأرداف بالكثبان، وغير ذلك. وقد تقدم إيراد ذلك كله مستوفى في موضعه، وهو في الباب الذي قبل هذا الباب.

وتغزلوا أيضًا في أصناف الفواكه المأكولة والمشمومة؛ وتغزلوا في الرياض والأزهار.

وسنورد إن شاء الله ذلك في موضعه، وهو في القسم الثاني والثالث والرابع من الفن الرابع من كتابنا هذا، في السفر العاشر من هذه النسخة.

فلنورد الآن ههنا من باب الغزل والنسيب خلاف ما قدمنا ذكره مما ذكرناه وما نذكره إن شاء الله تعالى.

والذي نورده في هذا الباب نبذة مما قيل في المذكر، والمؤنث، والمطلق^(١)، والمشترك، وطيف^(٢) الخيال، والرد على العدول، ورُجوع العدول، والوصل، والفراق، والبين، والتوديع، والصد، والهجران، وما قيل في الزيارة وتخفيفها، وموانعها، والمدامع، والرضا من المحبوب باليسير، والتحول؛ وما قيل في المحبوب إذا اعتل، وما قيل على لسان الورقاء^(٣)، والمراجعات^(٤)، والمردوف^(٥)، والجناس^(٦)، والموشحات^(٧).



(١) المطلق: الذي لا يشترك مع شيء آخر.

(٢) طيف الخيال: ما يصوره الخيال في أحلام اليقظة والنوم.

(٣) الورقاء: الحمامة. (٤) المراجعات: المحاورات.

(٥) المردوف: لعله يريد الردف في الشعر، وهو حرف لين قبل الروي، أو هو المتع من كل شيء.

(٦) الجناس: من فنون البديع اللفظية «وهو أن تجيء الكلمة بجناس أخرى في حروفها وليس في معناها».

(٧) الموشحات: نمط من الشعر نشأ في الأندلس، وذاع فيها، حافظ على العروض العربي إجمالاً، وخرج إلى أعاريض جديدة أحياناً، ولكنه في كلتا الحالتين نهج في التأليف نهجاً جديداً قائماً على المبالغة في الرقة والموسيقى والتزيق والسهولة، وفي الشكل استخدم القفل والدور واللازمة، واختلف بذلك عن شكل القصيدة العربية التقليدية، وقد استعيرت الكلمة من «الوشاح».

فمما قيل في المذكر:

قال العماد الأصفهاني الكاتب: [من المتقارب]

وأخوَرَ يَسْبِي بِطَرْفٍ يَكِلَ وَتَخَجَّلُ مِنْهُ الطُّبَا والطُّبَاءُ^(١)
 بخَدْيِهِ مِنْ حُسْنِهِ والشَّبَابِ تَجَمَّعَ ضِدَّانَ: نَارٌ وَمَاءٌ
 وَفِي مُقْلَتِيهِ وَقَدْ صَحَّحْنَا كَمَا صَحَّحْنَا سَقَمٌ وَانْتِشَاءُ^(٢)
 عَفَفْتُ وَعِفْتُ الْحَيَا فِي هَوَا هَ حَتَّى اسْتَوَى صَدُّهُ وَاللِّقَاءُ!^(٣)
 وَكُلُّ حَيَاءٍ يَذُودُ الْعَفَا فَ عَنْ وَدَّهِ، فَعَلِيهِ الْعَفَاءُ!^(٤)

وقال آخر: [من الكامل]

وَكَأَنَّ بِهَجَّةٍ وَجْهَهُ فِي شَعْرِهِ قَمَرٌ بَدَأَ فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءٍ^(٥)
 وَكَأَنَّ عَقْرَبَ صُدْغِهِ فِي خَدِّهِ وَقَفْتُ مَخَافَةَ نَارِهِ وَالْمَاءِ
 قَمَرٌ رَجَوْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَصَالَهُ يَوْمًا، فَأَخْلَفَ بِالصُّدُودِ رَجَائِي!

وقال عبد الجليل بن وهبون^(٦): [من مخلَع البسيط]

وَاقْتُ بِهِ عَفْلَةَ الرَّقِيبِ وَالنَّجْمُ قَدْ مَالَ لِلْعُرُوبِ^(٧)
 نَشْرَانٌ قَدْ هَزَّتِ الْحُمَيَّا مِنْهُ قَضِيْبًا عَلَى كَثِيْبِ^(٨)
 يَغْتَرُّ فِي ذَيْلِهِ فَيَخْكِي عَثْرَةَ عَيْنِيهِ فِي الْقُلُوبِ!
 وَاللَّهِ لَوْ نَالَتِ الثُّرَيَّا مَا نَالَ مِنْ بَهْجَةٍ وَطِيْبِ
 دَنَا إِلَيْهَا الْهَلَالُ حَتَّى قَبَّلَ فِي كَفِّهَا الْخَضِيْبِ!

وقال ابن حجاج: [من الكامل]

وَمُدَّلِّل! أَمَا الْقَضِيْبُ فَقَدُّهُ شَكْلًا وَأَمَّا رِدْفُهُ فَكَثِيْبُ!

(١) يَكِلَ: يفتَر ويضعف، الطُّبَا: مفردها طَبة، وهي حَدَّ السيف والسنان وما شابههما، والطُّبَاءُ: الغزلان، وفي الكلام جناس تام بين «الطُّبَا والطُّبَاء».

(٢) صَحَّحْنَا: سلمنا كل من كل عيب، وَصَحَّحْنَا: من الصَّحْوَة: الانتباه، وفي الكلام جناس تام.

(٣) عاف الهوى: تذر منه وكرهه. (٤) العفاء: الإمتحاء والزوال.

(٥) الليلاء: الشديدة الظلام.

(٦) هو عبد الجليل بن وهبون، أبو محمد الأندلسي، ولد في مرسية وكان يتردد على المعتمد بن عبَّاد اللخمي صاحب قرطبة وإشبيلية، وقد رثا ابن عمَّار لما قتله المعتمد.

(٧) وافت به: أتت. (٨) الحميا: الخمر وتأثيرها.

يَمْشِي وقد فَعَلَ الصَّبَا بِقَوَامِهِ فَعَلَ الصَّبَا بِالْعُضَنِ، وهو رَطِيبٌ^(١)
 مُتَلَوْنَ يُبْدِي وَيُخْفِي شَخْصَهُ كَالْبَذْرِ يَطْلُعُ تَارَةً وَيَغِيبُ
 أَرَمِي مَقَاتِلَهُ فَتُخْطِئُ أَشْهُمِي غَرَضِي، وَيَزِي مِهْجَتِي فَيُصِيبُ!
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ! إِنَّ نَفْسِي لَمْ تَزَلْ يَحْلُو فِدَاؤُكَ عِنْدَهَا وَيَطِيبُ!
 مَا لِي وَمَا لَكَ لَا أَرَاكَ تَزُورُنِي إِلَّا وَدُونَكَ كَاشِحٌ وَرَقِيبُ!^(٢)

وقال أبو نُوَاس: [من الوافر]

شَبِيهٌ بِالْقَضِيبِ وَبِالْكُثِيبِ! غَرِيبُ الْحَسَنِ دُوْ دَلْ غَرِيبُ!^(٣)
 بَعِيدٌ، إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهِ يَوْمًا رَجَعْتَ وَأَنْتَ دُوْ أَجَلٍ قَرِيبُ!
 تَرَى لِلصَّمْتِ وَالْحَرَكَاتِ فِيهِ سَوَامًا لَا يُذَادُ عَنِ الْقُلُوبِ^(٤)
 وَيَمْتَحِنُ الْقُلُوبَ بِمَقَلَّتَيْهِ فَيَنْكَشِفُ الْبَرِيءُ مِنَ الْمُرِيبِ!^(٥)

وقال أبو الوَءَاءِ الدَّمَشْقِيُّ^(٦): [من مجزوء الكامل]

بَذَرْتُ تَقْنَعُ بِالظَّلَا مَ عَلَى قَضِيبٍ فِي كَثِيبِ!
 تَدْعُو مُحَاسِنُهُ الْقُلُوبَ بَ إِلَى مُشَاقَّةِ الدُّنُوبِ
 فَعَلْتُ بِهِ رِيحُ الصَّبَا مَا لَيْسَ تَفْعَلُ بِالْقَضِيبِ
 عُقِلْتُ رَكَائِبُ حُسْنِهِ بَعْقُولْنَا عِنْدَ الْمَغِيبِ^(٧)
 وَتَلَطَّمْتُ وَجَنَائِنَا بِيَدِ الدُّمُوعِ مِنَ النَّحِيبِ!

(١) الصَّبَا: الشَّباب، والصَّبَا: ريحٌ باردة، وفي الكلام جناس تام.

(٢) الكاشح: العدو المبغض، والرَّقِيب: الحارس والمراقب.

(٣) الدَّلُّ: الدلال والغنج.

(٤) السَّوَام: اللحوم، وسَام الطائر على الشيء: حَام، وسَامَت الرِّيح: مَرَّت واستمرت.

(٥) المريب: الذي في أمره شك واتهام.

(٦) الوَءَاءُ الدَّمَشْقِيُّ: هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغَسَّانِي، الملقَّب بالوَءَاءِ، كان منادياً في دار البطيخ بدمشق، ينادي على القواكه، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه. «البيّمة ١/ ٢٧٢».

(٧) عقلت: ربطت بالعقال.

وقال الأمير تاج الملوك بن أيوب^(١): [من الكامل]

سَلَبَ الْفَوَادَ فَلَا عَدِمْتُ السَّالِبَا! وَرَنَا، فَكَانَ اللَّحْظُ سَهْمًا صَائِبَا!^(٢)
 قَمَرٌ مَشَارِقُهُ الْجِيُوبُ، فَلَا تَرَى أَبَدًا لَهُ إِلَّا الْقُلُوبَ مَعَارِبَا!^(٣)
 مَلَكَ الْفَوَادَ بِمَقْلَتَيْنِ وَحَاجِبِ أَمْسَى لِحُسْنِ الصَّبْرِ عَنِّي حَاجِبَا
 وَحَكَى الْقَضِيبَ شَمَائِلًا عَبَثَتْ بِهِ أَيْدِي النَّسِيمِ شَمَائِلًا وَجَنَائِبَا!
 وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

يَا أَيُّهَا الْبَدْرُ الَّذِي مَطْلَعُهُ طَوْقُ الْقَبَا!^(٤)
 يَا جَنَّةَ الْقَلْبِ الَّذِي أَضْرَمَ فِيهِ لَهَبَا!
 فَدَيْتُ هَذَا الْوَجْهَ، مَا أَحْسَنَهُ وَأَعْجَبَا!
 لَمْ تَرَ عَيْنِي قَبْلَهُ صُبْحًا تَرَدَّى غَيْهَبَا!^(٥)
 وقال أبو نُوَاسٍ: [من المَجْثُثِ]

يَا بِذَعَةٍ فِي مِثَالِ يَجُوزُ حَدَّ الصِّفَاتِ!
 فَالْوَجْهَ بِدَرٍّ تَمَامِ بَعَيْنِ ظَنِّي فَلَاقِ!
 وَالْقَدَّ قَدْ غُلَامِ وَالْعَنَجَ عَنَجَ فَتَاةِ!
 مَذْكَرٍ حِينَ يَبْدُو مَوْتُكَ الْخَلَوَاتِ!
 زَهَا عَلَيَّ بِصُدْغِ مُزْرَفِنِ الْحَلَقَاتِ!^(٦)
 مِنْ فَوْقِ حَدِّ أَسِيلِ يُضِيءُ فِي الظُّلُمَاتِ!^(٧)

(١) تاج الملوك بن أيوب: هو أبو سعيد يوري بن أيوب بن شاذي بن مروان، الملقب بمجد الدين، أخو السلطان صلاح الدين، وكان أصغر أولاد أبيه، له ديوان شعر فيه الغث والسمين...

«وفيات الأعيان ١/ ٢٩٠».

(٢) رنا: أدام النظر في سكون طرف.

(٣) الجيوب: جيب القميص: ما يدخل منه الرأس عند لبسه.

(٤) القبا: ثوب يلبس فوق الثياب، والطوق: ما يحيط بالعنق من الثوب أو القميص.

(٥) تردى: لبس، والغيب: شدة الظلام من الليل.

(٦) زها: افتخر، والمزرفن: شبيه بحلقة الباب، الزفين والزئين فارسي معرب، وقد زرفن صدغه:

كلمة مؤلدة «اللسان مادة زرفن».

(٧) الأسيل: الناعم الرقيق.

وقال كشاجم^(١): [من السريع]

مُغْتَدِلٌ مِنْ كُلِّ أَعْطَافِهِ! مُسْتَحْسَنُ الْإِقْبَالِ وَالْمُلْتَفَتِ!
لَوْ قِيسَتِ الدُّنْيَا وَلَذَّائِهَا بِسَاعَةٍ مِنْ وَصْلِهِ، مَا وَفَّتِ!
سُلِّطَتِ الْأَلْحَاطُ مِنْهُ عَلَى قَلْبِي؛ فَلَوْ أَوَدَّتْ بِهِ مَا أَشْتَفَّتِ!^(٢)
وَاسْتَعَذَّبْتُ رُوحِي هَوَاهُ فَمَا تَسْلُو وَلَا تَضْحُو، وَلَوْ أَتْلَفْتُ!

وقال فضل الرقاشي^(٣): [من البسيط]

وَشَاطِرٍ فَاتِكِ الشَّمَائِلِ قَدْ خَالَطَ مِنْهُ الْمُجُونُ تَخْنِيئًا^(٤)
تَرَاهُ طَوْرًا مَذْكَرًا؛ فَإِذَا عَاقَرَ رَاخًا، رَأَيْتَ تَأْنِيئًا^(٥)
أَلْفُحُ إِن قَلْتُ يَا فَدِيَتِكَ: قُلْ مُوسَى، يُقَلُّ مِنْ رُطُوبَةٍ: مُوثًا^(٦)
مَا زَالَ حَتَّى الصَّبَاحِ مَعْتَنِقِي مُطَارِحِي فِي الدُّجَى الْأَحَادِيثِ
وقال كشاجم: [من الوافر]

بَلِيْتُ بَوَجْدَيْنِ وَجَدِي بَظْنِي يَصُدُّ، وَمَا بِهِ إِلَّا لَجَاجُ^(٧)
وَعَذَّبْنِي قَضِيْبٌ فِي كَثِيْبٍ تَسَاوَى فِيهِ لَيْنٌ وَأَنْدِمَاجُ
أَغَارُ إِذَا دَنَتْ مِنْ فِيهِ كَاسٌ عَلَى دُرٍّ يُقَبِّلُهُ زُجَاجُ

(١) كشاجم: هو محمود بن الحسين، أبو الفتح، أديب شاعر، كان يعمل في بلاط سيف الدولة الحمداني، وله ديوان شعر، اهتم بنسخه ابن الرِّفَاء، وهو من أهل الرَّمْلَة بفلسطين، توفي سنة ٩٧٠ م. «فهرس الأعلام ١٦٧/٧».

(٢) أودت به: ذهب به إلى الهلاك.

(٣) فضل الرقاشي: هو الفضل بن عبد الصمد البصري، أبو العباس، شاعر مجيد من أهل البصرة، مدح الخلفاء وانقطع إلى البرامكة ورثاهم بعد نكبتهم، وكان متهتكًا خليعًا، توفي نحو سنة ٨١٥ م. «فهرس الأعلام ١٥٠/٥».

(٤) الشاطر: المتصف بالدهاء والحكمة، والشَّمَائِل: الطَّبَاع، والمجون: المزاح وقلة الحياء، والتخنيث: من الخنث: وهو من فيه لين النساء وتثنيهن.

(٥) عافر الراح: شرب الخمرة.

(٦) الألفح: من كان في لسانه لثغة، وهو أن يحول نطق الحرف إلى حرف آخر، كالشَّين يلفظها سِينًا.

(٧) كذا في الأصول، إلا أن صدر البيت مخالف للوزن الشعري، والذي هو في ديوان كشاجم: «بليت وليج بي وجد بظني» وهو الصواب، واللَّجَاج: التماذي في الخصومة.

وقال أيضًا: [من المديد]

يا لَقَوْمِي! مَنْ لِمُكْتَبٍ	دَفَعُهُ فِي الْحَدِّ مُنْسَفِحُ؟ ^(١)
لَا مَهَ الْعُدَّالِ فِي رَشَاٍ	عُذْرُهُ مِنْ مِثْلِهِ يَضِخُ ^(٢)
وَأَدْعُوا نُضْجِي! وَأَخَوْنَ مَا	كَانَ عُدَّالِي إِذَا نَصَّحُوا!
خَوْفُونِي مِنْ قَضِيحَتِهِ	لَيْتَهُ وَافَى وَأَقْتَضِخُ!
كَيْفَ يَسْلُو الْقَلْبُ عَنْ غُضْنٍ	عَلَّهُ مِنْ مَائِهِ الْمَرَحُ؟
ذَهَبِي الْحُسْنِ تَحَسَّبُ مِنْ	وَجَنَّتِيهِ النَّارُ تَقْتَدَحُ!
وَكأنَّ الشَّمْسَ نَيْطَ لَهَا	قَمَرٌ، يُمْنَاهُ وَالْقَدَحُ ^(٣)
صَدَّ أَنْ مَارَاحَتَهُ غَضْبًا!	مَا عَلَى الْأَحْبَابِ إِنْ مَزَّحُوا؟
وَهُوَ لَا يَدْرِي لِنَخْوَتِهِ	أَتَنَا فِي النُّومِ نَضْطَلِخُ!
ثُمَّ لَا أَنْسَى مَقَالَتَهُ	أَطْفَلِيٍّ وَمُقْتَرِحُ؟ ^(٤)

وقال تاج الملوك ابن أيوب: [من مخلع البسيط]

فَدَيْتُ وَجَهَ الْحَبِيبِ بَدْرًا!	وَالْبَدْرُ يُفْدِي، وَلَيْسَ يُفْدِي!
سَبَى فُؤَادِي بِلَيْلِ شَعِيرٍ	وَصُبْحَ وَجْهِ وَغُضْنٍ قَدْ
فِي قَمِيهِ عَنَبَرٌ مُدَافٍ	فِي قَهْوَةٍ خُولِطَتْ بِشَهْدِ ^(٥)
كَأَنَّمَا خَدُّهُ شَقِيقُ	نُقْطَ مِنْ خَالِهِ بِنْدُ ^(٦)
ظَبْيٍ مِنَ الثُّرُكْ ذُو دَلَالٍ	يَسْتَحْسِنُ الْجَوْرَ وَالتَّعْدِي
كَأَنَّهُ غُضْنُ خَيْرَ زَانٍ	إِذَا أَتَيْتَنِي أَوْ قَضِيبُ رَنْدٍ ^(٧)
يَحُلُّ فِي الْحُبِّ عَقْدَ صَبْرِي	إِنْ شَدَّ فِي الْخَضِرِ عَقْدَ بِنْدٍ ^(٨)

(١) يا لَقَوْمِي: الياء حرف نداء للاستغاثة، وتكون الَام بعد الاستغاثة مفتوحة كما هو الحال هنا، وبقولنا: يا لِلْحَاكِمِ الْعَادِلِ. والمنسفع: المصبوب.

(٢) الْعُدَّال: اللّائمين، والرشأ: الغزال، ويضخ: ينجلي ويظهر.

(٣) نيط لها: علق بها.

(٤) الطفيلي: المتطفل الذي يدخل دون دعوة، والمقترح: المبتدع دون أن يعلم الأمر من غيره، أي أنه يتدخل فيما لا يخصه دون علم.

(٥) المداف: المخلوط، والقهوة: الخمرة.

(٦) الشقيق: ورد الشقيق، والتد: عود يتبخّر به، والخال: شامة سوداء في الوجه أو في البدن.

(٧) الرند: شجر طيب الرائحة، والخيزران: شجر قضبان له تشبيهاً دون أن تنكسر.

(٨) البند: القيد.

وقال أبو نؤاس: [من المتقارب]

أَيَا مَنْ بِحُبِّي عَلَيَّ أَجْتَرِي؟ وَمَنْ بِلِسَانِي عَلَيَّ أَفْتَرِي؟
وَمَنْ بِيَدِي عَلَّانِي لِهَوَى أَمَّا وَالَّذِي جَعَلَ الْمُسْتَهَامَ
لَقَدْ ذَهَبَتْ مُهَجَّتِي بَاطِلًا صَدِيقَ الشَّهَادِ عَدُوَّ الْكَرَى! (١)
لَيْنَ مَثُ مِنْكَ عَلَيَّ مَا أَرَى!

وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

وَمُهَفِّهِ طَاوِي الْحَشَا وَمُهَفِّهِ طَاوِي الْحَشَا
مَلَأَ الْقُلُوبَ بِصُورَةٍ ثَلَيْتَ مَحَاسِنُهَا سُورًا
فَإِذَا رَنَّا وَإِذَا شَدَا وَإِذَا سَقَى وَإِذَا سَفَرُ (٢)
فَضَحَ الْغَزَالَةَ وَالْحَمَّ أَمَّةَ وَالْمُدَامَةَ وَالْقَمَرَ!

وقال آخر: [من الطويل]

إِذَا أَكْثَرَ الْوَاشُونَ فِينَا مَقَالَهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارٍ
وَشْتُوا عَلَى أَسْمَاعِنَا كُلِّ غَارَةٍ وَقَلَّتْ حُمَاتِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي
لَقِينَاهُمْ مِنْ مُقَلَّتَيْكَ وَأَدْمُعِي وَأَنْفَاسِنَا بِالسَّيْفِ وَالسَّيْلِ وَالنَّارِ

وقال آخر، من شعراء اليتيمة: [من مجزوء الكامل]

وَأَغْنِ أَغْيِدَ حُبِّهِ مَسْتَأْنِسٍ لِي، وَهُوَ نَافِز! (٤)
إِنْ قُلْتُ: رُزْنِي! قَالَ: نَمَّ فَالطَّيْفُ لَيْسَ يَزُورُ سَاهِزًا
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الرُّقَا دِ كَمَا رَسَمْتَ، وَأَنْتَ هَاجِرٌ؟
وَيَقُولُ لِي فِيمَا يَقُو لُ: نَعَمْ! وَمَا لِلْقَوْلِ آخِرُ!
حَتَّى أَشَاوِرَا! قُلْتُ: لَمْ يَكُنِّي هَوِيْتُ وَلَمْ أَشَاوِرَا!

(١) المستهَام: العاشق، والشَّهَاد: السهر، والكَرَى: النعاس والتَّوَم.

(٢) المَهْفَف: ضامر الخصر، وطَاوِي الحشا: ضامر البطن، والخنث: الذي يتمايل بِلِين ورَقَّة النساء، والمعاطف: من العطف: وهو جانب الإنسان من عنقه إلى عجزه.

(٣) رَنَّا: نظر، وسَفَر: كشف عن وجهه.

(٤) الْأَغْنُ: الذي في صوته غُتَّة، وهي صوت يخرج من اللِّهَاء والخيشوم، والأَغْيِد: الوسنان المائل العنق، أو المثنى في نعومة.

وقال تاج الملوك: [من السريع]

يا قمرًا أقبلَ يَسْعَى على دغصٍ من الأرداف مَهْزُوزًا^(١)
وَضْلُكَ، وا ويلي! على طيبه أَصْبَحَ ذا مَنعٍ وتَغْرِيزِ^(٢)
ما كَانَ إِلَّا بَيْضَةُ الدِّيكِ لي أو مَطْرَةٌ في شهر تُمُوزِ^(٣)

وقال أبو نُوَاس: [من السريع]

عَذَّبَنِي قَلْبِي بِمَنْ قَلْبُهُ لِلصَّبِّ مِثْلُ الحَجَرِ القَاسِي
أَحْوَرَ فَتَانٍ قَطُوفِ الخُطَا أَعْيَدَ مِثْلَ الغُضَنِ مَيَّاسِ^(٤)
أَبَيْتُ لَيْلِي وَنَهَارِي مَعَا مُعَلِّقًا مِنْهُ بوشُوسِ
إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَكْ لِي نَائِلٌ مِنْهُ لَأَرْجُوهُ عَلَى يَاسِ

وقال سيف الدين المشد: [من المتقارب]

إلى قَدْكَ اللَّذْنِ يُغْزَى الهَيْفُ! فما هَبَّتِ الرِّيحُ إِلَّا انْعَطَفَ!^(٥)
قَبَواً أَرَادَ قَضِيبُ الثُّقَا يُحَاكِه، لَمَّا أَتْنَى، فَانْقَصَفَ!^(٦)
فِيَا زَامِيَا قَدْ رَمَانِي هَوَاهُ بنار الأسى في بحار الأسف!
سِهَامُ جُفُونِكَ قَلْبِي غَدَا لَهَا غَرَضًا، وَضُلُوعِي هَذَفَ!^(٧)
وَأَوْرَدْتَنِي فِي الهَوَى مَوْرِدًا تَجَرَّعْتُ فِيهِ مَرِيرَ الثَّلَفِ^(٨)
وَأَعْرَضْتَ عَنِّي، وَلَا دَنْبَ لِي! فَكَمْ ذَا الدَّلَالِ! وَكَمْ ذَا الصَّلَفِ^(٩)
وَمُخْطَفُ خَضِرٍ عَلَى رِذْفِهِ فَكُلُّ فُؤَادٍ بِهِ مَخْطَفُ!^(١٠)

(١) الدغص: الكتيب من الرمل.

(٢) وا ويلي: الواو: خوف نداء مختص بباب الندبة، والويل: الهلاك.

(٣) بيضة الديك: تطلق على الأمر الذي لا يتم حصوله، أو لا يمكن تحقيقه.

(٤) الأحور: الأبيض، وقطوف الخطا: الذي في مسيره بقاء، والميَّاس: المتمايل والمختال.

(٥) اللون: الطري، ويعزي: ينسب، والهيف: الضمور.

(٦) الثقا: القطعة من الرمل محدودة. (٧) الغرض: الهدف.

(٨) المورد: مكان ورود الماء، تجرعت: شربت، والمرير: القاسي، والثلف: الهلاك.

(٩) الصلف: التكبر والغرور. (١٠) المخطف الخصر: الضامر.

وقال أبو القاسم العطار: [من البسيط]

وبي غزال، إذا صادفت غرته
كالبذر مكتملاً، كالظبي ملتفتاً
جئيت من وجنتيه روضة أنفاً^(١)
كالروض مُبتسماً، كالغصن منعطفاً^(٢)

وقال تاج الملوك: [من الرجز]

يا قمرًا في غصن من بانة
أصبح قلب المستهام مغرباً
أغيد، لا يقصد إلا تلفي!
ذكرني حسن ابتسام ثغرة الـ
وطالما ذكرني رضائه الـ
أغن، ما فوق سهم لحظه
حاجبه قوس ولحظ عينه
يميل عجباً في كتيب من نقا^(٣)
له، وأطواق القباء مشرقاً^(٤)
ولم يزل قلبي به معلقاً
واضح لَمَعَ البرق إذ تألقا
بارد صِرَفَ الراح إذ تعتقا^(٥)
إلا أصاب القلب لَمَّا فوقاً^(٦)
سهم، فما يخطي إذا ما رسقا

وقال أبو نؤاس: [من الخفيف]

جال ماء الشباب في خديكا
ورمى طرْفك المُكحل بالسُخ
أنا مستهتر بحبك صب
يا بديع الجمال والحسن والدل
بأبي أنت! لو بُليت بوجدي
أصبحت بالهوى سهام المنايا
وتلأل البهاء في عارضيكَا^(٧)
ر فؤادي فصار رهنًا لذيكَا
لست أشكو هَواك إلا إلكَا
حياتي وميتتي في يدكَا
لم يهن ما لقيت منك عليكا^(٨)
قاصدات إلي من عينيكَا!

(١) الغرة: الغفلة، والروضة الأنف: التي لم يُرعَ نبتها.

(٢) المنعطف: المتمایل.

(٣) البانة: شجرة لينة، وعجبا: حسناً، والكثيب: الرمل المستطيل المحدودب، تشبه به الأرداف، والتقا: القطعة من الرمل المحدودية.

(٤) أطواق القباء: الطوق: ما يحيط بالعنق، والقباء: ثوب يلبس فوق القميص.

(٥) الرضاب: الزيق، وصرف الراح: الخمرة الصافية الخالصة.

(٦) الأغن: الذي في صوته غنة، وفوق السهم: جعل له فوقاً، والفوف: هو موقع الوتر من رأس السهم.

(٧) العارض: صفحة الخد.

(٨) الوجد: شدة الحب.

وقال أيضًا: [من المجتث]

يَا مَنْ جَدَاهُ قَلِيلُ	وَمَنْ بَلَاهُ طَوِيلُ! ^(١)
وَمَنْ دَعَانِي إِلَيْهِ	طَرَفُ أَحْمُ كَحِيلُ ^(٢)
وَوَاضِحُ الثُّغْرِ يَخْكِي	مَزَاجُهُ الزُّنْجَبِيلُ ^(٣)
وَوَجَنَةٌ جَائِلُ مَا	وُهَا وَخَدُّ أُسَيْلُ ^(٤)
وَعُضْنُ بَانٍ تَثْنَى	قَدًّا، وَرِذْفُ ثَقِيلُ
وَيَجْمَعُ الْحَسَنَ فِيهِ	وَجَنَةٌ وَسَيْمٌ جَمِيلُ
فَكُلُّ نَاحِيَةٍ مِنْ	قَلْبِي إِلَيْهِ تَمِيلُ!

وقال الواواء الدمشقي: [من مجزوء الرجز]

رَمَاهُ رَيْمٌ فَأَصَا	بَ الْقَلْبَ مِنْهُ، إِذْ رَمَى ^(٥)
وَاخْتَجَّ فِي قَتْلَتِهِ	بِأَنَّهُ مَا عَلِمَا
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ! أَمَا	يُنْصِفُنِي مَنْ ظَلَمَا؟
عَلَّمَ سُقْمُ طَرْفِهِ	جِسْمِي مِنْهُ سَقَمَا
فَسُقْمُ جِسْمِي فِي الْهَوَى	مِنْ طَرْفِهِ تَعَلَّمَا
لَوْ قِيلَ لِي: مَا تَشْتَهِي؟	مَخَيَّرًا مَحْكُمَا
لَقُلْتُ أَنْ أَلْثَمَهُ	نَحْرًا وَوَجْهًا وَقَمَا!

وقال الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور: [من مجزوء الكامل]

أَخَوَى النَوَاطِرِ، أَلْعَسُ الشَّدَّ	فَتَيْنِ، عَذْبُ الرِّيقِ، أَلْمَى! ^(٦)
لَوْ زَارَنِي طَيْفٌ لَهُ	عِنْدَ الْهُجُوعِ وَلَوْ أَلَمَّا ^(٧)
لَأَفَادَ رُوحًا أَوْ لَفَـ	رَجَّ مِنْ هُمُومِ النَّفْسِ هَمًّا!

(٢) الأحم: الذي اسود.

(١) جداه: عطاؤه.

(٣) الواضح: الأبيض، والزنجبيل: نبات من الفصيلة الزنجبالية، له عروق في الأرض حريقة الطعم، والزنجبيل: الخمر.

(٤) جائل: طائف، والأسيل: الأملس الناعم. (٥) الرّيم: الظبي الخالص البياض.

(٦) الأخوى: من كان به حوة، وهي لونٌ صَدَأَ الحديد، واللّمس: سواد مستحسن في باطنه الشفة، والألمى: الذي شفته سمرة مستحسنة.

(٧) الهجوع: الرقاد، وألم به: أتى ولم يُقِم.

وقال آخر: [من الطويل]

وأهيفَ، مهزوزِ القَوَامِ إذا انثنى
وبغِرَ كما يبدو لك الصُّبْحُ باسمِ
مليح الرِّضا والسُّخْطِ، تلقاه عاتياً
ومما شَجَّاني أُنْبي يومَ بَيْنِهِمِ
وَحَمَلْتُ أَثْقَالَ الجَوَى غيرَ حَامِلٍ
وأبرحُ ما لاقَيْتُهُ أَنْ مُثْلِفِي
ولو كنتُ مذ بانُوا سَهْرَتْ لسايرِ

وقال أبو نَواس: [من المنسرح]

يا ريمُ هات الدَّوَاةَ والقَلَمَا
عُضْبَانُ قد غَرَّني رِضاهُ وَلَوْ
فَلَيْسَ يَنْفَكُ مِنْهُ عاشِقُهُ
أَظْلُ يَقْظَانُ في تَذْكَرِهِ
لو نَظَرْتُ عَيْنُهُ إلى حَجَرٍ

وقال سيف الدين المشد: [من مخلَع البسيط]

وبِبي رَشِيقُ القَوَامِ لَدُنْ
ما نَظَرْتُهُ العِیُونَ إِلَّا
قَابِلَ بالكأسِ وَجَنَّتِيهِ
وَرَيَّيْتُ كَفَّهُ الحُمَيَّا!
لَقَدْهُ يُنْسَبُ الرُّدَيْنِي! (٥)
فَدَثْنُهُ مِنْ نَظْرَةٍ وَعَيْنٍ!
فَحُفَّ نَجْمٌ بَنِيْرَيْنِ (٦)
ما أَحْسَنَ التَّبَرَّ في اللَّجَيْنِ! (٧)

(١) الأهيف: الضامر الخصر.

(٢) البرح: العذاب والألم، والمتلف: المهلك. (٣) بانوا: فارقوا وهجروا.

(٤) اجترم: ارتكب الجرم والدُّنْب.

(٥) اللدن: الطري، والرديني: الرَّمح، ينسب إلى رديته، امرأة كانت تقوم الرَّماح.

(٦) حف: أحيط.

(٧) الحميا: الخمرة، والتبر: قراضة الذهب، واللجين: الفضة.

وقال كُشَاجِم: [من الكامل]

بِاللهِ يَا مُتَفَرِّدًا فِي حُسْنِهِ وَمُقَلَّبًا هَارُوتَ بَيْنَ مَحَاجِرِهِ! ^(١)
وَمُحَكَّمًا أَرْدَافَهُ فِي خَضَرِهِ وَمُصَافِحًا خَلْخَالَهُ بِضَفَائِرِهِ!
لَا تَغْضِبَنَّ عَلَى فَتَى يَرْضَى بِمَا أَوْلَيْتَهُ، وَلَوْ انْتَعَلَتْ بِنَاطِرِهِ ^(٢)
وَيُكَاتِمُ الْأَسْرَارَ حَتَّى إِنَّهُ لَيَصُونُهَا عَنْ أَنْ تَمُرَّ بِخَاطِرِهِ

وقال أبو تمام الطائي: [من مجزوء الوافر]

لَهَا، وَأَعَارِنِي وَلَهَا! وَأَبْصَرَ ذِلَّتِي فَرْهًا! ^(٣)
لَهُ وَجْهٌ يَعِزُّ بِهِ وَلِي خُرْقٌ أَذِلُّ بِهَا!
دَقِيقٌ مُحَاسِنٌ، وَصِلْتُ مَحَاسِنُ وَجَنَّتِيهِ بِهَا
أَلَا حِظُّ حَسَنٍ وَجَنَّتِيهِ فَتَجَرَّحُنِي وَأَجْرَحُهَا

وقال أيضًا: [من البسيط]

نَشَرْتُ فِيكَ رَسِيْسًا كُنْتُ أَطْوِيهِ! وَأَظْهَرْتُ لَوَعَتِي مَا كُنْتُ أَخْفِيهِ! ^(٤)
إِنْ كَانَ وَجْهُكَ لِي تَثْرَى مُحَاسِنُهُ فَإِنَّ فِعْلَكَ لِي تَثْرَى مَسَاوِيهِ ^(٥)
مُرْتَجَّةٌ فِي تَهَادِيهِ أَسَافِلُهُ مَهْتَزَّةٌ فِي تَنْنِيهِ أَعَالِيهِ! ^(٦)
تَاهَتْ عَلَى صُورِ الْأَشْيَاءِ صُورَتُهُ حَتَّى إِذَا كَمَلْتُ، تَاهَتْ عَلَى التَّيِّهِ! ^(٧)

وقال المخزومي^(٨): [من السريع]

أَيُّ مُجِبٍّ فِيكَ لَمْ أَخْكِهِ؟ وَأَيُّ لَيْلٍ فِيكَ لَمْ أَبْكِهِ؟
إِنْ كَانَ لَا يُزْضِيكَ إِلَّا دَمِي فَقَدْ أَذِنَّا لَكَ فِي سَفْكِهِ!

(١) هاروت: رفيق ماروت، ملكان هبطا بباطل، فعلمنا الناس السحر، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، «انظر سورة البقرة الآية ١٠٢».

(٢) انتعل: لبس النعل.

(٣) لها: من اللهو، والوله: شدة الوجد، وزها: سرُ وانتشى.

(٤) الرسيس: الثابت من الحب. (٥) تثرى: متابعة.

(٦) تهاديه: مشيه ببطء، يريد أن أردافه تهتز وترتج عند مسيره.

(٧) تاهت: تباغت وافتخرت، والتية: التكبر.

(٨) هو علي بن محمد بن سلمة بن حريق، أبو الحسن، البلنسي المخزومي، شاعر كان عالمًا بالأدب، له ديوان شعر في جزأين، وشرح مقصورة ابن دريد، توفي سنة ١٢٢٥ م. «فهرس الأعلام ٣٣١/٤».

وقال أبو نُوَاس: [من المجتث]

يا قَابِرِي بِمَلَالَةٍ	ودامِرِي بِمِطَالَةٍ ^(١)
ويا مُبَدِّلَ لَيْلِي	قِصَارِهِ بِطَوَالَةٍ!
أَعُوذُ مِنْكَ بِوَجْهِ	بَذْرِ الدُّجَى فِي مِثَالَةٍ
لَكُنَّه مِنْهُ أَخْلَى	لِحُسْنِ مَوْضِعِ خَالَةٍ ^(٢)
هَلَّا رَجِمْتَ صَرِيحًا	تَحْتَ الرَّدَى وَطِلَالَةٍ؟ ^(٣)
مَنْ لَا يُرَى مِنْهُ فَوْقَ الدِّ	فِرَاشِ غَيْرِ خِيَالَةٍ
مِثْلَ الْخِلَالِ نَحِيلًا	يَخْفَى عَلَى عُذَالَةٍ ^(٤)
فَمَنْ بَغَى لَكَ سُوءًا	فَكَانَ فِي مِثْلِ حَالَةٍ

وقال محمد بن عبد الله السلامي^(٥)، شاعر اليتيمة: [من المتقارب]

وَمُخْتَصِرِ الْخَضِرِ، مِنْ بُعْدِهِ	هَرَبْتُ فَأَلْقَيْتُ فِي صَدِّهِ!
وَقَابِلِنِي وَجْهَهُ مُقْبِلًا	بَحْدِ الْحُسَامِ وَإِفْرِنْدِهِ ^(٦)
فَمَا زِلْتُ أَغْصِرُ مِنْ خَمْرِهِ	وَأَقْطُفُ مِنْ مُجْتَنِي وَزْدِهِ
وَأَظْمَأُ فَأَرْشِفُ مِنْ رِيْقِهِ!	فِيَا حَرَّ صَدْرِي مِنْ بَرْدِهِ!

وقال أبو هلال العسكري: [من السريع]

أَقُولُ لَمَّا لَاحَ مِنْ خِذْرِهِ	وَاللَّيْلُ يُرْخِي الْفَضْلَ مِنْ سِثْرِهِ ^(٧)
أُبْذِرُهُ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ	أَمْ وَجْهَهُ أَحْسَنُ مِنْ بَدْرِهِ؟
قَدْ مَالَتِ الرَّقَّةُ فِي شَطْرِهِ	وَمَالَتِ الْغِلْظَةُ فِي شَطْرِهِ ^(٨)

(١) الملal: الثقلب والتغير، والسأم، والمطال: عدم الوفاء بالوعد.

(٢) الخال: بثرة سوداء في الوجه أو الجسد.

(٣) الردى: الموت، وطلاله: ما شخص من آثاره.

(٤) الخلال: العود الذي يُتخلل به.

(٥) هو محمد بن عبد الله السلامي، أبو الحسن، من أشعر أهل العراق، قولاً بالإطلاق، وشهادة بالاستحقاق، ولد في كرخ بغداد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ونسبته في بني مخزوم بن لؤي بن غالب، قال الشعر وهو ابن عشر سنين. «اليتيمة ٤٦٧/٢».

(٦) الإفرند: ما يلعب في صفحة السيف من أثر تموج الضوء.

(٧) الخدر: الستار الذي يستره، يرخي الفضل: يزداد ظلامه شيئاً فشيئاً.

(٨) الرقة والغلظة: يريد نحافة خصره، وغلظة أراففه.

فَأُزِرُّهُ غَصَّتْ بِأُزْدَافِهِ وَوُشِحُهُ جَالَتْ عَلَى خَضَرِهِ^(١)
 أَصْبَحْتُ لَا أَذْرِي - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ أَنَا لَمْ أَذْرِهِ -
 أَشْغَرُهُ أَحْسَنُ مِنْ قَدِّهِ؟ أَمْ قَدُّهُ أَحْسَنُ مِنْ شَغَرِهِ؟
 وَذُرُّهُ يُؤْخَذُ مِنْ لَفْظِهِ أَمْ لَفْظُهُ يُؤْخَذُ مِنْ ذُرِّهِ؟
 وَتَغْرُهُ يَنْظَمُ مِنْ عِقْدِهِ أَمْ عِقْدُهُ يَنْظَمُ مِنْ تَغْرِهِ؟
 فَمَنْ عَذِيرُ الصَّبِّ مِنْ صَدِّهِ؟ وَمَنْ مُجِيرُ الْقَلْبِ مِنْ هَجْرِهِ؟^(٢)
 يَا لَيْتَهُ يَغْرِفُ حُبِّي لَهُ! عَسَاهُ يَجْزِينِي عَلَى قَبْرِهِ!

وقال تاج الملوك بن أيوب: [من المديد]

يَا هِلَالًا لَاحَ فِي غُصْنٍ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بَطْلَعَتِهِ!
 وَغَزَالًا طَالَمَا خَضَعَ الْأَسَدُ الضَّارِي لَهَيْبَتِهِ!
 مَا رَنَّا إِلَّا وَجَرَّدَ لِي صَارِمًا مِنْ لَحْظِ مُقْلَتِهِ^(٣)
 صِلَ عَلِيًّا، أَنْتَ أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ بِعِلَّتِهِ^(٤)
 قَدْ أَطَالَتْ مُقْلَتَاكَ بِلَا سَبَبٍ تَغْذِيبُ مُهْجَتِهِ
 كُلَّمَا لَجَّتْ عَوَازِلُهُ أَجْجَتْ نِيرَانُ لَوْعَتِهِ
 فَاتُّيْدُ مِنْ طُولِ عَذْلِكَ لِي يَا عَذُولِي فِي مَحَبَّتِهِ!^(٥)
 مِنْ بَنِي الْأَثَرِ الْكُفَّيْ قَدْ تَمَادَى فِي قَطِيعَتِهِ
 لَيْسَ يَشْفِي الْقَلْبَ مِنْ ظَمَا غَيْرُ رَشْفِي رَاحَ رِيقَتِهِ!^(٦)
 لَا، وَلَا يُطْفِئُ لَظِي كَبِيدِي غَيْرُ تَقْبِيلِي لَوْجَتَتِهِ!
 لَيْتَ أَنْ الدَّهْرَ مَكَّنَّنِي بِيَدِي مِنْ حَلِّ تَكَّتِهِ!^(٧)

(١) الأزر: الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن، والوشاح: ما يتشح به في النصف الأعلى من لباس.

(٢) الصب: العاشق.

(٣) رنا: أدام النظر، والصارم: السيف القاطع.

(٤) صيل: فعل أمر من وصل، والوصل: اللقاء.

(٥) اتند: فعل أمر من اتند: أي تمهل وترقق.

(٦) الرشف: التقبيل واحتساء خمرة الريق من العاشق.

(٧) التكة: ما يربط به السروال.

وقال آخر: [من الكامل]

وْمُهْفَهْفٍ! عَنِّي يَمِيلُ وَلَمْ يَمِيلْ يَوْمًا إِلَيَّ، فَقُلْتُ مِنْ أَلَمِ الْجَوَى^(١)
لَمْ لَا تَمِيلُ إِلَيَّ، يَا غُضْنَ الثَّقَا؟ فَأَجَابَ: كَيْفَ، وَأَنْتَ مِنْ جِهَةِ الْهَوَى؟

وقال ابن منير الطرابلسي^(٢): [من البسيط]

مَنْ رَكَّبَ الْبَدْرَ فِي صَدْرِ الرُّدَيْنِي وَمَوَّ السُّخَرِ فِي حَدِّ الْيَمَانِي^(٣)؟
وَأَنْزَلَ النَّيِّرَ الْأَعْلَى إِلَى فَلَكٍ مَدَّاهُ فِي الْقَبَاءِ الْخُسْرُوَانِي^(٤)؟
طَرَفَ رَنَا أَمْ قِرَابَ سُلٍّ صَارِمَةٍ؟ وَأَغْيَدَ مَاسَ أَمْ أَغْطَافَ خَطِي^(٥)؟
وَبَرَقَ غَادِيَةً أَمْ بَزَقَ مُبْتَسِمٍ يَفْتَرُّ مِنْ خِلَلِ الصُّدُغِ الدُّجُوجِي^(٦)؟
وَيَلَاهُ، مِنْ فَارِسِي النَّحْرِ مُفْتَرِسٍ بَفَاتِرِ أَسَدِي الْفَثِكِ رِيْمِي^(٧)؟
يُكِنُّ نَاطِرُهُ مَا فِي كِنَائَتِهِ! فَلَيْسَ يَنْقُكُ مِنْ إِقْصَادِ مَزْمِي^(٨)؟
أَذْلَنِي بَعْدَ عِزٍّ؛ وَالْهَوَى أَبَدًا يَسْتَعِيدُ اللَّيْثَ لِلظُّبْيِ الْكِنَاسِي^(٩)؟
مَامَانَ مَانِي، لَوْلَا لَيْلٌ عَارِضِهِ مَا شَدَّ خَيْلَ الْمَنَايِ بِالْأَمَانِي^(١٠)؟
تَكْتَفُفُ الْحَسَنُ مِنْهُ وَجْهٌ مُشْتَمِلٍ نَقَارَ أَخَوَرٍ فِي تَأْنِيهِ حُورِي^(١١)

(١) المهفهف: الضامر البطن والخصر، والجوى: شدة العشق.

(٢) ابن منير الطرابلسي: هو أحمد بن منير، أبو الحسين، مهذب الدين، شاعر مشهور من أهل طرابلس الشام، كان هجاءً مرًا، هم صاحب دمشق أن يقطع لسانه، لكنه اكتفى بنفيه، فرحل إلى حلب ومات فيها سنة ١١٥٣ م، له ديوان شعر مطبوع. «فهرس الأعلام ١/ ١٦٠»، وانظر: «وفيات الأعيان ١/ ١٥٦».

(٣) الرديني: الرَّمح، واليماني: السيف.

(٤) النير: الكوكب المضيء، والقباء: الثوب، والخسرواني: المنسوب إلى خسروان، وربما يريد: فارس.

(٥) الطرف: يريد العين أو النظر، ورنا: أدام النظر، والقرباب: غمد السيف، وماس: تمايل وازدهى، والخطي: الرَّمح.

(٦) الغاوية: السحابة، ويفتر: يبرق ويتكشف، والدجوجي: من الدجج، أي الليل.

(٧) النحر: أعلى الصدر وموضع القلادة منه، والفاتر: الضعيف، ويقصد: العيون، والزيم: الظبي الخالص البياض.

(٨) يكن: يستر ويخفي، والكنانة: جعبة السهام، والإقصاد: الإصابة القاتلة.

(٩) الليث: الأسد، والكناس: وكر الظبي.

(١٠) ماني: يريد ماني صاحب المذهب المنسوب إليه، والقائل بالتور والظلام.

(١١) تكتفف الحسن: أحاط به، والأحور: الذي في عينه شدة بياض وشدة سواد معًا، والحوري: من النساء البيضاء.

أَمَا وَذَائِبِ مِسْكَ مِنْ ذَوَائِبِهِ
لَوْ قِيلَ لِلْبَذْرِ: مَنْ فِي الْأَرْضِ تَحْسُدُهُ؟
أَرَبَى عَلَيَّ بِشَتَّى مِنْ مَحَاسِنِهِ
إِبَاءُ فَارِسَ مَعَ لَيْنِ الشَّامِ مَعَ الظِّ
وَمَا الْمُدَامَةُ بِالْأَلْبَابِ أَلْعَبُ مِنْ
أَشْبَهُهُ بِبَعَادِي، ثُمَّ كَانَ لَهُ
مَنْ أَيْنَ لِي لَهَبٌ يَجْرِي عَلَى ذَهَبٍ
وَرَوْضَةٌ لَمْ تَحْكُهَا كَفٌّ سَارِيَةٍ
يَحْفُفُهَا سَوْسَنٌ غَضٌّ يُغَازِلُهُ
مَنْ مُنْقِذِي أَوْ مُجِيرِي مَنْ هَوَى رَشِي
لَا يَغْشَقُ الذَّهْرَ إِلَّا ذِكْرَ مَعْرَكَةٍ
وَلَا يُحَدِّثُ إِلَّا عَنْ رَبَابَتِهِ
وَالصَّافِنَاتُ وَلُبْسُ الضَّافِيَاتِ وَشُرُ
أَشْهَى إِلَيْهِ مِنَ الدُّوْحِ الظُّلِيلِ عَلَى الرُّ
شَدَّ الْجِيَادِ لِأَيَّامِ الْجِلَادِ وَإِر
وَحَثَّ بَارِزٍ عَلَى نَأْيٍ وَحَمَلَ قَطَا

(١) أَرَبَى: زَادَ، وَشَتَّى: مَتَفَرِّقَةٌ.

(٢) تَحْكُهَا: تَنْبِتُ نَبْتَهَا، وَالسَّارِيَةُ: السَّحَابَةُ الْمَمْطَرَةُ، وَالْوَسْمَى: مَطَرُ الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ.

(٣) النَّطَافُ: مَفْرَدُهَا النَّطْفَةُ، وَهِيَ الْقَطْرَةُ أَوْ الْمَاءُ الصَّافِي، وَالْمَوْلَى: الْمَتَابَعُ مِنَ الْمَطَرِ، أَوْ الْمَطَرُ الرَّبِيعِيُّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَ الْمَطَرِ الْأَوَّلِ.

(٤) الرِّشَاءُ: الْغَزَالُ، وَعَمْرُو بْنُ مَعْدِي: هُوَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرْبَ، فَارِسِي عَرَبِيٍّ مَشْهُورٍ، أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ وَغَزَا، تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ.

(٥) رَبَابَتُهُ: أَيُّ تَرْبِيَّتِهِ وَعِنَاتِهِ، الْعَوَالِي: الرِّمَاحُ، وَالْإِبِلُ الْمَهْرِيَّةُ وَهِيَ إِبِلٌ أَصِيلَةٌ تَسْبِقُ الْخَيْلَ، مَنْسُوبَةٌ لِقَبِيلَةِ مَهْرَةَ بْنِ حِيدَانَ.

(٦) الصَّافِنَاتُ: مَفْرَدُهَا الصَّافِنُ، وَهُوَ مِنَ الْخَيْلِ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالضَّافِيَاتُ: الثِّيَابُ الْوَاسِعَةُ.

(٧) الْقَمَارِي: مَفْرَدُهَا الْقَمَرِيُّ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْخَمَامِ مَطُوقٌ، صَوْتُهُ حَسَنٌ.

(٨) الصُّعَادُ: الرِّمَاحُ، وَالْأَنَاسِي: النَّاسُ.

(٩) الْقَطَامِيُّ: الصَّقَرُ، وَالْكَدَرِيُّ: الْقَطَا الَّذِي فِي لَوْنِهِ كَدَرَةٌ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ يَشْبَهُ الْحَمَامَ، وَيَقِيمُ فِي الصَّحَرَاءِ.

- في غَلْمَةٍ كَغُصُونِ البَانِ يَحْمِلُهَا
يَمْشُونَ فِي الْوُشْيِ أَسْرَابًا، فَتَحْسِبُهُمْ
وَالسَّاحِرُ السَّاحِرُ الْغَرَّازُ بَيْنَهُمْ
مُهْفَهْفُ الْقَدِّ، سَهْلُ الْخَدِّ، أَغْرَبُ فِي الْـ
يُلْهِمِهِ عَنْ كُتُبٍ تُرَوَّى وَنُصْرَتِهِ
عُوجُ الْقَيْسِيِّ وَقُبُّ الْأَعُوجِيَّةِ وَالشُّهـ
وَالشُّعْرِ فِي الشُّعْرِ الدَّاجِي عَلَى الْغَنَجِ السَّـ
فَلَوْ بَصُرْتَ بِهِ يَضْغِي وَأَنْشِدُهُ
أَوْ صَائِدُ الْإِنْسِ قَدْ أَلْقَى حَبَائِلَهُ
أَغْرَاهُ بِي بَعْدَ مَا جَدَّ النُّفَارُ بِهِ
فَصَارَ أَطْوَعَ لِي مِنْهُ لِمُقْلَتِهِ
- كُتْبَانُ بُرْدٍ عَلَى غَادَاتٍ بَرْدِي^(١)
رَوْضَ الرَّبِيعِ عَلَى بَيْضِ الْأَدَاجِيِّ^(٢)
كَالشَّمْسِ تَكْشِفُ أَنْوَارَ الدَّرَارِيِّ^(٣)
جَمَالٍ مِنْ لُثْغَةٍ فِي لَفْظِ نَجْدِي^(٤)
لِشَافِعِيٍّ فَقِيهِ أَوْ حَنِيفِيٍّ
بُ الِهْمَالِيَجُ تُزْبِي فِي الْأَوَارِيِّ^(٥)
أَجِي يُلَيِّنُ مِنْهُ قَلْبَ حَوْشِيٍّ^(٦)
قَلَّتِ التُّوَاسِي يَشْجُو قَلْبَ عُذْرِيٍّ^(٧)
لَيْلًا فَأَوْقَعَ فِيهَا صَيْدَ وَخْشِيٍّ^(٨)
شَذُو الْقَرِيضِ وَالْحَانُ السُّرَيْجِيٍّ^(٩)
وَصَرْتُ أَعْرَفُ فِيهِ بِالْعَزِيزِيِّ



- (١) الغادات: مفردها غادة، وهي الفتاة الحسناء الشابة، والبردي: نباتٌ ماعى صنع منه المصريون القدماء ورق البردي.
- (٢) الوشي: الأثواب الموشاة المطرزة، والأسراب: الجماعات، والأداجي: مفردها الأدحية: أي النعامة.
- (٣) الدَّراري: مفردها الدرّي: الكوكب المتلألئ المضيء.
- (٤) اللُثْغَة: رطنة في اللسان، تلفظ الحرف مكان حرف آخر، كالسين تلفظ شيئًا، والنجدى: نسبة إلى نجد.
- (٥) القَب: الضامرة، والأعوجية: يريد البطون التي تلي ضلوع الصدر، والهماليج: الحسنه السير، والأواري: حرّ الشمس وشدة الّهب.
- (٦) الداجي: الأسود، والساجي: الهادئ الساكن، والحوشي: الرجل الذي يكاد يخالط الناس «الوحشي».
- (٧) التّوَاسِي: يريد «أبا نواس» الحسن بن هانئ، شاعر الخمره والغزل في العصر العباسي، ويشجو: يستميل.
- (٨) الحبال: الشباك.
- (٩) القريض: الشعر، والسُرَيْجِي: نسبة إلى ابن سُرَيْج عبید الله، أبو يحيى، من أشهر المغنّين في صدر الإسلام، من أهل مكّة، وأوّل من ضرب على العود بالغناء العربي، توفي سنة ٧١٦ م. «فهرس الأعلام ١٩٤/٤».

ومما قيل في المؤنث، قال ابن الرومي: [من الوافر]

مُحَقَّقَةٌ مُثْقَلَةٌ، تَرَاهَا كَأَنَّ لَمْ يَغْدُ نِصْفَيَهَا غِذَاءُ! ^(١)
 إِذَا الْإِغْبَابُ جَدَّدَ حُبْنَ شَيْءٍ مِنْ الْأَشْيَاءِ، جَدَّدَهَا الْقَاءُ ^(٢)
 لَهَا رَيْقٌ تَشِفُّ لَهُ الثَّنَايَا وَيَزَوِي عَنْهُ - لَا مِنْهُ - الظَّمَاءُ
 وَأَنْفَاسٌ كَأَنْفَاسِ الْخُزَامَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ، بَلَّثَهَا السَّمَاءُ! ^(٣)
 تَنْفَسَ نَشْرُهَا سَحَرًا، فَجَاءَتْ بِهِ سَحَرِيَّةَ الْمَسْرَى رُخَاءُ! ^(٤)

وقال أبو نُوَاسٍ: [من المديد]

مَا هَوَى إِلَّا لَهُ سَبَبٌ يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ
 فَتَنَّتْ قَلْبِي مُحَجَّبَةٌ وَجْهَهَا بِالْحُسْنِ مَنْتَقِبُ ^(٥)
 خُلِيتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
 فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَاسْتَزَادَتْ بَعْضَ مَا تَهَبُ
 صَارَ جِدًّا مَا مَزَّخَتْ بِهِ رَبُّ جَدِّ سَاقِهِ اللَّعِبُ!

وقال أيضًا: [من السريع]

يَا قَمَرًا، أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمٍ يَنْدُبُ شَجَوًا بَيْنَ أَثْرَابِ! ^(٦)
 يَنْبِكِي فَيُذِرِي الدَّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُثَابِ
 أَبْرَزَهُ الْمَأْتَمُ لِي كَارِهَا بَرَّغَمَ دَائِيَّاتٍ وَحُجَابِ! ^(٧)
 لَا تَبْكُ مَيِّتًا حَلَّ فِي رَمْسِهِ وَأَبْكُ قَتِيلًا لَكَ بِالْبَابِ! ^(٨)

(١) لم يعد: لم يتجاوز.

(٢) الإغباب: الزيارة بين الفينة والفينة.

(٣) الخزامى: جنس نبات من الفصيلة الشفوية، أنواعه عطره واحده خزاماة.

(٤) النشر: الطيب، رخاء: أي الريح الهادئة «النسيم».

(٥) المنتقب: التي تلبس الثقاب، وهو القناع.

(٦) الشجوة: الحزن، والأثراب: مفردا «ترب» وهو المماثل في السن.

(٧) الدائيات: مفردا داية، وهي الحاضنة والقابلة.

(٨) الرمس: القبر.

وقال سيف الدين المشد: [من مجزوء الكامل]

وبمُهَجَّتِي! مَنْ لَوْ بَدَتْ للشَّمْسِ مِنْ تَحْتِ الثُّقَابِ
سَتَرْتُ مَحَاسِينَ وَجْهِهَا خَجَلًا، وَلَاذْتُ بِالسَّحَابِ! (١)

وقال القاضي أبو علي التَّنُوخِي، شاعر اليتيمة (٢): [من الطويل]

أَقُولُ لَهَا وَالْحَيِّ قَدْ قَطِئُوا بَنَا وَمَا لِي عَنْ أَيْدِي الْمَثُونِ بَرَاخُ (٣)
لَمَّا سَاءَنِي أَنْ وَشَحَنِي سُيُوفُهُمْ وَإِنِّي لَكُمْ دُونَ الْوِشَاحِ وَشَاخُ (٤)

وقال عمارة اليماني (٥): [من السريع]

طَرَفْتُهَا، وَاللَّيْلُ وَخَفُ الْجَنَاحِ وَمَا تَلَبَّسْتُ بِثُوبِ الْجَنَاحِ (٦)
فِي لَيْلَةٍ بَاتَ زَجَادِي بِهَا ذَوَائِبًا يَخْفِقْنَ فَوْقَ الْوِشَاحِ (٧)
وَالْحَسَنُ قَدْ أَلَفَ أَشْتَاتَهُ غُضُنٌ تَشْنَى فَوْقَ رِذْفِ رَدَاخِ (٨)
نَامَ رَقِيبُ الصُّبْحِ عَنْ لَيْلَتِي وَبَاتَ لِي كُلُّ مَصُونٍ مُبَاخِ!
أَجْمَعُ مِنْ خَدٍّ وَمِنْ مَبْسِمٍ بِخُمْرَةِ الْوَرْدِ بَيَاضَ الْأَقَاخِ (٩)
حَصَلْتُ مِنْ رِيقٍ وَمِنْ مَنَاطِقِ عَلَى اقْتِرَاحٍ وَنَمِيرٍ قَرَاخِ (١٠)

(١) لاذت: احتمت، والسحاب: الغيوم التي تحجب الشمس إذا ظهرت في السماء.

(٢) القاضي التَّنُوخِي: هو علي بن محمد بن داود بن فهم التَّنُوخِي، أبو القاسم، من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم وحسن الشيم، تقلد قضاء البصرة والأهواز، ورد سيف الدولة فأكرمه وأحسن مثواه. «انظر اليتيمة ٣٩٣/٢».

(٣) البراح: المتسع من الأرض.

(٤) وشحته السيوف: أحاطت به أو نالت منه، والوشاح: نسيج عريض يرضع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها.

(٥) هو عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي اليماني، أبو محمد، نجم الدين، شاعر معروف، قيل: إن وطنه اليمن من مدينة يقال لها ورتان. «وفيات الأعيان ٤٣٢/٣».

(٦) طرفتها: أتيتها ليلاً، والوحف: المظلم، والجناح: الإثم.

(٧) التجاد: حماثل السيف.

(٨) ألف أشباته: نَظَمَ ما كان متفرقاً منه، والرَدَاخ: الضخمة، ورف رداخ: أي ضخم.

(٩) الأقاخ: مفردة أفعوانة: وهي نبت زهره أصفر وأبيض ورقه، كأسنان المنشار.

(١٠) الاقتراح: الرأي، والتَمِير: العذب الطيب من الريق والماء.

تَرْنَحْتُ مِنْ نَشَوَاتِ الصُّبَا فَبِتُّ مَسْرُورًا بِنَشْوَانِ صَاخٍ^(١)
 وَفَاحٍ مِنْ نَشْرِ الصُّبَا عَنَبَرُ أَخْرَقَهُ الْفَجْرُ بِجَمْرِ الصَّبَاخِ!^(٢)
 وقال أبو نُوَاسٍ: [من المجتث]

وَذَاتِ خَدٍّ مُوَرَّدٍ قُوْهِيَّةٍ الْمَتَجَرَّدِ^(٣)
 تَأْمُلُ الْعَيْنُ مِنْهَا مُحَاسِنًا لَيْسَ تَنْقُذُ
 فَالْحُسْنَ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا مُعَادٌ مُرَدَّدُ
 فَبَعْضُهُ فِي انْتِهَاءٍ وَبَعْضُهُ يَتَوَلَّدُ
 وَكُلَّمَا عُذْتُ فِيهِ يَكُونُ لِي الْعُودُ أَحْمَدًا!

وقال علي بن عبد الرحمن بن المنجم^(٤): [من السريع]

شَبَّهْتُهَا بِالْبَدْرِ فَاسْتَضَحَكَتْ وَقَابَلْتُ قَوْلِي بِالنُّكْرِ
 وَسَقَّهْتُ قَوْلِي وَقَالَتْ: مَتَى سَمَّجْتُ حَتَّى صِرْتُ كَالْبَدْرِ^(٥)
 الْبَدْرُ لَا يَرْتُو بِعَيْنٍ كَمَا أَرْتُو، وَلَا يَنْسِيمُ عَنْ ثَغْرِ^(٦)
 وَلَا يُمِيطُ الْمِرْطَ عَنْ نَاهِدٍ وَلَا يَشُدُّ الْعَقْدَ فِي نَحْرِ^(٧)
 مَنْ قَاسَ بِالْبَدْرِ صِفَاتِي، فَلَا زَالَ أَسِيرًا فِي يَدَيَّ هَجْرِي!

وقال العماد الأصفهاني: [من مخلَع البسيط]

لُئِنَّ الْأَهْلَةَ بِالْمَعَاجِزِ وَكَحَلَنَ بِالسُّقْمِ الْمَحَاجِزِ^(٨)
 وَنَظَرُنْ عَنْ حَدَقِي حَجَزِ نَ بِهَا عَلَى آرَامِ حَاجِزِ^(٩)

(١) تَرْنَحْتُ: تمايلت نشوة.

(٢) نَشْرُ الصُّبَا: ريح طيبة باردة، والعنبر: عودٌ يَتَبَخَّرُ به طيب الرائحة.

(٣) القُوْهِيَّة: ضربٌ من الثياب بيض، أي أنها يبيضاء البشرة.

(٤) لعلّه علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس، أبو الحسن، فلكي من العلماء، كان عارفاً بالأدب وله شعرٌ كثير، اختصَّ بصحبة الحاكم الفاطمي، وتوفي بالقاهرة سنة ١٠٠٩ م. «فهرس الأعلام ٢٩٨/٤».

(٥) سَمَّجْتُ: قَبِحتُ، أو صارت ثقيلة غير محببة.

(٦) يَرْتُو: يُدِيمُ النظر في سكون.

(٨) لَاث: أحاط وستر، والمعاجر: جمع معجر، وهو ثوبٌ تشبه المرأة على رأسها، والمحاجر: ما يحفظ العيون في مكانها.

(٩) الْآرَام: جمع «رَم» وهو الغزال الأبيض الخالص البياض، وحاجر: موضع قبل معدن الثقرة، =

شَهَرْتُ لِحَاظٍ ظَبَائِهِمِ نَ الْقُلُوبِ ظُبًّا بَوَاتِرِ^(١)
 أَرَامُ خِذْرِ بِاللِّحَا ظَ تَصِيدُ آسَادًا خَوَاذِرِ^(٢)
 غَيْدٌ لَسْفُكَ دَمِ الْمُحِ بٌ تَضَافَرْتُ مِنْهَا الضَّفَائِرِ^(٣)
 بِيضُ التَّرَائِبِ حُمْرُهَا خُضْرُ اللَّمَى سُودُ الْغَدَائِرِ^(٤)

وقال كُشَاجِم: [من مجزوء المتقارب]

جَعَلْتُ إِلَيْكَ الْهُوَى شَفِيعًا فَلَمْ، تُشْفِيعِي!
 وَنَادَيْتُ مُسْتَغْطِفًا رِضَاكَ فَلَمْ تَسْمَعِي
 أَتَارَكْتِي مُذْنَقًا أَخَا جَسَدٍ مُوَجِّعٍ!^(٥)
 وَمُغْرِيَّتِي وَالْدُمُ عٌ قَدْ أَحْرَقَتْ مَذْمَعِي
 أَحِينَ سَبَيْتِ الْقُؤَا دَ بِالنَّظَرِ الْمُطْمَعِ^(٦)
 جَفَوْتُ وَأَقْصَيْتَنِي؟ فَهَلَّا، وَقَلْبِي مَعِي؟

وقال ابن المعلم^(٧): [من الرمل]

صَعْدَةُ الْقَدِّ وَسَيْفُ الْكَحْلِ حَكَمًا حُكَمَ الْهُوَى فِي أَجْلِي^(٨)
 يَا لِقَوْمِي! حَمَلْتُ ثِقْلَ دَمِي غَاذَةً يُثْقِلُهَا حَمْلُ الْخُلِي!
 قَدْهَا مُعْتَدِلٌ يَظْلُمُنِي! حَزَنِي مِنْ قَدْهَا الْمَعْتَدِل!
 خَضَرُهَا يَنْشَطُ، لَكِنْ رَدْفُهَا أَبَدًا يَتَهَرُّهُ بِالْكَسَلِ

= وقال: دون فيد حاجر، والحاجر: في لغة العرب ما يمسك الماء من شفة الوادي. «معجم البلدان ٢/٢٠٤».

(١) شهرت: أخرجت وسلطت، والألحاظ: العيون، والظباء: الغزلان، والظبا: حد السيف والسهم، والبواتر: القواطع.

(٢) الخدر: ما يستر النساء من مكان، والخادر: الأسد في عرينه.

(٣) الغيد: الحسان، وتضافرت: تعاونت، والضفائر: خصل الشعر المصفورة.

(٤) الترائب: من الصدر موضع القلادة، واللمى: سمرة أو سواد في باطن الشفة، واخضر الليل: اسود.

(٥) المدنف: المريض في الزمق الأخير. (٦) سبي الفؤاد: أسرته.

(٧) ابن المعلم: هو محمد بن علي بن فارس بن علي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم، أبو الغنائم، الواسطي الملقب بنجم الدين، كان شاعرًا رقيق الشعر، لطيف حاشية الطبع، يكاد شعره يذوب رقة. «وفيات الأعيان ٥/٥».

(٨) الصعدة: قصبة الرمح.

نظرةً من مُقْلَتِي جَارِيَةٍ وثَنَّتْ عِطْفَ الْقَضِيبِ الثَّمِيلِ
لَسْتُ أَدْرِي: قَمَرٌ فِي كِلَّةٍ مَا أَرَى، أَمْ دُمِيَّةٌ فِي هَيْكَلٍ؟^(١)
سَأَلْتُ جِسْمِي عَنْ سَاكِنِهِ! وَمِنَ الْجَهْلِ سُؤَالُ الطَّلَلِ!^(٢)

وقال سيف الدين المشد: [من السريع]

وَعَادَةٌ، أَعْشَقُّ مِنْ أَجْلِهَا بَدَرَ الدُّجَى وَالظَّنْبِي وَالْخَيْرَانَ
لَأَنَّ ذَا يُشَبِّهُهَا بِهَجَّةٍ وَذَاكَ الْحَاظَا، وَهَذَا بَنَانًا

وقال أبو نؤاس: [من السريع]

يَا مُنْسِيَ الْمَأْتَمِ أَشْجَاءُهُ لَمَّا أَنَاهُمْ فِي الْمُعَزِّيْنَا!^(٣)
حَلَّتْ عِجَارَ الْوُشْيِ عَنْ صُورَةٍ أَلْبَسَهَا اللَّهُ التَّحَاسِيْنَا!^(٤)
اسْتَفْتَنْتَهُنَّ بِتِمْنَالِهَا فَهُنَّ لِلتَّكْلِيفِ يَنْبِكِيْنَا
حَقٌّ لَذَلِكَ الْوَجْهَ أَنْ يَزْدَهِي عَنْ حُزْنِهِ مَنْ كَانَ مَحْزُونَا

وقال أيضًا: [من المتقارب]

أَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ صَخْرَةٍ فُؤَادُكَ هَذَا الَّذِي لَا يَلِينُ!
تَقُولُ إِذَا مَا اشْتَكَيْتُ الْهَوَى كَمَا يَشْتَكِي الْبَائِسُ الْمُسْتَكِينُ
أَفِي الثُّومِ أَبْصَرْتُ ذَا كَلَّهِ؟ فَخَيْرًا رَأَيْتَ، وَخَيْرًا يَكُونُ!

وقال المشوق الشامي^(٥): [من مجزوء الكامل]

أَثَرَى بِثَارٍ أَوْ بَدَيْنِ عَلِقْتُ مُحَاسِنُهَا بِعَيْنِي؟^(٦)
فِي خَضْرَاهَا وَقَوَامِهَا وَلِحَاطِهَا مَا فِي الرُّدَيْنِي
وَبَوَاجِهَا مَاءُ الشُّبَا بَ خَلِيطُ نَارِ الْوَجَنَّتَيْنِ

(١) الكَلَّةُ: الغلالة الرقيقة، والدُمِيَّةُ: الجميلة من النساء، والهيكل: الصورة والشخص والتمثال.

(٢) الطَّلَلُ: ما تبقى من آثار الدار بعد عفاها.

(٣) المَأْتَمُ: مكان الحزن، أو اجتماع الناس في الأحزان، والأشجان: الأحزان.

(٤) العِجَارُ: ثوبٌ تلقه المرأة على استدارة رأسها، والوشْي: المنقوش من الأثواب.

(٥) المشوق الشامي: أو الخليل الشامي، كنيته أبو عبد الله، وكان شاعرًا مفلحًا قد أدرك زمان البحرى، وبقي إلى أيام سيف الدولة الحمداني، فأنخرط في سلك شعرائه، وقد أنشد بعضًا من شعره الخوارزمي. «اليتيمة ١/ ٣٣٣».

(٦) الثار: من الثار، وهو أن يقتص أهل القتل من قاتله.

وقال السري الرفاء^(١) شاعر اليتيمة: [من مجزوء الكامل]

قَامَتْ وَخُوطُ الْبَانَةِ الـ	حَمِيَّاسٌ فِي أَثَوَابِهَا ^(٢)
وَيَهْزُهَا سُكْرَانٍ: سُكـ	ر شَرَابِهَا وَشَبَابِهَا!
تَسْعَى بِصَهْبَاوَيْنِ مِنْ	أَلْحَاطِهَا وَشَرَابِهَا ^(٣)
وَكَأَنَّ كَأْسَ مُدَامِهَا	لَمَّا اِزْدَدَتْ بِحُبَابِهَا ^(٤)
تَوْرِيْدُ وَجَنَّتِهَا إِذَا	مَا لَاحَ تَحْتَ نِقَابِهَا

وقال ابن الرومي: [من الرمل]

مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ، لَا يَكْذِبُنَا	لَوْثُهَا الْمُشْرِقُ عَنْ مَنْصِبِهَا
قَامَةُ الْعُضْنِ - إِذَا مَا اعْتَدَلَتْ	قَامَةُ الْعُضْنِ - إِلَى مَرْكَبِهَا ^(٥)
شَهِدَ الشَّاهِدُ مِنْ أَحْسَنِهَا	فَحَكَى الْغَائِبَ مِنْ أَطْيَبِهَا
تَشْفَعُ الْحَسَنَ بِإِحْسَانٍ لَهَا	يَجْلِبُ الْأَفْرَاحَ مِنْ مَجْلِبِهَا
تَشْرَعُ الْأَلْحَاطُ فِي وَجَنَّتِهَا	فَتُلَاقِي الرَّيَّ فِي مَشْرِبِهَا
وَجَنَّةٌ لِلْعُنْجِ فِيهَا عَقْرُبٌ	وَيَلَاءُ الصَّبِّ مِنْ عَقْرِبِهَا ^(٦)
وَإِذَا قَامَتْ إِلَى مَلْعَبِهَا	كَمَهَاءِ الرَّمْلِ فِي مَلْعَبِهَا
سَأَلَتْ أَرْدَافَهَا أَعْطَافَهَا	هَلْ رَأَتْ أَوْطَأَ مِنْ مَرْكَبِهَا؟ ^(٧)

(١) السري الرفاء: هو السري بن أحمد الكندي المعروف بالرفاء، كان يرفو ويطرز بالموصل طيلة باكورة شبابه، وتكسب بالشعر، ثم انتقل من تطريز الثياب إلى تطريز الكلمة والكتاب، فشعر بجودة شعره وشعر غيره، وجعل يورق وينسخ ديوان شعر «كشاجم» اتصل بسيف الدولة ومدحه، فاشتهر وذاع صيته، وحسن موقعه وموقع شعره عند الأمراء. «اليتيمة ١٣٧/٢ وما بعدها».

(٢) الخوط: الغصن الناعم، أو كل قضيب لان، والبان: مفردها بانه: شجرة لينة بيضاء الزهراء طويلة الورق، والميَّاس: الممتثي من دلال.

(٣) الصهبان: مثني صهباء، وهي الخمرة.

(٤) المدام: الخمرة، والحجاب: الفقايع التي تظهر على سطح الماء أو الخمرة.

(٥) المنكب: مجتمع رأس الكتف إلى العضد.

(٦) الوجنة: صفحة الخد، والعقرب: خصلة الشعر بين الأذن والصدغ، والصب: العاشق.

(٧) الأرداف: مفردها ردف وهو ما ظهر من المؤخرة، والأعطاف: مفردها عطف، وهو جانب الإنسان من عاتقه إلى ردفه، وأوطأ: أسهل وألين.

وقال أبو الحسين بن فارس^(١): [من السريع]

مَرَّتْ بِنَا هَيْفَاءَ مَقْدُودَةٍ تُزَكِيَّةٌ تُنْمِي لَتُزَكِي
تَرْنُو بِطَرْفٍ فَاتِرٍ فَاتِنٍ أضعَفَ من حُجَّةٍ نَحْوِي

ومما قيل في المطلق والمشارك، قال الطغرائي^(٢): [من البسيط]

فِيمَ التَّعَجُّبِ من قَلْبِي وَصَبُوتِهِ كَأَنَّكُمْ لم تَرَوْا من قَبْلِهِ عَجَبًا!
ذُوقُوا الهَوَى ثَمَّ لَوْمُوا ما بَدَأَ لَكُمْ أَوْ لا، فَحَلُّوا مَلَامِي وَارْبَحُوا التَّعْبَا!

وقال أيضًا: [من الطويل]

وكنْتُ أُرَانِي مُفْلِتًا شَرَكَ الهَوَى وقد صادني سحرُ العيونِ التَّوَافِثِ^(٣)
وَأَسْمَعَنِي دَاعِي العَرَامِ نِدَاءَهُ فقمْتُ إليه مُسْرِعًا غيرَ لَابِثٍ
وَأَعْطَيْتُ إِخْوَانَ البَطَالَةِ صَفْقَتِي وبعثْتُ قديمًا من غَرَامِي بِحَادِثٍ
فَمَا صَفْقَتِي فِي البَيْعِ صَفْقَةُ خَاسِرٍ ولا بَيْعَتِي لِلْحُبِّ بَيْعَةُ نَاكِثٍ
فَلا تَعْذِلُونِي فِي غَرَامِي بَعْدَمَا تَوَلَّى الصُّبَا، فَالْعَذْلُ أَوَّلُ بَاعِثٍ
ولا تَبْحَثُوا عن سِرِّ قَلْبِي إِنَّهُ صَفَا، ليس يَمْضِي فِيهِ مِعْوَلُ بَاثِثٍ^(٤)
أَرَى صَبَوَاتِ الحُبِّ قَدْ جَدَّ جَدُّهَا وقد كان بدءُ الحُبِّ مَرْحَةً عَابِثٍ!

وقال الأَرْجَانِي^(٥): [من الرجز]

قِفَا مَعِي فِي هَذِهِ المَعَاهِدِ! لا بُدَّ لِلصَّبِّ من المُسَاعِدِ!^(٦)

(١) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، كان بهمدان من أعيان العلم وأفراد الدهر، يجمع إتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء، له كتب بديعة ورسائل مفيدة وأشعار مليحة وتلامذة كثيرة، منهم بديع الزمان الهمداني. «انظر اليتيمة ٤٦٣/٣ وما بعدها».

(٢) الطغرائي: هو فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، الملقب مؤيد الدين الأصبهاني، المنشئ المعروف، كان عزيز الفضل، لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والشعر. «وفيات الأعيان ١٨٥/٢».

(٣) شَرَكَ الهوى: حياثة، والتوافث من السحر: ما يسحر الإنسان ويسلبه لبه.

(٤) الصفا: الصخر الصلد الأملس.

(٥) الأَرْجَانِي: هو أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر ناصح الدين، الأَرْجَانِي، شاعر، في شعره رقة وحكمة، ولي قضاء تستر، له ديوان شعر مطبوع، وهو عربي المحتد. «فهرس الأعلام ١/٢١٥».

(٦) المعاهد: الديار، والصَّب: العاشق.

لا تَبْخَلَا يَا صَاحِبَيَّ وَاسْمَحَا بوقفةً على المعنى الواحد^(١)
 في مَنْزِلٍ عَهِدْتُ فِي عِرَاصِهِ لو ردّ معهودًا بكاءً عاهد^(٢)
 كَوَاعِبًا مِنَ الدُّمَى لَوَاعِبًا مُشَبِّهةُ الثُّغُورِ بِالْقَلَائِدِ^(٣)
 يَمْشِينَ مِنْ فِرطِ النَّعِيمِ وَالصَّبَا كالقُضْبِ الْمَوَاتِلِ الْمَوَائِدِ
 فِيهِنَّ ظَنَبِي عُلِقَ الْقَلْبُ بِهِ مِنَ الطُّبَاءِ الثُّفْرِ الشُّوَارِدِ
 إِذَا تَبَدَّى مَرَضٌ بِطَرَفِهِ لَمْ يَخُلْ مِنْ أَفْئِدَةِ عَوَائِدِ
 رَمِيَتْهُ، فَصَادَنِي، فَمَنْ رَأَى صَيْدًا يَمَرُّ بِفَوَادِ الصَّائِدِ؟
 قَطَعْتُ مِنْ قَلْبِي رَجَائِي فِي الْهَوَى! وَالْقَطْعُ طَبٌّ كُلُّ غُضُو فَاسِدِ!^(٤)

وقال أبو القاسم عبد الله الدينوري^(٥)، شاعر اليتيمة: [من الخفيف]

يَا لِعَضْرِ الْخَلَاعَةِ الْمُدُودِ وَلِظِلِّ الشَّيْبَةِ الْمَمْدُودِ!
 وَارْتِشَافِي الرُّضَابَ مِنْ بَرْدِ الثُّغْدِ رَ وَلِثَمِي عَلَيْهِ وَرَدَّ الْخُدُودِ!
 وَبُكُورِي إِلَى مَجَالِسِ عِلْمٍ وَرَوَاحِي إِلَى كَوَاعِبِ غَيْدِ!
 فِي قَمِيصٍ مِنَ السُّرُورِ مُذَالٍ وَرَدَاءٍ مِنَ الشُّبَابِ جَدِيدِ!^(٦)

وقال تاج الملوك بن أيوب: [من المنسرح]

أَلَا رَجِمْتُمْ مَتِيْمًا دَنْقًا مَا زَالَ مِنْ جَوْرِكُمْ بِكُمْ عَائِدًا^(٧)
 صَبًا قَضَى اللَّهُ أَنْ يَهِيمَ بِكُمْ وَلَا مَرَدَ لِحَكْمِهِ النَّافِذُ!
 يَلُودُ حُبًّا دُونَ الْأَنَامِ بِكُمْ وَحَسْبُهُ أَنَّهُ بِكُمْ لَائِدُ!

(١) المعنى: الأسير.

(٢) العراص: الساحات، مفردها: عرصة، والعاهد: المحافظ على العهد.

(٣) الكواعب: مفردها «كاعب» وهي الفتاة الناهد.

(٤) الطب: العلاج.

(٥) هو عبد الله بن عبد الرحمن الدينوري، أبو القاسم، أديب من رؤساء الكتاب ووجوه العمال بخراسان، ينتسب إلى العباس بن عبد المطلب، قال الثعالبي: ومصنفاته في محاسن الأدب تروى على الثلاثين وله شعر كثير. «فهرس الأعلام ٩٦/٤».

(٦) المذال: من الثوب الذي له ذيل، يريد: قميصًا فضفاضًا من السرور.

(٧) الدنف: الذي اشتد مرضه، والعائد: المستجير.

وقال فخر الدين الوركاني، شاعر الخريدة: [من الطويل]

أَحْبَابَنَا أَمَا حَيَاتِي بَعْدَكُمْ فَمَوْتُ، وَأَمَا مَشْرَبِي فَمَنْعُصُ
وَأَسْعَدُ شَيْءٍ فِي قَلْبِي لِأَنَّهُ لَدَيْكُمْ، وَجِسْمِي بِالْبَعَادِ مَخْصُصُ!

وقال العماد الأصفهاني: [من الطويل]

بَذَلْتُ لَهُمْ - أَبْغِي رِضَاهُمْ - مَوَدَّتِي وَقَلْبِي وَصَبْرِي وَالرِّقَادَ، فَمَا رَضُوا
وَهَبْنِي عَنْ كُلِّ تَعَوُّضٍ بَعْدَهُمْ فَقُلْ لِي: بِمَاذَا عَنْهُمْ أَتَعَوِّضُ؟
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنَّ عَيْشِي يَنْقُضِي وَنَجْمَ الصَّبَا يَنْقُضُ وَالْعَهْدُ يُنْقَضُ

وقال الطغرائي: [من المنسرح]

إِنَّ الْأَلَى أَرْضَاكَ قَوْلُهُمْ بِالْأَمْسِ، تَحْتَ رِضَاهُمْ سَخَطُ!
لَمَّا صَفَا ذَاكَ الْجَمَالَ لَهُمْ تَاهُوا عَلَى الْعُشَّاقِ وَاشْتَطُّوا^(١)
هَمُّوا بِبَيْنٍ فَاسْتَطَارَ لَهُ قَلْبِي، فَكَيْفَ يَكُونُ إِنْ شَطُّوا؟^(٢)

وقال الطغرائي أيضًا: [من الكامل]

فِي الْقَلْبِ مِنْ حَرِّ الْفِرَاقِ شَوَاطُ وَالِدَمْعِ قَدْ شَرَقَتْ بِهِ الْأَلْحَاطُ^(٣)
وَلَقَدْ حَفِظْتُ عُهْدَكُمْ، وَعَدَرْتُمْ شَتَّانَ عَذْرُ فِي الْهَوَى وَحَفَاطُ!
لِلَّهِ أَيُّ مَوَاقِفٍ رَقَّتْ لَنَا فِيهَا الْوَسَائِلُ، وَالْقُلُوبُ غِلَاطُ!

وقال أيضًا: [من البسيط]

وَسَائِلٍ عَنِ جَوَى قَلْبِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ عِنْدِي عَلَى سِرٍّ بِمَثَّهِمْ!
طَابَ الْجَوَى فِي الْهَوَى حَتَّى أُنِسْتُ بِهِ فَهُوَ الْمَرَارَةُ يَخْلُو طَعْمُهَا بِفَمِي!

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه^(٤): [من الطويل]

أَتَقْتُلُنِي ظُلْمًا وَتَجَحَّدُنِي قَتْلِي وَقَدْ قَامَ مِنْ عَيْنِكَ لِي شَاهِدًا عَذْلُ!^(٥)

(١) اشتطَّ: ظلم.

(٢) البَيْن: الفراق، واستطار القلب: خفق من الخوف، وشطُّوا: بعدوا.

(٣) الشَوَاط: الشرر المتطاير من النار، أو اللهب لا دخان له.

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه، أحد محاسن الأندلس علمًا وفضلًا وأدبًا ونبلاً، شعره في نهاية الجزالة والحلاوة، وعليه رونق البلاغة والطلاوة، من مصنفاته العقد الفريد، وقد أورد فيه جلَّ أشعاره، ولد في قرطبة سنة ٢٤٦ هـ، وأصيب بالفالج قبل وفاته سنة ٣٢٨ هـ. «انظر فهرس الأعلام ١/٢٠٧».

(٥) تجحد: تنكر.

أَطْلَابَ دَخَلِي، ليس لي غَيْرُ شَادِنٍ
أَغَارَ عَلَى قَلْبِي، فلما أَتَيْتُهُ
بِنَفْسِي الَّتِي ضُنْتُ بِرَدِّ سَلامِهَا!
إِذَا جِئْتُهَا صَدَّتْ حَيَاءً بِوَجْهِهَا
وَإِنْ حَكَمْتَ جَارَتْ عَلَيَّ بِحُكْمِهَا
كَتَمْتُ الْهَوَى جَهْدِي، فَجَوَدَ الْأَسَى
وَأَحْبَبْتُ فِيهَا الْعَذْلَ حُبًّا لِذِكْرِهَا
أَقُولُ لِقَلْبِي كُلَّمَا ضَامَهُ الْأَسَى
بِرَأْيِكَ لَا رَأْيِي تَعَرَّضْتُ لِلْهَوَى
وَجَذْتُ الْهَوَى نَصْلًا مِنَ الْمَوْتِ مُخَمَّدًا
فَإِنْ كُنْتُ مَقْتُولًا عَلَى غَيْرِ رَيْبَةٍ

بِعَيْنِيهِ سِخَرُ فَاطْلُبُوا عِنْدَهُ دَخَلِي!^(١)
أَطَالِيهِ فِيهِ، أَغَارَ عَلَى عَقْلِي!^(٢)
وَلَوْ سَأَلْتُ قَتْلِي، وَهَبْتُ لَهَا قَتْلِي!^(٣)
فَتَهَجَّرُنِي هَجْرًا أَلَدَّ مِنَ الْوَصْلِ
وَلَكِنْ ذَاكَ الْجَوْرَ أَشْهَى مِنَ الْعَذْلِ
بِمَاءِ الْبُكَاءِ، هَذَا يَخْطُ وَذَا يُمْلِي!
فَلَا شَيْءَ أَحْلَى فِي فُؤَادِي مِنَ الْعَذْلِ!
إِذَا مَا أَبَيْتَ الْعِزَّ، فَاصْبِرْ عَلَى الدُّلِّ!^(٤)
وَأَمْرِكَ لَا أَمْرِي وَفَعْلِكَ لَا فِعْلِي
فَجَرَدَتْهُ ثُمَّ أَتَكَأْتُ عَلَى النَّصْلِ!^(٥)
فَأَنْتَ الَّذِي عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْقَتْلِ!

وهذه الأبيات معارضة لصريح الغواني^(٦) في قوله: [من الطويل]

أَذِيرًا عَلَيَّ الْكَأَسَ، لَا تَشْرَبَا قَبْلِي
فَمَا حَزَنِي أَنِّي أَمُوتُ صَبَابَةً
فَدَيْتُ الَّتِي صَدَّتْ وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ: [من الطويل]

وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلَتِي دَخَلِي!
وَلَكِنْ عَلَى مَنْ لَا يَحِلُّ لَهَا قَتْلِي!
دَعُوهُ، الثَّرِيًّا مِنْهُ أَقْرَبُ مِنْ وَصْلِي!^(٧)

صَحَا الْقَلْبُ، إِلَّا خَطَرَةٌ تَبْعُثُ الْأَسَى
بَلَى، رُبُّمَا حَلَّتْ غُرَى عَزَمَاتِهِ

لِهَا زَفَرَةٌ مَوْصُولَةٌ بِحَنِينِ^(٨)
سَوَالِفُ آرَامٍ وَأَعْيُنُ عَيْنِ^(٩)

(١) الذَّحَلُ: الثَّأْرُ وَالْحَقْدُ.

(٢) أَغَارَ: هَجَمَ لَيْسَلَبَ.

(٣) ضُنْتُ: بَخَلْتُ.

(٤) ضَامَهُ: ظَلَمَهُ، وَالْأَسَى: الْحُزْنُ.

(٥) النَّصْلُ: حَدِيدَةُ الرَّمْحِ وَالسَّهْمِ وَالسَّكِينِ.

(٦) صَرِيحُ الْغَوَانِي: هُوَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ، أَبُو الْوَلِيدِ، شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْكَوْفَةِ نَزَلَ بَغْدَادَ وَمَدَحَ الرَّشِيدَ وَالْبَرَامِكَةَ، وَاتَّصَلَ بِالْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ، فَوَرَّاهُ، يُرِيدُ جَرَجَانَ فَاسْتَمَرَ إِلَى أَنْ مَاتَ فِيهَا سَنَةَ ٨٢٣ م، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الْبَدِيعِ فِي شِعْرِهِ. «فهرس الأعلام ٧/٢٢٣».

(٧) التَّرَبُّ: الرِّفْقُ مِنْ عَمْرٍِ وَاحِدٍ، وَالثَّرِيَّا: مَجْمُوعَةُ نَجُومٍ فِي السَّمَاءِ.

(٨) أَصْحَا الْقَلْبُ: زَالَ عَنْهُ الْغَمُّ، وَالْخَطَرَةُ: مَا يَرُدُّ عَلَى الْبَالِ.

(٩) الْعَزَمَاتُ: الْفَرَانِضُ، الْآرَامُ: الْغَزْلَانُ الْبَيْضَاءُ، وَالْعَيْنُ: بَقَرُ الْوَحْشِ.

لواحظ حَبَّاتِ القلوب إذا رَنَتْ
ورِيْط من المَوْشِيَّ أَيْنَعَ تحتهُ
بُرُودُ كأنوارِ الربيع لِبِسْنَهَا
فَرَزْنَ أديمَ الليلِ عن نُورِ أوجِه
وجوهُ جرى فيها النعيمُ فكلَّلتْ
سألْبِسُ للأيامِ دِرْعاً من العَزَا
وكيفَ، ولي قَلْبٌ إذا هَبَّتِ الصَّبَا
وقال آخر: [من الكامل]

هَزُّوا القُدودَ وجَرَّدوا الأَجْفَانَا!
وَأَلْقِ السِّلَاحَ إِذَا انْتَنَوْا وَإِذَا رَنُوا
وَأَحْذَرْ ضِرَامًا بالعيون، وسَلْ به
فلقد رَأَيْتُ الأَسَدَ وهي كواسِرُ
لا تَعْبَثَنَّ بِذَابِلٍ وَبِبَاتِرِ!
لَوْلا تشابُههُ مقلَّةٌ أو قامَةٌ
وأنا الَّذِي حَضَرَ الوقائعَ في الهوى
ولَكَمْ رَأَيْتُ به الشَّدَائِدَ مُرَّةً!
وثَبْتُ بَيْنَ مَعَاظِفٍ ولِوَاحِظِ
مُسْتَسْلِمًا لِلْعَشْقِ: لا مُسْتَضْرِحَا
أَرْجُو الشهادةَ إِنْ قُتِلْتُ به، وما
يا وَنَحَ قَلْبٍ ما خَلَا من شُغْلِهِ
لو فَتَّشُوهُ لَمَا لَقُوا لِسَوَى الهوى

(١) الرِيْطَة: الملاءة، والمَوْشِي: المزين. (٢) فرى: قطع وكشف، وأديم الليل: سواده.

(٣) الصَّبَا: ريح باردة منعشة، وأهاب: دعا.

(٤) انتنوا: تمايلوا دلالاً، ورنوا: نظروا، والجنان: العقل.

(٥) تعبثن: تلعبن، والذَّابِل: الرمح، والباتر: السيف، والمهففف: الضامر الخصر، والوسنان: يريد الطرف الناعس الفاتر.

(٦) الصَّعدة: قصبة الرمح، والسنان: نصل الرمح.

وقال التلعفري^(١): [من الكامل]

هذا العذول عليكم، ما لي ولّة؟
شرط المحبّة أن كلّ متيم
وأخذتُموني حين سار بحبّكم
ما عربت والله عن وّجدي بكم
جزّتم مدّاكم في قطيعتكم، فلا
ألؤمكم في هجركم وضدودكم
قسماً بكم، قد جزّت مما أشتكي!
لئلي كيوم الحشر معني إن يكن
يا سائلي من بعدهم عن حالتي!
حالي إذا حدثت لا لمعا ولا
عندي جوى يذرّ الفصيح مبلّدا
القلب ليس من الصّاح فيرتجى
يا نازحين، وفي أكلة عيسهم
قمر له في الطّرف بل في القلب بل
الصّدغ منه عقرب، وإحاطه

أنا قد رَضِيتُ بذا الغرام وذا الوَلّة!^(٢)
صَبّ يُطِيع هَواه، يَغْصِي عُدَّة
مَثلي، ومِثلي سِرّه لن يَبْدُلّه!
وصبّابتي إلّا دُموعي المَهْمَلّة
عطف لعائدكم يُرام، ولا صِلّة
ما هذه في الحبّ منكم أوّلّة!
حَسبي الدّجى، فعِدْمته ما أطوّلّة!
لا ليلَ ذاك له، فذا لا صُبْح لّه
تركّ الجوابِ جوابُ هذي المسألة!
جَمَلاً لإيضاحي لها من تَكْمِلَة^(٣)
فاترك مَفْصَله! ودونك مجمّلة!^(٤)
إصلاحه، والعينُ سُحب مُثْقَلَة^(٥)
رَشاً عليه حَسا المُحبّ مَقْلَقَة!^(٦)
في النّثره الحَصْداء أشرف منزلة^(٧)
أسد، وخلف الظّهر منه سُنْبَلَة^(٨)

(١) التلعفري: هو محمد بن يوسف، شهاب الدين، أبو عبد الله، شاعر نسبته إلى «تل أعفر» بين سنجار والموصل، وُلد في الموصل، وسافر إلى دمشق فكان من شعراء صاحبها الملك الأشرف الأيوبي، كان يستجدي بشعره ويقامر، توفي سنة ١٢٧٧ م. «فهرس الأعلام ١٥١/٧».

(٢) العذول: اللّاثم، والوَلّة: الحب الشديد.

(٣) في البيت إشارة إلى الكتب الشهيرة: اللّمع، الجمل، الإيضاح، التكملة، وكلّها في علم العربية.

(٤) يشير إلى «الفصيح» الثعلب، والمفصل: للزمخشري، والمجمل: لابن فارس وكلّها كتب في اللغة.

(٥) يشير إلى: الصّاح للجوهري، وكتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي، وهما من كتب اللّغة ومعاجمها.

(٦) النازح: المتقل من بلد إلى آخر، والأكلة: مفردها كَلّة وهي ستار رقيق يحيط بالرحل على ظهر الناقة، والعيس: النوق، والرشأ: الغزال، والحشا: ما انضمت عليه الضلوع، والمقلقة: المضطربة.

(٧) يشير إلى بعض منازل القمر، وهي «الطرفة» و«القلب» و«النثرة».

(٨) يشير إلى بعض البروج التي في السماء، وهي: العقرب، والأسد، والسنبلة.

ما أجورَ الأُلحَاطَ منه إذا رَنَّا! وإذا أَنشنى، فَقَوائمه ما أَعَدَلَه!
لو لم يُصِبْ صُدْعَنيهِ عارضُ خَدَه ما أَصْبَحْتُ في عارضِيهِ مُسَلَّسَلَه
لله منه مُهْفَهْف أَجْنِيثُه عَسَلَ الهوى فَجَنِيثُ منه حَنَظَلَه^(١)
لو كُنْتُ فيه قَبِلْتُ نُضَحَ عَوَاذِلِي ما أَدْبَرْتُ أَيامُ حَظِّي المُقْبِلَه!
وقال الطغرائي: [من الطويل]

رَوَيْدُكُمْ! لا تَسْبِقُوا بِقَطِيعَتِي صُرُوفَ اللَّيالي، إِنَّ في الذَّهرِ كافِيَا
ويا قلبُ، وعَاوِذُ ما أَلْفَتْ من الجوى! مَعَاذَ الهوى أَنْ تُصْبِحَ اليَوْمَ سَالِيَا
ويا كَيْدِي، دُوبِي! ويا مَقْلَتِي، أَشْهَرِي! ويا نَفْسٍ لا تُبْقِي من الوجودِ باقِيَا
فلا تَطْمَعُوا في بُرءٍ ما بِي، فَإِنَّه هو الداءُ قد أَغْيَا الطَّبيبَ المَدَاوِيَا!

* * *

ومما قيل في طَيْفِ الخيال، قال قيس بن الخطيم^(٢): [من الكامل]

إِنِّي شَرِنْتُ، وَكُنْتُ غَيْرَ شَرُوب! وَتَقَرَّبُ الأحلامُ غَيْرَ قَرِيب
ما تَمْنَعِي يَفْظِي، فَقَدْ تَوَثَّيْتَه في النُّومِ غَيْرَ مُكَدَّرٍ مَحْسُوبِ
كان المُنَى تِلْقَاءَها، فَلَقِيَتْها وَلَهَوْتُ من لَهوِ أَمْرِي مَكْذُوبِ!

وقال عمرو بن قَمِيَّة^(٣): [من المتقارب]

نَأْتُكَ أُمَامَةً، إِلَّا سُؤْالًا وَإِلَّا خَيَالًا يُوافِي خَيَالًا^(٤)
خَيَالًا يُخَيِّلُ لي نَيْلَهَا ولو قَدَرْتُ لَمْ يُخَيِّلْ نَوَالًا!

قال أبو هلال العسكري: ومن هاتين القطعتين أخذ المحدثون أكثرَ معانيهم في الخيال.

(١) المهفوف: الضامر القَدَّ والقوام، والحنظل: نبات تمرُّه مر.

(٢) هو قيس بن الخطيم، شاعر جاهلي أنصاري جَيِّد الشعر حسنه، وهو شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية، أدرك الإسلام ومات قبل أن يسلم، له ديوان شعر مطبوع. «فهرس الأعلام ٢٠٥/٥».

(٣) هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد الوائلي النزارى، شاعر جاهلي مقدَّم، صحب امرئ القيس في طريقه إلى ملك الرُّوم فمات في الطريق، وكان واسع الخيال في شعره، توفي نحو سنة ٥٤٠ م. «فهرس الأعلام ٨٣/٥».

(٤) نَأْتُكَ: من النَّأْي وهو البعد، ويوافي: يأتي، ويتلو.

وقال البعيث^(١): [من الطويل]

أَزَارَتْكَ لَيْلِي، وَالرُّكَّابُ خَوَاضِعُ؟
وَأَعْطَتْكَ غَايَاتِ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّهَا
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ: [من الخفيف]

إِسْتَزَارَتْهُ فِكْرَتِي فِي الْمَنَامِ
يَا لَهَا لَيْلَةٌ تَزَاوَرَتْ الْأَزْ
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ
وَقَالَ الْحَمْدُونِيُّ^(٢): [من الخفيف]

لَمْ أَلَهُ، فِلْئُهُ بِالْأَمَانِي
وَاصِلُ الْحُلُمِ بَيْنَنَا بَعْدَ هَجْرٍ
وَكأنَّ الْأَرْوَاحَ خَافَتْ رَقِيبًا
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ: [من الرَّمَلِ]

طَرَقْتُنَا، فَأَنَالَتْ نَائِلًا
ثُمَّ قَالَتْ، وَأَحْسَنْتْ عَجَبِي
لَا تَعْجِبْ مِنْ سُرَانَا، فَالْسُّرَى
شُكْرُهُ - لَوْ كَانَ فِي الثُّبَةِ - الْجُحُودُ^(٤)
مِنْ سُرَاهَا حَيْثُ لَا تُسْرِي الْأُسُودُ^(٥)
عَادَةُ الْأَقْمَارِ وَالنَّاسِ هُجُودُ^(٦)

أَخَذَ الْعَسْكَرِيُّ الْمَعْنَى، فَقَالَ: [من الخفيف]

رَقَبْتُ غَفْلَةَ الرَّقِيبِ، فَزَارَتْ
تَحْتَ لَيْلٍ مُطَرَّرٍ بِنَهَارٍ

- (١) البعيث: هو خدّاش بن بشر بن خالد المجاشعي، أبو زيد، خطيب شاعر من أهل البصرة، توفي بالبصرة سنة ٧٥١ م. «فهرس الأعلام ٣٠٢/٢».
- (٢) الحمدوني: هو محمد بن أحمد الحمدوني، شاعر ورد ذكره في اليتيمة، وقد مدح الوزير أبو نصر سابور بن أردشير، بعد أن أعيد إلى الوزارة بعد خلعه. «انظر اليتيمة ١٤٥/٣».
- (٣) العيان: المشاهدة، ومنظر بغير عيان، أي بلا مشاهدة بالعين لأنه كان خيالياً.
- (٤) طرقتنا: زارتنا ليلاً، والنائل: العطاء، والثبة: اليقظة، والجحود: النكران.
- (٥) سُرَاهَا: أي مَسَرَاهَا ليلاً حيث يكون الخوف.
- (٦) الهجود: الرقاد.

فتعجبتُ من سُراها، فقالت
ثم مالت بكأسِها فسَقَّتْني
وَقَالَ آخَرُ: [من الطويل]

فيا لَيْتَ طَيْفًا، خَيْلَتْ لِي المُنَى
أَكْلَفَ نَفْسِي عَنْكَ صَبْرًا وَسَلْوَةً
وَقَالَ الْعَسْكَرِيُّ: [من الكامل]

طَرَقَ الْخَيَالُ، فَرَارَ مِنْهُ خَيَالًا
يَا كَشْفَةً لِلْكَرْبِ، إِلَّا أَنَّهُ
قَعَدَ الْمُتَيْمُ، وَهُوَ أَكْثَرُ صَبْوَةً
وَقَالَ الْعِمَادُ الْأَصْهَانِيُّ: [من الكامل]

طَبَنِي طَرِبْتُ لِطَيْفِهِ الْمَتَاوُبِ
لَمْ أَذِرْ زَوْرَتَهُ، أَكَانَتْ خَطْفَةً
زَارَ الْكَرَى مَتَهَيِّبًا رُقْبَاءَهُ
لَمَّا رَأَى وَجْدِي، تَأَوُّةَ رَحْمَةٍ
وَأَتَى لِيَقْرُبَ مِنْ وَسَادِ مُتَيْمٍ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَخْتِيَارٍ^(٦): [من مَخْلَعِ الْبَسِيطِ]

لَوْ أَنَّ طَيْفَ الْخَيَالِ يَسْرِي
بَلَّ سُرَاهُ غَلِيلَ صَبْذِي^(٧)

(١) الجَلْنَارِيَّةُ: نسبة إلى الجَلْنَارِ، وهو زهر الزَّمان، يريد خمرة لونها لون زهر الزَّمان، والجل: الكثير.

(٢) الصَّبْوَةُ: جهل الفتوة ولهوها، واللبال: شدة الهم والوسواس.

(٣) الطَّيْفُ: الخيال، المتأوَّب: الرَّاجِعُ أَوَّلَ اللَّيْلِ.

(٤) الْكَرَى: النعاس، والمتهيب: الخائف أو الذي فيه حياء.

(٥) الْمَتَاوُّةُ: المتوجِّع الذي يقول «آه» ألماً وشكوى، والمتأوَّب: الذي عاوده الألم أو الشوق.

(٦) هو محمد بن بختيार بن عبد الله البغدادي، شاعر من أهل بغداد، كان ينعت بالأبله لقوة ذكائه، في شعره رقة وحسن صناعة، وكان هجاءً خبيث اللسان، له ديوان شعر مخطوط، توفي سنة ١١٨٣ م. «فهرس الأعلام ٥٠/٦».

(٧) بَلَّ: أنعش من ظمأ، والغليل: ظمأ العشق هنا.

ولو أرادَ الحبيبُ أن لا
يلومني في هَوَاهِ مَنْ لا
كَمْ لَيْلَةٍ زارَ في دُجَاهَا
يُثْجِفُنِي بِاخْمِرَارِ خَدِّ
يَجْمَعُ لِي بَيْنَ سُكْرِ لَحْظِ
وَدُرِّ كَأْسٍ وَدُرِّ نَخْرِ

وقال آخر: [من الخفيف]

قلْتُ للمُعْرِضِ الَّذِي صَدَّ عَنِّي
قال: لا تَحْمَدِ الْخِيَالَ فما زَا
كِدْتُ تَقْضِي أَسَى، فَقُلْتُ لِطَيْفِي
ليس شُحًا بأنْ تَمُوتَ؛ وَلَكِنْ

وقال آخر: [من الطويل]

فإنْ يَحْجُبُوهَا بِالنَّهَارِ، فَمَا لَهُمْ
بأنْ يَحْجُبُوا بِاللَّيْلِ عَنِّي خَيَالَهَا!

وقال المجنون^(٢): [من الطويل]

وإني لَأَسْتَغْشِي، وما بي نَعْسَةٌ
تُخْبِرُنِي الْأَحْلَامُ أَنِّي أَرَاكُمْ

وقال المؤمل^(٤): [من الطويل]

أتاني الكَرْى لَيْلًا بِشَخْصٍ أُحِبُّهُ
فكَلَّمَنِي فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُعَاذِبِ

(١) الزَّور: الكذب.

(٢) المجنون: هو قيس بن الملوّح العامري، شاعر غزل، من أهل نجد، لم يكن مجنونًا ولكنه لقب بذلك لحبه «ليلي بنت سعد»، توفي سنة ٦٨٨ م. «فهرس الأعلام ٢٠٨/٥».

(٣) استغشى: تلحف بالغطاء طلبًا للنوم.

(٤) هو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي، شاعر من أهل الكوفة، اشتهر في العصر العباسي، انقطع إلى المهدي، وقد عمي في أواخر عمره، ومات نحو سنة ٨٠٥ م.

وذكر العباس بن الأحنف^(١) العلة في طُروق الخيال، فقال: [من الوافر]
 حَيَالُكَ حِينَ أَزْفُدُ نُصَبَ عَيْنِي إِلَى وَقْتِ أَنْتَبَاهِي لَا يَزُولُ
 وَلَيْسَ يَزُورُنِي صِلَةٌ، وَلَكِنْ حَدِيثُ النَّفْسِ عَنْكَ بِهِ الْوُصُولُ
 وَتَبِعَهُ الطَّائِي فَقَالَ: [من البسيط]
 زَارَ الْخِيَالَ لَهَا، لَا بَلَّ أَزَارُكَ فِكْرٌ، إِذَا نَامَ فِكْرُ الْخَلْوِ لَمْ يَنَمْ
 ظَبْيِي تَقَنُّصَتْهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَ مِنَ الْخُلْمِ^(٢)

* * *

ومما قيل في الردة على العذول، قال أبو نُوَاس: [من السريع]
 مَا حَطَّكَ الْوَاشُونَ مِنْ رُثْبَةٍ عِنْدِي، وَلَا ضَرَّكَ مُغْتَابُ
 كَأَنَّمَا أَتَنُّوا - وَلَمْ يَشْعُرُوا - عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا
 وَقَالَ تاج الملوك: [من الكامل]
 مَهْ يَا عَذُولُ عَنِ الْمُحِبِّ، فَإِنَّمَا عَذُلُ الْمُحِبِّ يَزِيدُ فِي بَلْبَالِهِ!^(٣)
 لَا تَعْذُلُنَّ عَلَى الصَّبَابَةِ مُغْرَمًا حَتَّى تَبَيَّتَ مِنَ الزَّمَانِ بِحَالِهِ!
 وَقَالَ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ: [من الخفيف]
 وَلَقَدْ قُلْتُ لِلَّذِي لَامَنِي فِيهِ كَ، وَمَا زَالَ حَالُهُ مِثْلَ حَالِي
 يَا عَذُولِي فِي حُبِّهِ، كُفَّ عَذْلِي أَنَا مَا لِلْعَذُولِ فِيهِ وَمَا لِي!
 كُلَّمَا زِدْتُ فِي مَلَامِي وَعَذْلِي زِدْتُ فِي لَوْعَتِي وَفِي بَلْبَالِي!
 وَقَالَ الْأَرَجَانِي: [من الكامل]
 وَجَدِي بَلْوَمَكَ، يَا عَذُولُ يَزِيدُ! فَاسْتَبَقِي سَهْمَكَ، فَالرَّمْيُ بَعِيدُ!^(٤)

(١) هو العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي، أبو الفضل، شاعر غزل رقيق، نشأ في بغداد ومات فيها سنة ٨٠٨ م، كان كل شعره في الغزل. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٥٨».

(٢) تقنصته: اصطدته، والأشراك: الحبال.

(٣) مه: اسم فعل مبني على السكون بمعنى «كف»، والعذول: اللآثم، والبلبال: الوسواس وشدة الهم.

(٤) الرمي: الذي يريد العذول أن يرميه بسهمه ليصميه أو يصيب منه مكانًا، يقول: احتفظ بسهمك فلن تصيب الغرض لأن ما تقصد إيذاءه بعيد عن رمي سهمك وعذلك.

بَلَّغَ الْهَوَى مِنْ سِرِّ قَلْبِي مَوْعَاً لَا الْعَذْلُ يَبْلُغُهُ وَلَا التَّفْنِيدُ! ^(١)
وَتُنِمْ بِالشَّجْوِ الْمُكْتَمِ عِبْرَتِي وَمِنْ الدُّمُوعِ عَلَى الْغَرَامِ شُهُودُ! ^(٢)
وقال سيف الدين المشد: [من المجتث]

يَا عَاذِلِي، خَلِّ عَنِّي! أَسْمَعْتَ غَيْرَ سَمِيعِ!
لَا تَنْزُجْ مِنِّي سُلُوءًا! فَمَا فُؤَادِي مُطِيعِي!
وَكَيْفَ أَكْتُمُ مَا بِي مِمَّنْ لَوْعَةٌ وَوُلُوعُ
وَالذَّارِيَاتُ جُفُوفِي وَالْمُرْسَلَاتُ دُمُوعِي! ^(٣)

وقال ابن الخيمي ^(٤): [من الطويل]

وَتَأْمُرْنِي الْعُدَالَ بِالصَّبْرِ عَنْكُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْضَى عَنِ الْحُلُوفِ بِالصَّبْرِ؟
وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ عَوَاذِلِي يُطِيلُونَ لَوْمِي فِي الْهَوَى، وَالْهَوَى عُذْرِي!

ومما قيل في رجوع العذول، قال ابن وكيع ^(٥): [من السريع]

أَقْبَلَ وَالْعُدَالَ يَلْحُوْنِي فَكُلُّهُمْ قَالَ: مَنِ الْبَذْرُ؟ ^(٦)
فَقُلْتُ: ذَا مَنْ طَالَ فِي حُبِّهِ مِنْكُمْ لِيِ التَّعْنِيفُ وَالزَّجْرُ! ^(٧)
قَالُوا: جَهْلُنَا، فَاغْتَفِرْ جَهْلَنَا فَلَيْسَ عَنْ ذَا لَأْمَرِيءٍ صَبْرُ!
عُذْرُكَ فِي الْحُبِّ لَهُ وَاضِحٌ وَمَا لَنَا فِي لَوْمِنَا عُذْرُ!

(١) التَّفْنِيد: الكذب، والإتيان بالقول الباطل.

(٢) تَنْمُ: تشي وتظهر، والشَّجْوُ: حزن الحب، والمكْتَمُ: المستور الخفي.

(٣) «الذَّارِيَات» و «المرسلات» سورتان في القرآن الكريم.

(٤) هو محمد بن علي، أبو طالب، مهذب الدين الحلبي، المعروف بابن الخيمي، عالم بالأدب، ولد بالحلة المريدية، ورحل إلى بغداد وسوريا، وتوفي بالقاهرة سنة ١٢٤٥ م، له مصنفات عدة منها: أمثال القرآن، والمؤانسة في المقايسة. «فهرس الأعلام ٢٨٢/٦».

(٥) هو الحسن بن علي الضبي التنيسي، أبو محمد، المعروف «بابن وكيع» شاعر مجيد، أصله من بغداد، ومولده ووفاته في «تنيس» بمصر له ديوان شعر مطبوع، وكانت في لسانه عجمة، توفي سنة ١٠٠٣ م. «فهرس الأعلام ٢٠١/٢».

(٦) لحاه: لامه.

(٧) التَّعْنِيف: اللوم بقسوة، والزَّجْر: المنع والردع.

وقال أيضًا: [من مخلّع البسيط]

أَبْصَرَهُ عَاذِلِي عَالِيهِ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَا رَأَهُ
فَقَالَ لِي: لَوْ عَشَقْتُ هَذَا مَا لَأَمَلَكَ النَّاسُ فِي هَوَاهُ!
قُلْ لِي: إِلَى مَنْ عَدَلْتَ عَنْهُ فَلَيْسَ أَهْلَ الْهَوَى سِوَاهُ؟
وَوَظَلُّ مِنْ حَيْثُ لَيْسَ يَذَرِي يَأْمُرُ بِالْحُبِّ مَنْ نَهَاها!

ومما قيل في الوصال، قال ابن الرومي: [من الكامل]

وَلَقَدْ يُوْلَفْنَا اللَّقَاءَ بَلِيلَةً جُعِلَتْ لَنَا حَتَّى الصَّبَاحِ نِظَامًا^(١)
نَجْزِي الْعَيُونَ جِزَاءَهُنَّ عَنِ الْبُكَاءِ وَعَنِ الشُّهَادِ وَلَا نُصِيبُ أَثَامًا^(٢)
فَنُصِيحُهُنَّ مَرَادَهُنَّ، يَرُدُّنَهُ فِيمَا أَدْعَيْنَ، مَلَا حَةً وَوَسَامَا
وَنُكَافِيءُ الْأَذَانَ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ إِذْ لَا تَزَالُ تُكَابِدُ اللَّوَامَا
فَنُثِيبُهُنَّ مِنَ الْحَدِيثِ مَثُوبَةً تَشْفِي الْغَلِيلَ وَتَكْشِفُ الْأَسْقَامَا^(٣)
وَنُكَافِيءُ الْأَفْوَءَ عَنْ كِثْمَانِهَا إِذْ لَا يَزَالُ لَهَا الضَّمَامَاتُ لِحَامَا^(٤)
فَنُصِيحُهُنَّ مَلَا ثَمًا وَمَرَاشِفًا مَا ضَرَّهَا أَنْ لَا تَكُونَ مُدَامَا!
نَجْزِي الثَّلَاثَةَ أَنْصِبَاءَ ثَلَاثَةً مَقْسُومَةً أَنَاؤُهَا أَقْسَامَا^(٥)

ومما قيل في الفراق والبين، قال بعض الكتّاب: في الفراق مصافحة التسليم، ورجاء الأوبة، والسلامة من الملال، وعمارة القلب بالشوق، والدلالة على فضل المواصللة واللقاء.

(١) يُوْلَفْنَا: يجمعنا، والألفة: الصداقة والمودة في المعشر، والتظام: العقد.

(٢) الشهاد: الأرق.

(٣) أثاب: جزى، والمثابة: الأجر والجزاء الحسن، والغليل: الظما.

(٤) الضمات: من الصمت أي السكوت، واللجام: ما يجعل في فم الفرس وغيره من الحديد ومعه السير وغيره، وهنا: ما يمنع به المرء عن الكلام.

(٥) الأنصباء: الشهود، يريد العيون والأذان والأفواه، والآناء: الأوقات، يريد أنه يعطي لكل واحد من الثلاثة المذكورة حقه من الجزاء.

قال شاعر: [من الطويل]

جَزَى اللهُ يَوْمَ الْبَيْنِ خَيْرًا، فَإِنَّهُ أَرَأَا عَلَى عِلَاتِهِ أُمَّ ثَابِت! ^(١)

وقال ابن الرومي: [من الخفيف]

فَإِذَا كَانَ فِي الْفِرَاقِ أَعْتِنَاقُ جَعَلَ اللهُ كُلَّ يَوْمٍ فِرَاقًا!

وقال أبو حفص الشطرنجي ^(٢): [من الخفيف]

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفِرَاقَ، فَإِنِّي أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ!
إِنَّ فِيهِ أَعْتِنَاقَةً لِفِرَاقٍ وَانْتَظَارَ أَعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ

وقال سيف الدولة بن حَمْدَانَ: [من الخفيف]

رَاقِبْتَنِي الْعُيُونُ فِيكَ، فَأَشْفَقُ تْ؛ وَلَمْ أَخْلُ قَطُّ مِنْ إِشْفَاقٍ
وَرَأَيْتُ الْعَدُوَّ يَحْسُدُنِي فِيكَ لَكَ مُجِدًّا بِأَنْفَسِ الْأَغْلَاقِ ^(٣)
فَتَمَنَّيْتُ أَنْ تَكُونَ بَعِيدًا وَالَّذِي بَيْنَنَا مِنَ الْوُدِّ بَاقٍ!
رُبَّ هَجْرٍ يَكُونُ مِنْ خَوْفِ هَجْرٍ وَفِرَاقٍ يَكُونُ خَوْفَ فِرَاقٍ!
وَأَرَى هَذَا كُلَّهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعَلُّلِ لَيْسَ إِلَّا، وَإِنَّمَا الْفِرَاقُ لَا شَكَّ فِي إِيلَامِهِ
لِلْقُلُوبِ.

قال بعض الشعراء: [من الوافر]

فَلَيْمَ لَا تُسَبِّلُ الْعَبْرَاتُ مَنِّي وَلَسْتُ عَلَى الْيَقِينِ مِنَ التَّلَاقِ؟
فَلَا وَأَبِيكَ، مَا أَبْصَرْتُ شَيْئًا أَمَرُّ عَلَى الثُّفُوسِ مِنَ الْفِرَاقِ!

وقال آخر: [من الكامل]

يَا رَبِّ، بَاعِدْ بَيْنَ جَفْنِي وَالْكَرَى مَا دَامَ مَنْ أَهْوَاهُ فِي هَجْرَانِي! ^(٤)
إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ أَنَامَ فَالْتَقِي بِخِيَالِهِ، خَوْفَ الْفِرَاقِ الثَّانِي!

(١) البين: الفراق، وعلى علته: أي على كل حال، أو قيل وأخذ على أحواله.
(٢) هو عمر بن عبد العزيز الشطرنجي، أبو حفص، شاعر عليّة بنت المهدي، كان منقطعاً إليها، وكان غزلاً أدبياً ظريفاً، شغف بالشطرنج فنسب إليه، توفي نحو سنة ٨٢٥ م. «فهرس الأعلام» ٥٠/٥.

(٣) المجدّد: المجتهد، والأغلاق: النفيس من كل شيء.

(٤) الكرى: الثعاس.

وقال آخر: [من البسيط]

فارقته ويؤدي لو تُفارقني روح الحياة، وأني لا أفرقه!

وقال أبو تمام: [من مجزوء الكامل]

الموت عندي والفرا ق: كلاهما ما لا يُطاق!

يتأوَّنان على النفو س: فذا الحمام وذا السِّياق! (١)

لو لم يكن هذا كذا ما قيل: موت أو فراق!

وقال غريب بن سعيد (٢) شاعر «اليتيمة»: [من المنسرح]

ألاَّ يوم الفراق قسوته حتى جرى دمه وما شعرا

فجلت ما سال من مدايميه ذرا على وجنتيه مُتثيرا

لم يبك شوقا، لكن بكى جزعا لهول يوم الفراق إذ حضرا

في مشهد لو أطاق شاهده فيه استتارا لوجهه، سترًا

أبى أساه وفيض أدمعه ألا اشتهازا في الحب، فاشتهازا

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه: [من الرمل]

هيج البين دواعي سقيمي وكسا جسمي ثوب الألم!

أيها البين، أفلني مرة فإذا عذت، فقد حل دمي (٣)

يا خلي الرُّوع، ثم في غبطة! إن من فارقته لم ينم (٤)

ولقد هاج لقلبي سقمًا ذكر من لو شاء، داوى سقيمي

وقال آخر: [من المتقارب]

بكت وبكى لو شك الفراق فقف، تر من مذمينا العجب!

فذا فضة في عقيق جرى وهذا عقيق جرى في ذهب!

(١) الحمام: الموت، والسِّياق: أي الذي يسوق الإنسان إلى حتفه.

(٢) هو غريب بن سعيد شاعر ذكره صاحب اليتيمة وأورد له بضع مقطوعات غزلية رقيقة. «انظر اليتيمة ٥٩/٢ - ٦٠».

(٣) أقال عشرته: صفح عنه، والبتن: الفراق.

(٤) الخلي: الخالي من هموم العشق، والرُّوع: الذهن والقلب والبال.

وقال آخر: [من المنسرح]

قلتُ له والرَّقِيبُ يُزْعِجُهُ مُسْتَعْجِلًا لِلْفِرَاقِ: أَيْنَ أَنَا؟
فَمَذَكَّفًا إِلَى تَرَائِبِهِ وقال: كُنْ آمِنًا، فَأَنْتَ هُنَا! ^(١)

وقال آخر: [من الكامل الأحذ]

قد قلتُ إذ سَارَ السَّفِينُ بِهِ والشَّوْقُ يَنْهَبُ مُهْجَتِي نَهَبًا
لو كَانَ لِي مُلْكُ أَصُولُ بِهِ لَأَخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا ^(٢)

وقال كُشَاجِم: [من مجزوء الكامل]

مُزِجَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنْ يَ يَوْمَ بَانُوا بِالذَّمَا ^(٣)
فَكَأَنَّمَا مَزَجَتْ بِخَدِّ ي مُقْلَتِي خَمْرًا بِمَا!

وقال آخر: [من المنسرح]

لم أَنَسَ يَوْمَ الْفِرَاقِ مَوْقِفَهَا وَطَرَفُهَا فِي دُمُوعِهَا غَرِقَ
وقولُهَا، وَالرُّكَّابُ سَائِرَةٌ تَثْرُكُنَا هَكَذَا، وَتَنْطَلِقُ؟

ومنه ما قيل في مفارقة الأصحاب: [من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ مُصَاحِبِي وَمُعَاشِرِي لَجْدِيدِ وَدِي بِالْقَطِيعَةِ مَزَقًا
فَارِقْتُهُ وَسَلَّلْتُ مِنْ يَدِهِ يَدِي وقرأتُ لي وله: «وإِنْ يَتَفَرَّقَا» ^(٤)

وقال آخر: [من الكامل]

قالوا: قَطَعْتَ صَدِيقَكَ الْبَرَّ الَّذِي مِنْهُ اسْتَفَذْتَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ^(٥)
فَأَجَبْتُهُمْ: بَعْضُ الْمَفَاصِلِ رُبَّمَا فَسَدَتْ، فَتَقَطَّعَ فِي صَلَاحِ الْبَاقِي!

(١) الترائب: موضع القلادة من الصدر، يريد: أنت أمانة في عني، أتمهدها وأتفقدُها.

(٢) صال: سطا، وقوله: «لَأَخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا» يشير إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَكَانَ رِجَالُهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا﴾ [الكهف: الآية ٧٩].

(٣) بانوا: فارقوا وابتعدوا.

(٤) «وإن يتفرقا»: يشير إلى الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كَلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾ [النساء: الآية ٨١].

[١٣٠].

(٥) البر: الصالح والكريم، وقطع الصديق: تركه وهجر مودته.

وقال آخر: [من الكامل]

ولقد شَكَرْتُ مُفَارِقِي إِذْ سَاءَ فِي أَخْلَاقِهِ
لو كان أَحْسَنَ عِشْرَتِي لَهَلَكْتُ يَوْمَ فِرَاقِهِ

ومثله قول الآخر: [من الخفيف]

عَلَّمَنِي بِهَجْرِهَا الصَّبْرَ عَنْهَا فَهِيَ مَشْكُورَةٌ عَلَى التَّقْبِيحِ!
وَأَرَادَتْ بِذَا قَبِيحٍ فَعَالَ صَنَعَتْهُ، فَكَانَ عَيْنَ الْمَلِيحِ!

ومما قيل في التوديع، قال البحرني: [من المتقارب]

أَقُولُ لَهُ عِنْدَ تَوْدِيعِهِ وَكُلُّ بِعَبْرَتِهِ مُبْلِسٌ^(١)
لَئِنْ قَعَدْتُ عَنْكَ أَجْسَامُنَا لَقَدْ سَافَرْتُ مَعَكَ الْأَنْفُسُ!

وقال أبو الطيّب المتنبّي: [من المنسرح]

يَا رَاحِلًا، كُلْ مَنْ يَوَدُّعُهُ مُوَدَّعٌ دِيْنُهُ وَدُنْيَاهُ
إِنْ كَانَ فِيمَا نَرَاهُ مِنْ كَرَمٍ فَيْكَ مَزِيدٌ، فَزَادَكَ اللَّهُ!

وقال البحرني: [من المتقارب]

أَلَمْ تَرْنِي يَوْمَ فَارِقْتُهُ أَوَّلِي إِذَا أَنَا وَدَّعْتُهُ
أَوْدَعُهُ، وَالْهَوَى يَسْتَزِيدُ فَيَغْلِيْنِي الشَّوْقُ حَتَّى أَعُوذُ

وقال أبو تمام: [من مجزوء الكامل]

نَأْيِي وَشَيْكَ وَأَنْطِلَاقُ وَغَلِيلُ شَوْقِي وَاخْتِرَاقُ^(٢)
بَأْبِي فَتَى وَدَّعْتُهُ تَاهَتْ بِصُحْبَتِهِ الرِّفَاقُ!
بَدْرٌ يُضِيءُ لِعَاشِقِي لَهُ فَمَا يُطِيفُ بِهِ الْمِحَاقُ!^(٣)

(١) المبلِس: المتحير.

(٢) النَّأْي: الفراق والبعد، والوشيك: القريب.

(٣) يُطِيف: يحيط، وطاف به: أتاه، والمحاق: ما يرى في القمر من نقصٍ بعد اكتمال، والمحاق: ليالٍ ثلاث من آخر الشهر القمري.

وقال ابن زيدون^(١): [من الرمل]

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُجِبًّا وَدَّعَكَ حافظٌ من سِرِّهِ ما استَوَدَّعَكَ!
يَفْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زاد في تِلْكَ الحُطَا، إِذْ شَيَّعَكَ!^(٢)
يَا أَخَا البَدْرِ سَنَاءَ وَسَنًا حَفِظَ اللهَ زَمَانًا أَطْلَعَكَ!
إِنْ يَطْلُنْ بَعْدَكَ لَيْلِي، فَلَكُمْ بِتْ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ!

وقال أبو عبد الرحمن^(٣) شاعر «اليتيمة»: [من مخْلَع البسيط]

إِذَا دَهَاكَ الْوَدَاعُ فَاصْبِر وَلَا يَهُولَنَّكَ الْبَعَادُ!
وَانْتَظِرِ الْعُودَ عَنْ قَرِيبٍ فَإِنَّ قَلْبَ الْوَدَاعِ عَادُوا!^(٤)

وقال آخر: [من المنسرح]

وَدَّعْتُهُ حَيْثُ لَا تُودَّعُهُ رُوحِي، وَلِكِنَّهَا تَسِيرُ مَعَهُ
ثُمَّ تَوَلَّى فِي الْقُلُوبِ لَهُ ضَيْقُ مَجَالٍ فِي الدَّمُوعِ سَعَهُ

وقال الإمام الصولي^(٥): [من المنسرح]

لَوْ كُنْتُ يَوْمَ الْوَدَاعِ حَاضِرًا وَهَنْ يَشْكُونُ عِلَّةَ الْوَجْدِ
لَمْ تَرَ إِلَّا الدَّمُوعَ جَارِيَةً تَسْقُطُ مِنْ مُقْلَةٍ عَلَى خَدِّ
كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمُوعَ قَطَرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ!

(١) ابن زيدون: هو أحمد بن عبد الله المخزومي الأندلسي، أبو الوليد، شاعرٌ كاتب وزير، من أهل قرطبة، وعاشق ولادة بنت المستكفي، له ديوان شعر مطبوع، توفي بأشبيلية سنة ١٠٧١ م. «فهرس الأعلام ١/١٥٨».

(٢) يفرع السن: يصكها ندماً، وشيعة: تبعه وودعه.

(٣) هو أبو عبد الرحمن بن عبد العزيز النيلي، من الأعيان الأفراد في الفقه، أديب شاعر أخذ بأطراف الفضائل، يعد من حسنات نيسابور ومفاخرها. «اليتيمة ٤/٤٩٤».

(٤) العود: الرجوع، وقَلَب: عكس الحروف.

(٥) الصولي: هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحق، كاتب العراق في عصره، قرّبه الخلفاء، قال المسعودي: لا يعلم فيمن تقدّم وتأخّر من الكتاب أشعر منه، له ديوان شعر، توفي سنة ٨٥٧ م. «فهرس الأعلام ١/٤٥٠».

وقال أبو منصور أحمد بن محمد اللّخمي^(١): [من البسيط]

وَقَفْتُ يَوْمَ النَّوَى مِنْهُمْ عَلَى بَعْدٍ وَلَمْ أُوَدِّعْهُمْ وَجَدًا وَإِشْفَاقًا
إِنِّي خَشِيتُ عَلَى الْأَطْعَانِ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ دُمُوعِي: إِحْرَاقًا وَإِغْرَاقًا^(٢)

وقال ابن نباتة^(٣): [من الطويل]

وَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ لِلرَّوَّاحِ حُمُولُهُنَّ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَامِتٌ وَعَْيُورٌ^(٤)
وَقَفْنَا: فَمِنْ بَاكِ يُكْفِكِفُ دَمْعَهُ وَمُلْتَزِمٌ قَلْبًا يَكَادُ يَطِيرُ^(٥)

وقال آخر: [من الطويل]

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلوَدَاعِ، وَقَلْبُهَا وَقَلْبِي يَبْثُنَانِ الصَّبَابَةَ وَالوَجْدَا
بَكَتْ لَوْلَا رَطْبًا فَفَاضَتْ مَدَامِعِي عَقِيقًا فَصَارَ الْكُلُّ فِي نَحْرِهَا عِقْدَا

وقال آخر: [من البسيط]

وَدَّعْتُهَا وَلَهَيْبُ الشُّوقِ فِي كِبْدِي وَالْبَيْنُ يُبْعِدُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
وَدَاعَ صَبِّينٍ لَمْ يُمْكِنْ وَدَاعُهُمَا إِلَّا بِالْخِطَّةِ عَيْنٍ أَوْ بَنَانٍ يَدِ
وَحَادَرْتُ أَعْيُنَ الْوَاشِينَ فَانصَرَفْتُ تَعْصُ مِنْ خَوْفِهَا الْعُنَابَ بِالْبَرْدِ^(٦)
وَكَانَ أَوَّلُ عَهْدِ الْعَيْنِ يَوْمَ نَأَتْ بِالْذَّمْعِ آخِرَ عَهْدِ الْقَلْبِ بِالْجَلْدِ

وقال الهيثم الكلاعي^(٧)، من شعراء «اليتيمة»: [من الطويل]

وَلَمْ أُنْسَهَا يَوْمَ الْوَدَاعِ، وَمَسَحَهَا بِوَادِرِ دَمْعِ الْعَيْنِ، وَالْعَيْنُ تَذْرِفُ

(١) هو أبو منصور أحمد بن محمد بن زياد اللّخمي، الملقب بالقاضي الحبيب، من قضاة قرطبة، كان من أكمل الناس وأدبهم، نشأ أثيرًا عند الخلفاء، توفي سنة ٩٢٤ م. «فهرس الأعلام ١/ ٢٠٦».

(٢) الأطعان: المرتحلين، والظعن: المرأة الطاعنة في الهودج.

(٣) ابن نباتة: هو عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي، أبو نصر، من فحول شعراء العصر وأحاديهم وصدور مجيديهم، وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافي، وملكوا رِقَّ المعاني، شعره كقطع الزّوض غب القطر. «انظر ترجمته في اليتيمة ٤٤٧/٢ وما بعدها».

(٤) استقلت للزّواح: تهيأت وارتحلت، والحمول: التّوق وما عليها.

(٥) طار القلب: خفق واضطرب وكاد يخرج من بين الجوانح فرقًا وحزنًا.

(٦) العناب: شجر ثمره معروف يكتى به عن «الشفاه»، والبرد: الأسنان.

(٧) الهيثم الكلاعي: هو لإدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي، ذكره صاحب اليتيمة وأورد له بضع مقطوعات غزلية رقيقة. «انظر اليتيمة ٦٠/٢».

أَفَانِينُ تَجْرِي مِنْ دُمُوعٍ وَمِنْ دَمٍ عَلَى الْخَدِّ مِنْهَا تَسْتَهِيلُ وَتَزْعُفُ^(١)
وَتَكَرَّرُنَا نَجْوَى الْهَوَى ذَاتَ بَيْنِنَا وَكُلٌّ إِلَى كُلٍّ يَلِينُ وَيَغْطِفُ
جَعَلْنَا هُنَاكَ الْهَجَرَ مِنَّا بِجَانِبٍ وَلِلْبَيْنِ دَاعٍ بِالتَّرْحُلِ يَهْتِفُ
وَلَوْلَا النُّوَى، لَمْ نَشْكُ ضَعْفًا عَنِ الْأَسَى! وَمَنْ يَحْمِلُ الْأَشْجَانَ بِالْبَيْنِ يَضْعُفُ!
فَقُلْتُ: كِلَانَا مُثْقَلٌ مِنْ صَبَابَةٍ وَلَكِنِّي عَنْ حَمْلِهَا مِنِّي أَضْعَفُ^(٢)

وقال الظاهر البصري^(٣): [من البسيط]

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ جَاءَتْ تُودُّعُنِي يَوْمَ الْفِرَاقِ بِقَلْبٍ خَائِفٍ وَجَلٍ!
قَدْ كُنْتُ فَارِقْتُ رُوحِي يَوْمَ فُرْقَتِهَا لَكِنْ حَيْثُ بِطَيْبِ الضَّمِّ وَالْقُبْلِ!

وقال يزيد بن معاوية: [من البسيط]

جَاءَتْ بِوَجْهِهِ كَأَنَّ الْبَذَرَ بَرَقَعَهُ حُسْنًا عَلَى مِثْلِ غُصْنِ الْبَانَةِ الثَّمَلِ
إِخْدَى يَدَيْهَا تُعَاطِبُنِي مُعْتَقَّةً كَخِذَا عَصْفَرْتِهِ خُمْرَةُ الْخَجَلِ^(٤)
ثُمَّ اسْتَبَدَّتْ وَقَالَتْ وَهِيَ عَالِمَةٌ بِمَا تَقُولُ وَشَمْسُ الْكَأْسِ لَمْ تَفِلِ^(٥)
لَا تَرَحَّلَنْ، فَمَا أَبْقَيْتَ لِي جَلْدًا مِمَّا أُطِيقُ بِهِ تَوْدِيعَ مُرْتَجِلٍ!
وَلَا مِنَ الصَّبْرِ مَا أَلْقَى الْفِرَاقَ بِهِ وَلَا مِنَ الدَّمْعِ مَا أَبْكِي عَلَى طَلَلٍ!

ومن الناس من كره الوداع، وفي ذلك يقول البحرري: [من مجزوء الكامل]

اللَّهُ جَارُكَ فِي انْطِلَاقِكَ تِلْقَاءَ شَامِكَ أَوْ عِرَاقِكَ!
لَا تَعْدُلْنِي فِي مَسِيرِ رِي يَوْمَ سَرْتِ وَلَمْ أَلَاقِكَ!
إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا لِلْبَيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ مَاقِكَ!^(٦)
وَعَلِمْتُ أَنَّ بُكَاءَنَا حَسْبُ اشْتِيَاقِي وَاشْتِيَاقِكَ!

(١) الأفانين: مفردا «أفنون» وهو الغصن الملتف، ومن الكلام: الأسلوب والطريقة، والأفانين هنا: أنواع من الدمع والدم.

(٢) في اليتيمة ٦٠/٢: «فقلت: كلانا مشتك».

(٣) الظاهر البصري: هو أبو الحسين الظاهر البصري، من شعراء البصرة، ذكره صاحب اليتيمة، وأورد له بضع مقطوعات غزلية رقيقة. «انظر اليتيمة ٤٣٢/٢».

(٤) المعتقة: الخمرة، وعصفرته: صبغته بالعصفر، وهو نبات يستخرج منه صبغ أحمر.

(٥) استبدت: انفردت بالرأي، ولم تفل: لم تغب، من «أفل».

(٦) تسفح: تسيل وتسكب، والغرب: الدمع، والماق: مجرى الدمع من العين.

وذكرت ما يجد المو دُع عند صَمِّكَ واغتنابك
فتركت ذاك تعمداً وخرجت أهرُب من فراقك

وقال آخر: [من الكامل]

الله يعلم ما تركت وداعه ولقد جزعت لبُعده وفراقه
إلا مخافة أن يذيب فؤاده ما في فؤادي منه عند عناقِه!

وقال آخر: [من الخفيف]

إن تركي فضيلة التشيع لاجتنابي مشقة التوديع
ما يفي أنس ذا بوحشة هذا فرأيت الصواب ترك الجميع!

وقال آخر: [من الخفيف]

ما تركت الوداع يوم افترقنا عن ملال ولا لوجه قبيح
أنت روجي على الحقيقة ما زل ت، وما اخترت أن أودع روجي!

ومما قيل في الصّد والهجران، قال أبو عبادة البحرّي: [من الكامل الأحذ]

هَجَرَ الحبيب، فمتُّ من شَغَفٍ لَمَّا حُرِفْتُ عَزِيمَةَ الصَّبْرِ!
فإذا قَضَيْتُ، فنادٍ: يا حَزَنِي هذا قَتِيلُ الصَّدِّ والهَجْرِ!^(١)
والبدر في حلٍّ وفي سَعَةٍ من سَفِكِهِ دَمَ عَبْدِهِ الحُرِّ!

وقال ابن ميادة^(٢): [من المنسرح]

كانوا بَعِيدًا، فكنْتُ آمِلُهُمْ حتّى إذا ما تَقَارَبُوا، هَجَرُوا
فالْبُعْدُ منهم على رجائِهِمْ أنْفَعُ من قُرْبِهِمْ إذا هَجَرُوا!

وقال أبو الحسن أحمد بن عمر النُّهرواني: [من مجزوء الوافر]

على قَلْبِي الأَحِبَّةُ بالثَّم لادي في الهوى غَلَبُوا^(٣)

(١) الصّد: الإعراض.

(٢) ابن ميادة: هو الرَّماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني المضري، أبو شرحبيل، ويقال: أبو حرملة، شاعرٌ رقيق، هجاء، من مخضرمي الدولة الأموية العباسية، اشتهر بنسبته إلى أمه ميادة، وأخباره كثيرة، توفي سنة ٧٦٦ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٣١».

(٣) التماذي: الهجران، أو بالمداومة على الهجران.

وبالهِجْرَانِ مِنْ عَيْنِ
وَمَا طَلَبُوا سِوَى قَتْلِي
يَ طَيِّبَ النَّوْمِ قَدْ سَلَبُوا
فَهَانَ عَلَيَّ مَا طَلَبُوا!

ولما سمع الشيخ العالم صدر الدين محمد بن الوكيل^(١) هذه الأبيات، عارضها، وأنشدني لنفسه في صَفَرِ الْأَغَرِّ الميمون سنة ثلاث عشرة وسبعمائة: [من مجزوء الوافر]

لَيْنٌ غَلَبُوا عَلَى عَقْلِي
وَأَنْ أَبْكَى تَبَسُّمُهُمْ
لَقَدْ سَلَبُوا لِمَنْ غَلَبُوا!
فَحُلِبَ بِرَقْفِهِمْ خَلَبُوا!^(٢)
وَأَنْ تَزُجَّ الْعَيُونُ، فَقَدْ
إِلَيْهَا السُّهْدُ قَدْ جَلَبُوا!
وَأَنْ عَطَفُوا بِرِقْفَتِهِمْ
فَدَرَّ مَدَامَعِي خَلَبُوا!

ومما قيل في الزيارة، قال الوزير أبو عبد الله بن الحَدَّاد^(٣): [من المتقارب]

إِذَا جَاءَنِي زَائِرًا حُسْنُهُ
أَقَامَ عَلَيْهِ رَقِيبًا عَتِيدًا^(٤)
إِذَا مَا بَدَأَ سَرَبَلَتُهُ الْعُيُونُ
وَحَرَّتْ وَجُوهٌ إِلَيْهِ سُجُودًا
هُوَ الْبَدْرُ وَالْغُصْنُ: حَدًّا وَقَدْ
كَمَا أَنَّهُ الطَّبْنِيُّ: لَحْظًا وَجِيدًا
أَتَى زَائِرًا وَقُوَادِي خَلِي
فَمَرَّ بِهِ مُسْتَهَامًا عَمِيدًا^(٥)
وَعَادَرَنِي بَعْدَهُ فِي عَرَامٍ
تَضَرَّمْ بَيْنَ ضُلُوعِي وَقُودًا!

وقال نصير الْخُبَزَاءَرِيِّ، شاعر «اليتيمة» عفا الله عنه: [من الطويل]

خَلِيلِي! هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا
بَأَكْرَمَ مِنْ مَوْلَى تَمَشَّى إِلَيَّ عَبْدًا
أَتَى زَائِرًا مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَقَالَ لِي:
أُصَوِّنُكَ عَنْ تَعْلِيْقِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ!

(١) ابن الوكيل: هو محمد بن عمر بن مكي، أبو عبد الله، صدر الدين «ابن المرحّل» شاعر من العلماء بالفقه، ولد بدمياط ونشأ في دمشق وتوفي بالقاهرة سنة ١٣١٧ م، كانت له ذاكرة عجيبة، حفظ المقامات الحريية في خمسين يومًا، وديوان المتنبي في أسبوع. «فهرس الأعلام ٣١٤/٦».

(٢) الْخَلْبُ: السحاب يومض برقه حتى يرجى مطره، ثم يخلف وينقشع، واخلبوا: خدعوا.

(٣) ابن الحَدَّاد: هو محمد بن أحمد بن عثمان القيسي، أبو عبد الله، شاعر أندلسي، له ديوان شعر كبير مرتب على حروف المعجم، اختص بالمعتصم بن معن بن صمادح، فأكثر من مدحه، توفي بالمرية سنة ١٠٨٧ م. «فهرس الأعلام ٣١٥/٥».

(٤) العتيد: المهيأ والحاضر. (٥) العميد: الشديد الحزن.

وقال الوأواء الدمشقي^(١): [من مخلَع البسيط]

زارَ بليلاً على صَبَاحٍ على قَضِيْبٍ على كَثِيْبٍ!
حَتَّى أَتَتْ أَلْسُنُ اللَّيَالِي مُعْتَزِرَاتٍ مِنَ الذُّنُوبِ
فِيهَا لَهَا زَوْرَةٌ أَخَذْنَا بِهَا أَمَانًا مِنَ الْخُطُوبِ!

وقال أبو عبد الله الحَدَّاد: [من الكامل]

يا زائراً، مَلَأَ النَّوَاطِرَ نُورًا وَالنَّفْسَ لَهْوًا وَالْفُؤَادَ سُورًا!
لَوْ أَسْتَطِيعُ، فَرَشْتُ كُلَّ مَسَالِكِي حَدَقًا وَبَيْضَ سَوَالِفٍ وَنُحُورًا

وقال آخر: [من المنسرح]

أَهْلًا وَسَهْلًا بِطَارِقٍ طَرَقَا أَخْبَبْتُ فِيهِ السُّهَادَ وَالْأَرْقَا!^(٢)
زارَ على غَفْلَةِ الرَّقِيْبِ وَيُمْنِ لَاهُ تُدَارِي وَشَاخَهُ الْقَلِيْقَا!^(٣)
فَبِتُّ مِنْهُ مُعَانِقًا صَنَمًا يَنْفَحُ مِسْكًَا وَعَنْبَرًا عَيْقًا!^(٤)
لَوْ شِئْتُ، أَنْشَأْتُ مِنْ ذَوَائِبِهِ لَيْلًا، وَمِنْ نُورٍ وَجْهَهُ فَلَقَا!^(٥)

وقال أبو عبد الله الحامدي^(٦)، من شعراء «اليتيمة»: [من البسيط]

مُشْتَاقَّةٌ طَرَقَتْ فِي اللَّيْلِ مُشْتَاقًا! أَهْلًا بَمَنْ لَمْ يَخُنْ فِي الْعَهْدِ مِيثَاقًا!
أَهْلًا بَمَنْ سَاقَ لِي طَيْفَ الْأَحِبَّةِ فِي لَيْلِ الدُّجْنَةِ، بَلْ أَهْلًا بِمَا سَاقَا!^(٧)
يَا زَائِرًا زَارَ مِنْ قُرْبٍ عَلَى بَعْدٍ أَنْسَتْ مُسْتَوْحِشًا! لَا دُقْتُ مَا دَاقَا!

(١) الوأواء الدمشقي: هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي، الملقب بالوأواء من حسنات الشام، وصاغة الكلام، كان منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه. «انظر اليتيمة ٣٣٤/١ وما بعدها».

(٢) الطَّارِقُ: الزَّائِرُ لَيْلًا. (٣) القلق: المتحرك.

(٤) الصنم: التمثال الذي يعبد، وينفخ: يعبق ويفوح، والعبق: المنتشر الرائحة.

(٥) الدوايب: مفردها ذؤابة، وهي خصلة الشعر في مقدم الوجه.

(٦) أبو عبد الله الحامدي: شاعر نسبته إلى حامدة من أعمال واسط، ذكره صاحب اليتيمة وأورد له بعضاً من مقطوعاته الغزلية الرقيقة. «انظر اليتيمة ٤٣٧/٢».

(٧) في اليتيمة ٤٣٨/٢:

أَهْلًا بَمَنْ سَاقَ لِي طَيْفَ الْأَحِبَّةِ مِنْ أَرْضِ الْأَحِبَّةِ

الله يَغْلُمُ لو أني أَسْتَطَعْتُ، لقد فرشتُ ممشاكَ آماقًا وأخداقًا! (١)
يا لَيْلُ، عَرِّجْ على الْفَيْنِ قد جَعَلَا عَقْدَ السَّوَادِجِ للأَعْنَاقِ أطواقًا! (٢)
وقال مؤيد الدين الطغرائي: [من الطويل]
وزائرة وافَتْ، فأجللتُ خَدَّها وقبِلْتُ إكرامًا لمَورِدِها الأَرْضَا!
فيا زُورَةَ جاءت على غَيْرِ مَوْعِدٍ ففَرَّتْ عُيُونٌ واشتَفَتْ أَنْفُسٌ مَرْضَى!
فلَمْ أَرِ إِلَّا ما أَلَدُ وأَشْتَهِي ولم أَرِ إِلَّا ما أودَّ وما أَرْضَى!
على أَنَّها وَلَّتْ ولم أَقْضِ سُنَّةَ - من الوَطَرِ المَمْطُولِ دَهْرًا - ولا فَرْضًا! (٣)
وما سَوَّغْتُنَا لَيْلَةَ الوَصْلِ قَرْضَها إلى أنْ بَدَا الإِضْبَاحُ يَسْتَرْجِعُ الْقَرْضَا! (٤)

وقال ابن سُكْرَةَ (٥)، من شعراء «اليتيمة»: [من البسيط]
أَهْلًا وَسَهْلًا بَمَنْ زَارَتْ بلا عِدَةٍ تحتَ الظلامِ ولم تَحْذَرْ من الحَرَسِ! (٦)
تَسْتَرُّ بالدُّجَى عَمْدًا، فما اسْتَتَرَتْ وباتَ إشراقُها لَيْلًا على قَبَسِ! (٧)
ولو طَوَّاهَا الدُّجَى عَنَّا، لأَظْهَرَهَا بَرَقُ اللَّثَاثِ وعِطْرُ النَّخْرِ والنَّفْسِ! (٨)

ومما قيل في تخفيف الزيارة وموانعها، قال شاعر الحماسة (٩): [من الكامل]
ولَمَّا رَأَيْتُ الكاشِحِينَ تَتَّبَعُوا هَوَانًا وأَبْدَوْا دُونَنَا نَظْرًا شَزْرًا! (١٠)
جَعَلَتْ - وما بي من جَفَاءٍ ولا قِلَى - أَزُورُكُمْ يَوْمًا وأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا! (١١)

- (١) الآفاق: مجاري الدمع.
- (٢) الإلف: الحبيب والعشير، والطوق: ما يحيط بالعنق، يريد: الضم.
- (٣) السُّنَّة: الشريعة والطريقة، والوطر: الحاجة والمأرب، والممطول: الذي لم يتحقق وفاؤه، والفرض: الفريضة الواجبة.
- (٤) سَوَّغْتُنَا: سهَّلْتُ لَنَا، والقرض: ما يقدم من عمل يستوجب الجزاء.
- (٥) ابن سكرة: هو محمد بن عبد الله بن محمد، الهاشمي، أبو الحسن، شاعر متسع الباع في أنواع الإبداع، فائق في قول الملح والظرف، أحد الفحول الأفراد، وكان يقال في بغداد: إن زمانًا جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخي جدًا. «انظر يتيمة الدهر ٣/٣ وما بعدها».
- (٦) بلا عدة: بلا ميعاد.
- (٧) القبس: الشعلة من النار.
- (٨) اللَّثَاث: مفرد لها لثة، يريد برق الأسنان في اللثة.
- (٩) الحماسة: ديوان لشعراء عدة اختار قصائده الشاعر المشهور حبيب بن أوس الطائي «أبو تمام» وشرحه التبريزي، ولعله يريد بشاعر الحماسة: أبا تمام نفسه.
- (١٠) الكاشح: المبغض، ونظرة الشَّرْز: نظرة الغضب.
- (١١) القلى: البغض.

وقال مسلم بن الوليد: [من مجزوء الكامل]

أَقْلِيلُ زِيَارَتِكَ الصَّدِيدِ ق، يَرَاكَ كَالثُّوبِ اسْتَجْدَّةً!
إِنَّ الصَّصْدِيقَ يُمِلُّهُ أَنْ لَا يَزَالَ يَرَاكَ عِشْدَةً
إِلَّا الْكَرَامَ ذَوِي الثُّهَى إِنَّ الْكَرِيمَ يُدِيمُ عَهْدَةً!
وقال آخر: [من المتقارب]

إِذَا مَا كَثُرَتْ عَلَى صَاحِبٍ وَقَدْ كَانَ يُدْنِيكَ مِنْ نَفْسِهِ
فَلَا بُدَّ مِنْ مَلَلٍ وَاقِعٍ يُغَيِّرُ مَا كَانَ مِنْ أَنْسِهِ!
وقال آخر: [من البسيط]

لَيْتَنِي تَأَخَّرْتُ عَنْ مَفْرُوضِ خِدْمَتِكُمْ تَجَشُّمًا، فَضَمِيرِي غَيْرُ مُتَّهَمٍ^(١)
سَعَى وَدَادِي إِلَيْكُمْ بِالْوَفَاءِ لَكُمْ وَالسَّعْيُ بِالْقَلْبِ فَوْقَ السَّغْيِ بِالْقَدَمِ!
وقال ابن المعلم: [من الكامل]

لَمْ أَجَوْ بِخَرِّ نَدَاكَ - مَعَ قُرْبِي - قَلَى إِلَّا مَخَافَةَ مَوْجِهِ الْمُتْرَاكِبِ^(٢)
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا ثَقُلْتُ، وَالتَّثْقِيلُ لَيْسَ بِوَاجِبِ^(٣)
وقال المعوج: [من البسيط]

ثَلَاثَةٌ مَنَعَتْهَا مِنْ زِيَارَتِنَا وَقَدْ دَجَى اللَّيْلُ خَوْفَ الْكَاشِحِ الْحَنِقِ^(٤)
نُورُ الْجَبِينِ، وَوَسْوَاسُ الْحُلِيِّ، وَمَا يَمَسُّ أُرْدَانَهَا مِنْ عَنَبَرِ عَيْقِ^(٥)
هَبِ الْجَبِينِ بِفَضْلِ الثُّوبِ تَسْتُرُهُ وَالْحُلِيِّ تَنْزِعُهُ، مَا الشَّأْنُ فِي الْعَرَقِ؟
وقال أبو فراس الحمداني: [من الهزج]

لَقَدْ نَافَسَنِي الدَّهْرُ بِتَأْخِيرِي عَنِ الْحَضْرَةِ
فَمَا أَلْقَى مِنَ الْعِـ لَّةٍ مَا أَلْقَى مِنَ الْحَسْرَةِ!

(١) تجشّم: تكلف المشقة والعناء.

(٢) الندى: الكرم، والمراكب من الموج: المتتابع بعضه بعد بعض لكثرة.

(٣) ثقلت: أي كنت ثقيلاً مكروهاً ومُملًا. (٤) الكاشح: المبعض.

(٥) الأردن: مفردا الرّدن، وهو الكم.

ومنها التأخر عن عيادة المرضى، قال ابن زريق الكوفي^(١) الكاتب: [من مجزوء الخفيف]

يا مَرِيضًا لِسُقْمِهِ مَرِضَ الْعِلْمِ وَالْوَفَا!
لَمْ يَكُنْ تَرْكِي الْعِيَا دَةً هَجْرًا وَلَا جَفَا
لَمْ أُطِقْ أَنْ أَرَاكَ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ مُذْنَفَا!^(٢)
طَالَ خَوْفِي عَلَيْكَ، وَالـ حَمْدُ اللَّهِ إِذْ كَفَى!

وقال آخر: [من الخفيف]

مَنْعَتْنِي عَلَيْكَ رِقَّةٌ قَلْبِي مِنْ دُخُولِي عَلَيْكَ فِي الْعَوَادِ
لَوْ بِأُذُنِي سَمِعْتُ مِنْكَ أَيْنَا لَتَفَرَّيَ عَلَى الْأَيْنِ فُؤَادِي^(٣)
وقال آخر: [من المتقارب]

فَوَاللَّهِ! لَيْسَ انْقِطَاعِي جَفَا وَفِي كَيْدِي مِنْكَ نَارٌ تَشَبَّ!
وَلَكِنِّي قَطُّ لَا أَشْتَهِي أَرَى مَنْ أَحَبُّ كَمَا لَا أَحَبُّ!

ومما قيل في المدامع، قال العسكري: أبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الأعراب: [من الطويل]

فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ رُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظَرُ^(٤)
وقال البحتري: [من الوافر]

وَيَحْسُنُ دَلُّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السِّيفُ الصَّقِيلُ!
وَقَفْنَا وَالْعُيُونُ مُثْقَلَاتٌ يُعَالِجُ دَمْعَهَا طَرْفٌ كَلِيلُ!
نَهْشُهُ رِقْبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَعْلَقَ: لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ!^(٥)

(١) هو ابن زريق الكوفي الكاتب، أبو محمد، شاعر ذكره صاحب اليتيمة وأورد له بعضاً من مقطوعات شعره الرقيقة «انظر اليتيمة ٢/٤٤٢».

(٢) المذنف: الذي اشتد مرضه. (٣) تفرى: تشقق وتفتقر الماء.

(٤) فرط الصبابة: شدة الحب.

(٥) غاض الماء: غار في جوف الأرض، وسال الماء: جرى.

وقال السري^(١): [من الطويل]

بنفسي مَنْ رَدَّ التَّحِيَّةَ ضَاحِكًا فجَدَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَضَلِ مَطْمَعِي!
إِذَا مَا بَدَأَ، أَبْدَى الْغَرَامُ سَرَائِرِي وَأَظْهَرَ لِلْعَذَّالِ مَا بَيْنَ أَضْلُعِي^(٢)
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَغَشَّقُهُ مَعِي

وقال الصولي^(٣): [من الكامل]

قَدْ كَانَ فِي طُولِ الْبُكَالِيِّ رَاحَةً وَعِنَانُ سِرِّي فِي يَدِ الْكِثْمَانِ^(٤)
حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَّهَ وَاشِيَا رَقَاتُ دُمُوعِي خَشِيَةَ الْإِعْلَانِ!^(٥)

وقال بشار: [من البسيط]

مَاءُ الصَّبَابَةِ، نَارُ الشُّوقِ تَحْدِرُهُ فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَاءٍ فَاضَ مِنْ نَارٍ؟

وقال أبو هلال العسكري: [من البسيط]

أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعٍ قَادَهَا قَلْبُ حَتَّى عَلِقْنَ بِجَفْنٍ رَدَّهَا الْفَرْقُ^(٦)
فَفِي الْفُؤَادِ سَبِيلٌ لِلْأَسَى جَدَّدَ وَفِي الْجُفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرَى قَلْبُ^(٧)
لَهَيْبِ قَلْبِي أَفَاضَ الدَّمْعُ مِنْ بَصْرِي وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ يَخْتَرِقُ!

وقال الصولي: أنشد أبو الحسن بن رجاء المبرّد يوماً بيتَ ذي الرّمة^(٨): [من

الطويل]

«لَعَلَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُغْقِبَ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي شَجِيَّ الْبَلَابِلِ!»^(٩)

وقال: من قال في مثله، فقد ملح.

(١) هو السريّ الرّفاء «تقدمت ترجمته». (٢) السرائر: النوايا.

(٣) الصولي: هو إبراهيم بن العباس، أبو إسحق الكاتب «تقدمت ترجمته».

(٤) العنان: الرّمام. (٥) رقاً الدمع: سكّن وقطع جريانه.

(٦) الفرق: الخوف.

(٧) الجدد: الأرض المستوية، والمقيل: مكان القيلولة والراحة.

(٨) ذو الرّمة: هو غيلان بن عقبة بن نهيس العدويّ، أبو الحارث، «صاحب ميّ» شاعرٌ من فحول

الطبقة الثانية، كان شديد القصر دميماً، يضرب لونه إلى السواد له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة

٧٣٥ م. «فهرس الأعلام ١٢٤/٥».

(٩) البلبال: الهمّ والوسواس.

وقال الحسن بن وهب^(١): [من السريع]

إِنْكِ! فما أَكْثَرَ نَفْعَ الْبُكَاءِ! وَالْحُبُّ إِشْفَاقٌ وَتَغْلِيلُ!
إِفْزَعُ إِلَيْهِ فِي أَزْدِحَامِ الْجَوَى ففِيهِ مَسْأَلَةٌ وَتَسْهِيلُ^(٢)
وهو إِذَا أَنْتِ تَأْمُلْتُهُ حُزْنٌ عَلَى الْخَدَيْنِ مَحْلُولُ!

وقال العباس بن أحمد بن الأحنف: [من الكامل]

إِنِّي لِأَجْحَدُ حُبِّكُمْ وَأَسْرُهُ وَالْدَّمْعُ مُعْتَرِفٌ بِهِ لَمْ يَجْحَدِ
وَالْدَّمْعُ يَشْهَدُ أَنَّي لَكَ عَاشِقٌ وَالنَّاسُ قَدْ عَلِمُوا وَإِنْ لَمْ يَشْهَدِ
وقال آخر: [من الطويل]

فَلا تُنْكِرَنَّ لَوْنَ الدَّمْعِ فَإِنَّمَا يُبَيِّضُهَا تَصْعِيدُهَا مِنْ دَمِ الْقَلْبِ!

وقال العسكري: [من مجزوء الخفيف]

أَفَقَةُ السَّرِّ مِنْ دُمُوعِ عِ دَوَامِ دَوَامِيعِ!
كَيْفَ يَخْفَى مَعَ الدُّمُوعِ عِ الْهُوَامِي الْهُوَامِيعِ؟^(٣)
مَا رَأَيْنَا أَخَا هَوَى سِرُّهُ غَنِيْرُ ذَائِعِ!
إِنْ نِيرَانِ حُبِّهِ بَادِيَاتُ الطَّلَاحِ!

وقال خالد الكاتب^(٤): [من الطويل]

بَكَيْتُ دَمًا حَتَّى بَقِيَتْ بِلَا دَمٍ بُكَاءٌ فَتَى فَرِدَ عَلَى شَجَنِ فَرْدِ!^(٥)
أَبْكِي الَّذِي فَارَقْتُ بِالدَّمْعِ وَحْدَهُ؟ لَقَدْ جَلَّ قَدْرُ الدَّمْعِ فِيهِ إِذَا عِنْدِي!

(١) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، أبو علي، كاتب من الشعراء، كان معاصراً لأبي تمام، استكتبه الخلفاء ومدحه أبو تمام ورثاه البحرني لما مات نحو سنة ٨٦٥ م. «فهرس الأعلام ٢/٢٢٦».

(٢) افزع إليه: لُذ به واستعين.

(٣) الهوامي: الهائلة، والهوامع: البواكي.

(٤) خالد الكاتب: هو خالد بن يزيد البغدادي، أبو الهيثم المعروف بالكاتب شاعر غزل، من الكتاب، توفي في بغداد سنة ٨٧٦ م. «فهرس الأعلام ٢/٣٠١».

(٥) الشجن: الحزن والهم.

وقال آخر: [من الوافر]

غَدَتْ بِأَحْبَبَّتِي كَوْمَ الْمَطَايَا فَبَانَ النُّوْمُ وَامْتَنَعَ الْقَرَارُ^(١)
وَكَانَ الدَّمْعُ لِي دُخْرًا مُعَدًّا فَأَنْفَقْتُ الدَّخِيرَةَ يَوْمَ سَارُوا!

وقال آخر: [من الخفيف]

طَالَ عَهْدِي بِهَا فَلَمَّا رَأَيْتَنِي نَظَمْتَ لَوْلَا عَلَى تُفَاح!

وقال آخر: [من البسيط]

إِذْ لَا جَوَابَ لِمُفْحَمٍ مُتَحَيِّرٍ إِلَّا الدَّمْعُ تُصَانُ بِالْأَطْرَافِ^(٢)

وقال آخر: [من الطويل]

تَقُولُ غَدَاةَ الْبَيْنِ عِنْدَ وَدَاعِهَا إِلَى الْكَبِدِ الْحَرَى: فَسِرْ، وَلَكَ الصَّبْرُ!
وَقَدْ سَبَقَتْهَا غَبْرَةٌ: فَدُمُوعُهَا عَلَى خَدَّهَا يَبِضُّ، وَفِي نَحْرِهَا حُمْرُ!

معناه: أن الدَّمْعَ إذا انحدرت إلى نحرها أحمرت من الطيب.

قالوا: وأحسن ما قيل في صفة الدَّمْعِ إذا امتزجت بالدماء، قول أبي

الشَّيْصِ^(٣): [من الطويل]

لَهَوْتُ عَنِ الْإِخْوَانِ إِذْ سَفَرَ الضُّحَى وَفِي كَيْدِي مِنْ حَرِّهِنَّ حَرِيقُ
مَزَجْتُ دَمًا بِالدَّمْعِ حَتَّى كَأَنَّمَا يُذَابُ بِعَيْنِي لَوْلُو وَعَقِيقُ

وقول أبي تمام: [من الكامل]

نَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِيعٍ لَمْ تُنْظَمِ وَالدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقَلِ الْمُغْرَمِ!^(٤)
وَصَلْتُ نَجِيعًا بِالدَّمْعِ، فَخَدَّهَا فِي مِثْلِ حَاشِيَةِ الرَّدَاءِ الْمَعْلَمِ!^(٥)

(١) الكوم: مفردها الكوماء، من النوق: ما عظم سنامها.

(٢) المفحَم: العبي عن الكلام، والأطراف: الأيدي.

(٣) أبو الشَّيْصِ: هو محمد بن عبد الله بن رزين، ابن عم دِجْل بن علي بن رزين الشاعر، كان في عصر الرشيد، وقد ذكره صاحب الشعر والشعراء، وأورد بعض قصائده الجيدة. «انظر الشعر والشعراء ص ٥٧١ وما بعدها».

(٤) المغرم: الذي أثقله الدين، أو العشق. (٥) المعلم: المطرز.

ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدّ قول الصوليّ: [من المنسرح]

كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطُرٌ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَزْدٍ!
وهي أبيات تقدّمت في التوديع.

ونحوه قول ابن الروميّ: [من الرجز]

لَمَّا دَنَا الْبَيْنُ وَزَاحَ الدَّلُّ وَدَعَتْهَا وَدَمْعُهَا مِنْهَلٌ
وَخَذَهَا مِنْ قَطْرِهِ مَخْضَلٌ كَأَنَّهُ وَزْدٌ عَلَيْهِ طَلٌّ!^(١)

وقال آخر: [من المتقارب]

كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جُلْنَارٍ^(٢)

ومما قيل في الرضا من المحبوب باليسير، فمن ذلك قول حميد بن ثور^(٣): [من الطويل]

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ!
ومثله قول ابن المعلّوط^(٤): [من الوافر]

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو وَإِيَّانَا؟ فَذَاكَ لَنَا تَدَانِي!
بَلَى، وَأَرَى السَّمَاءَ كَمَا تَرَاهَا وَيَغْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي!
وقال جميل^(٥): [من الطويل]

وَإِنِّي لِأَرْضَى مِنْكَ، يَا بَثْنُ، بِالَّذِي لَوْ أَسْتَيْقَنَ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ!^(٦)

(١) المخضّل: الندى الطريّ.

(٢) الجلنار: زهر الزمان، شبه به لون خدودها.

(٣) هو حميد بن ثور الهلالي، من بني عامر بن صعصعة، شاعرٌ إسلاميٌّ مجيد، ذكره صاحب الشعر والشعراء، وأورد بعضاً من أبياته وشعره. «الشعر والشعراء» ص ٢٤٧.

(٤) ابن المعلّوط: لعله المعلوط بن بدل السعدي، شاعرٌ ورد ذكره في ديوان الحماسة. «شرح التبريزي» ١٤٧/٢.

(٥) هو جميل بن معمر، الشاعر العذري المشهور، صاحب بئينة «تقدّمت ترجمته».

(٦) في الديوان ص ١١٥، دار صادر:

= لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلِهِ وَإِنِّي لِأَرْضَى مِنْ بَثِينَةِ بِالَّذِي

يَلَا، ويَأْنُ لا أَسْتَطِيعُ، وبِالْمُنَى وبِالْأَمَلِ المَكْذُوبِ قَدْ خَابَ أَمَلُهُ!
وبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى، وبِالْحَوْلِ يَنْقُضِي أَوَاخِرُهُ لا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ!

وقريب منه قول الآخر: [من الطويل]

يَوَدُّ بَأْنَ يُمَسِّي سَقِيمًا لَعَلَّهَا إِذَا سَمِعَتْ مِنْهُ بِشَكْوَى تُرَايِلُهُ!
ويَهْتَرُ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ الْعَلَا لَتُحْمَدَ يَوْمًا عِنْدَ سَلْمَى شَمَائِلُهُ!

أخذ العسكري المعنى، فقال: [من الطويل]

وَقُلْتُ: عَسَاها إِنْ مَرِضْتُ تَعُودُنِي فَأَحْبَبْتُ لَوْ أَنِّي عَدَوْتُ مَرِيضًا!
وَزِدْتُ اتِّسَاعًا فِي الْمَكَارِمِ وَالْعَلَا لِيُضِيحَ جَاهِي عِنْدَهُنَّ عَرِيضًا!

وقال أبو الفضل بن عبد العزيز^(١): [من الرجز]

يَا مَنْ هَجَرْتَ فَلَا تُبَالِي! هَلْ تَرْجِعُ دَوْلَةَ الْوِصَالِ؟
هَلْ أَطْمَعُ يَا عَذَابَ قَلْبِي أَنْ يَنْعَمَ فِي هَوَاكَ بِالْي؟
الطَّرْفُ كَمَا عَهَدْتَ بَاكِ وَالْجِسْمُ كَمَا تَرَيْنَ بِالْي!
مَا ضَرُّكَ أَنْ تُعَلِّلَنِي فِي الْوَضَلِ بِمَوْعِدِ الْمُحَالِ!
أَهْوَاكَ وَأَنْتَ حَظُّ غَيْرِي يَا قَاتِلَتِي، فَمَا أَخْتِيَالِي؟

* * *

ومما قيل في النحول، فمن ذلك قول المتنبي: [من البسيط]

أُبْلَى الْهَوَى أَسْفًا يَوْمَ التَّوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ!
رُوحٌ تَرْدُدُ فِي مِثْلِ الْجَلَالِ إِذَا أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبَ لَمْ يَبِنِ^(٢)
كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ - لَمْ تَرْنِي!

وقال آخر: [من الوافر]

أَسْرَ إِذَا بَلَيْتُ، وَذَابَ جِسْمِي لَعَلَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْهِ!

= وقُرئت: هَدَأَتْ وَسَكَنْتَ، وَالبَلَابِلُ: الهموم.

(١) لعلّه عبد الحميد بن عبد العزيز، قاضٍ فرضي من أهل البصرة، له شعر، وله كتب منها: أدب

القاضي، والفرائض، توفي سنة ٩٠٥ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٨٧».

(٢) الخلال: عودٌ دقيق يتخلل به.

وقال ابن المعتز: [من مجزوء الرجز]

ماذا تَرى في مُدَنَفٍ يَشْكُوكَ طُولَ سُقْمِهِ؟^(١)
أَضْنَيْتَهُ فما يَطِيءُ قِصْفُهُ حَمَلَ اسْمِهِ
ولا يَـرَاكَ عَائِداً إِلَّا بِعَيْنٍ وَهْمِهِ!^(٢)

وقال كُشَاجِم: [من الطويل]

وما زالَ يَبْـرِي أعْظَمَ الجِـسْمِ حُبُّهَا وَيَنْقُصُهَا حَتَّى لَطْفَنَ عَنِ النَّقْصِ^(٣)
فَقَدْ دُبْتُ حَتَّى صِرْتُ لو أَنَا زُرْتُهَا أَمِنْتُ عَلَيْهَا أَنْ يَرَى أَهْلُهَا شَخْصِي

ومن أبلغ ما قيل في ذلك، قول ديك الجن^(٤): [من الخفيف]

أَنحَلَ الْوَجْدُ جِسْمَهُ وَالْحَيْنُ وَبَرَاهُ الْهَوَىٰ فما يَسْتَبِينُ!
لَمْ يَعِشْ أَنَّهُ جَلِيدٌ؛ وَلَكِنْ دَقَّ جِدًّا، فما تَرَاهُ الْمَثُونُ!

وقال نصير بن أحمد^(٥): [من السريع]

أَنحَلَنِي الْحُبُّ فلو زُجَّ بِي فِي مُقَلَّةِ النَّائِمِ، لَمْ يَنْتَبِهْ!
وكان لي فيما مَضَى خَاتَمٌ واليوم لو شِئْتُ، تَمَنَّطْتُ بِهِ!^(٦)

وقال الحسن بن وهب: [من المنسرح]

أَبْلَيْتَ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ جِدَّتِهِ فما تَكَادُ الْعَيُونُ تُبْصِرُهُ
كَأَنَّهُ رَسْمٌ مَنَزَلَ خَلْقِي تَعْرِفُهُ الْعَيْنُ، ثُمَّ تُكْرِهُ!^(٧)

(١) المدنف: المريض الذي اشتد مرضه. (٢) العائد: الزائر.

(٣) يبري: ينحل.

(٤) ديك الجن: هو عبد السلام بن رغبان، أبو محمد، من بني تميم الكلبي، شاعر مشهور، أصله من أهل سلمية، ومولده بمدينة حمص، من شعراء الدولة العباسية. «وفيات الأعيان ٣/ ١٨٤».

(٥) لعله: أحمد بن إبراهيم بن نصر، أبو القاسم، شاعر أندلسي، سكن قرطبة، وتوفي بمالقة سنة ١٢٠٥ م. «فهرس الأعلام ٨٦/١».

(٦) يريد أنه من التحول الذي حلَّ به أمكنه أن يضع الخاتم في خصره مكان وضعه في إصبعه.

(٧) الخلق: الدارس.

ومما قيل في المحبوب إذا اعتلّ، قال العباس بن الأحنف: [من الرمل]
 زَعُمُوا لِي أَنَّهَا صَارَتْ تُحَمُّ! ابتلى الله بهذا مَنْ زَعَمُ! ^(١)
 إشتكت أكمل ما كائن، كما يُكسِفُ البدر إذا ما قيل ثم!
 وقال أحمد بن إسحق الطالقاني: [من الطويل]

لقد حلّت الحمى بساحة خده فأبدلت التفاح بالسوسن الغص ^(٢)
 قال أبو هلال العسكري: والأصل في ذلك قول عبد بني الحسحاس ^(٣)، ونقل
 في كتابه ديوان المعاني بسند رفعه قال: كتب عبد الله بن عامر إلى عثمان بن عفان
 رضي الله عنه: إني اشتريت لك عبدا حبشيا شاعرا. فكتب إليه عثمان: لا حاجة لي
 فيه، فإن قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبب بكريمتهم. فاشتراه بنو
 الحسحاس، فُرئي يوما وهو ينشد: [من المنسرح]

ماذا يُريدُ السقام من قمر كلُّ جمالٍ لوجهه تبّع؟
 ما يبتغي - خاب - من محاسنه؟ أما له في القبح مُتسع؟
 غير من لونه وصفّر ما وردّ منه الجمال والبِدْعُ
 لو كان يبغي الفداء، قيل له ها أنا دون الحبيب يا وجع!
 ثم يقول لنفسه: أحسنتك والله! يريد أحسنت. وكان العبد كما حدّس ^(٤) عثمان،
 فما زال يهجو موالیه ويشبب بنسائهم، حتى قتلوه. فضحك منه امرأة وقد ذهبوا به
 ليقتلوه، فقال: [من الطويل]

فإن تضحكي مني، فيا رب ليلة جعلتك فيها كالقواء المفرج! ^(٥)
 وقال لهم: [من الكامل]
 فلقد تحدّر من جبين فتاتكم عرق على ظهر الفراش وطيب!

(١) تحم: تصاب بالحمى.

(٢) السوسن: نبات من الزياحين طيب الرائحة، كثير الأنواع، والغص: الطري.

(٣) عبد بني الحسحاس، واسمه سحيم، شاعر رقيق الشعر، كان عبدا نوبيا أعجمي الأصل، اشتراه بنو الحسحاس «وهم بطن من بني أسد» ثم قتلوه لأنه شبب نسائهم، وذلك حوالي سنة ٦٦٠ م. «فهرس الأعلام ٧٩/٣».

(٤) حدس: ظنّ وخمن.

(٥) القواء: ثوب يلبس فوق القميص، والمفرج: الذي يرى ما تحته.

وهو الذي مدح نفسه بقوله: [من البسيط]

إِنْ كُنْتُ عَبْدًا، فَتَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ، إِنْني أَبْيَضُ الْخُلُقِ!

ولم أورد هذه الواقعة هنا لأنه موضعها من كل وجه، وإنما الشيء بالشيء يذكر.

وقال شاعر: [من السريع]

لَوْ لَمْ تَكُنْ حُمَاهُ مَشْغُوفَةً تَغَشَّيْتُهُ طَوْرًا وَتَهَوَاهُ^(١)
مَا عَانَقْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ جِسْمَهُ وَقَبَّلْتُ إِذْ فَارَقْتُ فَاهُ!

وقال آخر: [من المجتث]

لَوْ كَانَ كُلُّ مَرِيضٍ يَزْدَادُ مِثْلَكَ جُسْنًا
لَكَانَ كُلُّ صَاحِحٍ يَوْدُ لَوْ كَانَ مُضْنَى!^(٢)

وقال محمد بن العباس الخوارزمي^(٣)، من شعراء «اليتيمة»: [من الوافر]

وَلِي مِنْ أُمِّ مِلْدَمَ كُلِّ يَوْمٍ ضَجِيعٌ لَا يَلْدُ لَهُ مَنَامٌ!^(٤)
مَقْبَلَةٌ وَلَيْسَ لَهَا ثَنَائًا مَعَانِقَةٌ وَلَيْسَ لَهَا التِّزَامُ!
كَأَنَّ لَهَا ضَرَائِرَ مِنْ غِذَائِي فَيُغْضِبُهَا شَرَابِي وَالطَّعَامُ^(٥)
إِذَا مَا صَافَحَتْ صَفَحَاتِ جِسْمِي غَدَا أَلْفَا وَأَمْسَى وَهُوَ لَامٌ

ومما يناسب هذا الفصل ما قيل في شرب الدواء، فمن ذلك قول أبي تمام:

[من المنسرح]

أَعْقَبَكَ اللَّهُ صِحَّةَ الْبَدَنِ مَا هَتَفَ الْهَاتِفَاتُ فِي الْغُصْنِ
كَيْفَ وَجَدْتَ الدَّوَاءَ؟ أَوْجَدَكَ اللَّهُ شَدًّا فَاءً بِهِ مَدَى الزَّمَنِ!^(٦)

(١) طَوْرًا: مَرَّةً.

(٢) المضني: الذي اشتد مرضه حتى نحل جسمه.

(٣) هو: أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، باقة الدهر وبحر الأدب، وعلم النثر والنظم، وعالم الفضل والظرف، وديوان رسائله مملد وكذلك ديوان شعره. «انظر اليتيمة ٢٢٣/٤ وما بعدها».

(٤) أم ملدم: الحمى.

(٥) الضرائر: مفردا ضرّة، وهي الزوجة الثانية للرجل.

(٦) أوجدك الله شفاء: أي لقاك الشفاء به.

وقال ابن حجاج: [من مجزوء الخفيف]

يَا مَنْ بِهِ تَتَبَاهَى مَجَالِسُ الْخُلَفَاءِ!
وَمَنْ تُقْصِرُ عَنْهُ مَدَائِحُ الشُّعْرَاءِ
يَا سَيِّدِي كَيْفَ أَضْبَحُ تَبْغَدُ شَرْبِ الدَّوَاءِ؟
خَرَجْتَ مِنْهُ تُضَاهِي فِي الْحُسْنِ بَذَرَ السَّمَاءِ!
فِي ثَوْبٍ صِحَّةِ جِسْمٍ مُطَرِّزٍ بِالشِّفَاءِ

ومما قيل على لسان الوراق^(١) - وكل مطوقة عند العرب حمامة: كالدُّبْسِيِّ^(٢)،
والْقُمْرِيِّ^(٣)، وَالْوَرْشَانِ^(٤) وما أشبه ذلك. وجمعها حَمَامٌ. يقال للذكر والأنثى منه
حمامة.

والحمامة تَبْكِي، وَتُعْنِي، وَتَنُوحُ، وَتُعْرَدُ، وَتَسْجَعُ، وَتَقْرِقِرُ، وَتَتَرْتَّمُ.
وإنما لها صوت سجيح لا يفهم: فجعله الحزين بكاءً، والطرب غناءً.

قال حميد بن ثور: [من الطويل]

مَطُوقَةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَعُ كُلَّمَا دَنَا الصَّيْفُ وَانْزَاخَ الرِّبْعُ فَأَنْجَمًا^(٥)
تَغْنَتْ عَلَى غُصْنٍ عِشَاءَ فَلَمْ تَدْعُ لِنَائِحَةٍ فِي نَوْحِهَا مُتَلَوَّمًا^(٦)
فَلَوْ أَرِ مِثْلِي شَاقَهُ صَوْتُ مِثْلِهَا وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمًا!^(٧)

وقال مجنون بني عامر: [من الطويل]

أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللَّوَى عُذْنُ عُذْوَةٍ فَإِنِّي إِلَى أَصَوَاتِكُنَّ حَزِينُ!^(٨)

(١) الوراق: الحمامة التي يميل لونها إلى الخضرة.

(٢) الدُّبْسِي: ضرب من الحمام جاء على لفظ المنسوب وليس بمنسوب، وهو منسوب إلى طبردُبْس، ويقال: إلى دبس الرُّطْب، وقيل: هو طائر صغير، قيل هو ذكر الحمام. «اللسان مادة دبس».

(٣) القمري: نوع من الحمام حسن الصوت، أنشاه قُمَرِيَّة.

(٤) الورشان: طائر يشبه الحمام يميل لونه إلى السواد والغيرة، فيه بياض فوق ذنبه.

(٥) المطوقة: الحمامة ذات الطوق. (٦) ناحت: سجعت، والمتلوم: من اللوم.

(٧) شاق: أهاجه الشوق، والأعجم: غير العربي، أو الذي في لسانه لكنة.

(٨) اللوى: ما التوى وانعطف وانثنى من الزمل أو مسترقه، وقد تكون: مكان معين.

فَعُذْنٌ؛ فَلَمَّا عُدْنَ، كَذَنْ يُمِثِّنِي وَكَدْتُ بِأَسْرَارٍ لَهْنٌ أُبِينُ!
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمَائِمًا بَكَيْنٌ، وَلَمْ تَدْمَغْ لَهْنٌ عُيُونُ!

وقال أبو الأسود الدؤلي^(١): [من البسيط]

وَسَاجِعٌ فِي فُرُوعِ الْأَيْلِكَ هَيَّجَنِي! لَمْ أَدْرِ لِمَ نَاحَ مِمَّا بِي وَلِمَ سَجَعَا؟^(٢)
أَبَاكِيًا إِلْفَهُ مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ أَمْ جَارِعًا لِلنَّوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقَعَا؟
يَدْعُو حَمَامَتَهُ، وَالطَّيْرُ هَاجِعَةٌ فَمَا هَجَعْتُ لَهُ لَيْلِي وَمَا هَجَعَا!^(٣)
شَكَا النَّوَى فَبَكَى خَوْفَ الْأَسَى فَرَمَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْ أَوْجَاعِهِ وَجَعَا!^(٤)
كَأَنَّهُ رَاهِبٌ فِي رَأْسِ صَوْمِعَةٍ يَتْلُو الزُّبُورَ، وَنَجْمُ الصُّبْحِ قَدْ طَلَعَا!^(٥)

وقال جَحْدَرُ الْعُكْلِيِّ^(٦): [من الوافر]

وَقَدِمَا هَاجَنِي فَازْدَدْتُ شَوْقًا بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ
تَجَاوَبَتَا بَلْخَنِ أَعْجَمِيٍّ عَلَى عُودَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانِ^(٧)
فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَأَثَ سُلَيْمَى وَفِي الْغَرْبِ أَغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِي!

وقال عوف بن مُحَلِّمٍ^(٨): [من الطويل]

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْلِكَ إِلْفُكَ حَاضِرٌ وَغُضُنُكَ مَيَّادًا فَفِيمَ تَتَوَخُّ؟^(٩)

(١) أبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الكناني، واضع علم النحو، من الفقهاء الأعيان الأمراء الشعراء الفرسان، سكن البصرة وولي إمارتها في أيام علي بن أبي طالب الذي رسم له شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود، له شعر جيد، ومات بالبصرة سنة ٦٨٨ م. «فهرس الأعلام ٢٣٦/٣».

(٢) الأيلك: الشجر الكثير الملتف، وهيج: أثار الشوق.

(٣) هجع: رقد ونام. (٤) النوى: البعد، والجوانح: الصدر.

(٥) الزبور: مزامير داود.

(٦) جَحْدَرُ الْعُكْلِيِّ: شاعر من أهل اليمامة، كان في أيام الحجاج بن يوسف، يقطع الطريق وينهب الأموال ما بين حجر واليمامة، سجنه عامل الحجاج في سجن باليمامة اسمه «دُؤَار»، فقال قصيدة منها هذه الأبيات، توفي نحو سنة ٧١٨ م. «فهرس الأعلام ١١٣/٢».

(٧) الغرب: شجرٌ تسوى منه الأفداح البيض، الواحدة غربة، وهي شجرة ضخمة شاكة خضراء وهي التي يتخذ منها الكَحِيلُ، وهو القطران، حجازية. «اللسان مادة غرب».

(٨) هو عوف بن مُحَلِّمٍ الخزاعي، أبو المنهال، أحد العلماء الأدباء الرؤساء والشعراء الفصحاء، كان صاحب أخبار ونوادر، وله معرفة بأيام الناس، اختصه طاهر بن الحسين لمنادته فبقي معه ثلاثين سنة لا يفارقه، مات في طريقه إلى حوران نحو سنة ٨٣٥ م. «فهرس الأعلام ٩٦/٥».

(٩) الإلف: الأهل والعشير والأحبة، والمياد: الذي يميل.

وقال ابن عبد ربّه من أبيات: [من الطويل]

وَكَيْفَ، وَلِي قَلْبٌ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا أَهَابَ بِشَوْقٍ فِي الضُّلُوعِ دَفِين؟
ويحتاج منه كُلُّ ما كان ساكِناً دعاء حمامٍ لم تَبِثْ بوَكُون^(١)
وإنَّ ارتياحي من بُكاءِ حمامةٍ كذِي شَجَنِ دَاوَيْتُهُ بِشُجُونِ
كَأَنَّ حَمَامَ الْأَيْكِ لَمَّا تَجَاوَبَتْ حَزِينٌ بَكَى مِنْ رَحْمَةٍ لِحَزِين!
وقال ابن قلاقس^(٢): [من الطويل]

غَنَاءُ حَمَامٍ فِي مَعَاطِفِ بَانٍ إِلَى مَذْهَبِ الْحُبِّ الْقَدِيمِ ثَنَانِي
تَعْنَى فَأَعْطَافُ الْعُصُونِ رَوَاقِصُ وَأُحْدَاقُ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ رَوَانِي^(٣)
فَذَكَّرَنِي شَرْخَ الزَّمَانِ فَمَذْمَعِي سَفُوحٌ وَقَلْبِي دَائِمُ الْحَفَقَانِ^(٤)
وقال أعرابي: [من الطويل]

وَقَبْلِي أَبْكَى كُلُّ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى هُتُوفُ الْبَوَاكِي وَالْدِّيَارُ الْبَلَاغِ^(٥)
وَهُنَّ عَلَى الْأَغْصَانِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ نَوَاحٍ، مَا تَخْضَلُ مِنْهَا الْمَدَامِعُ!
وقال فتح الدين بن عبد الظاهر^(٦): [من الخفيف]

نَسَبَ النَّاسُ لِلْحَمَامَةِ حُزْنَنا وَأَرَاها فِي الْحُزْنِ لَيْسَتْ هُنَالِكَ!
خَضِبَتْ كَفَّها وَطَوَّقَتْ الْجَيْدَ مَدَّ وَغَنَّتْ، وَمَا الْحَزِينُ كَذَلِكَ!^(٧)

(١) الوكون: مفردها وَكُن وهو عَشَّ الطائر.

(٢) ابن قلاقس: هو أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الأزهرى الإسكندري، الملقب «القاضي الأغز»، شاعرٌ مجيد، وكان فاضلاً ونبيلاً. «وفيات الأعيان» ٣٨٥/٥.

(٣) أعطاف الغصون: جنباتها، وعطف الغصن: تمايل، والرواني: من رنا أي أدام النظر في سكون.

(٤) شرخ الزمان: يريد شرخ الشباب أي سنّه التي كان فيها شاباً يفيض حيويةً ونشاطاً.

(٥) هتوف البواكي: نواحيهنّ، والبلاغ: الأرض الخالية.

(٦) ابن عبد الظاهر: هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السعدي، محبي الدين، قاضٍ أديب مؤرّخ، من أهل مصر مولداً ووفاء، كان كاتب الإنشاء في الديار المصرية، وله شعرٌ حسن، توفي سنة ١٢٩٣ م. «فهرس الأعلام» ٩٨/٤.

(٧) خضبت كفها: صبغتها بالخضاب، والجيد: العنق.

وقال ابن الرومي: [من الكامل]

أَشَجَّتْكَ دَاعِيَةٌ مَعَ الْإِشْرَاقِ هَتَفْتُ بِسَاقٍ مِنْ دُؤَابَةٍ سَاقٍ؟^(١)
 أَيَكِيَّةٌ تَدْعُو، وَلَمْ أَرِ بَاكِيًا رَبِّبَ الزَّمَانِ قَرِيْنَهَا لِفِرَاقِ
 تَبْدُو أَوَامِيْتُ الشَّجَى فِي صَوْتِهَا وَتُرَى عَلَيْهَا أَنَّهُ الْإِطْرَاقِ^(٢)
 لَوْ تَسْتَطِيعُ، تَسْلُبْتُ مِنْ طَوْقِهَا لَوْ كَانَ مُنْتَحَلًا مِنَ الْأَطْوَاقِ^(٣)

ومما قيل في المراجعات، فمن ذلك قول وضاح اليمن^(٤): [من السريع]
 قَالَتْ: أَلَا لَا تَلِجَنَّ دَارَنَا إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَائِرٌ!^(٥)
 أَمَا رَأَيْتَ الْبَابَ مِنْ دُونِنَا؟ قُلْتُ: فَإِنِّي وَائِبٌ طَافِرٌ!^(٦)
 قَالَتْ: فَإِن الْقَصْرَ مِنْ دُونِنَا قُلْتُ: فَإِنِّي فَوْقَهُ ظَاهِرٌ!
 قَالَتْ: فَإِنَّ اللَّيْثَ عَالٍ بِهِ قُلْتُ: فَسَيَفِي مُزْهَفٌ بَاتِرٌ!^(٧)
 قَالَتْ: فَهَذَا الْبَحْرُ مَا بَيْنَنَا قُلْتُ: فَإِنِّي سَابِغٌ مَاهِرٌ!
 قَالَتْ: أَلَيْسَ اللَّهُ مِنْ فَوْقِنَا؟ قُلْتُ: بَلَى! وَهُوَ لَنَا غَافِرٌ
 قَالَتْ: فَإِمَّا كُنْتُ أَعْيَيْتَنَا فَأَتِ إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ!^(٨)
 وَأَسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْفُوطُ النَّدَى لَيْلَةً لَا نَإِءٍ وَلَا زَاجِرُ!

(١) أشججتك: أثارَت شجوك وحزنك وعشقتك، والدؤابة: شعر مقدَّم الرأس، ويريد هنا بدؤابة ساق: أي أعلى أوراق غصن حطَّت عليه.

(٢) الأواميت: يطلق الأمت في اللغة على الضعف والوهن، ويجمع على إمات وأموت ولم تَر جمعه على أواميت.

(٣) تسلَّبت: تفلَّت.

(٤) وضاح اليمن: هو عبد الرمخمن بن إسماعيل بن عبد كلال، من حمير، شاعر رقيق الغزل عجب التَّسب، كان جميل الطَّلعة، يتنقَّع في المواسم، له أخبار مع عشيقته اسمها «روضة» من أهل اليمن، تغزل بأَم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقتله نحو سنة ٧٠٨ م. «فهرس الأعلام» ٢٩٩/٣.

(٥) الغائر: الذي فيه غيرة أي نخوة، تلجن: من ولج: أي دخل.

(٦) الطافر: الذي يعدو ويسرع. (٧) المزهف: المشحوذ، والباتر: القاطع.

(٨) هجع: رقد، والسامر: الساهر والجاللي ليلاً مع من يناديه ويسامره.

وقال المؤمل بن أميل: [من المنسرح]

وطارقات طَرَفْنِي رُسُلًا والليلُ كالطَّيْلَسَانِ مُغْتَكِرُ^(١)
فَقُلْنَ: جِئْنَا إِلَيْكَ عَنْ ثِقَةٍ من عند خَوْدٍ كَأَنَّهَا قَمَرُ^(٢)
هَلْ لَكَ فِي غَادَةٍ مُنْعَمَةٍ يَحَارُ فِيهَا مِنْ حُسْنِهَا النَّظَرُ؟
فِي الْجِيدِ مِنْهَا طُولٌ إِذَا التَفَتْتُ وَفِي خُطَاهَا إِذَا خَطْتُ قَصْرُ
فَقُمْتُ أَسْعَى إِلَى مُحَجَّجَةٍ تُضِيءُ مِنْهَا الْبُيُوتُ وَالْحُجَرُ
فَقُلْتُ لَمَّا بَدَأَ تَخْفُرُهَا جُودِي، وَلَا يَمْنَعُكَ الْحَفَرُ^(٣)
قَالَتْ: تَوَقَّرْ، وَدَعْ مَقَالَكَ ذَا أَنْتَ أَمْرُؤُ بِالْقَبِيحِ مُشْتَهَرُ!
وَاللَّهِ لَا نِلْتُ مَا تُحَاوِلُ أَوْ يَنْبُتُ فِي بَطْنِ رَاحَتِي شَعْرُ!
لَا أَنْتَ لِي قَيِّمٌ فَتَجْبُرَنِي وَلَا أَمِيرٌ عَلَيَّ مُؤْتَمَرُ
قُلْتُ: وَلَكِنْ ضَيْفٌ أَتَاكَ بِهِ تَحْتَ الظَّلَامِ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ
فَاحْتَسِبِي الْأَجَرَ فِي إِنَائِهِ وَيَا سِرِّي قَدْ تَطَاوَلَ الْعَسَرُ!
قَالَتْ: فَقَدْ جِئْتُ تَبْتَغِي عَمَلًا تَكَاذُ مِنْهُ السَّمَاءُ تَنْفَطِرُ^(٤)
فَقُلْتُ: لَمَّا رَأَيْتَهَا حَرَجْتُ وَعَشِيَتْهَا الْهَمُومُ وَالْفَكْرُ^(٥)
لَا عَاقِبَ اللَّهُ فِي الصَّبَا أَبَدًا أَتْنَى وَلَكِنْ يُعَاقِبُ الذُّكْرُ!
قَالَتْ: لَقَدْ جِئْنَا بِمُبْتَدِعٍ وَقَدْ أَتَيْنَا بِغَيْرِهِ الثُّدْرُ
قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ فَلَا وَازِرَةً غَيْرَ وَزْرَهَا تَزِرُ^(٦)
قُلْتُ: دَعِيَ سُورَةٌ لِهَجَّتِ بِهَا لَا تَحْرِمُنَا لَذَائِنَا السُّورُ
وَجْهُكَ وَجَهٌ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ لَا وَأَبِي لَا تَمْسُهُ سَقَرُ^(٧)

(١) الطارق: الزائر ليلاً، والطيلسان: ضربٌ من الأوشحة يلبس على الكتف.

(٢) الخود: الشابة الناعمة الرقيقة الحسنة الخلق. (٣) الخفر: الحياء.

(٤) تنفطر: تتشقق. (٥) حرجت: أصابها الحرج: وهو الضيق.

(٦) الوزرة: مرتبة الوزر، وهو الإثم الذي يستوجب العقاب، وفي البيت إشارة إلى الآية الكريمة:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: الآية ١٦٤].

(٧) سقر: جهنم.

وقال آخر: [من الكامل]

خَطَرْتُ فَقُلْتُ لَهَا مَقَالَةً مُغَرِّمٍ ماذا عَلَيَّكَ مِنَ السَّلَامِ فَسَلِّمِي^(١)
قَالَتْ: بِمَنْ تَغْنِي فحُبُّكَ بَيِّنٌ في سُقْمِ جِسْمِكَ؟ قلت: بِالْمُتَكَلِّمِ
فَتَبَسَّمَتْ، فَكَيْفُتُ، قَالَتْ: لَا تُرْغِ فلَعَلَّ مِثْلَ هَوَاكَ بِالْمُتَبَسِّمِ
قُلْتُ: أَتَفَقُّنَا فِي الْهَوَى، فزِيَارَةٌ أو مَوْعِدًا قَبْلَ الزِّيَارَةِ قَدِّمِي
فَتَضَاكَحَتْ عَجَبًا، وَقَالَتْ: يَا فَتَى لو لَمْ أَدْعُكَ تَنَام، يَي لَمْ تَحْلُمِ

وقال آخر: [من المتقارب]

وَلَمَّا نَزَلْنَا عَلَى زَمْزَمٍ ونحنُ نُرِيدُ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ^(٢)
بَكَيْتُ، فَقَالَتْ: عَلَامَ الْبُكَاءِ؟ فقلتُ: عَلَى الْوُدِّ أَخْشَى أَنْتِفَاضَهُ^(٣)
فَقَالَتْ: ثَكَلْتُكَ مِنْ عَاشِقٍ تُشْمَرُ ذِيْلَكَ قَبْلَ الْمَخَاضَةِ^(٤)
فقلتُ: صَدَقْتَ، وَلَكِنِّي أَعْلَمُ نَفْسِي طَرِيقَ الرِّيَاضَةِ

ومما قيل في المردوف^(٥)، قال بعض الشعراء:

عَيْنَاكَ عَلَى سَفْكَ دَمِي أَسْرَفْتَا والجسم نحيل
أَطْلِقْ بَرِضَاكَ فِي الْهَوَى أَسْرَفْتَى حيران ذليل
فِي رِيْقِكَ خَمْرَتَانِ قَدْ حُرِّمَتَا من غير دليل
وَالْعَاسِقُ ظِمَانٌ فَيَا حَرًّا! مَتَى تسقيه قليل؟

(١) خطرت: لاحت ومزت تتبختر في مشيتها.

(٢) زمزم: البئر المباركة المشهورة، سميت «زمزم» لكثرة مائها. «معجم البلدان ٣/ ١٤٧».

والطواف: من شعائر الحج، وهو الدوران حول البيت الحرام، والإفاضة: الانتهاء والتفرق، وطواف الإفاضة: هو طواف يوم النحر، ينصرف الحاج من منى إلى مكة فيطوف ويعود.

(٣) انتفاضه: انقطاعه، وتحلل غراه.

(٤) ثكلتك: من الثكل: وهو الفقد، وشمر الذيل: رفع ثوبه، والمخاضة: الماء؛ ويريد: أنه شمر ذيل ثوبه قبل ورود الماء الذي يريد اجتيازه.

(٥) المردوف: نوع من الشعر قريب من الموشح، كما نلاحظ، والرّدف في القافية: إنما هو قبل حرف الزوي لا بعده، والرّدف: حرف لين قبل حرف الروي، كآلف «الأشياء» في قول الشاعر: حَفِظْتُ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ وَأَشْيَاءُ.

وقال آخر:

في خذك وردتان قد رُكبتا من فوق قضيب
في قلبي جمرتان قد أُضرمتا نارٌ ولهيب
حلقتك بالاله يا خير فتى رفقا بكئيّب
حيران يهيم بين حتى ومتى والأمر عجيب

وقال آخر:

يا بدر! عصيت في الهوى عذالي طوعاً لهواك
وأنقدت لأمرك الكبير العالي ما قلّ وفاك!
إن كان رضاك سقم جسمي البالي صبرا لرضاك
عذب جسدي بسائر الأحوال إلا بجفاك

وقال آخر:

يا مرتجلاً إلى الحمى مصرفه بالله عليك خذ معك كتاب، فيه خبري
لي ثم رشا عساك تستعطفه إن هان عليك في ردّ جواب، للمنتظر
إن عرض بي، فقل: نعم أعرفه يشتاك إليك قد رقّ وذاب، بين البشر
ما يتركه هواك أو تتلفه والأمر إليك ما الهجر صواب، من مقتدر

ومما قيل في الجناس^(١)، قال أبو الفضل الميكالي^(٢): [من الطويل]

مواعيده بالوصل أحلام نائم أشبهها بالقفر أو بسرايه
فمن لي بوجه لو تحير في الدجى أخو سفير في جنح ليل سرى به^(٣)

(١) الجناس: من فنون البديع وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها أن تشبهها في تأليف حروفها، وقد تأتلف معها في المعنى، وقد تختلف وهو الأرجح . . . وقيل: الجناس تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى.

(٢) الميكالي: هو الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي، من الكتاب الشعراء، من أهل خراسان، أورد له صاحب اليتيمة جملة من محاسن نثره ونظمه، له ديوان شعر، توفي سنة ٩٩١ م. «انظر يتيمة الدهر ٤/٤٠٧ وما بعدها» و «فهرس الأعلام ٤/١٩١».

(٣) تحير: لم يهتد إلى الطريق القدوم، والدجى: الظلام، وسرى به: أبان له الطريق.

وقال أيضًا: [من الخفيف]

صَلْ مُجِبًّا، أَعْيَاه وَصَفُ هَوَاهُ
كَلَّمَا رَاقَهُ سَوَاكُ، تَصَدَّتْ
فَضْنَاهُ يَنْوُبُ عَنْ تَرْجُمَانِهِ^(١)
مَقْلَتَاهُ بَدَمَعَهُ تَرْجُمَانِهِ^(٢)

وقال آخر: [من مخلع البسيط]

مَا ضَرَّ مَنْ قَدْ أَبَاحَ قَتْلِي
أَبَى فَوَادِي السَّلْوِ عَنْهُ
فِي حَبِّهِ لَوْ أَبَاحَ رِيقَهُ
لَكِنَّهُ مَا أَبَى حَرِيقَهُ

وقال آخر: [من البسيط]

أَقُولُ وَاللَّيْلُ مَرَحِيٌّ غِيَاهِبُهُ
يَا نَفْسُ كَمْ بَيْنَ مَسْرُورٍ بِلَذَّتِهِ
وَالدَّيْرُ يَسْمَعُنِي حِسَّ النُّوَاقِيسِ^(٣)
وَبَيْنَ مُبْلَى بِتَشْتِيتِ النُّوَى قَيْسِي^(٤)

وقال آخر: [من البسيط]

يَا مَنْ تَنَكَّدْتَ الدُّنْيَا لَغَيْبَتِهِ
أَمْرَضْتَ بِالْهَجْرِ قَلْبَ الْمُسْتَهَامِ فَمَا
أَسَاخِطُ أَنْتَ عَنِّي الْيَوْمَ أَمْ رَاضِي؟
عَلَيْكَ، بِالْوَصْلِ لَوْ دَاوَيْتَ أَمْرَاضِي؟

وقال آخر: [من الطويل]

لَقَدْ رَاعَنِي بَدْرُ الدَّجَى بِصُدُودِهِ
فِيَا عَبْرَتِي سُخِّي دَمًا لِفِرَاقِهِ
وَوَكَّلْ أَجْفَانِي بِرَعِي كَوَاكِبِهِ^(٥)
وَيَا كَبْدِي صَبْرًا عَلَى مَا كَوَاكِبُهُ!^(٦)

(١) صَلَّ: فعل أمر من وَصَلَ، والوصل: اللقاء، والترجمان: الذي ينقل الكلام من لغة إلى أخرى.

(٢) ترجمانه: هنا من الرِّجَم: وهو الرَّمِي بالحصى، وفي الكلام جناس بين كلمتي «ترجمانه» في البيت الأول والثاني.

(٣) الغياهب: الظلمات، وأرعى الليل غيابه: أسدل ظلمته، والنواقيس: مفردها ناقوس، وهو مضرب النصارى الذي يضربونه إيدانًا بحلول وقت الصلاة.

(٤) التشتيت: التفريق، والنوى: البُعد، وقيسي: من القياس والموازنة، وفي الكلام جناس بين كلمتي آخر البيتين، أو التفعيلتين الأخيرتين في ضرب كل بيت.

(٥) راعني: أخافني وأقلقني، ورعى الكواكب: مراقبتها همًا وسهرًا.

(٦) سُخِّي: انزفي وامطري، وفي الكلام جناس بين التفعيلتين الأخيرتين في الضرب الأخير من البيت الأول والثاني.

وقال آخر: [من السريع]

قلت له: ماذا السواد الذي فيك تبدى؟ قال: ذا غالية^(١)
فقلت: قُبِّلني إذا قُبِّلَ فقال: خذها قُبِّلَ غالية^(٢)
فقلت: ما تغلو على عاشق في حبكم، ذي كبدٍ غالية^(٣)

وقال آخر: [من مجزوء الرجز]

شافه كَفِّي رَشَأُ بقُبِّلَ ما شَفَّتِ^(٤)
فقلت إذ قُبِّلها يا ليت كَفِّي شفتي!

وقال آخر: [من المنسرح]

لم يكفكم أخذ قلبه سَلْبًا حتى أخذتم عن طرفه وَسَنَ^(٥)
كم ليلة بات للغرام وكم يوم وشهرٍ ما نامه وَسَنَ
وقال آخر^(٦):

يا من لحظاته أسودٌ وثَبَّت قد صَحَّ هواك في فؤادي وثَبَّت
جَرَدْتُ لها سيوفَ صبري فنبت يا من غرس الهوى بقلبي فنبت
وقال آخر:

يا من بحشاشتي - إذا غاب - سَكُنْ هِنِجَتْ من الغرام ما كان سَكُنْ^(٧)
يا من شَرَعَ الصدودَ في الحب وَسَنَ من بعدك مهجورك ما ذاق وَسَنَ^(٨)
وقال آخر:

أهوى قمرًا سفك دمي حلَّ له في أي شريعةٍ ومَن حلَّله
ما بلَّلَ شعرَه وما حلَّله إلا سمَحَ البخيلُ وانحلَّ له^(٩)

(١) تبدى: ظهر، والغالية: نوع من الطيب. (٢) الغالية هنا: الثمينة.

(٣) الغالية هنا: المحترقة من العشق، وفي الكلمات الأخيرة من الأبيات الثلاثة «جناس».

(٤) شافه: قرب شفته من شفته، يريد أنه قبل كَفَّه.

(٥) سَلْبًا: نهياً، والوَسَن: النعاس والتوم.

(٦) هذه المقطوعة وما يليها من مقطوعات ثلاثة . . . من الشعر الذي لا ينتمي إلى عروض الخليل وبحوره المعروفة، وهي أقرب إلى الموشحات.

(٧) الحشاشة: الروح، وسكن: هداً. (٨) شرع: سنَّ، والشرعية: السنة والأحكام.

(٩) السَمَح: الكرم والجود.

وقال آخر:

مَنْ بَلَّلَ صُدْعَ قَاتِلِي مَنْ سَلَسَلَ؟
مَنْ عَلَّلَنِي فِي حَبِّهِ؟ مَنْ سَلَسَلَ؟

وقال آخر: [من مجزوء الرجز]

يا بَانَةً لِحَبِّهَا
سيوف صبري عن سيو
تلك لحاظُ أعين
لواحظُ لو برزت
وعقربُ الصُدغِ التي
أَسْنَاؤُكُمْ تَأَقَّتْ لَهَا الـ
لا سَيِّمًا إِنْ حَمَلْتُ
فخيلهم دون بلو
أفدي حبيبًا زارني
رعى حقوقي في الهوى
وسكُنَ الأحشاء بالـ

في القلب أصلٌ قد نبث
ف مقلتيك قد نَبَثَ^(٢)
أَمْ أَسْدُ غِيلٍ وَثَبْتُ؟^(٣)
في يوم حربٍ، لَسَبْتُ^(٤)
لكلِّ قلبٍ لَسَبْتُ^(٥)
نفوس يومًا وَصَبْتُ^(٦)
نَشْرَكَ رِيحٍ وَصَبْتُ^(٧)
غ السُّولَ فِينَا قَدْ كَبْتُ^(٨)
فكم عدوٌّ قَدْ كَبْتُ^(٩)
عليه لَمَّا وَجَبْتُ
ووصال لَمَّا وَجَبْتُ^(١٠)

وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

من لفتى، جار عد
صبُّ إذا الدهر قضى
يبكي على دهرٍ تولد
تمطر عيناه إذا الـ

يه طرفه فيما قضى؟
عليه بالبين، قضى
ى بالتداني أو مضى
برق الشامي أو مضى

(١) الصُدغ: ما بين العين والأذن من جانب الوجه، والسلسل: العذب.

(٢) نبا السيف: لم يصب المضروب.

(٣) الغيل: الشجر الكثير الملتف.

(٤) لسبت: أسرت.

(٥) لَسَبْتُ: يربد «وجوهكم»، والسنا: الضوء، وتأقت: اشتاقت، وصبت: حثت واشتاقت.

(٦) أسناؤكم: يربد «وجوهكم»، والسنا: الضوء، وتأقت: اشتاقت، وصبت: حثت واشتاقت.

(٧) النشر: الرائحة الطيبة، ووصبت: دامت وثبتت، أو ألحقت الوصب: أي مرض العشق وألمه.

(٨) كبا الحصان: عثر وزل.

(٩) كبت: قهر وغلب، وكبت الله الأعداء: ردّهم في غيظ وحنق.

(١٠) وجبت: خفقت، والأحشاء: ما انطوى عليه الصدر.

وقال آخر: [من المتقارب]

رمى حَرَّ قلبي بهجرانه رَشَا ما درى قدرَ ما قد رمى
وقد كان قدَّم إحسانه ولكِنَّه قَدَّ ما قدَّمَا
فتسليم أمري به للقضا دَخَرْتُ به أجرَ ما أجرما

ومما قيل في الموشحات، فمن ذلك ما قاله بعض الأندلسيين:

يد الإصباح، قدحت زناد الأنوار في مجامر الزَّهَرِ^(١)
دهر جذلان، واعتدال زرعان فما الإظغان؟ عن طَلَا وغزلان^(٢)
راق الزمان، وشدت على البان ذات الجناح، وانثنت قدودُ الأشجار

* في الغلائل الخُضِرِ^(٣) *

لنا أجساد، للسرور تنجذب كما تنقاد، لربيعها العرب
حتى الجماد، لا يفوته الطرب طافت بالراح، سحبٌ فسكَر التَّوَارِ^(٤)

* من سُلَافَةِ القَطْرِ^(٥) *

إنَّ انخلاعي، مع رَشَا وصهباء لدى بَقَاعٍ، حكَّت وشي صنعاء^(٦)
وللشَّعَاعِ، لهبٌ على الماء وللرياح، في متون تلك الأنهار

* شَبَكٌ مِنَ التَّبَرِ^(٧) *

وريم ألمى، بات بيده صندري كبدِ رَمَّاءَ، وسط غُرَّةِ الشهر^(٨)
شدوتُ لَمَّا، راعني سنا الفجر قل للصباح: إن تدنُّ بطرد الأقماء

(١) قدحت الزناد: أورته، وأشعلت النار، والمجامر: ما يوضع فيه الجمر مع البخور، يريد: أن رائحة الزهر فاحت عند الصباح كرائحة البخور التي تفوح من المجامر.

(٢) الإظغان: الرحيل، والطلا: ولد الغزال.

(٣) الغلائل: مفردا غلالة، وهو ثوب رقيق يلبس تحت الدثار.

(٤) الراح: الخمرة، والتوار: الزهر.

(٥) السُلَافَةُ: أفضل الخمر وأخلصها، والقطر: المطر «استعار السُلَافَةَ للقطر».

(٦) انخلع عن المكان: رحل عنه، ويريد بالانخلاع هنا: تفرده وابتعاده، والرَّشَا: الغزال، والصهباء: الخمر، والوشي: التطريز.

(٧) التبر: قراضة الذهب.

(٨) الرِّيم: الغزال الخالص البياض، والألمى: الذي فيه سمرة، وغُرَّة الشهر: أي عندما يكون البدر قمراً مكتملاً.

* فَمَعَ الدُّجَى نَسْرِي *

وغصن مائل، الهلال أعلاه له من نابل، في النفوس قتلاه^(١)
سيف الحمائل، غمده عذاراه طوع الجماع، إن يكن كثير النَّفَازِ^(٢)
* فهي عادة العُفْرِ^(٣) *

وقال ابن بقي^(٤):

ما بي شَمُول، إلا شجون مزاجها في الكأس، دمع هتون^(٥)
لله ما بذّر، من الدموع صبّ قد استعبر، من الوُلُوع
أودى به جُودَز، يوم البقيع فهو قَتِيل؛ لا بل طعين^(٦)
* بين الرجا والياس، له منون^(٧) *

[خَرَجْتُ لِلْحَيْنِ، كَفِّي بِكَفِّي وحيل ما بيني، وبين إلفي^(٨)
لا شك بالبين، يكون حتفي حان الرحيل، ولي ديون
* إن ردها العباس، فهو الأمين *]^(٩)

أما ترى البدرا؟ بدر السعود قد أكتسى خُصْرًا، من البرود^(١٠)
إذا أنشئ نَضْرًا، من الفُودِود أضحى يقول: مت يا حزين
* قد أكتسى بالياس، الياسمين *

(١) النابل: الذي يرمي النبل بأقواسه.

(٢) الغمد: غلاف السيف، والحمائل: ما يعلّق بها، والعذار: صفحة الخد، والجماع: النفور.

(٣) والعفر: من الغزلان ما يعلو بياضه حمرة.

(٤) ابن بقي: هو يحيى بن عبد الرحمن الأندلسي القرطبي، كان آية في النثر والنظم، بارعاً في نظم الموشحات مجيداً فيها كلّ الإجابة، توفي سنة أربعين وخمسائة. «معجم الأدباء ٦٢٦/٥، دار الكتب العلمية».

(٥) الهتون: الكثير القطر، والشمول: الخمرة.

(٦) أودى به: أهلكه وذهب بعقله، والجودز: ولد البقرة الوحشية كناية عن المرأة، ويوم البقيع: يوم معين أو هو يوم الذهاب، من بَقَعَ أي ذهب.

(٧) المنون: الموت.

(٨) الحين: الوقت، وحيل: بُوعِد وُمنِع، والإلف: الحبيب والعشير.

(٩) ما بين قوسين زيادة من نفح الطيب للمقرّي.

(١٠) البرود: مفردها «برد» وهو كساء مخطّط يلتحف به.

قلت وقد شَرَدَ، النومَ عَنِّي وآيسَ العَوْدَ، السقمَ مَنِّي^(١)

صَدَ فلما صَدَ، قرعتُ سَنِّي جسمي نحيلُ، لا يستبينُ^(٢)

* يطلبه الجُلَّاسُ، حيث الأنينُ *

تجاوز الحدَّ، قلبي اشتياقًا وكلفَ السهدا، مَنْ لا أطاقا^(٣)

قلْتُ وقد مدَّا، ليلي رُواقًا ليلي طويلُ، ولا مُعينُ^(٤)

* يا قلبَ بعض الناسِ، أما تلينُ؟ *

وقال سراج الدين عمر الكتاني الحلبي، يمدح الملك المنصور صاحب حماه:

جسمي ذَوِي، بالكُمِدِ، والسهرِ، والوصبِ من جاني

ذي شَنِبِ، كالْبَرْدِ، كالْدَرِّ، كالحَبِّ، جماني^(٥)

لي غصن بانٍ نَضِرُ يسبيك منه الهَيْفُ^(٦)

يرتفع فيه النظرُ فزهرة يُقْتَطَفُ

والخَدَّ منه قَفِرُ والجسم منه ترفُ^(٧)

قد جاءنا يعتذرُ عذاره المنعطفُ

ثم التوى، كالزردِ، مُعَبِّقِرِي، مُعَفَّرِي، رِيحاني

في مُذْهَبِ، مورِدِ، مدثِرِ، مكثِبِ، سَوساني^(٨)

ظبيُّ له مرْتَشَفُ كالسلسبيل الباردِ

(١) آيسَ: قطع الأمل، والعَوْدَ: الذين يزورون المرضى.

(٢) قرع سَنَّهُ: صكَّها، كناية عن التدم. (٣) السهد: الأرق.

(٤) الرواق: بيت من شعر ينصب في باحة الدار.

(٥) الوصب: مرض العشق، والجماني: نسبة إلى الجمان، وهو اللؤلؤ.

(٦) الهيف: ضمور الخصر والبطن.

(٧) القفِر: الذي لا شعر فيه، يريد الخَدَّ الناعم.

(٨) المعبقر: الكامل من كل شيء، أو الذي ألحق به الجنون، فبعقر: موضع زعم العرب أنه موطن الجن، والمدثر: ما كان كالذئبار، والمكثب: المنمق والمزين، والسوساني: نسبة إلى السوسن وهو نبات ينتهي بزهره أو عدة زهور جذابة تخرج كل منها من غلف حشفية يختلف نوعها باختلاف النوع، فمته الأبيض والأزرق والأصفر والأحمر.

- غَصْنُ نَقًّا يَنْعَطِفُ مِنْ لَيْنٍ قَدْ مَائِدٍ^(١)
 بَنْدَرٌ عَالَاهُ سَدَفُ مِنْ لَيْلٍ شَعِيرٍ وَارِدٍ^(٢)
 مُقَرَّطٌ مَشْتَفٌ يَخْتَالُ فِي الْقَلَائِدِ^(٣)
 بَيْنَ اللَّوَى، وَتَهْمَدٍ، كَجَوْذَرٍ، فِي رَبْرَبٍ، غَزْلَانِي
 ذِي ضَرْبٍ، ذِي غَيْدٍ، ذِي حَوَرٍ، ذِي هُدُبٍ، وَسَنَانِي^(٤)
 أَمَّا وَخَلِي جِيْدُهُ! وَرُئْةُ الْخِلَاجِلِ!
 وَالضَّمُّ مِنْ بَرُودِهِ قَدْ قَضِيْبُ مَائِلِ
 وَالْوَرْدُ مِنْ خَدُودِهِ إِذْ نَمَّ فِي الْغَلَائِلِ^(٥)
 لَا كُنْتُ مِنْ صَدُودِهِ مَتَّصِلًا بِعَاذِلِ!
 نَارَ الْجَوَى، لَا تَحْمُدي، وَاسْتَعِيرِي، وَكَذِبِي، سُلْوَاني
 وَأَسْبِلِي، وَأَطْرِدِي، وَأَتَهْمِرِي كَالسُّحْبِ، أَجْفَانِي^(٦)
 مَوْلَايَ جَفْنِي سَاهِرُ مَوْزُقُ كَمَا تَرَى
 فَلَا خِيَالَ زَائِرُ يَطْرُقُنِي وَلَا كَرَى^(٧)
 إِنِّي عَلِيلٌ صَابِرُ فَمَا جَزَا مِنْ صَبْرًا؟
 إِنَّ سَخَّ دَمْعِي الْهَامِرُ فَلَا تَلُمْنِي إِنْ جَرَى
 جَالَ الْهَوَى، فِي جَلْدِي، وَمُضْمَرِي، أَضْرَبِي، كَتْمَانِي
 مَوْئِبِي، أَتَيْدِي، لَا تَفْتَرِي، وَجَنِّبِي، عَنْ عَائِنِي^(٨)

(١) النقا: القطعة المحدودة من الزمل، والمائل: المشئي الميَّاس.

(٢) السدف: السفر.

(٣) المقرطق: الذي يلبس القرطق، وهو قباء أبيض، تعريب «كُرْتَه» وقد تضم طأوه، «اللسان مادة قرطق»، والمشتف: الذي اتخذ قرطاً في أذنيه.

(٤) اللوى وتهمد: موضعان، وقد ورد ذكرهما في معلقتي امرئ القيس وطرفة بن العبد، والزرب: القطيع من الظباء، ومن البقر الوحشي والإنسي لا واحد له، جمعه ربارب، والضرب: الشهد، والغيد: النعومة في التمايل، والوسنان: الفاترة.

(٥) نم: انتشرت رائحته، والغلائل: مفرد غلالة، وهي ثوب رقيق.

(٦) أسبل الدمع: أجراه، وأطردِي: تتابعي. (٧) الطارق: الزائر ليلاً، والكرى: النعاس.

(٨) أتند: تمهل، والعاني: الأسير.

إِنْ صَالَ بِالْهَجَرِ وَصَدَّ رَحْتُ بَصْبِرِي مَرْتَدِي
عَنْهُ وَإِنْ طَالَ الْأَمَدُ إِلَى ذُرَى مُحَمَّدٍ
وَكَيْفَ يَخْشَى مَنْ قَصَدَ مَلَكًا كَرِيمَ الْمُحِيطِ^(١)
الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَدْ سَمَا سَمَاءَ السُّودِ^(٢)

ثُمَّ اسْتَوَى، بِأَجْرَدٍ، مَضْمَرٍ، وَمِقْضَبٍ، يَمَانِي

ذِي شُطْبٍ، مَهْنَدٍ، وَسَمْهَرِيٍّ، مَضْطَرِبٍ، مُرَانِي^(٣)
مَلَكًا عِلَتْ هِمَّائِهِ مِنْ فَوْقِ هَامِ الْمُشْتَرِي^(٤)
وَبَخُلْتُ رَاحَاتِهِ سُحَّ السَّحَابِ الْمَمْطَرِ^(٥)
وَعُوذْتُ رَايَاتِهِ بِمَحْكَمَاتِ السُّورِ^(٦)
بَدْرٌ بَدَتْ هَالَاتِهِ مِنْ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ

تَحْتَ لَوَى، مَنْعَقِدٍ، بِالظَّفَرِ، فِي مَوْكَبٍ، فِرْسَانِي

كَالْأَشْهُبِ، فِي الْأَسْعَدِ، كَالْأَقْمَرِ، فِي أَغْذَبٍ، سَيْحَانِي^(٧)
يَا مَلِكًا دُونَ الْوَرَى تَخْطُبُهُ الْمَمَالِكُ^(٨)
وَمَالِكًا إِذَا سَرَى تَخْجُبُهُ الْمَلَائِكُ
بَعْضُ عَطَاكَ هَلْ تُرَى جَادَتْ بِهِ الْبَرَامِكُ^(٩)
فَاسْتَجْلِيهَا مِنْ عُمَرَا ثَغُرُ مُنَاهَا ضَا حَكُ

(١) المحتد: الأصل.

(٢) السُّود: السيادة والمجد والشرف.

(٣) المقضب: السيف، واليماني: المنسوب إلى اليمن، وذو شطب: ذو خطوط في متن السيف، والمهند: السيف المنسوب إلى الهند، والسّمهري: الرمح المنسوب إلى سمهر، والمضطرب: الخفاق، والمزان: الرّماح الصلبة اللدنة اللينة تؤخذ من شجر المزان.

(٤) الهام: الجبين والرأس، والمشتري: كوكب في السماء منير.

(٥) الرّاحات: الأكف، كناية عن العطاء، وسَحَّ السَّحَاب: مطره.

(٦) عُوذْتُ: خففت، والغوذة: الرقية والتيممة، والسور: يريد سور القرآن الكريم.

(٧) الشهاب: الشعلة الساطعة من النار، والكواكب التي ترجم الشياطين في السماء عند اختراق السَّمْع، والسيح: من ساح يسيح أي جرى.

(٨) الوري: الخلق، وتخطبُه: تطلب وذَه ورضاه.

(٩) البرامك: نسبة إلى آل برمك الذين كانوا وزراء في عهد الرشيد العباسي ونكبهم، وقد اشتهروا بالكرم.

لا يُجْتَوَى: كالشَّهْدِ، كالشُّكْرِ، كالضَّرْبِ، مَعَانِي

كالسُّحْبِ، كالعَسَجِدِ، كالجَوْهَرِ، من حَلَبٍ، كَتَّانِي^(١)

انتهى ما أوردناه من الغزل والنسيب في هذا الموضع، وقد آن أن نأخذ في ذكر الأنساب، وبالله التوفيق.

الباب الرابع

من القسم الأول من الفن الثاني في الأنساب

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: الآية ١٣]، ومعرفة أنساب الأمم مما افتخرت به العرب على العجم، لأنها احتُرزت^(٢) على معرفة نسبها، وتمكَّست بمتين حسبها، وعرفت جماهير قومها وشعوبها، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها، واتَّحدت برهطها^(٣) وفصائلها وعشائرها، ومالت إلى أفخاذها^(٤) وبطونها^(٥) وعمائرها^(٦)، ونفت الدعي^(٧) فيها، ونطقت بملء فيها.

وسأورد منها إن شاء الله تعالى ما يكتفي به، ويتمسك بأسبابه.

وقد وقفت على المقدّمة التي وضعها الشريف «أبو البركات الجوّاني»^(٨) فرفعت له علماً، ونصبت له إلى المعالي سلماً؛ لأنه أتقن أصولها، وحرّر فصولها، وأورد فيها من الأنساب ما ينتفع به اللبيب، ويستغني بوجوده الكاتب الأريب^(٩)، فوجدته بدأ فيها بذكر سيّدنا رسول الله ﷺ، ثم بآبائه، وشرح جملة من نسبه الطاهر وأبنائه.

(١) يجتوى: يكره، والضرب: الشهد والعسل، والعسجد: الذهب من حلب: أي من حلب، والمعنى لا يكره هذا الشهد والكلام الجميل المنق من الشاعر الكتاني الحلبي.

(٢) احتُرزت: احتُرست.

(٣) الرّهط: القبيل.

(٤) الأفخاذ: من القبيلة فصائلها أو أحيائها، مفردا «فخذ».

(٥) البطن: من القبيلة: فرع منها.

(٦) العمارة: القبيلة.

(٧) الدعي: الذي لم تثبت نسبته.

(٨) أبو البركات الجوّاني: هو محمد بن أسعد بن علي بن معمر العبيدي العلوي، أبو علي، شرف الدين، عالم بالأنساب، أصله من الموصل ومولده ووفاته بمصر سنة ١١٩٢ م، ولي نقابة الأشراف، وصنّف طبقات الطالبين، وتاج الأنساب، وله شعر أورد بعضه العماد الأصفهاني في الخريدة. «فهرس الأعلام ٦/ ٣١».

(٩) الأريب: العاقل.

فرأيت أن أسرد النسب من أصله، وأبدأ بآدم عليه السلام، ثم بنسله؛ وأجعل العمدة على سرد عمود النسب المتصل بسيد البشر. وأذكر من ذلك ما اشتهر عند أهل الأنساب وانتشر، إلى أن انتهت إلى اسم الشريف فأجعله خاتمة النسب، وأتمسك من شريعته ومحبته بأوثق سبب^(١). وأرجو ببركته بلوغ مآربي، ونجح مطالبي، وستر عيوبي، ومغفرة ذنوبي، وتزكية عملي، وسد خللي، والتجاوز عن سيئاتي، والمسامحة بفتلتي^(٢) ولفتاتي، والخيرة في حركاتي وسكناتي.

هذا والله رجائي من كرم ربي، وإن قلّ عملي وكثر ذنبي؛ وعلى الشريف العمدة^(٣) فيما أوردته، والعهد فيما نقلته، فمن تأليفه نقلت، وعلى مقالته اعتمدت.

قال السيد الشريف نقيب النقباء أبو البركات بن أسعد بن علي بن معمر الحسيني الجواني، النسابة رحمه الله: إن جميع ما بنت عليه العرب في نسبها أركانها، وأسست عليه بنيانها، عشر طبقات.

الطبقة الأولى الجذم

وهو الأصل إما إلى عدنان وإما إلى قحطان، والجذم القطع، يقال: جذم وجذم؛ وذلك لما كثر الاختلاف في عدد الآباء وأسمائهم فيما فوق ذلك، وشقّ على العرب تشعب المناهج فيه وتصعب المسالك؛ فُطع الخوض^(٤) فيما فوق قحطان ومعّد وعدنان، واقتصر على ذكر ما دونهما، لاجتماعهم على صحته. ومنه قول سيدنا رسول الله ﷺ لما انتسب إلى معّد بن عدنان: «كذب النسّابون»^(٥) فيما فوق ذلك لتطاول العهد^(٦)، فمن كان من ولد قحطان، قيل يمني. وما كان من ولد معّد بن عدنان، قيل: خندفي، أو قيسي، أو نزار، وإن كان الجميع داخلاً في نزار، أعني معّد بن عدنان؛ وإنما كان بعد نزار جمّاجم^(٧) استغني بالنسبة إليها عن نزار بن معّد بن عدنان؛ ولأن جمهور العلماء طبقوا النسب على ما قدمناه أربع طبقات: خندفي، وقيسي، ونزاري، ويمني. فقولهم: خندفي أي كل من يرجع إلى الياس بن مضر بن نزار بن معّد بن عدنان، وهو جمّاع خندف، فتوسّعت العرب في ذلك إلى أن قالوا:

(١) السبب: الحبل، والقراية والمودة. (٢) الفتلة: الهفوة غير المقصودة.

(٣) وعلى الشريف: يريد الشريف «أبو البركات الجواني»، والعمدة: الاعتماد.

(٤) الخوض: الحديث أو الدخول في متاهاته، والتقحّم.

(٥) النسّابون: الذين يدعون معرفة الأنساب. (٦) تطاول العهد: بعد الزمن.

(٧) الجمّاجم: كناية عن الناس.

إلياس هو خندف؛ لأن ولده وهم مُدْرِكَة، وطَابِخَة، وقَمْعَة، أمهم خندف، وهي ليلي بنت حُلوان بن عِمْران، بن إلْحاف بن قُضاعة، خندفت في طلب ولدها أي أسرعت، فقال لها إلياس: مالك تخندفين؟ أي تهرولين فسميت خندف، فرجع إلى خندف أبطن عدّة: كَمُزَيْنَة، والرَّيَاب، وضَبّة، وضُوفَة، والشُّعَيْرَا، وتَمِيم، وهُدَيْل، وأَسَد، والفَارَة، وِكِنَانَة، وقُرَيْش، فليل لولد إلياس «خندف»، ثم قيل لإلياس نفسه خندف إذ كان أباً لمن أمّه خندف لا غير ولا ولد له إلّا من خندف، ولذلك نظائر وأشباه في العرب، كما قيل لمالك بن حُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر: «عائدة» لأن أمّ ولده عائدة بنت الحُمس بن قُحافة الحُثَعَمِيَّة.

وكما قيل لعُوف بن وائل بن قَيْس بن عَوْف بن عبد مَنَة بن أَد بن طَابِخَة بن إلياس بن مضر: «عُكَل»؛ لأن أمةً يقال لها عُكَل حضنت ولده.

وكما قيل لعمر بن أَد بن طابخة بن إلياس: «مزينة» لأن أمّ ولده مُزَيْنَة بنت كَلْب بن وَبَرَة القُضَاعِيَّة.

وكما قيل لعمر بن قيس بن عَيْلان بن مضر بن نزار: «جَدِيلَة قَيْس»؛ لأن أمّ ولده جَدِيلَة بنت مُرّ، أخت تميم بن مرّ، بن أَد، بن طابخة.

وكما قيل للحارث بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرّة بن أَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبِل بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان: «عاملة»؛ لأن أمّ ولده عاملة بنت مالك بن وديعة القُضَاعِيَّة.

وكما قيل لأَشْرَس بن السكون بن أَشْرَس بن كِنْدَة: «تَجِيب»؛ لأن أمّ ولده تَجِيب بنت ثُوْبَان المَذْحِجِيَّة، وغير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه والله أعلم.

وأما قولهم قَيْسِيّ، فالمراد به من ولد قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عَدْنان، ويكون عيلان ها هنا أخا إلياس بن مضر^(١)، وكان اسم إلياس عيلان.

وقال الوزير ابن المغربي^(٢): هو الناسّ بتشديد السين فيكون مضر أعقب إلياس والناس. ومن العلماء من قال: إن عيلان كان حاضناً، حَضَن قَيْساً وليس بأب فيقول

(١) لعلّه: أو كان اسم إلياس عيلان، ليستقيم الكلام.

(٢) الوزير ابن المغربي: هو الحسين بن علي، أبو القاسم، وزير من الدّهاة العلماء الأدباء، يقال: إنه من أبناء الأكاسرة، ولد بمصر، مات بميفارقين وحمل إلى الكوفة بوصيّة منه فدفن فيها سنة ١٠٢٧ م، له مؤلفات عديدة، منها: السياسة، ومختصر إصلاح المنطق، وديوان شعر ونثر. «فهرس الأعلام ٢/٢٤٥، وفيات الأعيان ١٧٢/٢».

قيس عيلان بن مضر، مضاف إليه بغير ذكر البنوة، كما قيل في فخذ من قضاة سَعْد هُذَيْم، وهُذَيْم حاضن، وغير ذلك في العرب كثير والأوّل أصح. وهذا قيس بن عيلان بن مضر هو الذي قيل لقيس به قيس، والله أعلم.

وذهب قوم إلى أن ولد معدّ بن عدنان كلهم يقال لهم: قيس وهو خطأ، وإنما هم يجوزون ذلك على وجه بعيد ليميّزوا بالعزوة إلى ذلك بين يمن وغيرها، فيقولون: قيس ويمن، فيظنّ السامع أنهما أخوان، وأين قيس من قحطان جدّ يمن؛ لأن قحطان أبا اليمن هو أخو الجدّ العشرين لقيس: وهو فالغ بن عابر، وقحطان بن عابر، وسيرد ذلك في سرد النسب بعون الله ومشيتته.

وبيانه ههنا أن قيس بن عيلان، بن مضر، بن نزار، بن معدّ، بن عدنان، بن أد^(١)، بن أدّد، بن إسماعيل الذبيح، بن إبراهيم الخليل، بن تارح، وهو آزر بن ناحور، بن ساروغ، بن أزغو، بن فالغ، بن عابر. ففالغ أخو قحطان، وقحطان هو الجد الذي ترجع إليه يمن كلها؛ وهو أحد جذمي النسب كما تقدم.

فقد بان أن قول من يقول قيس، ويمن قبيلة ليس بشيء، وإنما قال ذلك لولد معدّ بن عدنان إشارة لإعلام السائل إذا سأل المعديّ من أيّ نسب هو، فكأنه يقول له من البطن التي منها قيس، وهذا بعيد وشاذ.

ومما يؤكد بعده أنا إذا جوزنا ذلك لمن ينتسب إلى جمجمة فوق قيس كربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان، وإياد بن نزار وغير ذلك وإن كان بعيداً، فكيف يجوز أن يطلق ذلك على قريش؛ فنقول: هم قيس، وإنما قريش بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مذكرة بن إلياس بن مضر بن نزار، وإلياس هو عمّ قيس فيكون قريش دون قيس بهذه العدة، فلا يجوز أن يقال: إن قريشاً من قيس، وقيس إنما هو ابن عمّ الأب السادس من قريش، وهو مدركة؛ ولو كان عمّاً له، لكان ربما يجوز على وجه التعارف عند العرب بأن العم أب كما أخبر الله تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام، فقال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِنَبِيِّهِ مَا نَعْبُدُ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ عَابَاكَ إِبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ﴾ [البقرة: الآية ١٣٣]،

(١) هكذا بالأصل، وفي كتاب الجواني، المنقول منه هذا الفصل، والموجود منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، ناقصة الآخر، «ابن أد بن إليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن إسماعيل الذبيح الخ . . .».

والذي ذهب إلى أن العمّ أب قال: أنا أطلق على ولد معدّ بن عدنان قيسًا؛ لأن قيسًا منهم، فأقول: قريش من قيس. وهذا بعيد من وجه أن قيسًا ليس بعمّ لقريش، وإنما هو ابن عمّ، ولا ترجع العزوة^(١) في الانتساب إلى ذيل الأعقاب^(٢)، إنما يعزى لأعلى النسب؛ لا لأسفل العقب، ولو صحّ ذلك، لعزّي الإنسان لابن ابن عمّه، وهذا لا يصحّ.

فقد وضع أن العزوة إلى قيس لا تصحّ إلا لمن يرجع إليه بالولادة منه؛ لأن ربعة وإيادًا ابني نزار أعلى منه، فلا يصحّ أن يُعزوا إليه، وقريش وكنانة أسفل منه، فلا يصحّ أن يعزوا إليه.

وبالجملة، فإنّه ابن عمّ لهما، أعني قريشًا وكنانة، وأخ لهما أعني ربعة وإيادًا، ولا يجوز أن يعزى الأب إلى ابنه؛ إذ كانت النسبة في ذلك لا ترجع إلى الابن إنما ترجع إلى الأب. ولو اعتمد ذلك في الأنساب لاختلطت العزوة إلى كل أب بالأب الآخر فلم يتميز، ولم يقف عند حدّ دون الآخر، وهذا يؤول إلى الجهالة بالأبطن والأفخاذ والعشائر.

وأما شهرة العزوة إلى قيس، فلما فيها من الجماجم والرؤوس والقبائل والأرحاء^(٣)، وهي عند النسابين أكبر من تميم ومن بكر ابني مَر بن أذ بن طابخة؛ إذ كان في قيس بنو عَبَس، وذُبْيَان، وَغَطَفَان، وَأَغْصَر، وَهَوَازِن، وَغُدَوَان، وَفَهْم، وَهَم جَدِيْلَة قيس، وَسَلِيْم، وَثَقِيْف، وَعَامِر، وَجُشْم، وَنَضْر، وَبَكْر، وَسَعْد، وَسَلُول، وَرَبِيْعَة، وَكِلَاب، وَفُسَيْر، وَحَبِيْب، وَغُقَيْل، وَحَرِيْش، وَخَفَاجَة، وَطَهْفَة، وَغَيْر ذَلِكَ من الأفخاذ والعشائر التي تشرح في مواضعها بمشيئة الله وعونه.

وأما نزار بن معدّ بن عدنان، ففيها من الأبطن والأفخاذ والعشائر، كبنِي رَبِيْعَة الْفَرَس، وَضُبَيْعَة أَضَحَم، وَأَكْلُب، وَأَسْلَم، وَيَقْدَم، وَأَجْلَان، وَهَمِيْم، وَعَبْد الْقَيْس، وَذُهْن، وَالثَّمِر، وَتَغْلِب، وَوَائِل، وَبَكْر، وَصَعْب، وَعَلِي، وَحَبِيْب، وَعَنْزَة، وَعَنْز، وَرُقَيْدَة، وَإِرَاشَة، وَيَشْكُر، وَعُكَابَة، وَعِجْل، وَلُجَيْم، وَحَنِيْقَة، وَزِمَان، وَالدُول^(٤)،

(١) العزوة: الإسناد، أو الانتماء، من عزا يعزو عزوًا: أي انتسب وانتمى.

(٢) ذيل الأعقاب: العقب: الولد، أو ولد الوالد الباقي بعده، والذيل في العقب: الأخير.

(٣) الأرحاء: مفرد «رحى» والأرحاء هنا: جماعة العيال، ورحى القوم: سيدهم، والأرحاء:

القبائل التي تستقل بنفسها ولا تخادر مكانها. «انظر اللسان، مادة رحا».

(٤) الدُول: بضمّ الدال وإسكان الواو، وهو غير الدُول التي ينسب إليها أبو الأسود الدؤلي.

وشَيْتَان، وذُهل، ومَازِن، وسَدُوس، وبِلَيّ، وعَوَف، وبَدْر، ومَعْن، وذُعْمِيّ، وزُهرَة، وحُدَافَة.

فأما أنمار بن زَرار، فانقلب في يمن كما انقلبت قضاة في غير ذلك من الأفخاذ والعشائر مما بين في موضعه إن شاء الله تعالى، والحمد لله.

وأما يمن، فهم أولاد قحطان، بن عابر، بن شالخب، بن أَرْفَحَشَد، بن سَام، بن نوح عليه السلام.

وفيها عدة جماجم وقبائل وأبطن وأفخاذ وعشائر: كَسَبَا، وطَيّء، والأشعر، وحمير، وقُضَاعَة، وعَسَّان، وأوس، والخَزْرَج، والأزْد، ولَخْم، وجُدَام، وعَامِلَة، وخَوْلَان، وعَافِق، ومَذْحِج، وحَرْب، وسَعْد العَشِيرَة، ومَعَاوِر، وهَمْدَان، وَكِنْدَة، وكَلْب، ومَهْرَة، وصِنْهَاج^(١)، وبارق، وبِجِيلَة، وتُعْلَبَة، ودَزَمَا، وزُرَيْق، وعُنَيْز، وعَتَّاب، وبُخْثَر، وجَزَم، ومُرَاد، وعَبَس، وجُعْفِيّ، وسَلْمَان، وتُجِيب، وصداء، والنَّعْج، والصَّدِف، وحَضْرَمَوْت وغير ذلك.

وكل ما ذكرناه فهو أبطن وأفخاذ وعشائر مختلطة، وما قصدنا فيها الترتيب، على طبقات النسب والتعقيب، وإنما جئنا من كل عُرْوَة ببعض مشاهيرها التي تنسب إليها: ليتبين بعضها من بعض ويعلم غرضنا في تحرير ما قدمناه، والله أعلم.



وأما عُرْوَة العرب إلى يمن، وهم ولد قحطان، فلكونهم نزلوا اليمن؛ وكان منهم ملوك الحيرة^(٢)، وأصحاب سد مأرب^(٣) فتيامنوا، فنسبوا إلى اليمن.

(١) الذي في القاموس: وصنهاجة قومٌ بالمغرب من ولد صنهاجة الحميري، وفي تاج العروس: قال ابن دريد: بضم الصاد ولا يجوز غيره، قال شيخنا: والمعروف عندنا الفتح خاصة في القبيلة بحيث لا يكادون يعرفون غيره.

(٢) الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، على موضع يُقال له التجف، زعموا أن بحر فارس كان يتصل به، وبالحيرة: الخورنق يقرب منها، والسدير: في وسط البرية التي بينها وبين الشام. «انظر معجم البلدان ٢/٣٢٨ وما بعدها».

(٣) سد مأرب: قال المسعودي: وكان هذا السد من بناء سبأ بن يشجب بن يعرب، وكان سافله سبعين واديًا، ومات قبل أن يستتمه، فأتته ملوك حمير بعده، وقال أيضًا: بناه لقمان بن عاد، ومأرب: بلاد الأزْد باليمن، وقال السهيلي: اسم قصر كان لهم. «معجم البلدان ٥/٣٤».

وقيل: إنما قيل لهم: يمن بأَيِّمَن بن هَمَيْسَع بن جَمِير، وهو جدّ الملوك التابعة، والأوّل أولى.

وأكثر العزوة لمن ينقلب عن نسبه إلى اليمن، لأجل أن الملوك كانت في اليمن: مثل آل الثُّعْمان بن المُنْذِر بن لَحْم، وآل سَلِيح من قُضَاعَة، وآل مُحَرِّق، وآل العَرَنَجِيح، وهو حمير الأكبر بن سبأ كالتبابعة والأذواء^(١) وغيرهم.

والعرب يطلبون العزّ ولو كان في شامخات الشواحق وبطون الأماثق^(٢) البوالق^(٣) فينتسبون إلى الأعز لحماية الحمية وإبَاءة الدنية وسكون النفوس إلى نفيس الكثرة والعصبية بطريق دقيق في النظر لا على الظن المشتهر؛ كما جرى لقضاعة بن معدّ بن عدنان لما خلف على أمّه الجرهمية بعد مالك بن مرة بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير أباه معدّ بن عدنان؛ فجاءت بقضاعة على فراش مالك بن مرة فنسبه العرب إلى زوج أمّه [مالك بن مرة، عادة للعرب فيمن يولد على فراش زوج أمّه]^(٤). وقيل: إن اسم الجرهميّة: قضاعة، فلما جاءت بولدها سمّته باسمها. وقيل: بل كان اسمه عميرًا، فلما تقصّع عن قومه أي بعد سميّ قضاعة. والعادة عند العرب أن تنسب الرجل إلى زوج أمّه؛ ألا ترى أنها قالت في عبد مناة بن كنانة: بنو عليّ وهو علي بن مسعود الأزديّ وكان حضن بني أخيه لأمه وهم بكر وعامر ومرة أولاد عبد مناة بن كنانة، فغلب اسمه عليهم لما تزوّج أمهم هند ابنة بكر بن وائل وخلف عليها بعد أخيه، فضمّ إليه بني أخيه المذكورين مع أمهم هذه، وهم صغار فربوا في حجره^(٥)، فنسبهم العرب إلى عليّ. وسيأتي من هذا الباب أمثال له في مواضعها، إن شاء الله تعالى.



(١) التبابعة: مفردها «تبّع» وهو لقب ملوك اليمن القدامى، والأذواء: ملوك اليمن من ذي يزن، كسيف بن ذي يزن وغيره.

(٢) الأماثق: الصخور. (٣) البوالق: القفار.

(٤) ما بين قوسين زيادات وجدت في نسخة «الجواني» المخطوطة، ولم توجد في الأصل «الفوتوغرافي».

(٥) حجره: كنفه ورعايته.

والطبقة الثانية الجماهير، والتجمهر: الاجتماع والكثرة، ومنه قولهم: جماهير العرب أي جماعتهم، ومنه ترجمة مجموع لغة العرب «الجمهرة» الكتاب الذي ألفه أبو بكر بن دريد^(١) وجمهرة «الأنساب» أي مجموعها، والله أعلم.

والطبقة الثالثة الشعوب، واحدها شُعب؛ ويقال: شُعب، ويقال في القبيلة بالفتح وفي الجبل بالكسر، وهو الذي يجمع القبائل وتشعب منه، ويشبه بالرأس من الجسد؛ قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحُجرات: الآية ١٣] الآية.

والطبقة الرابعة القبيلة، وهي التي دون الشعب تجمع العمائر؛ وإنما سميت قبيلة لتقابل بعضها ببعض واستوائها في العدد؛ وهي بمنزلة الصدر من الجسد.

والطبقة الخامسة العمائر، واحدها عِمارة، وهي التي دون القبائل، وتجمع البطون، وهي بمنزلة اليدين.

والطبقة السادسة البطون، واحدها بطن، وهي التي تجمع الأفخاذ.

والطبقة السابعة الأفخاذ، واحدها فِخذ وفُخذ، مثل كبد وكبد، وهي أصغر من البطن، والفخذ تجمع العشائر.

والطبقة الثامنة العشائر، واحدها عشيرة، وهم الذين يتعاقلون^(٢) إلى أربعة آباء، وسميت بذلك لمعاشرة الرجل إياهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُعراء: الآية ٢١٤]، فدعا النبي ﷺ علياء قريش إلى أن اقتصر على بني عبد مناف،

(١) ابن دريد: هو محمد بن الحسن بن دُرَيْد الأزدي، أبو بكر، من أئمة اللغة والأدب، وكانوا يقولون: ابن دُرَيْد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، من كتبه الاشتقاق، والمقصود والممدود، توفي ببغداد سنة ٩٣٣ م. «فهرس الأعلام ٨٠/٦».

(٢) يتعاقلون: يرتبطون بجبل النسب، والعقال: الجبل.

وهم يجتمعون معه في الجد الرابع، فمن هاهنا جرت السّنة بالمعاقلة إلى أربعة آباء؛ وهم بمنزلة الساقين من الجسد اللتين يعتمد عليهما دون الأفخاذ.

والطبقة التاسعة الفصائل، واحداها فصيلة، وهم أهل بيت الرجل وخاصته، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَذُ الْمَجْرِمُ لَوْ يَفْقَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِذٍ بَيْنَهُ (١١) وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ أَلَى تَوْبِهِ (١٣)﴾ [المعارج: الآيات ١١ - ١٣]، وهي بمنزلة القدم.

والطبقة العاشرة الرهط، وهم رهط الرجل وأسرته، بمنزلة أصابع القدم. والرهط دون العشرة، والأسرة أكثر من ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَكَاثٌ فِي الْمَدِينَةِ شَعَةٌ رَهْطٌ﴾ [الشم: الآية ٤٨]، قال السيد أبو طالب^(١) في قصيدته المشهورة التي يمدح فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

وأحضرتُ عند البيتِ رهطي وأسرتي وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل^(٢)

ورهطه بنو عبد المطلب وكانوا دون العشرة، وأسرته من بني عبد مناف الذين عاضدوه^(٣) في نصرة سيدنا رسول الله ﷺ.

تمثيل التفصيل - عدنان جذم، قبائل معدّ جمهور، نزار بن معد شعب، مضر قبيلة، خندف عمارة، وهم ولد إلياس بن مضر، كنانة بطن، قريش فخذ، قصي عشيرة، عبد مناف فصيلة، بنو هاشم رهط.

وحيث انتهى القول في ذكر الطبقات، فلنأخذ الآن في بسط النسب وسرده، فنقول وبالله التوفيق.

(١) أبو طالب: هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، عم النبي ﷺ، ووالد الإمام علي رضي الله عنه، كان من أبطال بني هاشم، وقد نشأ النبي الكريم في بيته، وكان له كافلاً ونصيراً ومرتباً، مولده ووفاته بمكة سنة ٦٢٠ م. «فهرس الأعلام ١٦٦/٤».

(٢) الوصائل: ما يوصل به الشيء، أو هي من ثوب: نسيجه وما يغزل منه، والوصيل: برود اليمن، وفي الحديث: إن أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع، كساها الأنطاع، ثم كساها الوصائل: أي جبر اليمن، وهي المقصودة هنا. «انظر اللسان، مادة وصل».

(٣) عاضدوه: ناصره وعاونوه وشدوا عضده.

أصل النسب أبو البشر آدم عليه السلام

وآدم هو الجد الخمسون لسيدنا رسول الله ﷺ وعمود النسب الطاهر المحمدي من آدم عليه السلام في ابنه شيث بن آدم عليهما السلام، وهو هبة الله، وأمة جواء أمة الله.

ولما قتل قابيل^(١) بن آدم أخاه هابيل^(٢)، ولد شيث؛ وقال آدم عليه السلام: هذا هبة من الله وخلف صالح، وهو الذي بنى الكعبة - شرفها الله تعالى - بالطين والحجارة على موضع الخيمة التي كان الله تعالى وضعها لآدم من الجنة. وقال وهب^(٣): إن الله تعالى أنزل على شيث خمسين صحيفة، ورزق عذّة من البنين والبنات.

والعقب منه في ابنه أنوش بن شيث وأمه لبود ابنة آدم عليه السلام، وهو الذي غرس النخلة وزرع الحبة، ونطق بالحكمة؛ وتدعى أمّه محوالة البيضاء. والعقب منه في ابنه قينان بن أنوش، وله ولد اسمه أروى (أعني لأنوش)، أعقب وانقرض عقبه.

والعقب من قينان في ابنه مهلائيل بن قينان، ولم يرزق غيره.

والعقب منه في ولده يارد بن مهلائيل، وكان ليارد أخوة.

والعقب من يارد في ابنه أخنوخ بن يارد، وهو إدريس النبي عليه السلام، وأمه تدعى برة. قيل: سمي إدريس لدرسه الصحف الثلاثين التي أنزلها الله تعالى عليه، وهو أول من خطّ بالقلم، وكان له إخوة انقرضوا^(٤).

(١) قابيل: ابن سيدنا آدم، قدّم قرباناً إلى الله فلم يقبل منه.

(٢) هابيل: ابن سيدنا آدم، قدّم قرباناً إلى الله، فنزلت نارٌ من السماء فأكلته، وذلك كان دليل قبوله، ولذلك قتل قابيل أخاه هابيل، حسداً وغيره. «انظر القرآن الكريم، سورة المائدة، الآيات: ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠».

(٣) وهب: هو وهب بن منبّه الأنباري الصنعاني الدماري، أبو عبد الله، مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالمٌ بأساطير الأولين، أصله من الفرس، ولد ومات بصنعاء سنة ٧٣٢ م، ولّاه عمر بن عبد العزيز قضاء صنعاء. «فهرس الأعلام ١٢٥/٨، وفيات الأعيان ٣٥/٦».

(٤) انقرضوا: بادوا، ولم يبق منهم أو من عقبهم أحد.

والعقب منه في ابنه متوشلخ بن أخنوخ، وأمه بروخا.

وعقبه في ابنه لمك بن متوشلخ، واسمه لامخ.

والعقب منه في ابنه نوح النبي عليه السلام، وأمه قينوش ابنة بركائل بن محوايل، وهو عليه السلام آدم الثاني؛ لأنه لا عقب لآدم عليه السلام إلا من نوح وولده. وإخوة نوح عليه السلام جماعة: منهم صالح بن لمك، وسقطان، ومنان، وترسيس، وصدفا؛ وكان لهم أولاد انقرضوا كلهم والعقب من نوح لا غير، ورزق لمك والد نوح عليه السلام نوحًا، وله من العمر مائة واثان وثمانون سنة، وتوفي وقد مضى من عمر نوح خمسمائة سنة.

واختلف في عمر نوح، فقل: عاش ألف سنة إلا خمسين عامًا، ستمائة قبل الطوفان وثلاثمائة وخمسين سنة بعده. وقيل: بل لبث قبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عامًا، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في قصته في التاريخ. وعمود النسب من نوح في ابنه سام بن نوح عليه السلام، وسام هو الجد الأربعون لسيدنا رسول الله ﷺ، وأمه عمردة، وإخوة سام: حام، ويافث، وبوناطل، وسالوم، وهو الذي غرق في الطوفان.

وأما سام بن نوح، فإن الله تعالى جعل في ذريته الكتاب والنبوة والملك والجمال والبياض، ونزلوا ما بين ساقيد إلى البحر، وما بين البحر إلى الشام، وهو وسط الأرض، والحرم وما حوله، والحرم إلى حضرموت، وإلى عمان، وإلى عالج والدهناء.

والعقب من يافث بن نوح طرسوس، وهمذان، والجبال، والجزر، وفرنجة، والصقالبة الذين على تخوم^(١) القسطنطينية، وإشكار، والترك، وقبرس، ويأجوج، ومأجوج، وكومر، والمصيصة، وأدنة، وروادنييم، وماسج، وخراسان، وباوال، ويونان، وبرجام، وكرد بن مرد بن يافث.

قال: وهذه رواية العلماء بالنسب، وسنذكر خبر كرد بعد هذا في موضعه.

ومن ولد يونان بن يافث الروم واليونانيون؛ كان منهم الفلاسفة وأهل الحكمة كالإسكندر وغيره.

(١) التخوم: مفردا التَّخْم، وهو الحدّ الفاصل بين أرضين وبلدين.

وولد بوناظل بن نوح: وهو الذي عقد الألوية للناس حين تفرقوا: الأَرغار، والبَعاس، والدكايك، والدمشق؛ وهم أُمم لا يحصون خلف صين الصين.

والعقب من حام بن نوح، الهند والسند والنب، والزنج، والحبشة، والقبط، والبربر، ومصرأيم أو اسمه مصر بن حام.

وذكر صاحب الشجرة: أن مصرأيم أعقب من ابنه لوديم، وأن لوديم أعقب قبط مصر بالصعيد، والبيهيم، والتفوحيم، والبرنسيم، والكشلوجيم، والقابdqابين، ومودشاي، وكوشابا، وهبورشابا.

قال: وهؤلاء بأجمعهم ولد قوط بن حام، وأندلش، وكوشان؛ فولد قوط بن حام مصر، فولد مصر بن قوط قبط، وهم قبط مصر؛ وبهم سُميت مصر مصر. قال: هذا قول شيوخنا. وذكر أهل التاريخ: أن مصر سُميت بمصر بن بيصر بن حام؛ كل ذلك قد قيل وهو الأكثر عن العلماء.

وقال أبو المنذر^(١) النسابة في روايته: إن السند^(٢) والهند وما بينهما من البلاد قتلهم يوشع بن نون إلا بقية منهم يسيرة لحقوا بأطراف بلاد السودان، وهم الذين ما بين مصر إلى بلاد السودان، ومنهم البربر والبجة.

وذكر صاحب الشجرة: أن كوش أبو الحبش، وأنه كوش بن حام، وأنه أعقب من نمرود أبي ملوك بابل، ومن أحويلا وهو الواحات، ومن سُفنا وهو أبو زغاوة، ومن سبلا، ومن سفخا: وهو أبو الدمدم، ومن رعما وهو أبو البقاقو من السودان، والعقب من رعما هذا من سبلا أبي الهند ومن دادان أبي السند.

وذكر أبو المنذر النسابة أن كنعان بن حام أعقب من حماة، وحمص، وأروادودي، وطرابلس، وصيدون، وهي صيداء، وحاث، ونفوسة، وهوارة، ومزاةة، وأمورا، وكركاسي، ومزاةة من البربر.

قال الجواني: وهذا كله يبين الخلاف بين النسابين؛ ومن النسابين من يلحق لَواة وهم ولد بَر بالبربر هذا ابن كنعان بن حام، ومن اللواتيين من يقول فيهم: إنهم قيس،

(١) أبو المنذر: هو هشام بن محمد بن بشر الكلبي، أبو المنذر، مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، من أهل الكوفة له نيف ومئة وخمسون كتابا، توفي بالكوفة سنة ٨١٩ م. «فهرس الأعلام ٨/ ٨٧ - ٨٨».

(٢) السند: بلاد من بلاد الهند وكرمان وسجستان، قالوا: السند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح. «معجم البلدان ٣/ ٦٧».

ويعبرون أنهم من ولد جابر بن بغيض، بن ريث، بن عطفان؛ وأن جابراً جدّهم عمّ فزارة. ومن لواتة ومزاةة من يزعم أنهم قوم ناقلة صاروا إلى بلد البربر، وأن البربر إنما هو هواره، وصنّهاجة، وأن أباهم تزوّج امرأة منهم يقال لها: تصوين، فُتسبوا إلى أمهم، وهواره تزعم أنهم قوم ناقلة من يمن جهلوا أنسابهم.

وولد لواتة بن برّ: وهو لواتة أربعة أفخاذ، وهم: زُنارة، ومَصّانا، ونَيْطّا، وتَطُوفّا؛ ولكلّ فخذ من هذه الأفخاذ عدّة عشائر، حصل الإضراب عن ذكرها رغبة في الاختصار، فلنرجع إلى عمود النسب، فنقول:

إن عمود النسب الشريف من سام بن نوح في ابنه أَرْفَخْشَد بن سام؛ وأمه من بنات الملوك.

وكان لسام من الأولاد غير أَرْفَخْشَد: إرم ولاوَدَ وأشوَدَ وعُلَيْمَ وماش (والموصل ولد وأبو الأرمن وخوزستان أولاد سام)^(١)، وفيهم خلاف عند النسّابين.

والعقب من إرم بن سام من عوص وجائر وماش وأهلوا وإيران أولاد إرم. فالعقب من أهلوا بن إرم بن سام: قادسان.

والعقب من أكراد^(٢) جدّ القبيلة المعروفة بالأكراد، في قول أكثر النسّابين. ومن عشيرة القبيلة من يذكر أنهم من بني عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العبسيّ، كما نذكره في بني هوازن.

وفي الأكراد عدّة بطون: كالحلّالية والمروانية وغيرهما.

وقد ذكر بعض النسّابين أن كُرد بن مُرد بن يافث بن نوح، وفي ذلك خلاف.

والعقب من عوص بن إرم بن سام: عاد، وبه سمّيت عاد إرم.

والعقب من ماش بن إرم بن سام من نَيْيط: وهو نَيْيط سواد العراق.

(١) هكذا في الأصل بحروفه، وجاء في «العبر» لابن خلدون: أن بني أشود هم أهل الموصل، وبني غليم أهل خوزستان، ولعلّه الصواب.

(٢) لعلّه: والعقب من إيران في كرد، الخ... انظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، المعروف بتاريخ ابن خلدون.

والعقب من جائر بن إرم: ثمود وجديس، فالعقب من ثمود بن جائر: فالج وهيلع وبَنوق وأرام؛ ومن ولده صالح النبي عليه السلام ابن أسف بن كماشيج بن أرام بن ثمود.

والعقب من لاوذ بن سام: عمليق وهو أبو العمالقة والفراعنة والجبابرة بمصر والشام، وطسم بن لاوذ وأمنيم بن لاوذ. وفرعون موسى: هو الوليد بن مصعب بن أسمير بن الهون بن عمليق بن لاوذ بن سام.

وولد الفرس أشور^(١) بن سام: تيرش وهم الفرس؛ وبهم سميت فارس؛ ومنهم الأكاسرة.

وولد غليم بن سام: خوزان وهم الخوز الذين مساكنهم بلاد الأهواز مما يلي بحر الصين.

فلنرجع إلى سرد عمود النسب، فنقول: إن عمود النسب منه في شالغ^(٢) بن أرفخشذ وكان له من الأولاد غير شالغ مالك وقينان ابنا أرفخشذ. قال: وزعموا أن قينان أول من نظر في علم النجوم بعد الطوفان، واستنبط ذلك من تثور صُفُر كان فيه علمها قبل الطوفان، ودُفن في الأرض فاستخرجه وعَلِمَ ما فيه.

والعقب من شالغ في ابنه عابر بن شالغ، وعابر: هو هود النبي عليه السلام، وأمه مرجانة وهو جماع النسب. وله من الأولاد: فالغ، وفيه عمود النسب، وهو أبو قريش وقحطان ويقطن. فولد يقطن بن عابر: جُرْهُم بن يقطن، كانوا ولاية البيت الحرام فمكثوا ما شاء الله، ثم استحلوا المحارم، وكثرت فيهم المآثم، فأخرجهم الله تعالى من جوار بيته، ورماهم بالفناء^(٣) فلم يبق منهم أحد. وفيهم يقول القائل: [من الطويل]

* وبادوا كما بادت بقيّة جُرْهُم^(٤) *

(١) هكذا بالأصل، وفي «العبر» أنهم من ولد إيران بن أشوذ بن سام بن نوح، وفي تاريخ «ابن الأثير» أنهم بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام.

(٢) وردت هكذا في كلّ المصادر التي يُعتمد عليها في النسب، ووردت في الكتاب المقدس في سفر التكوين «شالغ» بالحاء المهملة.

(٣) الفناء: الزوال.

(٤) بادوا: هلكوا وانقرضوا، وجُرْهُم: من القبائل البائدة التي انقرضت، وهي من العرب العاربة.

وقحطان بن عابر هو أبو اليمن كلها، وجذم نسبها.

وولد قحطان هم العرب المتعربة؛ إذ العرب ثلاث فرق: عاربة وامتربة ومستعربة.

فأما العاربة فهم تسع قبائل من ولد إرم بن سام بن نوح، وهم: عاد، ثم ثمود، ثم أميم، ثم عييل، ثم طسّم، ثم جدّيس، ثم عمليق، ثم جرهم، ثم وبار. فعاد وعييل ابنا عوص بن إرم بن سام بن نوح، وطسّم وعمليق وأميم: بنو لاوذ بن سام؛ وثمود وجدّيس ابنا جاثر بن إرم بن سام؛ ووبار وجرهم ابنا فالغ بن عابر؛ فهذه العرب العاربة.

وأما المتعربة فهم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة، وسكنوا ديارهم.

وأما المستعربة فهم بنو إسماعيل بن إبراهيم، وهم بنو عدنان بن أذ.

قال الشريف الجوّاني: وهذا مختصر من نسب اليمن، قال: إن العقب من قحطان بن عابر من يَغْرُب بن قحطان، وهو الذي زعمت يمن أن العرب إنما سميت عربًا به، وأنه أول من تكلم بالعربية ونزل أرض اليمن، فهو أبو اليمن كلها.

وذكر بعض النسّابين أن حضرموت بن قحطان، وإليه يُنسب كلّ حضرمي، وقيل: حضرموت من ولد حمير، وإنه حضرموت بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن العوّث بن قُطْن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن جَمِير، قال: وعلى ذلك اعتماد شيوخنا في النسب.

وقال آخرون: هو حضرموت بن يقطان بن عابر.

فولد يَغْرُب بن قحطان: يَشْجُب؛ فولد يشجب بن يعرب: سبأ واسمه عبد شمس؛ وإنما سُمّي بسبأ لأنه أول من سبى من العرب، فولد سبأ بن يشجب: جَمِير وكَهْلان.

وقالت طائفة من النسّابين: ومراء بن سبأ، فولد مراء بن سبأ: شعبان قبيلة وصَرِيحان قبيلة، ولهم عدد ومدد.

وولد حمير بن سبأ بن يشجب: مالكا وعامرا وعوقا وسعدا وواثلة وعمرّا وهميسعا.

فأما عمرو بن حمير فهم آل ذي رُعَيْن ملوك اليمن: وهم بنو الحارث بن عمرو بن حمير.

ومن النسابين من ينسب ذا رُعَيْن إلى أنه ولد زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن العَوث بن قُطْن بن عَرِيب بن زهير بن أَيْمَن بن الهمَيْسَع بن حَمِير، وهم عشيرة ذي أصبح^(١) وعشيرة سيف بن ذي يزن^(٢).

قال: وشيخنا في النسب ينسبون التبابعة الملوك إلى أَيْمَن بن هميسع بن حمير، ولا خلاف عندهم فيه وأنهم يرجعون إلى أَيْمَن.

وأما عامر بن حمير، فمنه قبائل يَخْصُب كلها، وهو يحصب بن دُهمان بن عامر بن حمير، قال: ومن شيوخ النسب من قال: يحصب بن ذي يزن بن ذي أصبح بن زيد بن العَوث بن سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن سَدَد بن زُرْعَة، وهم حمير الأصغر.

وأما هَمَيْسَع بن حمير، فمن ولده: صَنْهَاجَة، القبيلة المشهورة المعقبة بالمغرب، وفي ذلك خلاف؛ وهي من بني زُهَيْر بن أَيْمَن بن هَمَيْسَع بن حَمِير، وصَنْهَاجَة اسم الجد للقبيلة كلها، وهو صَنْهَاجَة بن المَثْنَى بن المِسُور بن يَخْصُب بن ذي يَزَن بن ذي أَصْبَح بن زيد بن العَوث بن سعد بن عَوْف بن عَدِي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهم حَمِير الأصغر بن سَبَا الأصغر بن كَعْب بن كَهْف الظلم، بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن العَوث بن قُطْن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن هَمَيْسَع المذكور.

قال: وإلى ذي أَصْبَح هذا يرجع الإمام مالك بن أنس الأَصْبَحِي، وقيل: ذو يزن بن أسلم بن زيد، وذو أَصْبَح بن مالك بن زيد.

قال: ومن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس هذا الذي في عمود النسب ثلاث بطون غير سهل بن عمرو، وهم: شُعْبَان بن عمرو، وَحَيْرَان بن

(١) ذو أصبح: لعله: أصبح بن عمرو بن الحارث، من بني زرعة، وهو حمير الأصغر جد يمانى، من قحطان، ينسب إليه «الأصباح» وهم قبائل في لحج. «فهرس الأعلام ٢٣٣/١».

(٢) هو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح الحميري، من ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم، ولد ونشأ بصنعاء، وقد وفدت عليه أمراء العرب، ومكث في الملك نحو خمس وعشرين سنة قتله الأحباش نحو سنة ٥٧٤ م. «فهرس الأعلام ١٤٩/٣».

عمرو، وحضر موت بن عمرو؛ وحضر موت هذا هي القبيلة التي يُنسب إليها كل حضرمي وقد تقدّم ذكره.

وأما سعد بن حمير، فمنه السلف البطن المشهورة، وأسلم بطن: وهما ابنا ربيعة بن سعد بن حمير.

وأما وائلة بن حمير، فمنهم السكاسيك، وهم بنو زيد بن وائلة بن حمير، وهي غير سكاسك كندة.

وأما مالك بن حمير فمن ولده قضاة، وهم: قضاة بن مالك بن مرة بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير البطن المشهورة على ما نذكره، وقيل: إنها من ولد معد بن عدنان، وفي ذلك يقول القائل: [من الطويل]

أبوكم معدّ كان يُكنى بـبكره قضاة ما كنّى به من تجمما^(١)

ومن قضاة ثلاث بطون، وهم: عمران بن الحاف بن قضاة، وعمرو بن الحاف، وأسلم بن الحاف بن قضاة.

فأما البطن الأولى من قضاة، وهم ولد عمران، فأعقب خلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة من خمس قبائل، وهم: تغلب الغلباء، ويقال: تغلب قضاة أو يمني، يراد به هذا الأب، وتغلب معدّي أو نزار، فيراد به تغلب بن وائل بن قاسط الذي في أسد بن ربيعة بن نزار، وعشم بن حلوان، وزبان بن حلوان، وعمرو بن حلوان، وهو سليح وتزيد بن خلوان (بالتاء باثنتين من فوق وفتحها).

والعقب من تغلب بن خلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة: وبرة بن تغلب.

والعقب من وبرة بن تغلب من خمس أفاخذ: كلب بن وبرة، وإليه ينسب كل كلب، وفيهم عدة أفاخذ وعشائر: كبن عوف وبني ضمضم وبني غليم وبني زهير وبني كنانة، والجميع عشائر يرجعون إلى غذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب، وعرينة بن ثور بن كلب بن وبرة، وإليه يرجع كل عريني، وأسد بن وبرة، والبرك بن وبرة، والثمر بن وبرة، والتغلب بن وبرة، وفهد، وضيع، ودب، وسيد، وسرحان، وذئب أولاد وبرة بن تغلب الغلباء.

(١) تجمم في الكلام: لم يبين كلامه، وتجمم الشيء في صدره: أخفاه ولم يده.

فمن أسد بن وَبَرَة: بنو القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد، وتَنُوخ، وهو مالك بن زهير بن عمرو بن فَهْم بن تَيْم الله بن أسد؛ وإلى تَنُوخ هذا يُنسب كل تَنُوخي، وإليه يرجع أبو العلاء المَعْرِي^(١) الشاعر.

وأعقب تَيْم بن وَبَرَة بن تَغْلِب في ثلاث أفعاذ: خُشَيْن، وإليه يرجع كل خُشَنِي وهو تُمَيْر، منهم أبو ثَعْلَبَة الخُشَنِي الصحابي^(٢) رضي الله عنه، ومَشْجَعَة بن تَيْم بن النُّمِر بن وَبَرَة، وإليه يرجع كل مَشْجَعِي، وغَاضِرَة بن النُّمِر وعاتية بن النمر إلا أنهما دخيلان في سُلَيْم، قالوا: عاتية وغاضرة ابنا سليم بن منصور.

وأما زَبَان بن حُلُوان فأعقب من جَزْم بن زَبَّان، وإليه يرجع كل جَزْمِي. وفي جَزْم عَدَة بطون: منها مَلْكَان بن جَزْم (بفتح الميم واللام)، بطن.

وأما عمرو بن الحاف بن قضاة، فأعقب من ثلاث أفعاذ: بَلِي بن عمرو، وبَهْرَاء بن عمرو، وحَيْدَان، وقيل: حُدَّان بن عمرو؛ وإلى بَلِي هذا يُنسب كل بَلَوِي ككعب بن عُجْرَة البَلَوِي، وبنو العَجَلان، وبنو آتَيْف، وبنو عصية^(٣)، وهم كلهم حلفاء الأنصار: بني عمرو بن عوف من الأوس، وهي قبائل من بَلِي في الأنصار، منهم: المُجَذَّر بن ذِياد وطلحة بن البراق، وأبو بُرْدَة بن نيار الصحابي بَلَوِي حليف الأنصار واسمه هانيء.

وأما بَهْرَاء بن عمرو بن الحاف بن قضاة، فإليه يُنسب كل بَهْرَانِي، كالمِقْدَاد بن الأسود الكندي، ولم يكن كندياً ولكن كان بَهْرَانِيّاً قُضَاعِيّاً؛ لأنه المِقْدَاد بن عمرو بن ثَعْلَبَة بن مالك بن رَبِيعَة بن ثُمَامَة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن لُؤَي بن ثَعْلَبَة بن مالك بن الشَّرِيد بن أبي أهون بن قيس بن دُرَيْم بن القَيْن بن أهود بن بهراء. وإنما قيل: المِقْدَاد بن الأسود لأن الأسود بن عبد يَعُوث بن وَهْب بن عَبْدِ مَنَاف بن زهرة تَبَتَّاه لحلف كان بينهم فُتْسب إليه، وكان أبوه عمرو حليفاً في كندة، وفي بَهْرَاء بطون.

(١) أبو العلاء المَعْرِي: هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التَنُوخي المَعْرِي، شاعر فيلسوف، وُلد ومات في معرّة النعمان سنة ١٠٣٨ م، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. «فهرس الأعلام ١/١٥٧».

(٢) أبو ثَعْلَبَة الخشني، الصحابي، والخشني نسبة إلى قبيلة من قضاة تدعى «خشين»، محدث مات سنة ٧٥ هـ. «الكاشف ٣/٢٨١».

(٣) هكذا في الأصل، وفي كتاب أبو البركات الجَوَانِي «عُصِيَّة».

وأما حَيْدَان، ويقال: حُدَان بن عمرو بن الحاف بن قضاة، فمن بطونه خمس: عَرِيب بن حيدان، وعُرَيْد بن حيدان، وتزيد بن حيدان؛ وإليه تُنسب الثياب التَزِيدِيَّة، ومَهْرَة بن حَيْدَان، وإلى مَهْرَة هذا يُنسب كلٌّ مَهْرِيٍّ، وفي مَهْرَة أفخاذ، وحيَاد بن حَيْدَان.

وأما أَسْلَم بن الحاف بن قضاة، فأعقب من فخذين: حَوْتُكَة وسُود؛ فأما سُود بن أَسْلَم بن الحاف، فأعقب من زيد وليث ابني سُود، وأعقب زيد بن سُود من أربع بطون: جُهَيْنَة، وإليه يرجع كلٌّ جُهَيْنِيٍّ، ونَهْد: رهط أبي عثمان النهدي، وإليه يرجع كلٌّ نَهْدِيٍّ، وسَعْد هُذَيْم، وعُدْرَة، وإليه يرجع كلٌّ عُدْرِيٍّ أولاد زيد بن سُود بن أَسْلَم بن الحاف بن قضاة.

وقال ابن الكلبي^(١): عُدْرَة بن زيد اللات بن رُفَيْدَة بن كَلْب بن وَبْرَة. فأما جُهَيْنَة بن زيد، فرهط عُقْبَة بن عامر الجُهَيْنِيٍّ^(٢) الصحابي، وفي جُهَيْنَة الحُرْقَة وهم بنو أَحْمَس بن عامر بن مُودَعَة بن جُهَيْنَة. وفي نَهْد بن سُود المقدم ذكره: بنو حُرْقَة بن خَزِيمَة بن نَهْد.

وفي عُدْرَة بن زيد بن سُود بن أَسْلَم: بنو ضِيَّة (بالنون) بن عُبْد بن كبير بن عُدْرَة بن زَيْد بن سُود بن أَسْلَم بن الحَاف بن قُضَاعَة.

ومن ولد لَيْث بن سُود بن أَسْلَم: بنو عِلَّة (بكسر العين مشددة اللام) بن عَنَم بن سَعْد بن زَيْد بن لَيْث بن سُود، وفي سَعْد هُذَيْم بن زيد بن سُود: بنو عِلَّة بن عَنَم بن ضِيَّة بن سَعْد هُذَيْم بن زَيْد بن سُور بن أَسْلَم.

قال: فهذا نهاية الاختصار في نسب جَمِير، وهذا ولد كَهْلَان أخيه.

قال: وولد كَهْلَان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان بن عَابِر عليه السلام: زَيْدًا، فولد زَيْد بن كَهْلَان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن قَحْطَان: مَالِكًا وعَرِيْبًا وهما فخذان.

(١) ابن الكلبي: هو محمد بن السائب الكلبي، أبو التضر، نسابة راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، من أهل الكوفة توفي سنة ٧٦٣ م، وهو والد هشام «أبو المنذر». «فهرس الأعلام ١٣٣/٦».

(٢) هو عقبة بن عامر الجهني، صحابي كبير، أمير شريف، فصيحٌ مقررٌ، فرضي، شاعر، ولي غزو البحر، مات بمصر سنة ٥٨ هـ، وذكر الواقدي أن دفنه كان بجبل المقطم بالقاهرة. «الكاشف ٢٣٧/٢».

فالعقب من عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان من يَشْجُب .

والعقب من يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان من زيد بن يَشْجُب .

والعقب من زيد هذا: أَدَد بن زيد بن يَشْجُب .

والعقب من أَدَد في طَيِّء بن أَدَد، واسمه جُلْهُمَة؛ وهو البطن العليا، وإليه ينسب كل طائي، والأشعر بن أَدَد، وإليه يرجع كل أَشْعَرِي، واسم الأشعر نَبَت، وإنما قيل له الأشعر لأنه وُلِد أَشْعَر الجسد، ومَالِك بن أَدَد وهو مَذْجَج، وإليه يرجع كل مَذْجَجِي، وقيل: إن مَذْجَج أُم مَالِك بن أَدَد فُنُسِب إليها ولدها. وقيل: بل هي أكمة^(١) حمراء وُلِد عليها مَالِك، فَعُرِف بها ولده، وقيل: بل اجتمعوا على الأكمة باليمن، والأكمة تسمى مَذْجَج، فقالوا: تعالوا نجعل مَذْجَجًا أُمًا.

وذكر ابن عبد البر^(٢) في روايته: أن سيدنا رسول الله ﷺ قال: «أكثر القبائل في الجنة مَذْجَج»، ومَذْجَج إحدى الجماجم التسع من جماجم العرب، سُمُوا جماجم لأن ميلادها استوى بميلاد قبائل بإزائها من أفناء العرب، ثم تفرعت منها قبائل اجترأت بأسمائها والانتساب إليها، فبعدت عنها واكتفت بانتسابها إليها. ومرة بن أَدَد: أربع أبطن لأَدَد.

والعقب من طَيِّء بن أَدَد بن زَيْد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان من فخذين: فُطْرَة والعَوْث ابني طَيِّء .

والعقب من فُطْرَة بن طَيِّء بن أَدَد من سَعْد بن فُطْرَة، ومنه في خَارِجَة بن سَعْد ومنه في جُنْدَب، ومنه في رُوْمَان بن جُنْدَب .

والعقب من رُوْمَان بن جُنْدَب بن خَارِجَة بن سَعْد بن فُطْرَة من بطنين: دُهل وتُغْلَبَة، وهما التُّغْلَبَتَان وجماعة صغار .

والعقب من العَوْث بن طَيِّء من عَمْرُو بن العَوْث .

(١) الأكمة: التل.

(٢) ابن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد النُمَيْرِي القرطبي المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب بحاث، يقال له حافظ المغرب، وُلِد بقرطبة وتوفي بشاطبة سنة ١٠٧١ م، له مؤلفات عديدة منها: الذرر في اختصار المغازي والسَّير، والاستيعاب. «فهرس الأعلام ٨/ ٢٤٠».

والعقب من عمرو بن العَوَث بن طَيِّء من ثُعَل: بطن، وَنَبْهَانَ: بطن، وهِنَاء بن عمرو: بطن، وَثُعَلْبَةَ بن عمرو: بطن، وَمَزْرُوعَةَ بن عمرو بطن، وَحَسَّانَ بن عمرو: بطن، وَزَيْد بن عمرو: بطن، وَخُشَيْن بن عمرو: بطن، وإلى نَبْهَانَ هذا ينسب كل نبهاني.

والعقب من نَبْهَانَ بن عمرو بن العَوَث بن طَيِّء من ابنيه: سَعْدٍ وَنَائِل، ومن بني سَعْد بن نبهان: بنو اليُسْرِ بن ثُعَلْبَةَ بن نَصْر بن سَعْد بن نَبْهَانَ: فَخْدٌ، وإلى هِنَاء بن عمرو هذا يُنسب كل هنائي.

والعقب من ثُعَل بن عمرو بن العَوَث^(١)، فَأَمَّا سَلَامَانُ فالعقب منه من عُثَيْر وَثُعَلْبَةَ وَسَل^(٢) أولاد سلامان لصلبه؛ وَعُثَيْرُ هذا جد القبيلة المشهورة؛ وَثُعَلْبَةُ هذا جد ثُعَلْبَةَ طائفة من العربان المجاورين للدارُوم من الشام وهم بطنان: دِرْما وَزُرَيْق، فالعقب من عُثَيْر بن سَلَامَانَ بن ثُعَل بن عمرو بن العَوَث بن طَيِّء من فخذين: فُرَيْر بن عُثَيْر، له عدد، وَعُثُود بن عُثَيْر.

والعقب من عُثُود، مِنْ مَعْنٍ وَبُخْتَر ابنيه، وإليهما يرجع كل مَعْنِي وَبُخْتَرِي، والشاعر البُخْتَرِي^(٣) منهم.

والعقب من مَعْن بن عُثُود من ثلاث: ثُوب، وَوُد، وَمَالِك: بني مَعْن بن عُثُود.

والعقب من ثُوب بن مَعْن: عَنَم له عدد، وأبو حَارِثَةَ فأعقب من عَنَم بن ثُوب بن مَعْن بن سِلْسِلَةَ الفخذ التي يرجع إليها كل بني سِلْسِلَةَ المَعْنِيُونَ.

وأما بُخْتَر بن عُثُود بن عُثَيْر بن سَلَامَانَ، فالعقب منه في تَدُول بن بُخْتَر.

والعقب من تَدُول من ستة أفخاذ: وهم جُدَي، وَسَنَام، وَأَيْمَن، وَخَيْثَم، وَأَعُور، وَسَالِم أولاد تَدُول.

(١) أسقط الناسخ الخبر وهو «من سلامان وجرول، فأما الخ...» كما يؤخذ مما يأتي في التفصيل.

(٢) كذا بالأصل، ولعلها محرقة عن «نائل»، انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي في الكلام عن بني نائل ص ٣٨٢، دار الكتب العلمية.

(٣) البحتري: هو الوليد بن عُبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة، شاعر كبير، ولد بمنبج وتوفي فيها سنة ٨٩٨ م، له ديوان شعر مطبوع، ويقال لشعره «سلاسل الذهب». «فهرس الأعلام» ٨/ ١٢١.

وأما ثُعَلْبَةُ بن سَلَامَانَ بن ثُعَلَّ بن عَمْرٍو بن الْعَوْث بن طَيْيء، فأعقب من عَوْف بن ثُعَلْبَة، وأعقب عَوْفٌ من فخذين: دِزْمًا وزُرَيْقٌ؛ ودِزْمًا هو عَمْرٍو بن عَوْف ودِزْمًا أمه، فأعقب دِزْمًا بن عَوْف بن ثُعَلْبَة بن سَلَامَانَ من خمس أفخاذ: سَلَامَة والأحمر وعَمْرٍو وقَصِير والأَوْس: أولاد دِزْمًا. وأعقب زُرَيْق بن عَوْف بن ثُعَلْبَة من فخذين: لُبْنَى والأشعث ولدي زُرَيْق.

وأما جَزُول بن ثُعَلَّ بن عَمْرٍو بن الْعَوْث بن طَيْيء، فأعقب من ابنه: مُعَاوِيَة وَرَبِيعَة؛ فأعقب مُعَاوِيَة بن جَزُول من سِنْسٍ^(١): القبيلة المشهورة، وعَدِيّ وَلَوْذَان: أولاد مُعَاوِيَة.

والعقب من سِنْسٍ بن مُعَاوِيَة بن جرول من ثلاث أفخاذ: عَمْرٍو، وَلَبِيد، وعَدِيّ؛ فأما لَبِيد بن سِنْسٍ، فأعقب من جِرْمِز، فأعقب جِرْمِز من يَخْصَب وجَزْم؛ وعُقْدَة أولاد لَبِيد فخذان. وإلى لبيد هذا تُنسب العرب السَّنَابِسَة الذين بالبحيرة^(٢) من أعمال مصر، وهم من فخذ يقال لها: قُتَّة بن خَلَاد.

وأما عَدِيّ بن سِنْسٍ بن مُعَاوِيَة، فأعقب من أَبَان بن عَدِيّ، وهو فخذ.

والعقب من رَبِيعَة بن جَزُول بن أَبِي أَخْزَم: هَزُومَة، وأعقب هَزُومَة من أَخْزَم، وأعقب أَخْزَم من عَيْشَمُس مكسور الباء متصلاً.

وأما مَذْجَج، وهو مالك بن أَدَد بن زَيْد فأعقب من أفخاذ أربعة: سَعْد العَشِيرَة، ومُرَاد: هو يُحَايِرٌ، وعَنْس، وَلُتَيْس، وجَلْد أولاد مالك وهو مَذْجَج، وإلى مُرَاد هذا يُنسب كلُّ مُرَادِيّ، وسُمِّي مُرَادًا لتمرده، وإلى عَنْس يُنسب كلُّ عَنَسِيّ، منهم عَمَّار بن ياسر الصحابي^(٣)، والأسود العنسي^(٤) الكذاب.

(١) ضبط في الأصل بضم السين والباء، وكذا في صبح الأعشى ١/٣٧٤، وضبطه السويدي في سبائك الذهب، فقال بفتح السين، وذكر في القاموس أنه بالكسر، وكذلك هو في الصحاح واللسان وكتاب المعارف لابن قتيبة.

(٢) البحيرة: من أعمال الوجه البحري. «الانتصار لواسطة عقد الأمصار ٥/٤٣».

(٣) هو عَمَّار بن ياسر الصحابي أحد السابقين البدرين، وهو أول من بنى مسجدًا يصلّى فيه، محدث صدوق، قتل بصقّين عن ثلاث وتسعين سنة، وذلك سنة ٣٧ هـ. «الكاشف ٢/٢٦١».

(٤) الأسود العنسي: هو عيهلة بن كعب بن عوف المذحجي، ذو الخمار، متنبئ مشعوذ، من أهل اليمن، أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي، فكان أول مرتد في الإسلام وادّعى النبوة، قُتل قبل وفاة النبي ﷺ بشهر، وذلك سنة ٦٣٢ م. «فهرس الأعلام ٥/١١١».

والعقب من سَعْد العشيرة بن مالك من ثلاث عشرة فخذًا، وهم: زَيْد اللات، وعابِد اللات، وعَبْد اللات، وجا^(١)، وِجْعَفِيّ، وِجْرَد، وِجْهَم، وأَوْس اللات، ونَمِرَة، وأَس اللات، وسَعْد اللات، وعَمْرُو، وصَغْب: أولاد سعد العشيرة لصلبه، فألى جعفِيّ هذا يُنسب الجعفِيّون، وإلى نمرة يُنسب النمرِيّون، وفي نمرة فخذان: جَدًا، على وزن ندا، وسِلْهُم ابنا نمرة.

وأما جُجْعَفِيّ فالعقب منه في فخذين: مَرَّان، وِجْرِم ابني جعفِيّ بن سعد العشيرة، يرجع^(٢) بنو سِلْهُم بن حكم فخذ (بكسر السين والهاء).

وأما صَغْب بن سعد العشيرة، فالعقب منه في زُبَيْد، واسمه مُنْبَه، وإليه يرجع كل زبيديّ، وفيهم عدّة أفخاذ منهم بنو حرب وغيرهم. وقيل للفخذ زُبَيْد وهم بنو منْبَه الأكبر؛ لأن مُنْبَهًا الأصغر بن صَغْب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدّ قال: من يَزُبْدني رِفْدَه^(٣)؟ فأجابه إلى ذلك أعمامه كلُّهم بنو مُنْبَه الأكبر، فقليل لهم جميعًا زُبَيْد، ومن بني زُبَيْد مَازِن بن منْبَه.

والعقب من مُرَاد بن مَذْحَج من فخذين: نَاجِيَة وزاهر ابني مُرَاد بن مَذْحَج.

والعقب من ناجية: جَمَلُ بن كِنانة بن نَاجِيَة بن مُرَاد: رهط هند بن عمرو الجَمَلِيّ الذي قتله ابن يَثْرِيبي في يوم الجمل، وجمل هذه رهط سَيْفَوِيّ القاص. قال: وينزلون بنهر الملك؛ وعُطَيْف بن ناجية بن مراد رهط فَرَوَة بن مُسَيْك العطيفيّ الصحابي^(٤)، وسَلْمَان بن يشْكُر بن ناجية بن مراد رهط عُبَيْدَة السُّلْمَانِيّ^(٥)؛ وهو جاهلي إسلامي من كبار التابعين.

(١) كذا بالأصل، وصوابه «خارجة».

(٢) كذا بالأصل، والكلام متبور كما هو ملاحظ.

(٣) يَزُبْد في رفده: الرّفْد: العطاء والتّصيب، والقِدْح الضخم، ولعلّه يريد من يعطيني نصيبه من الزّيد في قِدْح كبير.

(٤) هو فَرَوَة بن مُسَيْك المرادي، صحابي، أسلم سنة تسع، وسكن الكوفة واستعمله عمر على صدقات مَذْحَج، محدّث روى عنه الشعبي وجماعة. «الكاشف ٣٢٧/٢».

(٥) هو عبيدة السُّلْمَانِي بن عمرو، وقيل: عبيدة بن قيس الكوفي، أحد الأئمة أسلم في حياة النبي ﷺ، قال ابن عيّنة: كان يوازي شريحًا في العلم والقضاء، مات سنة ٧٢ هـ، وقيل: سنة ٧٣ هـ، روى عن عليّ وابن مسعود، وعنه جماعة. «الكاشف ٢١١/٢ - ٢١٢».

ومن نَاجِيَةٍ: قَرَنَ بن رَذَمَانَ بن نَاجِيَةٍ بن مُرَاد: رهط أُوَيْسِ الْقَرْنِيِّ^(١) نفعنا الله والمسلمين ببركته.

وفي مراد، تَجُوب: وهو رجل من جَمِير، كان أصَابَ دَمًا في قومه فلجأ إلى مُرَاد فقال: جئت إليكم أجوبُ البلاد لأحالفكم، فقبل له: أنت تَجُوب، فُسِمِي به، وهو في مُرَاد رهط عبد الرحمن بن مُلْجَم المُرَادِي التَّجُوبِي لعنه الله، قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأما جَلْد بن مَذْجِج، فأعقب منه عِلَّة بن جَلْد؛ والعقب من عِلَّة من ثلاث أفخاذ: عَمْرُو وَعَامِر وَحَرْب، فمن بني حرب بن عِلَّة: رَهَاء، وهو رهاء بن منبّه بن حرب بن عِلَّة، منهم مالك بن مُرَارَةَ الرَّهَآوِيِّ الصَّحَابِي، وَيَزِيد بن شَجَرَةَ الرَّهَآوِيِّ^(٢)، وَصُدَاء: وهو يزيد بن حرب بن عِلَّة، منهم زِيَاد بن الْحَارِث الصُّدَائِي^(٣) الصَّحَابِي.

وأما عمرو بن عِلَّة بن جَلْد بن مَذْجِج، فالعقب منه ثلاث أفخاذ: التَّخَعُ القَبِيلَةُ المشهورة، وَكَغَب، وَعَامِر.

فأما التَّخَعُ بن عَمْرُو، فأعقب منه فخذان: مَالِك وَعَوْف ابنا التَّخَع.

وأما كَغَب بن عَمْرُو، فأعقب منه فخذان: الْحَارِث، وهم بَلْحَارِث بن كَغَب، وَرُعَيْل بن كَغَب.

وأما عامر بن عَمْرُو بن عِلَّة، فالعقب منه في فخذ واحدة، وهي: مُسْلِيَّة بن عَامِر.

وأما مَرَّة بن أَدَد بن زَيْد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلَان بن سَبَاء، فأعقب من فخذين: مرهم والحارث ابني مَرَّة بن أَدَد؛ فالعقب من الحارث من فخذين: عَدِي وَمَالِك ولديه. فالعقب من مَالِك بن الْحَارِث بن مَرَّة خَوْلَان بن عمرو بن مالك وإليه يُنسب كلَّ خَوْلَانِي، وَمَعَاوِر بن يَعْقُر بن مالك بن الحارث بن

(١) أُوَيْسِ الْقَرْنِي: هو أُوَيْس بن عامر القرنبي، أحد العباد النساك المقدمين، من سادات التابعين، أصله من اليمن، يسكن القفار والزمال، وأدرك حياة النبي ولم يره، سكن الكوفة، وشهد وقعة صفين مع علي، ويرجح أنه قتل فيها سنة ٦٥٧ م. «فهرس الأعلام ٣٢/٢».

(٢) يزيد بن شجرة الرهاوي، أمير حازم، من أصحاب معاوية، قتل في إحدى غزواته، نسبته إلى الرها، أو رهاوة، من قبائل العرب، وكلاهما بفتح الراء. «فهرس الأعلام ١٨٤/٨».

(٣) هو زياد بن الحارث الصُدائي، صحابي، محدث، عنه زياد بن نعيم فقط. «الكاشف ٢٥٧/١».

مُرَّة بن أدد بن زيد بن يَشْجُب؛ وإليه ترجع المعافر في أنسابها، ولهم خَطة^(١) بمصر، ومنهم فخذ بني قَرَاة وهي أمهم، وهم الذين عُرفت بهم القَرَاة^(٢) بمصر، ومسجدهم المسجد المعروف بمسجد الرحمة بالقَرَاة، وهم بنو عَضُّ بن سيف بن وائل بن الحري بن المعافر بن يعفر.

وأما عَدِي بن الحارث بن مُرَّة فأعقب من أربع أبطن لصلبه: وهم عُفَيْر وَلَحْم: قبيلة، واسمه مالك بن عدي، وَجَذَام بن عدي: قبيلة؛ واسمه عامر، والحارث بن عدي وهو عاملة: قبيلة، وإنما سُمِّي لَحْمًا وَجَذَامًا: لأن أحدهما لَحْم وجه أخيه فسُمِّي لَحْمًا، واللحمة: اللطمة، وَجَذَم الآخر إصبع أخيه فقطعها فسُمِّي وَجَذَامًا، وهما القبيلتان المشهورتان؛ والحارث بن عدي وهو عاملة وإليه يرجع كل عاملي، وعاملة وهي بنت مالك بن وَدِيعَة بن قُضَاعَة، وهي أم ولد الحارث المذكور.

فأما عُفَيْر بن عدي بن الحارث، فأعقب من ثور بن عُفَيْر، وثور هو كِنْدَة الملوك فأعقب كِنْدَة من فخذين: مُعَاوِيَة وَأَشْرَس ابني ثور. والعقب من معاوية هذا من ابنه مُرْتَع وزيد، فمن ولد مُرْتَع: بنو امرئ القيس وبنو الرائش وبنو معاوية الأكرمين وبنو وهب، وبنو بَدَا (مشدد)، خمسة: بنو الحارث بن مُعَاوِيَة بن ثور بن مُرْتَع، وإلى مُعَاوِيَة بن الحارث يرجع امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث بن عَمْرُو بن حجر آكل المُزار بن معاوية المذكور الكندي الشاعر. والنسب إلى امرئ القيس بن الحارث بن معاوية المقدم ذكره: مَرْقَسِي، مسموع عن العرب، وكل امرئ القيس غيره في العرب، فالنسب مَرْتِي بوزن مَرْعِي.

والعقب من أَشْرَس بن ثور وهو: كِنْدَة بن عُفَيْر بن عدي: السُّكُون بن أَشْرَس، والسُّكاسك: وهو حُمَيْس السُّكْسَك بن أَشْرَس، وإليهما يُنسب السُّكُونيون والسُّكْسَكِيُّون؛ ومن السكونيين معاوية بن حُدَيْج السكوني^(٣) الصحابي، وحاشد بن أَشْرَس، ومالك بن أَشْرَس.

(١) الخَطة: المكان الذي يختطه الإنسان لنفسه، أو الأرض التي ينزلها الإنسان ولم ينزلها أحد قبله، والخُطة: الأمر والخصلة.

(٢) القرافة: خطه بالفسطاط من مصر، وقرافة: بطن من المعافر نزلوها فسميت بهم، وهي اليوم مقبرة أهل مصر، وبها أبنية جليلة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين. «معجم البلدان ٤/٣١٧».

(٣) هو معاوية بن حديج بن جفنة الكندي التجيبي الأمير، صحابي، محدث عن عمر وأبي ذر، توفي سنة ٥٢ هـ. «الكاشف ٣/١٣٨».

والعقب من السكون بن أشرس من فخذين: شبيب وعُقبه ابني السكون. أعقب شبيب بن السكون من أشرس وشكامة، فأعقب أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس من عديّ وسعد، وهم: تُجيبُ البطن المشهورة، ولهم خطة بمصر، وعرفوا بتُجيب، وهي أمهم بنت ثوبان بن سُلَيْم بن رَهاء بن منبّه بن حرب بن علة بن جلد بن مَذَجج.

والعقب من مالك بن أشرس بن شبيل المذكور: الصّدف، واسمه عمرو بن مالك، وإليه يُنسب كلُّ صَدْفِيّ بالفتح، كما قالوا: شَقْرِيّ ونَمْرِيّ وسلَمِيّ، في شقرة تميم ونمر بن قاسط وسلَمة من الأنصار. ومن النّسائيين من قال: الصدف هو سِماك بن عمرو بن دُعَمِيّ بن حضرموت.

وأما لحم بن عديّ، فأعقب من فخذين وهما لصلبه: ثُمارة وجَدِيلَة، ويقال: جَدِيلَة؛ وذكر الوزير أبو القاسم بن المغربيّ أنه قيل فيها: جَدْبَلَة بالباء بواحدة.

والعقب من ثُمارة بن لحم بن عديّ بن الحارث بن مُرة بن أدَد بن مالك بن ثُمارة فخذ، وحبيب بن نمارة، وهو عَمَم [وعديّ بن ثُمارة]^(١)، سُمّي بذلك لأنّه أوّل من أعتَم^(٢)، وهو الذي عتم ملوك العراق؛ ولهم إخوة صغار: كالوجفا بن ثُمارة وقبيصة وعمرو وعوف ومجن أولاد ثُمارة أعقبوا؛ ومن يُنسب إليهم يُغزى لجدهم لحم وأمهم ثُمارة.

ومن بني مالك بن نمارة الفخذ الأولى: بنو راشدة بن مالك بطن مشهورة.

ومن بني عديّ بن ثُمارة؛ وهم عَمَم بن لحم: بنو نَصْر بن ربيعة من ربيعة بن نصر.

ومن ولد نصر بن ربيعة: النعمان بن المنذر بن ماء السماء، وهي أمّه، بضدّ ما في غسان، لأن غسانَ عامراً ماء السماء أبّ فهو ثَمَّ «أبّ» وهاهنا «أُمّ»، وماء السماء هاهنا هو امرؤ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة، قال: وفي ذلك خلاف.

(١) الزيادة التي بين قوسين عن السبائك، وتؤخذ أيضًا من كلامه الآتي قريبًا.

(٢) اعتَمَ: لبس العمامة.

ومن بني حبيب بن ثُمارة: بنو الدار بن هانيء بن حبيب بن ثُمارة، ينتسب كلُّ دارِي إلى هذه البطن، وهم رهط تميم الداري^(١) الصحابيُّ المعروف بالمختطف، وقد انقرض تميم الداري ولا عقب له.

وأما جريلة^(٢) بن لَخم ويقال: جَزِيلَة، فأعقب من أَرَّاش وحجر وحَلِيل ويشكر وعمر، أولاد جريلة بن لخم. فمن بني أَرَّاش بن جريلة أَرَّاش بن أَرَّاش لا غير؛ ويقال: أَرَّيش مصغراً.

والعقب من أَرَّاش بن أَرَّاش من فخذين: غَنَم وحَدَس - بالحاء المهملة والذال المهملة المحركتين - والحمراء القبيلة، لها خطة بمصر، والأشعث فخذ، وهذه الحمراء في غيرها من الحمراء من قُضاة، وفَهْم، وعدوان، والأزد، وهذَّيل بن مدركة، وبني الأزرق وهم من الروم؛ ومنهم سُميت الحمراء.

فأعقب غَنَم بن أَرَّيش بن أَرَّاش بن جَزِيلَة بن لخم من صعب وفَهْم وزر وعمر: أولاد غنم.

ومن شيوخ النسب من قال: إن النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن امرئ القيس بن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عُيَيْنَة بن أبي الحرام بن العَمَرُط بن غَنَم بن عُوْدَة بن عُبيد بن زِرّ المذكور.

والعقب من حَدَس بن أَرَّيش بن أَرَّاش بن جَزِيلَة بن لخم من ربيعة ورَمِيمة.

والعقب من ربيعة بن حَدَس أربع عشائر: مَنارة، وسعد، وكعب، والهذَّيم: بنو ربيعة.

والعقب من هُذَّيم هذا من حُدَّاد وعامر والحارث: بني الهذَّيم.

والعقب من رَمِيمة بن حَدَس بن أَرَّيش بن أَرَّاش بن جَزِيلَة من عمرو وجده.

(١) هو تميم بن أوس الداري، الصحابي، أبو رقية، أسلم سنة تسع، نسبته إلى الدار بن هانيء، من لخم، كان راهب أهل عصره، وعابد أهل فلسطين، توفي سنة ٤٠ هـ - ٦٦٠ م، وقيل: إنه منسوب إلى جدّه الدار بن هانيء بن حبيب، وقيل: نسبته إلى دارين، وهو موضع في بلاد البحرين تجلب إليه العطور من بلاد الهند، والأوّل أصح. «الكاشف» ١/ ١١٣.

(٢) كذا في الأصل، وفي «السبائك» أيضًا بالزاي، وأوردها القاموس في مادة «ج ز ل» وهو مخالف لما سلف له قريباً من قوله «جديلة» أو «جذيلة» كما ذكر، وجذيلة كما قال الوزير ابن المغربي.

والعقب من عمرو بن ربيعة هذا: الحارث وصعب وعَلَّامة وعديّ والمنذر وثعلبة.

فأما الحارث بن عمرو فأعقب من أبيّ بن الحارث، فأعقب أبيّ من كليب وعديّ.

والعقب من كليب بن أبيّ بن الحارث من أربع أفخاذ: فيض والحارث وعُثم وعُميت: أولاد كليب.

والعقب من فيض بن كليب من أربع أفخاذ: أبي الشتاء، ورَقَاش، وقحران، وصابي: أولاد فيض بن كليب.

والعقب من الحارث بن كليب بن أبيّ من سعد وجده، وولد كعب بن عُثم ثلاث أفخاذ: بني قرقر بن كعب، وبني بَرّ بن كعب، وبني مُرْقَش بن كعب. ومن بني بَرّ بن كعب: بنو واسع بن كعب، وهم بنو رومي وزهير وزير وحسان وبرّ: أولاد واسع، كلٌّ منهم فخذ.

والعقب من عُميت بن كليب بن أبيّ من دَعْجان وجده، ومن أفخذه: مُغالة بن دَعْجان: الفخذ المعروفة في آخرين.

وأما حجر بن جزيمة بن لخم، فأعقب من ثلاث أفخاذ: أزدّة وزُغَر وأدَب. فأعقب أزدّة من فخذين: منيع وعوف ابني أزدّة بن حجر، وأعقب زُغَر بن حجر من مالك بن دَعْن، وهو الذي استخرج يوسف الصديق عليه السلام من الجب^(١) وله عقب، فهذا مختصر في نسب لخم.

وأما جذام واسمه عامر، فالعقب منه في بطنين: حَرام وحِشَم ابني جذام.

والعقب من حَرام بن جذام من فخذين: إياس ومالك ابني حرام بن جذام.

والعقب من إياس بن حرام من رَيْيل بن إياس، ومن سعد بن إياس، فأعقب سعد هذا من أَفْصَى، فأعقب أَفْصَى بن سعد بن إياس من فخذين: زيد ومالك ابني أَفْصَى، وأعقب مالك هذا من سعد بطن المنسوب إليها بنو سعد جذام، وإن كان في جذام عدّة سعود، لكن هذه ذات القُعدُد^(٢) والبيت والصيت.

(١) الجبّ: البئر.

(٢) القُعدُد: القريب الآباء من الجد الأعلى، والبعيد الآباء كذلك، والقعدد: الجبان والقاعد عن الحرب والمكارم، «اللسان، مادة قعدد».

ومن ولد زيد بن أفضى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام: سعد بن مالك بن زيد المذكور: بطن؛ ووائل بن مالك ولَهَبَة؛ وإلى وائل بن مالك بن زيد: يرجع زيد^(١) بن زنباع في نسبه.

والعقب من مالك بن حرام بن جذام، من وائل وسعد. أعقب وائل بن مالك من حُبَيْش وجمع ومازن. من ولد حُبَيْش: شُعَيْب النَبِيِّ عليه السلام، وهو شُعَيْب بن ثَوَيْب بن حُبَيْش المذكور ابن وائل بن مالك بن حَرَام بن جذام. وأعقب سعد بن مالك بن حرام بن جذام من عَطْفَان: البطن الأكبر في جذام. وأعقب غطفان بن سعد من يامة بن عَبْس بن غطفان وغنم بن غطفان. وأعقب يامة بن عبس بن غطفان من علي بن يامة. وأعقب علي من كعب بن علي. وأعقب كعب بن علي من ثلاثة أفضاخ لصلبه: عُيَيْد ومطروود وعوف؛ من ولد عبيد بن كعب هذا: الضَّبْيَب بن قُرْط بن حفيد بن سح^(٢) بن عبيد: فخذ، وأعقب مطروود الضبيبي هذا من ثعلبة بن أمية بن الضبيبي: فخذ، وعمرو بن مالك بن الضبيبي: فخذ، وأعقب مطروود بن كعب بن علي من خالد وعمرو ومبذول ونُقَاة.

فأعقب غنم بن غطفان بن سعد، من نُضْرَة بن غنم في آخرين، فأعقب نضرة بن غنم بن صَبْرَة (الفخذ المشهورة) ابن نصر.

والعقب من حِشْم بن جذام من بُدَيْل بن حِشْم، فالعقب من بديل: بكر وشَوْوَة ابني بُدَيْل. والعقب من بكر هذا من سود بن بكر. والعقب من سعد: أسود وعمرو ابنا سود. والعقب من أسعد بن سود بن بكر بن بديل بن حِشْم بن جذام من فخذين: السَّلْم والهون ابني أسعد. وفي سود أيضًا: السَّلْم بن مالك بن سود (بإسكان اللام) فخذ.

والعقب من عمرو بن سود من لَهَبَة وحُبَيْش وعِدَا: أولاد عمرو.
فهذا مختصر من نسب جذام.

(١) لعلّه يريد «روح بن زنباع» الجذامي، أبو زرعة، أمير فلسطين وسيّد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها، قيل: له صحبة، وكان عبد الملك بن مروان يقول: جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز، وله معه أخبار، توفي سنة ٧٠٣ م. «فهرس الأعلام ٣/٣٤».

(٢) كذا بالأصل، ولم نثر على صحتها في كتب الأنساب، ولعلّها «بُليح» أو «بليح» نسبة إلى شجر «البليح».

وأما عائذة: وهم ولد الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد بن يشجب وهو أخو جذام ولخم، فالعقب من الحارث بن عدي المذكور من فخذين: الزهد ومعاوية ابني الحارث: وهما ابنا عاملة كما تقدّم؛ وزهد: فعل، من موهم: شيء زهيد أي قليل.

والعقب من الزهد بن الحارث بن عدي من ثلاث أفخاذ: عوكلان وزخفان وسلمان: بني الزهد. ومن بني عوكلان المذكور السلم بن ظبيان بن أبي عزم بن عوكلان المذكور.

والعقب من معاوية بن الحارث بن عدي أخو الزهد خمس أفخاذ لصلبه: ثعل، وعجل، وسلمة، وقرة، وثعلبة. قال: وهذا النهاية في اختصار نسب مرة بن أد.

وأما الأشعر بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، فأعقب من جماهير بن الأشعر وله عدد، وعبد الثريا بن الأشعر وعبد شمس والأدغم وتعيم: أولاد الأشعر. وأعقب جماهير وهو جماهير بن الأشعر من ناجية بن جماهير له عدد. وأعقب ناجية من وائل بن ناجية وهو البيت.

وهذا مختصر نسب الأشعريين، ومنهم من الصحابة: أبو موسى^(١) وأبو عامر وأبو بزة؛ وهم فخذ متسع وفيه عدة أفخاذ وعشائر يطول الكتاب بشرحها.

قال: وهذا نسب بني مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

فالعقب من مالك بن زيد من بطنين، وهما: نبت والخيار ابنا مالك. والعقب من نبت من الغوث ابنه، والعقب من الغوث بن نبت من عمرو والأزد؛ وإلى هذا الأزد ينسب كل أزد.

فمن ولد عمرو بن الغوث: بجيلة، وهم ولد أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمر وأم الغوث وبجيلة بن أنمار، وهي بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج، وقد قيل: بل هي أم ولد أنمار.

(١) أبو موسى، هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، من قحطان صحابي، قدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحيشة، ثم استعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعُدن، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ، وهو أحد الحكمين في صفين، توفي بالكوفة سنة ٦٦٥ م. «فهرس الأعلام ١١٤/٤».

والعقب من أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو بن مالك بن زيد: خمس قبائل: الغوث وعَبْقَرٌ وصُهَيْبَةٌ وودَاعَةٌ وأَفْتَلٌ: وهو خَثْعَمٌ: بنو أنمار بن أراش. قال: وذكر علمائنا في النسب أن بَجِيلَةَ هو عَبْقَرٌ والغوث وصُهَيْبَةٌ، وسُمُّوا بذلك لأجل أمهم بَجِيلَةَ، وأن خَثْعَمٌ هو أفتلُ وأمه هند بنت الغافق الأزدي، وسُمِّي خثعم باسم جمل كان لآل أنمار أو لآل أفتل بن أنمار، وكانوا يسمونه خثعم، ويقال: بل قيل خثعم لأنهم تَخَثَعُوا^(١) بالدم؛ والأول أقرب إلى الصحيح.

والعقب من الغوث بن أنمار من ثلاث أفخاذ: وهم زيد وأخمس وقيس كندة: بنو الغوث، وفي أحمس هذا: أسلم بن أحمس: فخذ، وفي أسلم بن أحمس بن الغوث: دُهن. معاوية بن أسلم بن أحمس؛ فخذ: رهط عَمَّار بن أبي معاوية الدهني^(٢) الصحابي.

والعقب من عبقر: بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو من ثلاث أفخاذ: قَسْرٌ وعَلَقَةٌ وقَطَنٌ: أولاد عبقر. وفي قسر: عُرَيْنَةُ بن زيد بن قسر، يقال له: قَسْرِيٌّ في النسب، ويقال: عُرْنِي، وإلى عَلَقَةٍ يرجع كلَّ عَلَقِيٍّ.

والعقب من صهيبه بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو: أُتَيْدٌ بن خِطَام بن صهيبه بن أنمار: فخذ.

والعقب من زُرْعَة بن أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو من ثلاث أفخاذ: حُرْزُقٌ وسِمُطٌ وحبيب: أولاد زُرْعَة.

والعقب من خثعم وهو أفتل بن أنمار بن أراش بن عمرو بن لحيان من ثلاث أفخاذ: شهران وربيعه وناهش: أولاد عَقْرَس بن خَلْف بن أفتل وهو خثعم. وفي ربيعة بن أفرس: بنو أكلب بن ربيعة.

فهذا مختصر كافٍ في بجيلة وخثعم.

وأما الأزد بن الغوث (واسمه دِراء: مثل رِداء وقيل: دِراء مثل درع)، فالعقب من ولده أربع أبطن: وهم مازن وعَسَّان، (وعَسَّان ماء بسدَّ مَأْرِبٍ باليمن، وقيل: بالمُسَلَّل نزلوا به فَنَسَبُوا إليه)، وإلى عَسَّان هذا يُنسب كلَّ عَسَّانِيٍّ، ونصر وعبد الله

(١) تخثعوا: تَلَطَّخُوا بالدم.

(٢) هو عَمَّار بن معاوية الدهني، بضم الدال، نسبة إلى دهن بن معاوية بطن من بجيلة، كما في اللباب لابن الأثير، وهو محدث شيعي موثق، مات سنة ١٣٣ هـ. «الكاشف ٢/ ٢٦١».

والهِنُؤُ بنو الأزد بن الغوث. وإلى غَسَّان هذا يرجع الأنصار، وقد يكون مِن غَسَّان من ليس أنصارياً كثيراً، ويكون من مازن من ليس غَسَّاناً.

والذي نزل على غسان من الأزد بعض بني امرئ القيس البِطريق بن ثعلبة البُهلول بن مازن وماوية وربيعة وامرؤ القيس: بنو عمرو بن الأزد، وكُزْز وعامر ابنا ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد.

والعقب من عبد الله بن الأزد بن الغوث من ثلاث أفخاذ: الحارث وقرن وعُذْثان: أولاد عبد الله بن الأزد.

والعقب من عدْثان^(١) هذا من عَكَّ وسود ومالك وغالب وكعب، ومن بني سود بن عدْثان: طاحِيَةُ بن سود: فخذ.

والعقب من عَكَّ بن عدْثان فخذان: الشاهد وصُحارُ ابنا عَكَّ.

والعقب من الشاهد بن عَكَّ: غافق، وإليه يُنسب كلُّ غافقي، قال: ولهم خُطَّة بمصر، وساعدة ابنا الشاهد. وقيل: بل هو غافق بن الحارث بن عَكَّ بن الحارث بن عدْثان.

والعقب من صُحار بن عَكَّ بن عدْثان: بُولان وَعَبْس وغَسَّان: أولاد صُحار هذا.

وأما نصر بن الأزد، فأعقب من مالك بن نصر من أربع قبائل: عبد الله وراسب ومَيْدَعان وأكفر من حِمَار: أولاد مالك بن نصر بن الأزد. وإلى راسب ينسب كلُّ راسبي، وفي بني مالك راسبيون أُخَر يأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى.

والعقب من عبد الله بن مالك في كعب بن عبد الله، ومنه في الحارث بن كعب.

والعقب من الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك من ثلاث أفخاذ: كعب ومالك وَثُبَيْشَة وهو فاسخة. فمن ولد فاسخة بن الحارث بن كعب: بنو غراء بن شُرَيْق بن فاسخة؛ ومن ولد مالك بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر: بنو مَجَاعَة وبنو الأرنب: ابني مالك.

(١) ورد في كلِّ كتب التَّسَبُّ التي بين أيدينا باسم «عدنان» بالنون، وقال عنها صاحب القاموس ما يأتي: وعك بن «عدنان» بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن الأزد، وليس ابن عدنان أخا معدّ.

والعقب من كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر: زهران وأحجن وعبد الله: أولاد كعب بن الحارث، وإلى زهران ينسب كل زهراني. ومن أفضاه: دهمان بن نصر بن زهران، وغاضرة بن زهران، ودؤس بن عدثان من زهران، منهم: أبو هريرة الدوسي^(١)، واسمه عمرو بن عامر، وفي اسمه خلاف.

والعقب من أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن ثلاث: أسلم ولهب وقرن، أولاد أحجن فمن أفضاه أسلم هذا: بنو ثماله وهو عوف بن أسلم بن أحجن: رهط محمد بن يزيد المبرد^(٢) النحوي، وفيه يقول عبد الصمد بن المعذل^(٣): [من الوافر]

سألنا عن ثماله كل حي فقال القائلون: ومن ثماله؟

فقلت: محمد بن يزيد منهم فقالوا: زدنا بهم جهالة

وأما مبدعان بن مالك بن نصر فمنه أربع أفضاه: راسب وإليه ينسب الراسبيون أيضاً، ومُنْهَب وحيب ومعاوية: بنو مالك بن مبدعان.

فهذا مختصر نسب بني نصر الأزد.

وأما الهنو بن الأزد، فأعقب من سبع أفضاه: الهون وبديد ودُهنة وبرقا وعوجا وأفكه وحجر: أولاد الهنو. فأعقب الهنو من فخذين: الثدب وتكل.

وأما مازن بن غسان بن الأزد فأعقب من فخذين لصلبه: وهما عمرو وتعلبة العنقاء، سُمي بالعنقاء: لطول عنقه.

(١) أبو هريرة الدوسي: هو عبد الرحمن بن صخر، وقيل: كان عبد شمس فغير، وغير ذلك كان حافظاً متبباً ذكياً مفتياً صاحب صيام وقيام، ولي أمر المدينة مرات، توفي سنة ٥٧ هـ. وقال جماعة سنة ٥٩ هـ. «الكاشف ٣/٣٤١».

(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الأزدي البصري، النحوي المعروف، نزل بغداد، وكان إماماً في النحو واللغة، وله تصانيف نافعة، كالكمال والروضة والمقتضب وغيرها. «وفيات الأعيان ٤/٣١٣».

(٣) ابن المعذل: هو عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي، من بني عبد القيس، أبو القاسم، من شعراء الدولة العباسية، ولد ونشأ في البصرة، كان هجاءً شديد العارضة، سكيراً خميراً، توفي نحو سنة ٨٥٤ م. «فهرس الأعلام ١١/٤».

فالعقب من عمرو بن مازن بن الأزد في عدّة أولاد، كلّهم في الأزد، من جماجمهم: عَدَيّ والعاص. فأما العاص فمن ولده: بنو بُقَيْلَة بن سُنَيْن بن زيد بن سع بن عَدَيّ بن نمير بن صوفة بن العاص بن عمرو بن مازن، وسُمِّي بُقَيْلَة: لأنه لبس ثوبين أخضرين.

وأما عَدَيّ بن عمرو بن مازن بن الأزد، فأعقب من عدّة أولاد، من جماجمهم: هند بن هند بن عمرو بن عَدَيّ، وَصَبْرَة بن عمرو بن صبرة بن حارثة بن عَدَيّ، ومسعود بن مازن بن ذئب بن عَدَيّ، وإليه يرجع سَطِيح الكاهن^(١)، وكلّ مسعوديّ في الأزد، وجميع بني عَدَيّ بن عمرو يعزّون إلى الأزد.

وأعقب ثعلبةُ العنقاء بن مازن بن غَسَّان من امرئ القيس البطريق بن ثعلبة؛ فأعقب امرؤ القيس البطريق: حارثة الغَطْرِيف، فأعقب الغَطْرِيف من عامر ماء السماء؛ فأعقب عامر ماء السماء من عمران وعمرو وهو مُزَيْقِيَاء سُمِّي بذلك لأنه كان يمزق في كلّ يوم [حلتين]. لثلا يلبسهما غيره.

والعقب من عمرو مُزَيْقِيَاء بن عامر ماء السماء بن حارث الغَطْرِيف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة العنقاء بن مازن بن غَسَّان وهو السَّرَاج بن الأزد بن الغوث في ستّ أفخاذ: ثعلبة: بطن الأنصار، وحارثة: بطن خزاعة، وَجَفْنَة: بطن، وعمران من أزد عُمان، ومحرّق: بطن، سُمِّي بذلك لأنه أَوَّل من حَرَّق بالنار، وكعب: أولاد عمرو مزيقياء وإليهما يرجع نسب الأنصار. فأما الأوس بن ثعلبة بن عمرو فأعقب من مالك بن الأوس، وأعقب مالك من خمس قبائل: النَّبِيت، وعوف، وجشم، وامرئ القيس، ومرة: أولاد مالك بن الأوس.

قال: وسُمِّي النَّبِيت نَبِيتًا لكثرة ولده، فأعقب النبيت من فخذين: الحارث وكعب وهو ظَفَر بن الخزرج بن النبيت الأوسيّ، فأعقب الحارث بن الخزرج بن النبيت من ابنه: جشم وحابية، فأعقب جشم من رَغْوَان وانقرض. ومن عبد الأشهل: ابني جشم. وأعقب حابية بن الحارث من مجدعة وجويرة وجشم بني حارثة. ومن

(١) سَطِيح الكاهن: هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عَدَيّ بن الذئب، من بني مازن، من الأزد، كاهن جاهليّ، غَسَّاني، من المعمرين، يُعرف بسطيح، كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه، يقال: ما كان فيه عظم إلا رأسه، ويقال: كان يُطوى كما تطوى الحصىرة، ويتكلّم بكلّ أعجوبة، وهو من أهل الجابية من مشارف الشام، مات فيها بعد مولد النبي ﷺ بقليل، وذلك سنة ٥٧٢ هـ. «فهرس الأعلام ١٤/٣».

بني جشم بن حارثة: بنو خَدِيج بن رافع بن عديّ بن جشم، وطُهر بن رافع بن عديّ.

وأما ظَفَر وهو كعب بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس - وبنو ظفر البطن المشهورة في الأوس - فأعقب من أربع أفخاذ: وهم بنو مَرّة وهَيْثَم وعبد رَدّاح وسواد: بني ظفر بن الخزرج، ومن بني سواد: بنو الحَطِيم بن عديّ بن عمرو بن سواد: فخذ، فهؤلاء بنو النبيت.

أما عوف بن مالك بن الأوس، فأعقب من عمرو، وأعقب عمرو من لُوذان، فجدّهم بنو السَّمِيعَة وثعلبة وحَبِيب وعوف: أولاد عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

والعقب من عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس من بني: مالك وجِلْس وكُلْفَة، فأعقب مالك بن عوف من بني: عَزْزير ومعاوية وزيد. وأعقب زيد بن مالك هذا من ضَبِيعَة: الفخذ المشهورة، وأمّية الفخذ المشهورة في الإسلام، وعُبَيْد أولاد زيد، وبنو ضَبِيعَة بن زيد بن مالك، يقال لولده: بنو كِسْر الذهب، منهم: بنو حارثة بن عامر بن مُجَمَّع بن عِطاف بن ضبيعة بن زيد: بطن معروفة. ومن أفخاذ كلفة بن عمرو بن عوف: جُلّاح بن حَرِيش بن جَحْجَبِي من كُلْفَة: بطن.

وأما جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة، فأعقب من خَطْمَة: بطن، واسم خطمة عبد الله، وإنما سُمِّي خطمة: لأنه خَطَم^(١) رجلاً بسيفه على خَطْمه فُسْمِي به، وأعقب خطمة بن جشم من ثلاث أفخاذ: الحارث وعمار ولوذان: بني خطمة.

وأما امرؤ القيس بن مالك بن الأوس، فأعقب من فخذين: بني السَّلَم وبني واقف، وإليه يرجع كلّ واقفي في الأوس.

وأما مَرّة بن مالك بن الأوس بن حارثة، فأعقب من ثلاث أفخاذ: عامر وسعيد ومازن.

وهذا نهاية الاختصار في ولد الأوس.

وأما الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مُزَيْقياء، فأعقب من خمس أفخاذ: الحارث وعمرو وعوف وجشم وكعب: بني الخزرج.

(١) خطم: ضرب أنفه، والخطام: حبلٌ يجعل في عنق الجمل ويشي في خطمه ليقاد به.

والعقب من الحارث هذا من سبع أفخاذ: عوف وحُرْدِيش وجشم وصخر وجديم والخزرج وزيد: أولاد الحارث، ومن عوف بن الحارث بن الخزرج: خُدْرة وخُدَّار ابنا عوف؛ والخدرة يرجع أبو سعيد الخدري^(١)، وهو فخذ بني خدرة.

وأما عمرو بن الخزرج فمن ولده: بنو النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج: البطن المشهورة؛ واسم النجار: تَيْم الله يدعى العُتْر، وإليه يرجع حَسَّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الشاعر: أعني بالشاعر حَسَّان^(٢)، وقد انقرض عقب حَسَّان.

وأما عوف بن الخزرج فمن أفخذه: بنو غنم قَوْقِل: فخذ، وهو أَطَمَّ كان لبني غنم، وسالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وغنم: رهط عُبَّادة بن الصامت^(٣) الصحابي. ومن بني عوف بن الخزرج: سالم الحُبْلَى بن غنم بن عوف، سُمِّي بذلك لعظم بطنه.

وأما جشم بن الخزرج، فأعقب من فخذين: وهما تَزِيدُ وَعَصْب ابناه لصلبه؛ فمن أفخاذ تَزِيد بن جشم هذا: بنو سَلَمَة وربيعة ابنا سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن تَزِيد. وسَلَمَة رهط معاذ بن جبل^(٤) الصحابي (بكسر اللام).

وأما غصب بن جشم بن الخزرج، فمن أفخذه: بنو زُرَيْق وَيَاصَة: ابني عامر بن زريق بن عبد بن حارثة بن مالك بن غصب بن جشم بن الخزرج.

(١) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، صحابي، كان من ملازمي النبي ﷺ وروى عنه أحاديث كثيرة، غزا اثنتي عشرة غزوة، وله ١١٧٠ حديثاً، توفي بالمدينة سنة ٦٩٣ م. «فهرس الأعلام ٨٧/٣».

(٢) هو حَسَّان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي، شاعر النبي ﷺ، وأخذ المَحْضَرِّين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، سكن المدينة، واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة، عَمِيَ قبل وفاته سنة ٦٧٤ م. «فهرس الأعلام ١٧٥/٢».

(٣) هو عبادة بن الصامت، أبو الوليد الخزرجي، من بني عمرو بن عوف، بدري نقيب، وهو أحد من جمع القرآن الكريم، وكان طويلاً جسيماً جميلاً، مات بالرملة سنة ٣٤ هـ، وله من العمر اثنان وسبعون عاماً. «الكاشف ٥٧/٢».

(٤) هو معاذ بن جبل الخزرجي، من نجباء الصحابة، قال أنس: جمع معاذ القرآن في حياة رسول الله ﷺ، وقال ابن مسعود: كنّا نشبهه بإبراهيم عليه السلام، كان أمةً قانتاً لله حنيفاً، توفي بالطاعون سنة ١٨ هـ بالأردن عن ثمان وثلاثين سنة. «الكاشف ١٣٥/٣».

وأما كعب بن الخزرج فمَنْ أفخأه: سعيد وقيس ابنا سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي جَذِيمة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج؛ وقد انقرض قيس بن سعد بن عبادة.

ومن كعب بن الخزرج المذكور غير طريف هذا: ثلاث أفخأه آخر إخوة طريف بن الخزرج هذا، وهم: ثعلبة وعامر وعمرو؛ كان لعامر هذا ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأول: بنو قَسِيَّة بن عامر وقد انقرضوا عن آخرهم.

فهذا مختصر كاف في أنساب الأوس والخزرج.

وأما حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أفخأه: عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو أبو خُزاعة؛ وإنما قيل لهم خُزاعة: لأنهم انخزعوا من بني عمرو مزيقياء بن عامر، (والانخزاع: التقاعس والتخلف)، فأقاموا بَمَرَّ الظَّهْرَانِ^(١) بجنبات الحرم وولُّوا حجابة^(٢) البيت دهرًا وهم حلفاء بني هاشم؛ وقد اختلف النسَّابون في خُزاعة بعد إجماعهم على أنهم ولد عمرو بن لَحْيٍ، وأنَّ خُزاعة هو كعب بن عمرو بن لَحْيٍ بن قَمْعَة بن خُذَيْف، وهو ابن إلياس بن مضر، وعمرو بن لَحْيٍ: هو الذي قال رسول الله ﷺ فيه لأَكْثَم بن أبي الجون الخزاعي: «يا أَكْثَم رأيتُ عمرو بن لَحْيٍ بن قَمْعَة بن خندف يجرُّ قُصْبَه في النار، ما رأيت رجلاً أشبه منه برجل منك»، فقال أَكْثَم أَيْضَرْنِي شَبْهه يا رسول الله؟ فقال: «لا، لأنك مسلم وهو كافر»، والقُصْب: الحشوة من الأمعاء وهو المصران؛ وكان عمرو بن لَحْيٍ أَوَّل من غيَّر دين إسماعيل عليه السلام، فنصب الأوثان وسيَّب السائبة^(٣) وبَحَرَ البحيرة^(٤) ووصل الوصيَّة^(٥) وحمى

(١) مَرَّ الظَّهْرَانِ: قال النَّضر: الظَّهراني يجاء به من مَرَّ الظَّهْرَانِ، ويمرُّ الظَّهرَانِ عيون كثيرة ونخيل لأسلم وهذيل وغافرة، وقد جاء ذكرها في الحديث. «معجم البلدان ٤/٦٣».

(٢) الحجابة: وكانت في بني قصي، وهي حجابة الكعبة أي سيدانتها وتولَّى حفظها، وهم الذين بأيديهم مفاتيحها. «اللَّسان، مادة حجب».

(٣) السائبة: الماشية المسيَّبة التي كانت تسبب في الجاهلية لنذر ونحوه.

(٤) البحيرة: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن عُمد إلى الخامس فإذا لم يكن ذكراً، شقَّ أذنها ثم لم يُجرَّ لها وبر، ولا يذاق لها لبن، وسميت للآلهة.

(٥) الوصيَّة: الشاة إذا ولدت سبعاً عُمد إلى السابع فإن كان ذكراً دُبِح لآلهتهم، وإن كان أنثى تُرُكت، وإن كان في بطنها اثنان: ذكر وأنثى فولدتها، قالوا: وصلت أخاها فيتركان جميعاً لا يذبحان، فسموها وصيَّة.

الحامي^(١). قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: نزل القرآن بلغة الكعبيين: كعب بن لؤي^(٢) وكعب بن عمرو بن لحي^(٣)، وذلك أن دارهم كانت واحدة، وأقصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وعدي بن حارثة وعمرو بن حارثة.

فأما عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء، قال شيخنا شيخ الشرف: عمرو هو خزاعة نفسه أعقب من خمس أفخاذ: كعب وسعد وعدي ومُليح وهو لحي: بطن كثير بن عبد الرحمن^(٤) الشاعر، وعوف بن عمرو خزاعة.

فأما كعب بن عمرو خزاعة بن ربيعة، فأعقب من ست أفخاذ، وهم: مُنْزِد وسلول وحُبْشِيَّة ومطرود ومازن وسعد: أولاد كعب بن عمرو خزاعة.

فأما سلول بن كعب، وإليه ينسب كل سلولي، فأعقب من ثلاث أفخاذ: حبشية وعدي وجِزْم، فأعقب حبشية بن سلول من قُمَيْر وضَاطِر وكليب وحُلَيْل وغازرة: بنيه لصلبه، وأعقب عدي بن سلول من حَبِير وهَيْثَة وحُرَيْز: بني عدي.

وأما حبشية بن كعب بن عمرو خزاعة، فأعقب من ابنه لصلبه: غازرة وحرام.

وأما سعد بن عمرو وهو خزاعة، فأعقب من ثلاث قبائل: بني المُضَطْلِق، وبني عامر وبني الكاهن.

وأما أقصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فإنه أعقب من أسلم: بطن في آخرين: وهم مَلْكَان وزيد وعمرو وعدي وجُهَادَة وحَطَّاب وسَوَادَة وجُرَيْش وامرؤ القيس

(١) الحامي: الفحل يكون عند الرّجل، فإذا لَفَحَ عشر سنين قيل: قد حمى ظهره، وسُمي بـ «حام».

(٢) كعب بن لؤي: هو كعب بن لؤي بن غالب، من قريش، من عدنان، أبو هُصَيْص، جدّ جاهلي خطيب، من سلسلة النّسب النبوي الشريف، كان عظيم القدر عند الجاهليين حتى إنهم أرخوا بموته إلى عام الفيل، وهو أول من سنّ الاجتماع يوم الجمعة، وكان اسمه «يوم العروبة»، فكانت قريش تجتمع إليه فيه، فيخطبهم ويعظهم. «فهرس الأعلام ٢٢٨/٥».

(٣) هو كعب بن عمرو بن لحي، من الأزد، جدّ جاهلي قحطاني، قيل: هو الملقّب بـ «خزاعة» لانخزاع قبيلته عن بني الأزد حين تفرّقهم بعد سيل العرم باليمن، وقد أقام المنخزعون بمكة، وسار الآخرون إلى الشام وعمان، والانخزاع: الانقطاع والتخلّف عن الصحب. «فهرس الأعلام ٢٢٨/٥».

(٤) هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر، شاعر معروف متيم، صاحبه «عزة» من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر، قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز، أخباره مع عزة بنت جميل الضمرية كثيرة، له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ٧٢٣ م. «فهرس الأعلام ٢١٩/٥».

وصهية وجشم، فمن بني أسلم بن أفصى: سلامان: فخذ، وهوزن: فخذ: ابنا أسلم بن أفصى، ومن ملكان - بالفتح - بن أفصى: غبشان بن ملكان: فخذ، منهم: ذو الشمالين المقتول ببدر.

وأما عدي بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من سعد بارق، نزل بماء بالسرّة^(١) أيام سدّ مأرب يسمّى بارق^(٢)، وقيل: هو جبل، وقيل: بل تبعوا البرق فسّموا بذلك، وعمرو وعوف: بني عدي.

وأما عمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من الأسد والحجر ابنه لصلبه؛ فأعقب الأسد من ثلاث أفخاذ: العتيك وشهيل والحارث: بني الأسد. فمن ولد العتيك: أسد بن الحارث بن العتيك: فخذ، ووائل بن الحارث، وإليه ينسب المهلب بن أبي صفرة.

وأما الحجر بن عمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أفخاذ: زيد مناة ومرحوم وعمرو وسود: أولاده لصلبه، فأعقب عمرو بن الحجر من ابنه رباب.

وأما كعب بن عمرو مزيقياء، فأعقب من خمس أفخاذ: السموأل وحنظلة وثعلبة ومالك وقاتل الجوع: أولاد كعب بن عمرو.

وأما عمرو بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من ثلاث أفخاذ: حارثة والرّبعة وملادس: بني عمرو.

وأما جفنة^(٣) بن عمرو مزيقياء، فهم ملوك الشام. والعقب من جفنة من ثلاث أفخاذ: كعب ورفاعة والحارث: بني جفنة في آخرين.

(١) السّرة: جمع جاء على غير قياس، قال الأصمعي: السّرة: الطود، جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء، وإنما سمي بذلك لعلوه وسرّة كلّ شيء ظهره. «انظر معجم البلدان ٣/ ٢٠٤ وما بعدها».

(٢) بارق: موضعٌ تنسب إليه الصحاف البارقية، وبارق: موضعٌ قريب من الكوفة ومنه قول أسود بن يعفر:

أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد
«اللسان، مادة برق».

(٣) هو جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، حارثة الغطريف، من أزد كهلان، أمير غساني، من قدماء الجاهليين، وإليه ينسب أمراء الغساسنة، فيقال لهم «آل جفنة»، كانت عاصمتهم الجابية، من قرى الجولان، ثم امتدّ ملكهم إلى تدمر وضفة الفرات شمالاً، وكان جفنة من الشجعان الأشداء. «فهرس الأعلام ٢/ ١٣١».

فالعقب من كعب بن جفنة بن مزريقاء، من أمام والحارث: ابنيه لصلبه؛ ومن ولد أمام: جبلة بن الأيهم بن عمرو بن جبلة بن الحارث الأعرج بن جبلة بن الحارث الأوسط بن ثعلبة بن الحارث الأكبر بن عمرو بن حجر بن هند بن أمام هذا ابن كعب بن جفنة بن عمرو مزريقاء، وقيل: بل هو جبلة بن الأيهم^(١) بن جبلة بن الحارث الأكبر بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، وفيه اختلاف؛ وجبلة هو الذي تنصّر^(٢) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن رفاعه بن جفنة: السموأل بن أوفى بن عادياء^(٣) بن رفاعه بن جفنة: بطن؛ وأعقب الحارث بن جفنة من المنذر بن النعمان بن الحارث: بطن، ومن الحسحاس ومنارة: ابني عوف بن الحارث: بطن. وجماعة من قبيلة الأرمن نصارى يزعمون أن جدّهم هَيْرَ يرجع إلى جفنة غسان.

وأما الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان، فالعقب من ولده في همدان: وهو أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار المذكور. وقيل: هو الجبار بالجيم والباء الموحدة.

والعقب من همدان: ابن مالك بن جشم بن خيران بن ثوف بن همدان هذا، ومن جشم: ابن بكيل وهو الحبك: فخذ، وحاشد ابنا جشم لصلبه. فأعقب الحبك من دومان وسوران وخيران. فمن ولد دومان بن الحبك وهو بكيل: أرحب ومرهنة: ابنا عامر بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان، إليه ينسب كلّ أرحبي. ومن حاشد بن جشم بن خيران: سبيع: فخذ، ابن سبع بن صعب بن خيران بن معاوية بن

(١) هو جبلة بن الأيهم بن جبلة الغساني، من آل جفنة، آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام، قاتل المسلمين في دومة الجندل، وحضر وقعة اليرموك في جيش الروم، فانهزم الزوم وجبلة معهم، ثم أسلم وهاجر إلى المدينة، ثم إنّه ارتدّ بالشام بعد أن أمر عمر رجلاً أن يقتصّ منه، فلطمه الرجل على عينه، فقال: أو عينه مثل عيني؟ والله لا أقيم ببلدٍ عليّ به سلطان، ورحل إلى القسطنطينية وأقام عند هرقل ملك الروم، إلى أن توفي سنة ٦٤١ م. «فهرس الأعلام ١١١/٢ - ١١٢».

(٢) تنصّر: اعتنق النصرانية.

(٣) هو السموأل بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي حكيم، من سكان «خير» في شمال المدينة، كان يتنقل بينها وبين حصن له سمّاه «الأيك»، أشهر شعره لاميته التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكلّ رداء يرتديه جميل

وهي من أجود الشعر، له ديوان شعري صغير، وحادثته مع امرئ القيس الشاعر معروفة، توفي نحو سنة ٥٦٠ م. «فهرس الأعلام ١٤٠/٣».

كبير بن خيران: وهو مالك بن زيد بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران: رهط أبي إسحق السبيعي^(١)، وفي ذلك خلاف بين النسابين في الأسماء.

وذكر بعض النسابين أن الهان بن مالك: أخا همدان بن مالك، إليه يرجع ويُنسب كل ألّهاني: وهم قليل، ويأم بن أحي بن نافع بن خيران وهو مالك بن زيد: رهط زبيد اليامي شيخ التوزي^(٢).

وذكر بعض النسابين: أن الأوزاع، وهم من مزينة بن زيد عددهم في همدان وهم من حمير، وإليه يرجع كل أوزاعي. ومن ولد سدّد بن زُرعة وهو حمير الأصغر: الأوزاع بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدّد، والأوزاع بن زيد بن سدّد، والأوزاع بن سدّد، والأوزاع بن سُقران بن المعلل بن سدّد.

قال: وهذه النهاية في اختصار أنساب اليمن، وقد احتوت على الغاية في حسن إيصال البطون وتبيينها في الترتيب؛ فلنرجع إلى عمود النسب المحمدي، فنقول:

إن عمود النسب من عابر بن شالغ في ابنه: فالغ بن عابر، وأمه ميشاخا؛ وكان له من الولد غير عمود النسب الجبابرة، مثل تميم وقينان وسيرى^(٣) ومُدبّر وغيرهم انقرضوا كلّهم لم يعقب منهم إلا أرغو بن فالغ، وهو الجدّ الذي يرجع إليه كلّ قرشيّ وكلّ قيسي، وهو أحد شعبي النسب.

والعقب من ولده في أرغو بن فالغ^(٤)، وكان منه جبابرة انقرضوا. وعقبه في ابنه ساروغ بن أرغو. وكان له غير عمود النسب من العقب عشائر وأولاد جبابرة.

(١) أبو إسحق السبيعي: هو عمرو بن عبد الله الهمداني الكوفي، أبو إسحق، من أعلام التابعين الثقات، كان شيخ الكوفة في عصره، أدرك علياً ورآه يخطب، وقال: رأيته أبيض الرأس واللحية، غزا الروم ستّ غزوات، وعمي في كبره، توفي سنة ٧٤٥ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٨١».

(٢) اليامي: لعلّه علي بن أحمد اليامي، سلطان يمني، من الباطنية الإسماعيلية، كانت قبائل همدان على طاعته، كان داهية شجاعاً أدبياً، قصده الشعراء، ومنهم الرشيد بن الزبير، ولما عاد الرشيد إلى مصر سُئِل عن اليمن، فقال: «وجدت فيها ما ليس في غيرها، وجدت مدينة وهي زبيد، ونزهة هي صنعاء». ولعلّه يقصد هنا بقوله: رهط زبيد اليامي، أي رهط مدينة زبيد اليامي. «انظر فهرس الأعلام ٤/ ٢٧٠».

(٣) في التوراة: وردت الكلمة «ستري». (٤) في التوراة: وردت الكلمة «رغو بن فالغ».

منهم يَعْصَم، وَيَعْظُم، ونعمان، وبعلاك، ويَهْران، وكاشم، وطولان، وغيرهم هلكوا دارجين^(١).

والعقب منه في ابنه نَاحور بن ساروغ، فالعقب من ناحور في ابنه تَارَح: وهو آزر بن ناحور.

ومن تارح غير عمود النسب: هاران بن تارح وناحور بن تارح، فولد هَارَان: لوطاً النبي ﷺ.

وعمود النسب من آزر في ابنه.

إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام

وهو الجدّ الحادي والثلاثون لسيدنا رسول الله ﷺ! وأمه أدبَا بنت نمر بن أرغو بن فالغ بن عابر، وله من الولد غير إسماعيل عمود النسب: إسحق عليه السلام ويشباق: وهو طالب، وسَوَاح: وهو خاضع، وزِمْرَان: وهو نَجْدَان، ومَدَان، ويُقْشَان: وهو مصعب؛ فهؤلاء ولد إبراهيم عليه السلام لصلبه، والعقب منهم غير عمود النسب وهو إسماعيل لإسحق لا غير. فولد إسحق ﷺ: يعقوب إسرائيل الله ﷺ والعيسُ وهو عيصو^(٢)، وُلدا في بطن واحد، فخرج عيصو أولاً وخرج يعقوب بعده، ويده عالقة بعقبه فسُمّي يعقوب. وأمهما رَفَقَا^(٣) بنت ناحور بن تارح بنت عم أبيهما إسحق. فولد العيص بن إسحق: رَعَوَال^(٤) وَيَعُوس^(٥) وَأَلِفَاز وَيَغْلَام وَفُورَح وَرُوم. فولد أليفاز بن العيص: عَمَالِق^(٦) وغيره. وولد رعوَال بن العيص: ناجب وغيره، وولد رُوم بن العيص بن إسحق: بني الأصفر؛ لأن روم كان رجلاً أصفر في بياض، فلذلك سُمّيَت الروم: بني الأصفر.

قال: وعمر عيصو مائة وسبعاً وأربعين سنة، وكذلك يعقوب، ودفنا معاً عند قبر أبيهما إبراهيم الخليل عليه السلام في مزرعة حَبْرُونَ^(٧). وقيل: هي مزرعة عَفْرُونَ كان إبراهيم اشتراها لقبره، وفيها دُفنت سارة.

(١) دارجين: أي متقرضين، ويقال: درج القوم، أي انقرضوا.

(٢) ورد الاسم في التوراة: «عيسو». (٣) ورد الاسم في التوراة: «رفقة».

(٤) ورد الاسم في التوراة: «رعويل». (٥) ورد الاسم في التوراة: «يعوش».

(٦) ورد الاسم في التوراة: «عماليق».

(٧) حبرون: اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس، وقد غلب على اسمها الخليل، ويقال لها أيضاً «حبرى»، وروي عن كعب الحبر أن أول من مات ودفن في حبرى سارة زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام. «معجم البلدان ١/ ٣١٢».

ومن ولد العيص: أيوب النبي عليه السلام، قيل: هو أيوب بن أموص بن تَارَح بن رفو بن عيصان بن إسحق، وأمه من ولد لوط بن هاران عليه السلام.

وولد يعقوب عليه السلام: اثني عشر سِبْطًا^(١)، منهم يوسف النبي عليه السلام: عزيز مصر وصاحبها، وإخوته: كاد^(٢) وبَنِيَامِينَ ويهوذا وَنَفْتَالِي وَزَبُولُون وَشَمْعُون وَرَأُوبِين، وكشاحا، ولأوي، وذان، وياشِير^(٣). جاء من ولد يهوذا: سليمان النبي عليه السلام، وجاء من سليمان: مريم ابنة عمران أم المسيح عليهما السلام. وجاء من لأوي بن يعقوب: موسى كليم الله وهارون عليهما السلام ابنا عمران بن قاهث، وجاء من ولد هارون: يحيى بن زكريا وإلياس واليسع والعزير. وقد روى: أن إلياس بن مضر نبي، وأنه المعني بقوله تعالى: ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصفات: الآية ٧٨] ﴿سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ [الصفات: الآية ١٣٠] في قراءة نافع^(٤) وابن عامر^(٥)، وأن آل ياسين آل محمد ﷺ.

والعقب من يوسف الصديق عليه السلام: أفرائيم وَمَنْشَا^(٦) ابنه لصلبه؛ فمن ولد أفرائيم: يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام: وهو الذي رُدَّت عليه الشمس في حربه: وهو يوشع بن نون بن عازر بن شوتالج بن داباد بن ناحب بن العاد بن ناحب بن يارد بن شوتالج بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب. وفي ولد منشأ بن يوسف: موسى بن منشأ بن يوسف. وولد لمنشأ ابنة اسمها رَحْمَة: وهي امرأة أيوب عليه السلام.

قال: وزعم أهل التوراة أن الله تعالى نبأه وأنه صاحب الخضر^(٧). وذكر المؤرخون أنه لما مات يعقوب، فشا في الأسباط الكهانة فبعث الله تعالى موسى بن

(١) الشبط من اليهود: كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد سمي سبطًا ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق، وجمعه أسباط، وقوله عز وجل: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَى عَشَرَ أَسْبَاطًا﴾ [الأعراف: الآية ١٦٠] كآته قال: جعلناهم أسباطًا. «اللسان، مادة سبط».

(٢) ورد الاسم في التوراة: «جَادَ». (٣) ورد الاسم في التوراة: «أَشِير».

(٤) هو نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، محدث ثقة، مقرئ، بقي إلى زمن السفاح. «الكاشف ١٧٤/٣».

(٥) ابن عامر: هو عبد الرحمن بن عامر، محدث، ثقة، روى عن عبد الله بن عمرو، وعنه ابن أبي نجيع. «الكاشف ١٥١/٢».

(٦) ورد الاسم في التوراة: «مَنْشَى».

(٧) الخضر: هو العبد الصالح الذي ورد ذكره في القرآن مع نبي الله موسى عليه السلام، وفي سورة الكهف رقمها ١٨.

منشأ يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، وهو قبل موسى بن عمران بثمانمائة سنة، والله تعالى أعلم.

ونرجع إلى عمود النسب؛ وهو من إبراهيم في ولده إسماعيل: الذبيح بن إبراهيم الخليل عليهما السلام. وأمّه أم ولد، تدعى هاجر، من قبط مصر، من قرية يقال لها: أمّ العرب نحو الفرما^(١).

واختلف العلماء فيما بين عدنان إلى إسماعيل في ذكر الآباء: فمن العلماء من ينسب اليمن إلى إسماعيل عليه السلام، ويقولون: إنهم من ولد يَمَن بن نَبْت بن إسماعيل، وافترق باقي ولد إسماعيل في أقطار الأرض، فدخلوا في قبائل العرب ودرج^(٢) بعضهم، فلم ينسب النسابون لهم نسباً إلّا من كان من ولد قَيْدار ابنه عمود النسب.

قال: واتفق أهل العلم بالنسب كما وجدوه في التوراة، وكما حملوه عن علماء أهل الكتاب، وكما روي عن عبد الله بن عباس: أن النسب فيما بين آدم وإسماعيل صحيح على ما أورده لا خلف فيه بينهم ولا خلاف إلّا في الأسماء لتنقل الألسنة، وإنما الخلاف فيما بين إسماعيل وعدنان، وذلك أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض، فمن أجل ذلك حدث الاختلاف فيما حفظوه، فقال قوم برواية، وقال آخرون برواية. قال: وهذه الرواية التي أوردها في هذا التأليف هي أحسن الروايات، وهي عمدة أكثر النسابين الأجلاء، وعليها كان يعتمد شيخ الشرف محمد بن أبي جعفر الحسيني العُبَيْدَلِيّ النسابة، وهي رواية عبد الله بن عباس، واختيار أبي بكر محمد بن عبدة العبّقيّ النسابة الطرسوسي وغيره.

وكان لإسماعيل عليه السلام من الولد غير قَيْدار عمود النسب أحد عشر ولداً، وهم: مَسَا وَيَطُور ومِسْمَاع ودُوماء، وقيل: هو الذي بنى دُومَةَ الجَنْدَل^(٣)، ومبشام وإديال ونَعَابُوا ويَمّا، وحُدَاد ونافيس وقَيْدَمّا.

(١) الفَرَمّا: مدينة على الساحل من ناحية مصر، أو هي مدينة قديمة بين العريش والفسطاط قرب قطية وشرقي تنيس على ساحل البحر، والفَرَمّا: أخو الإسكندر يقال: إنه هو الذي بناها وسميت باسمه. «معجم البلدان ٤/٢٥٦».

(٢) درج: هلك وانقرض.

(٣) دومة الجندل: مدينة في غائط من الأرض، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل، وقال أبو عبيد السكوني: دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيّء، كانت به بنو كنانة من كلب. «معجم البلدان ٢/٤٨٧».

وعمود النسب من إسماعيل عليه السلام في ابنه قيدار بن إسماعيل، وأمه هالة بنت الحارث بن مُضاض الجرهمي، ويقال: اسمها سلمى، وقيل: الحنفا، وقيل: هي أم أولاد إسماعيل كلهم.

والعقب منه في ابنه حَمَل بن قيدار؛ وأمه الغاضرية بنت مالك الجرهمي.

والعقب منه في نبت بن حمل وأمه هامة بنت زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وتدعى حُريرة.

والعقب من نبت في ابنه سلامان بن نبت.

والعقب من سلامان في ابنه الهميسع بن سلامان، أمه حارثة بنت مراد بن زرة ذي رُعَيْن الحميري.

والعقب منه في ابنه اليسع بن الهميسع.

والعقب من اليسع في ابنه أدَد بن اليسع، وأمه حية من قحطان.

والعقب منه في ابنة أد بن أدَد، وأمه النعجا بنت عمرو بن تُبّع سعد ذي فائش الحميري.

والعقب منه في ابنه عدنان بن أد، وأمه المتمطرة بنت عدي الجرهمية: وهو الجد الحادي والعشرون لسيّدنا رسول الله ﷺ.

وقد قال أكثر النسابين: إن العقب من عدنان غير معدّ عمود النسب من عك: وهو الحارث والذئب والنعمان والضحاك لا عقب له، وهو المذهب الذي يقال في المثل: «أحسن من المذهب»، وعديّ دَرَج، والغنيّ وأبيّ وعَدَن - وهو صاحب عدن - وعمرو ونبت وأد وعدا انقلبت في اليمن.

فأما عك بن عدنان، فكل من كان منهم بالمشرق فهم يُنسبون إلى الأزد، والذي في الأزد أيضًا عك بن عدنان بالباء المثناة ابن عبد الله بن الأزد.

وقال شيخ الشرف النسابة: عك بن عدنان بالنون، وقال الأفضسي النسابة: عك بن الحارث بن عدنان بن عبد الله بن الأزد، وكل من كان منهم بالشام ومصر واليمن والمغرب، فهم مقيمون على نسبهم في عدنان.

وأما الذئب بن عدنان فيزعمون أن الأوس والخزرج من ولده، قال عباس بن مرداس^(١): [من الطويل]

وعك بن عدنان الذين تلعبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد^(٢)
نرجع. وعمود النسب من عدنان في ابنه معد بن عدنان، وأمه مهذذ بنت اللهم الجرهمية.

قال^(٣) النسابون في أولاده لصلبه، فقالوا: إن ولده أحد عشر رجلاً: وقالوا: ثمانية، وزاد آخرون، وقال قوم: لم يكن له غير زار.

قال: فالذي أورد له أحد عشر ولدًا قال: والعقب من معد بن عدنان: عبید الرّمّاح أعقب، وجُنَيْد وجُنَادَة وحِيد وقبضة، وقيل: بل اسمه قَنَصْ انقرض، وقَنَاصَة وحِيدان أعقب، وشَطْ وعوف وسَنَام وقُضَاعَة، قال العلماء: وكلهم انتقلوا في اليمن وغيرها إلا نزارًا. وقد قيل: إن حيدان هذا هو أبو مَهْرَة: القبيلة. وقال النسابون: والقَحْم أعقب، وسَنَام أعقب، وحبيب والضحّاك أعقب، وأود أعقب: أولاد معد.

فأما عبید الرّمّاح فانتسب في بني مالك بن كنانة، ومنهم كان إبراهيم بن عربي صاحب اليمامة^(٤).

وأما سَنَام بن معد، فإنه انتسب في سعد العشيرة بن مالك^(٥) في اليمن.

(١) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، أبو الهيثم، شاعر فارس من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة، تماضر بنت الشريد، أدرك الجاهلية والإسلام، أسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم، كان يدويًا قحًا، مات نحو سنة ٦٣٩ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٦٧».

(٢) طردوا: مبالغة من طرده، والمطرود من الطرد: وهو الإبعاد وبشدة وعنف، أو لعله: حوربوا كل المحاربة.

(٣) لعله يريد: قال: واختلف النسابون الخ... ليستقيم السياق.

(٤) اليمامة: في الإقليم الثاني والثالث، كان قُتْحَة وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق سنة ١٢ هـ، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حَجْر، وتسمى اليمامة جَوًّا، فسمية باليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم بن طسم، قال أهل السير: كانت منازل طسم وجديس اليمامة. «انظر معجم البلدان ٤٤٢/٥».

(٥) هو سعد العشيرة بن مالك بن أدد، من كهلان، من القحطانية، جد جاهلي بنوه عدة بطون، سمي سعد العشيرة، لأنه كان يركب ومعه أبناؤه وأبناء أبنائه، وهم نحو مئة رجل، فإذا سُئِل عنهم يقول: هؤلاء عشيرتي. «فهرس الأعلام ٨٦/٣».

وأما حَيْدَةَ بن معدّ فانتسب في الأشعرين.

وأما القحم بن معدّ، فانتسب في مالك بن كنانة.

وأما أود بن كعب، فانتسب في مذحج.

وأما قَنْصُ فانقرض عقبه، وقيل: كان منهم النعمان بن المنذر^(١).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ذو القرنين^(٢) عبد الله بن الضحاك بن معدّ بن عدنان.

نرجع. وعمود النسب من معدّ بن عدنان في ابنه نزار بن معدّ وأمه مُعَانَةُ بنت جَوْشَم^(٣) الجرهيمية، ومنه غير مُضر الذي هو عمود النسب ثلاث بطون: ربيعة الفرس وإياد وأنمار: بنو نزار. والصّريحان من ولد إسماعيل عليه السلام: مُضر الحمراء وربيعة الفرس. وقولهم: ربيعة الفرس، ومضر الحمراء، فزعموا أنه لما مات نزار تقسم بنوه ميراثه واستهيموا عليه؛ وكان له فرس مشهور فضله في العرب، فأصابه ربيعة فقيل: ربيعة الفرس؛ وكان له ناقة حمراء مشهورة الفضل بين العرب، فأصابها مضر فقيل: مضر الحمراء؛ وكان له جَفَنَةٌ^(٤) عظيمة يطعم فيها الطعام فأصابها إياد؛ وكان له قدح كبير يسقى فيه اللبن إذا أطعم فأصابه أنمار، هذا أحد ما قيل في ذلك، وسنذكر ما قيل في قسمة ميراث نزار وما اتفق لأولاده مع الأفعى الجرهيمي في أمثال العرب في حرف الهمزة، وفي قولهم: «إن العصا من العصية»^(٥)، وهو في الباب

(١) هو النعمان بن عمرو بن المنذر الغساني، من ملوك آل غسان في الجاهلية، كانت له حوران وعبر الأردن وتلك الأنحاء، بنى قصر السويداء بحوران، وقصر حارب، مات نحو سنة ٣١٢ م. «فهرس الأعلام ٣٨/٨».

(٢) ذو القرنين: هو الملك التاسع من ولد جمشيد، اسمه أفريدون، وفي أول ملكه كان إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو ذو القرنين المذكور في القرآن على أحد الأقوال، وملك جميع الأرض أيضاً وقسمها بين بني. «صبح الأعشى ٤/٤١٠».

(٣) كذا في الأصل، وفي الطبري: «جَرْشَم». (٤) الجفنة: القصعة، إناء يطعم به.

(٥) هو مثل ذكر أنّ أول من قاله الأفعى الجرهيمي، وذلك أن نزاراً لما حضرته الوفاة، جمع بنيه مُضر وإياداً وربيعاً وأنماراً، فقال: يا بني هذه القبة الحمراء لمضر، وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة، وهذه الخادم وكانت شمطاء لإياد، وهذه البكرة والمجلس لأنمار يجلس فيه، فإن أشكل عليكم كيف تقسمون فائتوا الأفعى الجرهيمي ومنزله بنجران، فتشاجروا في ميراثه وقصدوه ففضى لهم وصدروا من عنده على قضائه، فقال الأفعى: إن العصا من العصية، وإن خشيئاً من أخشن، ومساعدة الخاصل تعدّ من الباطل، والمراد: أنهم يشبهون أباهم في جودة الرأي. «انظر المثل وقصته في مجمع الأمثال ١/٤٤ - ٤٥ - ٤٦، المثل رقم ٣٢».

الأول من القسم الثاني من هذا الفن في أول السفر الثالث من كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.

نرجع. فأما أنمار بن نزار، فإنها انقلبت في اليمن، قال: كذا رويانا عن شيوخنا في النسب ومن قال: إنها انقلبت في اليمن يقول فيه: إِنَّ خَثْعَمَ وَبَجِيلَةَ ابْنَا أَنْمَارِ بْنِ نَزَارٍ، وإنما لحقا باليمن وانتسبا عن جهل منهما إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن النبيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأما إياد بن نزار وهي القبيلة التي يرجع إليها كلّ إياديّ، فمنها فخذان: بنو دُعَمَيِّ بن إياد، وبنو زَهْر بن إياد؛ ومن زهر بنو حُدَاقَةَ بن زهر: عشيرة في إياد، إليها ينسب الحذاقون.

وأما ربيعة الفرس بن نزار بن معدّ، فأعقب من ثلاثة أبطن: أسد، وهو البطن الأعظم من ربيعة، وضُبَيْعَةُ بن ربيعة، وأكلب. وضبيعة يقال له: ضبيعة الأضجم: لأنه كان مائل الفم. ومن أكلب أفخاذ: منها لصلبه: هُرَيْر وعوف ومَعْن ومُبَشَّر وجليّة.

والعقب من ضبيعة بن ربيعة بن نزار من ثلاث قبائل: جُلَى وعوف وبدر: بنو أحمس بن ضبيعة؛ ومن بني جُلَى: بنو مُجَمِّع الشعوب: ربيعة بن سَلَمَة بن سعد بن بلال بن بُهْثَة بن حرب بن وهب بن جُلَى: بطن.

وأما أسد بن ربيعة فمنه ثلاث بطون: أفصى بن دُعَمَيِّ بن جديلة بن أسد، وعَنْزَة بن اللهازم بن أسد، واسمه عمرو، وعميرة بن أسد، وإلى عَنْزَة يُنسب كلّ عنزيّ (محرك النون).

والعقب من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار فخذان، وهما: أسلم وَيَقْدُم: ابنا يَذْكُر بن عنزة بن أسد، فمن أسلم فخذان: بنو صُبَاح - وهو قمر الليل والنهار - وبنو حُلَّان: ابني العتيك بن أسلم. ومن يقدم بن يذكر فخذان: تَيْم ونصر: ابنا يقدم. ومن بني تيم: بنو هَمِيم بن عبد العزّي بن ربيعة بن تيم بن يقدم.

والعقب من عميرة بن أسد بن ربيعة بن نزار فخذان، هما: مبشر وعديّ: ابنا عميرة بن أسد بن ربيعة.

وأما أفصى بن دُعَمَيِّ بن جديلة بن أسد، فمنه بطنان: هنب وعبد القيس: ابنا أفصى بن دُعَمَيِّ بن جديلة، وإلى عبد القيس هذا ينسب كلّ عبقيّ.

والعقب من عبد القيس بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن أفصى بن عبد القيس، واللَّبُود بن عبد القيس. والعقب من أفصى بن عبد القيس من لُكَيْز بن أفصى وشَنَ بن أفصى. فمن لكيز بن أفصى ثلاث عشائر: وَدِيعَةُ وَصُبَاحُ وَنُكْرَةُ. فمن ولد نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس: دُهن بن عذرة بن منبَه بن نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس؛ وليس دهن هذا فخذ عمارة الدهني، إنما فخذ دهن التي في بجيلة.

والعقب من ودِيعَة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعَمي من عمرو بن ودِيعَة، ودهن بن ودِيعَة وغنم بن ودِيعَة.

والعقب من عمرو بن ودِيعَة بن لكيز بن أفصى - ويقال لولده: العُمُور - أنمار وعِجَل ومُحارب والدَّيْل: أولاد عمرو بن ودِيعَة.

والعقب من هنب بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة من قاسط بن هنب وعمرو بن هنب، فمن ولد عمرو بن هنب هذا: عَتِيب بن عمرو، ومن عَتِيب في دهن: فخذ، وخفاجة: ابني عَتِيب.

والعقب من قاسط بن هنب من النمر بن قاسط^(١)؛ وإليه ينسب كل نمري، وعمرو هو عُقَيْلَة بن قاسط: قبيلة، ومعاوية بن قاسط في عاملة، ووائل بن قاسط: البطن الأعظم من قاسط.

فالعقب من النمر بن قاسط من تيم الله، ويقال: تيم اللات، وأوس مناة: ابني النمر؛ ومن النمر بن قاسط: بنو الضَّحِيَّان وهو عامر بن سعد بن الخزرج بن سعد بن تيم الله بن النمر. وإليه كانت الرياسة واللَّواء^(٢) والحكومة^(٣) والمِرْبَاع^(٤). وقيل له الضحيان لأنه كان يحكم بين العرب في الضُّحَى.

وأما وائل بن قاسط بن هنب، فأعقب من أربع أبطن: تغلب بن وائل: البطن المشهورة، إليها يرجع كلُّ تغلبيٍّ معدِّي. (وفي قضاة أيضًا تغلب بن حُلوان بن

(١) هو النمر بن قاسط بن هنب بن أمصى بن دُعَمي، من أسد ربيعة، جد جاهلي، كان له بالمدينة عقب كثير، ارتد جماعة منهم فأبادهم خالد بن الوليد، ودخل بعضهم الأندلس في أيام الفتح، فكانت سكناهم بحصن وضاح من عمل «رِية». «فهرس الأعلام ٤٨/٨».

(٢) اللَّواء: الشعار يحمل في الحرب «الرَّاية».

(٣) الحكومة: من يُحتَكَم إليه، أي يكون له الفصل عند المخاصمة.

(٤) المرباع: رُبع الغنيمة الذي كان الرئيس يأخذه في الجاهلية.

عمران بن الحاف بن قضاة جد بني كلب)، وبكر بن وائل، وعَنْز بن وائل (ساكنة النون) كما يُنسب في نزار إلى عنزة بن أسد كلَّ عَنزِيٍّ (محرَّك النون)، وعمرو بن وائل. فمن عنز بن وائل بن قاسط فخذان: وهما رَفيدة بن عنز وأَراشة بن عنز، وفيهما عدَّة أفضاد وعشائر.

والعقب من بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من الحارث وعليّ ويشكر وجشم وبَدَن: بني بكر؛ وإلى عليّ هذا يُنسب كلَّ علويٍّ في نزار، وإلى يشكر هذا يُنسب كلَّ يشكريّ.

والعقب من يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من ثلاث قبائل لصلبه: وهم حرب وكنانة وكعب، فأعقب حرب بن يشكر من جشم وذُهل: ولذي كنانة بن حرب؛ ومن بني جشم بن حرب: بنو عُصَيْنم بن سعد بن عمرو بن جشم، وبنو الحمير: حُبيِّب بن كعب بن جشم، وإلى جشم هذا يُنسب كلَّ جشميٍّ في نزار.

وأعقب كنانة بن يشكر من ذبيان (بالكسر بضد ذبيان عبس الذي هو بالضم)، وأعقب ذبيان من فخذ وائلة وعامر: ابني ذبيان بن كنانة بن يشكر، فمن بني عامر بن ذبيان: بنو جشم بن عامر: فخذ يقال لهم: الجشميون أيضًا.

وأما بنو عليّ الوائلي فالعقب من عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة من صعب بن عليّ وحده؛ وإليه يرجع كلَّ صعبيّ في نزار. والعقب من صعب من ثلاث بطون: عُكَّابة ولُحَيْم^(١) ومالك: أولاد صعب بن عليّ بن بكر بن وائل، فأعقب مالك بن صعب في بني زِمَّان بن مالك: فخذ، وإليه ينسب كلَّ زِمَّانيّ.

وأما لُحَيْم بن صعب، فأعقب من حَنِيفة بن لحيم: البطن المشهورة، ومن عجل بن لُحَيْم.

قال الزبير بن بَكَار: وحَنِيفة امرأة تُسب إليها ولدها، وهي: حنيفة بنت كاهل بن أسد بن خَزِيمة، فأعقب حنيفة من ثلاث قبائل: الدُّؤْل بن حنيفة: القبيلة المشهورة في بني حنيفة، ويقال في النسبة إليه: دؤليّ (كذا بضد النسبة إلى دؤْل كنانة)، وعامر بن حنيفة وعديّ بن حنيفة، وفيهم عدَّة عشائر وقبائل، والعزوة إلى حنيفة تغني عنها؛ منها بنو يَرْبوع بن الدُّؤْل بن حنيفة إليه يُنسب كلَّ يربوعيّ، وهم قبيلة خَوْلَة بنت

(١) كذا بالأصل، وفي كتاب المعارف لابن قتيبة «لُجيم» بالجيم المعجمة.

جعفر بن قيس بن سلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع المذكور أم أبي القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المعروف بابن الحنفية^(١)؛ وهو الذي قال رسول الله ﷺ فيه لعلي: «سيولد لك ولد وقد نحلته اسمي وكنيتي».

قال: ولعبيد بن ثعلبة بن يربوع غير سلمة خمس أفاخذ لصلبه: مَسْلَمَة وشَيَّان وزيد ووهب وأرقم، ولهم عدد في بني مَسْلَمَة المذكور: عمرو بن معديكرب^(٢) بن الحارث بن مسلمة، إليه يُنسب كنز الدولة حامي أسوان^(٣).

وأما عجل بن لحيم فأعقب من أربع أبطن: وهي سعد وكعب وهم قليل، وربيعة وضبيعة أولاد عجل، وإليه ينسب كل عجلي. وفيهم عدة أفاخذ وعشائر، وإلى ضبيعة يُنسب كل ضبعي.

وأما عكابة بن صعب بن علي فأعقب من بطنين: ثعلبة وفيه العدد، وقيس: ابني عكابة.

والعقب من ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي من خمسة: قيس من اللهازم: بطن، ومالك وتيم الله من اللهازم: قبيلة أولاد ثعلبة بن عكابة، وشَيَّان وذُهل وهما الذُّهْلان: ابنا ثعلبة، وإلى شيبان هذا يرجع كل شيباني، وإلى ذهل يرجع كل ذُهلي.

فأما قيس بن ثعلبة فأعقب من ضبيعة وسعد: ابنيه لصلبه، والعقب من ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة من ربيعة وهو جُحْدَر، وإليه يرجع كل جُحْدري، وسعد وتيم وعُباد ومالك: بطن.

(١) ابن الحنفية: هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام، وهو أخو الحسن والحسين من غير أنهما فاطمة الزهراء، كان واسع العلم، ورعاً، أسود اللون، وأخبار قوته وشجاعته كثيرة، وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته، ويزعم أنه المهدي، وكانت الكيسانية «من الفرق الإسلامية تزعم أنه لم يموت، وأنه مقيم برضوى مولده ووفاته بالمدينة سنة ٧٠٠ م». «فهرس الأعلام ٦/ ٢٧٠».

(٢) لعله عمرو بن معديكرب بن ربيعة، فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة، وفد على النبي ﷺ سنة ٩ هـ وأسلم، ثم ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، وعاد بعد ذلك إلى الإسلام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه، قيل: إنه قتل في «القادسية»، أو مات عطشاً سنة ٦٤٢ م. «فهرس الأعلام ٥/ ٨٦».

(٣) أسوان: آخر الديار المصرية في البر الشرقي والغربي، وهي بلاد الثمر ومنها يجلب إلى سائر البلاد المصرية. «انظر صبح الأعشى ٣/ ٤٥٥».

وأعقب تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن سبع أفخاذ، وهم: الحارث وذُهل وعدِي ومالك وعامر وزَمان وحاطِبة، ومن بني مالك بن تيم الله: بنو عائش بن مالك: فخذ.

فأما شيان بن ثعلبة بن عكابة فأعقب من ثلاث بطون لصلبه: ذهل، وإليه يرجع الذهليّون، وتيم وثعلبة، وثعلبة ذا: هو الفخذ الذي يُنسب إليه ويرجع أبو الصقر محمد بن إسماعيل وزير المعتمد^(١)، وفيه يقول ابن الرومي الشاعر:

قالوا: أبو الصقر من شيان، قلت لهم كلاً لعمري ولكن منه شيان
وكم أب قد علا بابن له شرقاً كما علا برسول الله عدنانُ

وأعقب ذهل بن شيان من أولاده لصلبه: وهم مُرة، وإليه يرجع المزيون الشيبانيّون وأبو ربيعة ومُحلّم وصُبح^(٢) والحارث وعمرو: وهو جذرة وعوف وعبد غنم، ومن ولد أبي ربيعة بن ذهل: المُزدلف، وهو عمرو بن أبي ربيعة: فخذ كبيرة.

وفي مرة بن ذهل بن شيان عدّة أفخاذ، وهم: سعد وذُب وسَيار وكثير وجندب وبُجَيْر وجَسّاس ونضلة وهَمّام: قبيلة الأحلاف أولاد مُرة، قال: وهمام بن مُرة^(٣) بن ذهل هو بيت ذهل وقعدد^(٤) فخرهم. وأعقب لصلبه الأحلاف من مازن وعوف وثعلبة خمسين بيتاً، وعمرو وعائشة والأسعد وحبيب، هؤلاء هم الأحلاف ومرة وعبد الله والحارث.

وأما ذهل بن ثعلبة وهو أحد الذهليّين فمنه بطنان لصلبه: شيان وعامر، فأعقب شيان بن ذهل بن ثعلبة من سبع أفخاذ لصلبه: وهم سدّوس ومازن وعمرو الأعمى وعُلباء ومالك وعامر وزيد مناة. وإلى سدّوس هذا يُنسب كلّ

(١) هو المعتمد على الله، أبو العباس، ويقال: أبو جعفر أحمد بن جعفر المتوكل، بُوع له بالخلافة يوم قتل المهدي سنة ٢٥٦ هـ، وتوفي في شهر رجب سنة ٢٧٩ هـ. «صبح الأعشى ٢٧٢/٣».

(٢) كذا بالأصل، وفي كتاب المعارف لابن قتيبة «صُبح».

(٣) هو همّام بن مُرة بن ذهل، من شيان، جدّ جاهلي، من سادات بني شيان، وهو أخو «جَسّاس» قاتل كليب، له شعرٌ وأخبار، قتله ناشرة بن أغواث ختلاً يوم «الواردات» من أيام حرب البسوس، قال المهلهل في رائيته:

وهَمّام بن مُرة قد تركنا عليه القشعمان من التّسور
«فهرس الأعلام ٩٤/٨».

(٤) القعدد: الأصل الثابت.

سدوسي. ومن ولد مازن هذا: أحمد بن حنبل^(١) بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيَّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن، وإليه أيضًا يُنسب أبو عثمان المازنيّ النحويّ^(٢) وكلّ مازنيّ، وفي مذحج في بني سُلَيْم: زُبَيْد مازن المعروفة.

نعود إلى باقي نسب وائل.

وأما تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب، واسم تغلب دِثَار وكان أكثرهم نصارى، فالعقب منه في ثلاث أفخاذ لصلبه: عمران (وهم قليل)، وأوس وُغْنَم؛ وفيه العدد والبيت؛ ومن قبائل غنم الخنّاقون: بكر ورزّاح ومالك وعدي: بنو معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب، والأراقم^(٣) الستة: جشم ومالك وعمرو والحارث ومعاوية وثعلبة: أولاد بكر بن حُبَيْب بن غنم بن عمرو بن تغلب، ومن جشم هذا: بنو عَطِيف مُجْزِئَة بن حارثة بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب: رهط سيف الدولة^(٤) بن حمدان، فهذا نهاية الاختصار في نسب بني نزار.

وعمود النسب منه في ابنه مضر بن نزار، وأمة سَوْدَة بنت عكّ العدنانية، ومنه غير عمود النسب وهو إلياس ابنه قيس بن عَيْلان بن مُضَر، واسم عيلان: الناس، وهو أخو إلياس. ويقال: قيس عيلان بن مضر، وعيلان حاضن كان لقيس فُتْسِب إليه كما تُسب غير واحد من العرب إلى الحضان، كسعد هذيم حضنه هُذَيْم فُتْسِب إليه؛ والصحيح: أن عيلان بن مضر، واسمه الناس، وقيسًا ولده، وقد قيل في الناس: الناس - بتشديد السين -.

(١) هو الإمام أحمد بن حنبل، صاحب المذهب الحنبلي، تقدّم ذكره.

(٢) أبو عثمان المازني: هو بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازني، من مازن شيبان، أحد الأئمة في النحو، من أهل البصرة ووفاته فيها سنة ٨٦٣ م، له عدّة تصانيف في اللغة والعروض. «فهرس الأعلام ٦٩/٢».

(٣) الأراقم: مفردا أرقم، وهو ذكر الحيات، أو أخبثها، وإنّما سُمّيت الأراقم بهذا الاسم تشبيهاً لعيونهم بعيون الأراقم من الحيات، يقال: إنّ ناطراً نظر إليهم تحت الدثار وهم صغار، فقال: كأن أعينهم أعين الأراقم، فلجّ عليهم اللقب. «اللسان، مادة رقم».

(٤) سيف الدولة الحمداني: هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الرّبيعي، أبو الحسن، أمير حلب، وصاحب المتنبي الشاعر ومدوحه، أخباره ووقائع مع الرّوم كثيرة، جمع كثيرًا من أهل الأدب في بلاط، وله شعر حسن، توفي بحلب سنة ٩٦٧ هـ، ودفن في «ميفارقين». «فهرس الأعلام ٣٠٣/٤».

ذكر نسب قيس وبطونها

والعقب من قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثلاثة نفر: خَصَفَة وسعد وعمرو. وقال قائلون: وَبَر بن قيس وإثنه ولد طوائف من البربر، وفي ذلك خلاف عند النسابين.

فالعقب من خصفة هذا من بطنين: عِكْرمة ومُحارب ابني خصفة بن قيس. وقيل: إن خصفة بن عكرمة غلب اسمها عليه فُنُسِب إليها كما قيل في خندف. أعقب عكرمة بن حفصة من منصور بن عكرمة: البيت الأول من بني قيس، فيه العدد، وسعد بن عكرمة وأبي مالك وعامر: بني عكرمة. أعقب منصور بن عكرمة من هوازن بن المنصور: القبيلة المشهورة، ومن سُلَيْم بن منصور: القبيلة المشهورة، وسلامان بن منصور: قبيلة، ومازن بن منصور: قبيلة.

فأما هوازن فأعقب من بكر بن هوازن لا غير، وأعقب بكر بن هوازن من ثلاث أفخاذ: معاوية بن بكر، وفيه العدد، وقَسِي وهو ثقيف، واسمه منبه بن بكر، وإليه يرجع كلُّ ثَقَفِيٍّ، وسعد بن بكر، وإليه يرجع كلُّ سَعْدِيٍّ من عشيرة حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية: ظئر^(١) سيدنا رسول الله ﷺ، وهي حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجَّة بن جابر بن رِزام بن ناصرة بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد المذكور؛ واسم زوجها وهو والد سيدنا رسول الله ﷺ من الرِّضَاعَة: الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن مَلَّان بن ناصرة بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد، وكنيته أبو كبشة، وبه كانت العرب تقول لرسول الله ﷺ: ابن أبي كبشة. وقيل في أبي كبشة أقوال، منها أن جدّه لأمّه السيدة آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة كان يكنى أبا كبشة، فنسبوه إلى ذلك ليتمه وموت أبيه. وكان أيضًا عمرو بن زيد أبو أسد النجاريّ أبو سلمى بن عبد المطلب جدّ النبي ﷺ يكنى: أبا كبشة، وقيل: بل لحظوا لقولهم: أبا كبشة يعنون أبا كبشة جرير بن غالب بن الحارث، وهو أبو قَيْلَة أم وهب بن عبد مناف والد آمنه أم رسول الله ﷺ. وقال ابن قتيبة: إنه كان يعبد الشَّعْرَى^(٢) دون العرب، فلما جاءهم رسول الله ﷺ بعبادة الله دون عبادة الأصنام، شَبَّهوه في شذوذهم عنهم بشذوذ بعض أجداده من قبل أمّه بعبادة الشعري وانفصاله منهم.

(١) الظئر: المرضعة لغير ولدها، وهي هنا: مرضعة رسول الله ﷺ.

(٢) الشعري: كوكب نير يظهر في شدة الحرّ، وهما شعريّان: الشعري الغيور، والشعري الغميصاء.

وأما معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، فأعقب من صعصة بن معاوية: القبيلة العظمى، وجشم بن معاوية، وإليه ينسب كلّ جشمي في هوازن. وله ثلاث أفخاذ: عُصَيْمَة وزِمَان وبنو جشم ونصر بن معاوية جدّ النصرين القيسيين، ومنه فخذان: بنو دهمان وبنو عوف: ابني نصر، وجحش بن معاوية: فخذ، وسيار بن معاوية: فخذ، وكلاب بن معاوية، ومنجاب بن معاوية، وعمرو بن معاوية، وأدجية بن معاوية، ودحية بن معاوية، ودخوة بن معاوية، والسباق: وهو يعيش بن معاوية، وعوف بن معاوية، وجحاش بن معاوية: هؤلاء كلهم أفخاذ قليلو العدد، يقال لهم: الهوازنيون.

وأما صعصة بن معاوية فأعقب لصلبه عامر: القبيلة المشهورة، ومرة: وهم سلول؛ وكلّ سلوليّ ينسب إلى مرة هذا، وأمّ ولده سلول الشيبانية: وهي سلول ابنة شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وولده عشرة أفخاذ: وهم عمرو وضبيعة ونهار وسُحَيْم: وهو أعياء، وغاضرة وعُدَيّة وجابر ومعاوية وجني ودهي. وباقي ولد صعصة لصلبه قبائل صغار: عبد الله وعائد وعمرو وقيس وكبير وسيار ومساور وزبيبة وربيعه وغالب ووائل ومازن وعوف ومنجور والحارث: خمس عشرة قبيلة، وفي هذه القبائل: بنو عادية وبنو عُدَيّة بالضم، فأما بنو عادية فهي أمّ عبد الله عادية والحارث. وأما بنو عدية فهي أمّ قيس عدية وعوف عدية. وإلى عمرو بن صعصة بن معاوية تُعزى الطائفة المعروفة بالأكراد. ومن النسابين من ذكرهم إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصة المذكور. ومنهم من نسبهم إلى أكراد بن فارس بن أهلوا بن إرم بن سام بن نوح، وعليه اعتمدوا. ومنهم من قال: كرد بن مرد بن يافث بن نوح.

وأما غامر بن صعصة فأعقب من أربع بطون: وهم نمير وسوءة وهلال وربيعة.

فأما نمير بن عامر، وإليه يُنسب كلّ نميريّ، ففيهم عدّة أفخاذ: بنو المقشّب: وهو ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير، وبنو حُوَيْلِفة بن عبد الله بن الحارث بن نمير، وبنو أسقع: وهو مالك بن عامر بن نمير.

وأما سوءة بن عامر بن صعصة فمنه عدّة أفخاذ، منها بنو حَبِيب بن سوءة وبنو جسّاس بن سوءة وبنو حرثان بن سوءة.

وأما هلال بن عامر بن صعصة فالبطن المشهور، وقد نزلوا المغرب من تلمسان إلى طرابلس، فأعقب هلال من إحدى عشرة قبيلة وهم أولاده لصلبه.

أولهم البيت المقدّم عبد الله ونهيك وربيعه وعائذة وعبد مناف ورؤيّة وصخر وشعبة وشعيّة وناشرة وحضرة.

وفي هلال عدّة أفخاذ وعشائر: كزغبة ورياح وفادع والأثيج وحوثة، وقرة وغيرهم.

فأعقب عبد الله: وهو البطن الأولى من بني هلال من ثلاث أفخاذ: رؤيّة بن عبد الله وحوثة وحارثة ابني عبد الله، فأعقب ربيعة بن عبد الله من أربع عشائر: زغبة ورياح وهزوم ومعاوية: بني رومية بن عبد الله، فمن بني الهزم بن ربيعة بن عبد الله: ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بَجَر بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله أمّ المؤمنين زوج النبي ﷺ، ومن بني رياح: بنو نجية بن عليّ بن فادع: فخذ أعقب، إليه يرجع جنادة بن كامل مقدّم بني هلال.

وأما نهيك بن هلال فأعقب من خمس قبائل لصلبه: وهم معشر وأبو ربيعة وأبو معاوية وسهل وأبو جشم.

وأما عبد مناف بن هلال فأعقب من أربع قبائل: الحارث وعمرو وربيعه ويغمر: بني عبد مناف لصلبه. فمن بني ربيعة بن عبد مناف بن هلال: قرة بن عمرو بن ربيعة: فخذ مشهورة كبيرة، إليه يرجع كلّ قرّي. ومن بني عمرو بن عبد مناف بن هلال: زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف أمّ المساكين زوج النبي ﷺ أمّ المؤمنين، فهذا مختصر قبائل هلال.

وأما ربيعة بن عامر بن صعصعة، فأعقب من خمس قبائل، وهم: الحارث وكليب وعامر وكلاب وكعب: بنوه لصلبه.

أما الحارث بن ربيعة فأعقب من فخذين لصلبه: عوف وعؤيف.

وأما كليب بن ربيعة فأعقب من خمس أفخاذ لصلبه: أبان وجهم وجشم وخلف ومسروق.

وأما عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فأعقب من أربع أفخاذ لصلبه: عمرو وعوف والبكاء ومعاوية.

وأما كلاب بن ربيعة بن عامر، فأعقب من عشر أبطن، قال الشاعر:

وإن كلاباً هذه عشر أبطنٍ وأنت بريء من قبائلها العشر

يعني شمر بن ذي الجوشن^(١) الضَّبَابِي، والعشر أبطن لصلب كلاب، وهم: جعفر وأبو بكر واسمه عبيد، ومعاوية: وهو الضَّبَاب بن كلاب وعامر وربيعة والأضبط وعمرو وعبد الله ورؤاس قيل: بالفتح وواو بدل الهمز، وكعب.

فأما جعفر بن كلاب فأعقب من أربعة أفخاذ لصلبه: مالك والأحوص وخالد وعُتْبَة؛ وفيهم عدة عشائر.

وأما أبو بكر عبيد بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ لصلبه: عَبد وكعب وعبد الله، فأما عبد بن أبي بكر فمن العشائر التي لصلبه: بنو قُرْط وبنو قُرَيْط.

وأما كعب بن أبي بكر فمن العشائر التي لصلبه: بنو جَحْش بن كعب.

وأما عبد الله بن أبي بكر فمن عشائره لصلبه: بنو المجنون، وهو ربيعة بن عبد الله.

وأما معاوية بن كلاب وهو الضَّبَاب فمنه ثلاث عشرة قبيلة، وهم: ضَبّ ومُضَبّ وضَبَاب؛ ولأجلهم عرف هذا البطن أعني بني معاوية بالضَّبَاب، وحَسِيل وحَسْل وعمرو وأنس والأعور وزفر وأنيس ومالك وربيعة وزهير: أولاد عمرو بن معاوية. ومن ولد الأعور هذا شمر بن سُرخبيل بن الأعور قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه.

وأما عامر بن كلاب فمنه أربع قبائل لصلبه، وهم: بنو الأصم، وهم قليل، وبنو كعب وهو البيت من عامر بن كلاب وطريف بن عامر وعَقِيل بن عامر، فأعقب كعب بن عامر من الوَجِيد، وهو عامر بن كعب، من أفخاذ: خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب، منه أم البنين بنت جَزَام بن خالد المذكور زوج علي بن أبي طالب، وهي أم ابنه العباس السَّقاء، عرف بذلك لأنه سقى الحسين الماء بكربلا.

وأما ربيعة بن كلاب فمنه ثلاثة أفخاذ لصلبه، وهم: بُجَيْر وعُبَيْدُ ونفيل أبو نمير.

(١) شمر بن ذي الجوشن: واسمه شرحبيل بن قرط الضبابي الكلابي، أبو السَّابغة، من كبار قتلة الإمام الحسين عليه السلام، قتله رجال المختار الثقفي، سنة ٦٨٦ م. «فهرس الأعلام ٣/

وأما الأضبط بن كلاب ففخذه: بنو وَبَر بن الأضبط، ومن بني وَبَر سبع عشائر، وهم: وَهَب الأكبر ووهب الأصغر وواهب وإهاب وَهْبَان وخالد وأبو ربيعة: أولاد وبر بن الأضبط.

وأما عمرو بن كلاب فمته فخذان: نفيل وأبو عوف: ابنا عمرو بن كلاب.

وأما عبد الله بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفعاذ: عامر وعمرو والصَّمُوت: أولاده لصلبه. ومن عشائر الصموت بن عبد الله: ضُبَيْعة الأغر بن عبد الله بن الصموت.

وأما رؤاس بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفعاذ: بِجَاد وَبُجَيْد وَغُبَيْد: أولاده لصلبه، ومن بُجَيْد: عُقَيْف بن بُجَيْد: فخذ، وإلى رؤاس هذا ينسب كل رؤاسي.

وأما كعب بن كلاب فأعقب من أربعة لصلبه: عامر ووهب وربيعه وأوس.

فهذا مختصر بني كلاب وأبطنها - نعود إلى باقي ولد ربيعة بن عامر.

وأما كعب بن ربيعة بن عامر فأعقب من ستة أبطن لصلبه، وهم: جَعْدَةُ بن كعب: البطن المشهورة، إليها يرجع كل جَعْدِي، وفيها عدّة قبائل وعشائر، وحبيب بن كعب: البطن المشهورة، وإليها يرجع كل حبيبي، وفيها أفعاذ، وعبد الله بن كعب منه العجلان بن عبد الله: بطن، وربيعه بن عبد الله، وَهُمْ بن عبد الله؛ وفيهم أفعاذ، وَقُشَيْر بن كعب، وإليه يرجع كل قُشَيْرِي، وفيها عدّة أفعاذ وعشائر، والحريش بن كعب، وإليه يرجع كل حَرَشِي: كعبد الله بن الشُّخَيْر بن عوف بن كعب بن وَقْدان بن الحريش الحرشي الصحابي وغيره، وعُقَيْل بن كعب: البطن المشهورة، إليها يرجع كل عُقَيْلِي (بالضم). والعقب من عقيل بن كعب: بن ربيعة بن عامر من خفاجة بن عمرو بن عقيل: البطن المشهورة، وعبد الله وربيعه ومعاوية وعامر وعُبادَة، كل هؤلاء أبطن. والعقب من خفاجة من أحد عشر فخذاً لصلبه، وهم: بنو معاوية ذي القُرَح: فخذ، وبنو كعب دي الثَّويرة، وبنو الأقرع: فخذ، وبنو كعب الأصغر، وبنو عامر، وبنو مالك، وبنو الهيثم، وبنو الوازع، إليه ينسب كل وازعي، وبنو عمرو، وبنو حَزَن، وبنو خالد. والفخذ العظمى من بني عقيل بعد بني خفاجة: بنو يُزَيْد - بضم الياء - بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن حوثة بن طَهْفَة بن حزن بن عبادة: عشيرة الأمير أبي المنيع شرف الدولة محمد بن مرداس، ودرج شرف الدولة، وهو ملك العرب.

فهذا مختصر من نسب بني عقيل، وهؤلاء هوازن وهم بكر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان: وهو البطن المشهورة، فأعقب من بهثة بن سليم، وأعقب بهثة من خمسة أفخاذ لصلبه: معاوية وعوف وامرئ القيس والحارث وثعلبة. ومن بني امرئ القيس بن بهثة: بنو عُصَيَّة بن خُفَّاف بن امرئ القيس: بطن.

وأما محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، فأعقب فخذين لصلبه: طَرِيف وجَسْر، ويقال لبني جسر: بنو عليٍّ لأنَّ العقب من جسر بن محارب في عليٍّ بن جسر لا غير.

انقضى ذكر بني خصفة بن قيس بن عيلان.

وأما سعد بن عيلان فأعقب من بطنين لصلبه: وهما عَطْفَان، ومنبه: وهو أغْضَر، والعقب من رَيْث بن عَطْفَان من أربع أبطن لصلبه: بَغِيض ومازن وأشجع وإليه يرجع كلُّ أشجعيٍّ، وأهون: بنو ريث.

والعقب من بغيض بن ريث من عَبْس وذُبيان، وهما القبيلتان المشهورتان.

وذكر بعض النسابين أنمار بن بغيض منهم أبو كبشة الأنماري^(١)، وقيل: إن أبا كبشة الأنماري إنما هو من مذحج.

والعقب من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان من فخذين: قَطِيعَة وَوَرَقَة ابني عبس.

والعقب من قَطِيعَة بن عبس من الحارث، ومُعْتَمِر: قبيلة قليلة، وعوف: قبيلة، وغالب: قبيلة الحُطَيْئَة، ومُرَيْطَة: قبيلة من ولد خالد بن سنان^(٢) - نبي أهل الرُّس - بن جابر بن غيث بن مريطة.

(١) أبو كبشة الأنماري: اسمه سعد، وقيل عمرو، صحابيٍّ، محدث، أخذ عنه أبو البخري الطائي، وسالم بن أبي الجعد. «الكاشف ٣/٣٢٧».

(٢) هو خالد بن سنان العبسي، حكيم من أنبياء العرب في الجاهلية، كان في أرض بني عبس، يدعو الناس إلى دين عيسى، وهو الذي دخل نازًا فانطفأت، وفَرَّقَهَا بعصاه وهو يقول: بدأ بدأ، وفدت ابنته على الرسول الكريم، فبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وقال: «ابنة نبيٍّ ضيَّعه أهله»، وفي حديث قال لها: «مرحبًا بابنة أخي». «فهرس الأعلام ٢/٢٩٦».

والعقب من الحارث بن قطيعة بن عيس من جرّوة وعامر ومازن: قبيلة ودّكوان وشّداد: بني الحارث بن قطيعة. ومن مازن بن الحارث أفخاذ: منهم جذيمة بن رَوَاحَة بن ربيعة بن مازن: فخذ، إليه يرجع الجذميّون بالجيم: منهم عشيرة بني زهير بن جذيمة في آخرين.

وأما ذبيان بن بغيض، فأعقب من فزارة: البطن المشهورة، وسعد، فأعقب فزارة بن ذبيان من مرّة وظالم وروميّ، دَرَجَ وشَمْخ وعديّ ومازن: أولاد فزارة، وفيهم قبائل وعشائر وأفخاذ.

وأما سعد بن ذبيان فمن بطونه المزيّون: بنو مرّة بن عوف بن سعد، وفيهم أفخاذ، وبنو عقال بن سعد: فخذ، وبنو بَجَالَة بن ثعلبة بن سعد وبنو عَجَب بن ثعلبة وبنو رِزَام بن ثعلبة.

وأما عبد الله بن غطفان بن سعد، فالعقب منه في بهثة بن عبد الله وقُطْبَة وعديّ وعُذرة وكلب وباعث وشَبَابَة وغنم وعوف ومنبه، عشرة أفخاذ.

وأما أعصُر: وهو منبه بن سعد بن قيس فأعقب من باهلة: وهم ولد مالك بن أعصر، وهي باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة أخت بَجيلة بن مذحج، ولد سعد بن مالك بن يَعصُر ومَعْن بن مالك بن يعصر فغلب اسمها عليهم ونُسبوا إليها؛ وكلّ باهليّ ينسب إلى باهلة وهم ولد مالك بن أعصر بن معن بن مالك، وغنيّ بن أعصر بن سعد بن قيس أعقب من غنم وجعدة، إليها ينسب كلّ غَنَوِيّ والطُفَاوَة، اسمه الحارث بن أعصر إليه ينسب الطُفَاوِيّون، وعامر بن أعصر.

وأما عمرو بن قيس بن عيلان، فمنه بطنان لصلبه، وهما: عَدَوَان واسمه الحارث، وفَهْم: ابنا عمرو بن قيس، وإنما قيل له عَدَوَان لأنه عدا على أخيه فَهْم فقتله، وفهم وعدوان يقال لهما: جَدِيْلَة قيس، وهي أمهم جديلة بنت مرّ بن أد: أخت تميم بن مرّ^(١). ومن قبائل عدوان: بنو يشكر وبنو دّوس: ابني عدوان: القبيلتان المشهورتان.

(١) هو تميم بن مرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، جدّ جاهليّ بنوه بطون كثيرة جدّاً، قال ابن حزم: وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب، كانت منازلهم بأرض نجد والبصرة واليمامة، وامتدّت إلى العذيب من أرض الكوفة، كانت تليبتهم في الجاهلية إذا حجّوا: لَبِيكَ اللَّهُمَّ لَبِيكَ، لَبِيكَ لَبِيكَ عن تميم قد تراها، قد أخلقت أثوابها وأثواب من وراها، وأخلصت لربّها دعاها. «فهرس الأعلام ٨٧/٢ - ٨٨».

هذا آخر مختصر نسب قيس بن عيلان بن مضر.

فلنرجع إلى عمود النسب، وعمود النسب من مضر في ابنه:

إلياس بن مضر بن نزار

وأمه الرِّباب بنت إِياد المَعْدِيَّة، ومنه غير عمود النسب (وهو مُدْرِكَة) بطن واحد وهو طابخة بن إلياس؛ قال: لأن قمعة بن إلياس فيه خلاف كثير، وأكثر مشايخ النسب يذكرون أنه دَرَج، ولا عقب له؛ وذكر آخرون: أنه أبو خزاعة، وخزاعة ليست بأبٍ ولا أُمٍّ وإنما هم انخزعوا من مضر إلى اليمن ببطنٍ مَرٍّ، وذلك حين أقبل بنو عمرو بن عامر يريدون الحجاز^(١)، ألا ترى قول عون بن أيوب الأنصاري^(٢): [من الطويل]

ولما هبطنا بطنَ مَرٍّ تخزَعَتْ خُزَاعَةُ مَنَا فِي حُلُولِ كَرَائِرِ^(٣)
حُمْتُ كُلِّ وَاِدٍ مِنْ تِهَامَةٍ وَاحْتَمَتْ بَصْمُ الْقَنَا وَالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ^(٤)

وقد أوردنا نسب خزاعة في بني عمرو بن عامر ماء السماء الغساني في نسب اليمن، ومن قبائل طابخة بن إلياس خمس: بنو مَرٍّ بن أَد بن طابخة، وبنو ضَبَّة بن أَد بن طابخة، وبنو عمرو، وبنو خميس، وبنو عبد مناة: أولاد أَد بن طابخة.

فأما بنو مَرٍّ بن أَد بن طابخة، فمنه بنو تميم بن مَرٍّ، وبنو ثعلبة بن مَرٍّ: طاعنة من الشُعَيْرَاء، وبنو صوفة، وهم: ولد الغوث: وهو الرِّبِيط بن مَرٍّ وبكر بن مَرٍّ من الشعيراء، ومحارب بن مَرٍّ، فهم عدَّة أفخاذ وقبائل. وقبائل تميم وهم ثلاث: زيد مناة والحارث وعمرو: أولاد تميم لصلبه. فمن قبائل زيد مناة بن تميم: نُهَشَل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وبنو سَدُوس بن دارم: قبيلة. وبنو عبد الله بن دارم: منهم عطار: قبيلة حاجب بن

(١) الحجاز: جبل ممتدّ حالاً بين الغور غور تهامة ونجد، فكانه منع كلّ واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، وسَمِيَ الحجاز حجازاً لأنه فصل بين الغور والشام وبين البادية. «انظر معجم البلدان ٢/ ٢١٨ وما بعدها».

(٢) كذا بالأصل، وفي اللسان أن القائل: حَسَن بن ثابت الشاعر، كذلك انظر ديوان حسان بن ثابت ص ١١٩ - ١٢٠، دار صادر.

(٣) بطن مَرٍّ: موضع، وتخزَعَتْ: تخلّفت، والحلول: النزول، والكرار: الجماعات.

(٤) الصمّ: الصلاب، والقنا: الرماح، والمرهفات: السيوف المشحّذة، والبواتر: القاطعة الماضية، وتهامة: موضع، وتهامة تسائر البحر، منها مكّة. «انظر معجم البلدان ٢/ ٦٣».

زُرارة بن عُدُس^(١) (وكلُّ من عداه بفتح الدال) ابن زيد بن عبد الله بن دارم مجوس، وبنو أُنابن بن دارم: قبيلة، وبنو ثعلبة بن يربوع بن حنظلة: قبيلة. وبنو كليب بن يربوع: قبيلة. وبنو رياح بن يربوع: قبيلة. وبنو عُدانة بن يربوع: قبيلة. وبنو جارية بن سُلَيْط بن يربوع. وبنو البرّاجم^(٢): وهم ظُلَيْم وعَمرو وقيس وغالب وكلفة: أولاد حنظلة بن مالك؛ فهؤلاء بنو حنظلة بن مالك، سموا برّاجم لتجمعهم كالأصابع، ثم قبيلة الجوع، وهم ولد ربيعة بن مالك بن زيد مناة؛ والكُرْدُوسَان^(٣) من بني زيد مناة: معاوية وقيس ابنا مالك بن زيد مناة بن تميم. ومن زيد مناة: بنو سعد بن زيد مناة، منه عَدّة قبائل، منهم قبائل الأبناء: وهم عبشمس وعُوافة وعوف وجشم ومالك وعمرو: بنو سعد بن زيد مناة. ومن بني سعد بن زيد مناة: بنو الحرام، وهو من الخُدَعَة بن كعب بن سعد، وبنو جَمَان بن عبد العُزَى بن كعب بن سعد، وبنو الأعرج: وهو الحارث بن كعب بن سعد، وبنو قُرَيْع بن عوف بن كعب بن سعد، وبنو بُهْدَلَة بن عوف بن كعب، وبنو بَرْزِيق بن عوف بن كعب، وبنو عطارذ بن عوف بن كعب قليلون.

ومن قبائل كعب بن سعد المذكور: بنو مِثْقَر بن عبيد بن مُقَاعِس: وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهم المِثْقَرِيُّونَ، ومن بني زيد مناة: بنو امرئ القيس بن زيد مناة، له عدد ومدد. منه ثلاثة أفخاذ: بنو عُصَيّة وبنو مالك وبنو الحارث: أولاد امرئ القيس المذكور. ومن بني زيد مناة: بنو عامر الصحيح بن زيد مناة؛ فهؤلاء بنو زيد مناة بن تميم.

وأما الحارث بن تميم فمنه شَقْرَة بن الحارث^(٤): قبيلة، اسمه معاوية، وسُمِّي شقرة بيت قاله: [من الطويل]

وقد أحمل الرمح الأصمَّ كُعوْبُه به من دمَاء القوم كالشِقْرَاتِ^(٥)

(١) هو حاجب بن زُرارة بن عُدُس الدارمي التميمي، من سادات العرب في الجاهلية، كان رئيس تميم في عَدّة مواطن، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مالٍ عظيم ووفى به، وحضر يوم شعب جبلة «من أيام العرب المعروفة» قبل ١٩ أو ١٧ سنة من مولد النبي ﷺ، وأدرك الإسلام وأسلم، وبعثه النبي ﷺ على صدقات بني تميم، فلم يلبث أن مات نحو سنة ٦٢٥ م. «فهرس الأعلام ١٥٣/٢».

(٢) البراجم: مفردا بُرْجَمَة، وهي مفصل الأصبع.

(٣) الكردوسان: مثني كردوس: وهي فقرة من فقر أعلى الظهر، أو كلّ عظم ضخّم.

(٤) شقرة بن الحارث، واسمه معاوية، من تميم، جدّ جاهليّ من الشّعراء ينسب إليه جماعة منهم مطرف بن معقل الشقري التميمي، من رجال الحديث. «فهرس الأعلام ١٧٠/٣».

(٥) الأصمّ: الصلب، والكعب من الرمح: العقدة بين الأنبيتين.

والشقرات: شقائق النعمان، والنعمان: الدم، والله أعلم.

وأما عمرو بن تميم فممنه سبعة أفعاذ، وهم بنو مالك وبنو العنبر وبنو الهُجَيم وبنو أُسَيد وبنو الحَبَطَة: وهو الحارث، وبنو القَلْب: وهو أَلِيَهَة وزن عَلِيَهَة وكعب: بنو عمرو بن تميم؛ وولى كعب هذا البيت قبل قرش.

فأما مالك بن عمرو بن تميم فممنه فخذان: مازن، منهم أَوْقَى بن مَطَر المازني^(١) جلي^(٢) العرب، والجَزَاز: وهو الحارث بن مالك، فمن بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم: أنمار بن مازن: فخذ قليلون، ورَأْلَان بن مازن: قبيلة، وخُرْقُوص بن مازن: ورزاق بن مازن: قليل، وخزاعي بن مازن قليل.

وأما بَلْعَنبر بن عمرو بن تميم فأعقب من ثلاثة: كعب وجندب ومالك: أولاد العنبر؛ وكلّ بلعنبري ينسب إلى بلعنبر هذا: وهي قبيلة مشهورة.

وأما بَلْهُجَيم بن عمرو بن تميم وهو الهُجَيم فأعقب من خمسة: عامر وسعد وعمرو وربيعه وأنمار. ويقال لبلعنبر وبلهجيم: الحَبَطَات^(٣). وكذلك أخوهما الحارث الخَطِط؛ وهو الذي عُرفوا بذلك من أجله، يقال: إنه أكل خَبَطًا فسُمي به^(٤).

وأما أُسَيد بن عمرو بن تميم، فأعقب من ستة لصلبه: عَقِيل ونمير وجروة: قبيلة، وعمرو والحارث، فمن بني جروة بن أُسَيد بن هند بن أبي هالة: نَبَاشُ بن

(١) أوفى بن مطر: هو مَقَرَن بن مطر بن ناشرة، من بني مازن بن عمرو بن تميم، أحد العدائين المشهورين في الجاهلية، كان يعدو خلف الطَّيبي فيأخذه، وهو من الشعراء، وعده ابن حبيب من المشهورين بالوفاء، وروى خبراً عنه في ذلك، ولقب «أوفى» نسبة إلى الوفاء. «فهرس الأعلام ٢/٢٨٣».

(٢) الجلي: الواضح المشهور.

(٣) كذا بالأصل بإعجام حرف «حاء»، والصواب بالمهملة كما في كتب الأنساب واللغة. انظر القاموس واللسان مادة «حبط»، كذلك انظر البيان والتبيين للجاحظ ٤/٣٥، حيث ذكر قول زياد الأعجم:

رأيت الحمر من شرّ المطايا كما الحبطات شرّ بني تميم
وقال: وهل فضح الحبطات مع شرف حسكة بن عتاب وعباد بن الحصين ولده إلا قول الشاعر، «الذي تقدّم».

(٤) إنه أكل خَبَطًا فسُمي به، كذا في الأصل، وفي القاموس: أن الذين سَمُوا بهذا الاسم هم سرية لرسول الله ﷺ جاعوا في الطريق حتى أكلوا الخبط، وهو الورق المضروب بالمخاط، يجفّ ويطحن، فسَمُوا بسرية الخبط، وعليه يكون اسم الحارث الحبط بالهاء المهملة...

زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غوي بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم: ربيب رسول الله ﷺ، وأمه خديجة بنت خويلد.

وأما الحارث الخبط بن عمرو بن تميم فممنه قبيلة سعد بن الحارث، وهي قبيلة الخبطات، ومشادة بن الحارث الخبط ونضلة بن الحارث الخبط: فهؤلاء بنو تميم في مَرَّ بن أَدَّ بن طابخة.

وأما بنو ضبة بن أَدَّ فثلاث قبائل: سعد وسُعيد وباسل. ولسعد وسعيد المثل السائر «أسعد أم سُعيد». أما سعيد بن ضبة فقليل عددهم. وأما سعد بن ضبة فأعقب من اثنين: ثعلبة وبكر: ابني سعد، فأما ثعلبة بن سعد، فمن قبائلها: بنو مسعود بن دُلْجَة بن نُعَيْم بن قُرَامة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد: قبيلة يُنسب إليها كل مسعودي، وبنو مبذول بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد: قبيلة. ومن بني بكر بن سعد بن ضبة: صبح وبجالة: ابنا ذهل بن مالك بن بكر بن سعد: فخذان، وعائذة^(١) بن مالك بن بكر بن سعد: فخذ، ونصر بن عبد الله بن بكر بن سعد: فخذ.

وأما باسل بن ضبة، فإنه خرج مغاضباً لأبيه فوقع بأرض الدَّيلم^(٢) فتزوج امرأة من الديلم، فولدت له الديلم بن باسل: جد القبيلة المشهورة، ومن رجالها في الجاهلية: زيد الفوارس بن حُصَيْن^(٣)، وفي الإسلام ابن شُبْرُمة القاضي^(٤). وأعقب من الدَّيلم فخذان: الأبيض بن معاوية بن الديلم، وبُجَيْر بن معاوية بن الديلم. فأعقب الأبيض بن معاوية من الضحاك ولار وشهريار وإيران وناشر: أولاد الأبيض بن معاوية بن ديلم من بهرام بن الضحاك. وفيروز وزربوران وبريانوس: أربعة أفخاذ. وأعقب بَرْيانوس بن الضحاك من قابوس بن بريانوس. وأعقب قابوس من شاه مرد. وأعقب لار بن الأبيض من كامباد بن لار، وأعقب كامباد من ابنه جور.

وأعقب بجير بن معاوية بن ديلم من باسل بن تيداذما، فأعقب تيداذما من دادوه.

(١) وردت الكلمة في بعض كتب الأنساب بالذال المهملة، وفي بعضها بالذال المعجمة.
(٢) الدَّيلم: جماعة من العجم كانوا في الأصل صنفًا من الأكراد.
(٣) هو زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي، فارس شاعر جاهلي، أورد البغدادي قليلاً من أخباره في كتابه «خزانة الأدب ١/ ٥١٦ - ٥١٧»، ثم ٤/ ٢١٨، وأورد له أشعاراً، واختار أبو تمام في حماسه بعضاً من شعره. «انظر الحماسة للمرزوقي ص ٥٥٧ و ١٦٧٨».
(٤) ابن شُبْرُمة: الشبْرُمة: من العضاء: شجرة شاكّة، والشبْرُم: القصير من الرجال.

فهذه النهاية في اختصار نسب الديلم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما عمرو بن أَد بن طابخة فهو مُزَيْنَة، ومزينة أمه، وهي بنت كلب بن وبرة بن ثعلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وكلّ مزنيّ ينسب إلى مزينة هذا. ومن مزينة: عثمان وأوس: ولدا عمرو؛ فمن عثمان بن عمرو بن أَد بن طابخة بطنان: عدا ولاطم: ابنا عثمان. ومن مزينة: النعمان بن مقرن وزهير بن أبي سُلمى^(١)؛ وليس في العرب سُلمى بالضّم سواه، ورؤية بن العجاج^(٢)، قال رسول الله ﷺ: «أسلم وغفار ومزينة وجهينة (أو قال: مَنْ كان من جهينة) خيرٌ من بني تميم وبني عامر بن صعصعة ومن الحليّفين أسد وعُظفان».

وأما عبد مناة بن أَد بن طابخة فمَنه ثورُ أطحل بن عبد مناة: بطن - رهط سفیان الثوريّ رحمه الله، (وأطحل جبل)، وبنو الرباب: ولد تيم بن عبد مناة وعديّ بن عبد مناة وعوف بن عبد مناة: سُمُوا الرِّبَاب: لأنهم غمّسوا أيديهم في رُبْ إذ تحالفوا على بني تميم.

قال: ومن النسّابين من يجعل الرباب بني تيم وعديّ وثور وعُكل: وهم بنو عبد مناة وضبة بن أَد.

فأما عديّ بن عبد مناة، فإليه ينسب كلّ عدويّ ليس من عديّ قريش؛ ومنهم: أبو قتادة العدويّ: تابعي، وإلى عوف بن عبد مناة ينسب كلّ عوفيّ، ومنهم: عطية العوفيّ^(٣). قال: وشيخ الشرف النسابة يقول: إن عُكْلًا هو عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة، وعُكل: أمةٌ لامرأةٍ من حمير يقال لها: بنتُ ذي اللّحية، تزوّجها عوف بن وائل، فولدت له جشمًا وسعدًا وعليًا، ثم هلك، فحضنت عُكْلُ ولدها فغلبت عليهم ونُسبوا إليها.

(١) هو زهير بن أبي سُلمى، المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، وُلد في بلاد «مُزَيْنَة» بنواحي الحجاز، وأقام في الحاجر من ديار نجد، واستمرّ بنوه فيه بعد الإسلام، له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ٦٠٩ م. «فهرس الأعلام ٥٢/٣».

(٢) هو رؤية بن العجاج التميمي السعدي، أبو الجحّاف، أبوه أبو محمد، راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كانت أكثر إقامته في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، مات بالبادية سنة ٧٦٢ م. «فهرس الأعلام ٣٤/٣».

(٣) هو عطية بن سعد بن جناد العوفي، أبو الحسن، من رجال الحديث، كان يعدّ من شيعة أهل الكوفة، مات بالكوفة سنة ٧٢٩ م. «فهرس الأعلام ٢٣٧/٤».

وأما تيم بن عبد مناة بن أَد بن طابخة ففخذه: عمرو بن الحارث بن التيم بن عبد مناة، وفيه العدد.

انقضت خندف فلنرجع إلى عمود النسب من الياس في ابنه:

مُدْرَكَة بن إِيَّاس بن مَضْر

واسمه عمرو، وأمه خندف: وهي ليلى بنت حلوان القضاعية، وإنما سُمِّي مدركة؛ لأن أباه إِيَّاس خرج منتجعاً^(١)، ومعه أهله وماله، فدخلت بين إبله أرنب، فنفرت الإبل، فخرج أولاد إِيَّاس، فأدركها عمرو، فسمَّاه أبوه إِيَّاس: مدركة؛ وخرجت ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أمه تهرول فقال لها إِيَّاس: ما لكِ تخندفين؟ والخندفة: الهزولة، فسميت خندف، وخرج عامر بن إِيَّاس أخو مدركة في طلب الأرنب فاصطادها وطبخها، فقال له أبوه إِيَّاس: أنت طابخة، ورأى غمراً أخاهما قد انقمع^(٢) في الظلة فهو يخرج رأسه منه، فقال له أبوه إِيَّاس: أنت قَمْعَة.

ومن مدركة غير عمود النسب: بنو هذيل بن مدركة، ومن هذيل: بطنان لصلبه: بنو لحيان وسعد؛ ومن قبائل سعد بن هذيل: بنو خُناعة بن سعد، وبنو صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، منهم: عبد الله بن مسعود^(٣) بن غافل بن حبيب بن شُمخ بن قار بن مخزوم بن صاهلة الصحابي: أحد القراء رضي الله عنه، ومن شعراء هذيل: أبو ذؤيب الهذلي^(٤) وأبو كبير^(٥) وأبو المثلّم^(٦) وغيرهم.

(١) المنتجع: الذي يقصد النجعة، أي الأرض التي فيها ماء وكلاء.

(٢) انقمع: تغيب ودخل وراء ستر، والظلة: ما أظلك من سحاب أو شجر أو ستر.

(٣) هو عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، مات بالمدينة لما وفد سنة ٣٢ هـ، روي أنه خلف تسعين ألف دينار، سوى الرقيق والمواشي. «الكاشف ١١٦/٢».

(٤) أبو ذؤيب الهذلي: هو خويلد بن خالد، جاهلي إسلامي، كان راوية لساعدة بن جؤية الهذلي، وخرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب، فمات، فدلّاه عبد الله في حفرة، له شعر كثير. «ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٤٣٥».

(٥) أبو كبير الهذلي: هو عامر بن الخليس، شاعر جاهلي له أربع قصائد، أولها كلّها شيء واحد، وله كذلك شعر آخر. «انظر الشعر والشعراء، ص ٤٤٦».

(٦) أبو المثلّم، فهو الهذلي ثم الخناعي، من بني خناعة بن سعد بن هذيل، شاعر، ذكره المرزباني في معجمه، وأورد له أبياتاً. «انظر معجم الشعراء للمرزباني ص ١٨٢، دار الكتب العلمية».

وعمود النسب من مدركة في ابنه خزيمة بن مدركة، وأمه سلمى بنت أسلم القضاعية، ومنه غير كنانة عمود النسب قبيلتان: وهما الهون وأسد. فأما الهون بن خزيمة، فأعقب من عضل والدیش ابني بليغ بن الهون، وهما القارة: سُموا قارة لأن يَغمر بن عوف بن الشذّاح أحد بني ليث لما أراد أن يفرّقهم في بطون كنانة، قال رجل منهم: [من الوافر]

دعونا قارة^(١) لا تنفرونا فنجفل مثل إجفال الظليم^(٢)

فسمّوا قارة، وهم رماة العرب وفيهم قيل:

* «قد أنصف القارة من رامّاها»^(٣) *

وسبب هذا المثل أن رجلين التقيا، أحدهما من القارة، فقال القاري للآخر: إن شئت صارعتك، وإن شئت سابقتك، وإن شئت راميتك، فقال خصمه: قد اخترت المراماة، فقال القاري: [من الرجز]

قد أنصف القارة من رامّاها إنّا إذا ما فئةً نلقّاها

* نردّ أولّاها على أخراها *

ثم انتزع له سهمًا فسلّ فؤاده؛ وقيل غير ذلك.

ومن أسد بن خزيمة أربع عشائر: بنو كاهل وصعب وعمرو ودودان: بني أسد. فمن دودان: بنو عمرو بن دودان: قبيلة، وهم وجوه بني أسد، منهم: زينب بنت جحش بن رثاب بن يَغمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، زوجة النبي ﷺ، وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب. وبنو سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان: قبيلة. من شعرائهم: بشر بن أبي خازم الوالبي الجاهلي^(٤). وبنو قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان: قبيلة، منهم: فخذ بني

(١) قارة: أي في سكون وقرار من الأرض، والقارة: الأكمة.

(٢) الظليم: ذكر النعام.

(٣) قد أنصف القارة من رامّاها

هم عضل والدیش ابنا الهون بن خزيمة، سُموا قارة لأن الشذّاح أراد تفريقهم في قبائل كنانة، فقال رجل منهم:

دعونا قارة لا تنفرونا فنجفل مثل إجفال الظليم

وكانوا رماة الحدق في الجاهلية، أراد: دعونا مجتمعين كالقارة التي هي الأكمة. «المستقصى

في أمثال العرب للزمخشري ١٨٩/٢».

(٤) هو بشر بن «أبي خازم»، عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل، شاعر جاهليّ فحل، من=

نصر بن قعين، ومنهم بنو فقفس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان: قبيلة. وبنو أعيان بن طريف: قبيلة، وبنو قيس بن طريف: قبيلة، وبنو كعب بن عمرو بن قعين: قبيلة، وبنو سؤاة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان: فخذ، وبنو ناشرة بن نصر بن سؤاة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان.

وعمود النسب من خزيمة بن مدركة في ابنه كنانة بن خزيمة، وأمه عوانة بنت سعد القيسية، وبنو كنانة أولُ عربٍ تلقى رسول الله ﷺ في نسبه.

ومن بني كنانة غير عمود النسب وهو النضر: خمس قبائل لصلبه: بنو عبد مناة وعمرو وعامر وملكان ومالك، منهم: بنو حداد بن مالك بن كنانة: فخذ.

فأما عبد مناة بن كنانة، فمنهم: بنو بكر وبنو عامر وبنو مرة: بني عبد مناة، ومن بني بكر بن عبد مناة: بنو الدئل بن بكر بن عبد مناة: رهط أبي الأسود الدؤلي: وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن حلس بن نفثة بن عدي بن الدئل بن بكر المذكور: وهو تلميذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النحو، وقال في النسبة إلى هذا الفخذ: دؤلي مهموز مفتوح.

ومن بني بكر: بنو الحارث بن بكر: فخذ، وبنو ليث بن بكر: فخذ، منهم: بنو حدج بن ليث بن بكر فخذ، وبنو ضمرة بن بكر: فخذ، منهم: بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر: رهط أبي ذر الغفاري، وهو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن ضغير بن حرام بن غفار، وقد انقرض أبو ذر الغفاري رضي الله عنه.

وأما عامر بن عبد مناة بن كنانة، فمنه: قين بن عامر: قبيلة أهل الغميصاء، قتلهم خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وأما مرة بن عبد مناة بن كنانة، فمنه: بنو مُدَلَج بن مرة: قبيلة سراقية بن مالك بن جعشم وهم المدلجيتون، قالوا: وهم قافة العرب وأعلمهم بالزجر^(١) والقيافة^(٢).

= الشجعان، من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة، قتل في إحدى غزواته نحو سنة ٥٨٩، له ديوان شعر مطبوع. «فهرس الأعلام ٢/ ٥٤».

(١) الزجر: من زجر الطائر، أطاره فتفأله به إن كان طيرانه عن اليمين، وتشاء به إن كان طيرانه عن اليسار.

(٢) القيافة: حرفة القائف، وهو من يحسن معرفة الأثر وتتبعه.

وأما عمرو بن كنانة، فهم العَمَرِيُّونَ. وأما عامر بن كنانة، فهم العامريُّون، وأما ملكان بن كنانة فهم الملكانيُّون، وأما مالك بن كنانة فمَنه في الحارث، ومن الحارث في ثعلبة، ومن ثعلبة في فخذين: بنو عامر وبنو غنم. أما غنم فمَنه: فِرَاس بن غنم: وهم الفراسيُّون. ومن بني غنم: أُم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أُذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم: هي أم عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها زوج النبي ﷺ.

ومن عامر عشيرتان: بنو مُخَدَّج بن عامر بن ثعلبة المُخَدَّجِيُّونَ، وبنو فُقَيْم بن عدي بن عامر النسأة، فهؤلاء أفخاذ كنانة، والله أعلم.

وعمود النسب من كنانة بن خزيمة في ابنه النَّضْر بن كنانة، واسمه قيس، وأمه برة بنت مرّ الأديّة، والنضر: الذهب؛ وكان له: يخلد بن النضر، منه: بدر بن الحارث بن يخلد الذي سُمِّيَ به بدرٌ بَذْرًا. قال: وليس له ولد باقٍ. والعقب من النضر بن كنانة في ابنه عمود النسب، وهو:

مالك بن النضر

وأمه عِكْرَشَة بنت عَذْوَان القيسيّة، ولا عقب لمالك إلّا من عمود النسب وهو ابنه:

فهر بن مالك

وهو قريش، وأمه جندلة بنت عامر الجهرميّة، وكلّ من لم يلدّه فهرٌ فليس بقريشيّ. وقد قيل في تسميته بقريش أقوال: منها أنه اسم دابة في البحر، وأنه اسم للقبيلة، وأحسن ما قيل فيه: إن التقريش: التفتيش، فكان يقرش عن خَلَّة^(١) كلّ ذي خَلَّة فيسدها بفضله، فمن كان محتاجًا أغناه، ومن كان عاريًا كساه، ومن كان طريدًا آواه، ومن كان خائفًا حماه، ومن كان ضالًّا هداه. قال الحارث بن حلزة الشكريّ^(٢) عفا الله تعالى عنه: [من الخفيف]

أيّها الناطق المقرّش عَنّا عند عمرو، وهل لذاك بقاء؟

(١) الخَلَّة: الحاجة والفقر.

(٢) هو الحارث بن حلزة الشكري، من بني يشكر من بكر بن وائل، شاعر جاهلي، صاحب المعلّقة التي قيل: إنه ارتجلها في شيء كان بين بكر وتغلب، وأنشدها بين يدي عمرو بن هند، وكان أبرص. «انظر الشعر والشعراء ص ١١١».

وقيل: التفرش: التجمع، وسُميت قريش لتجمعها، فإنها لما تجمعت بمكة وجمعت خصائل الخير سُميت قريشاً، وتُسَمَّى أيضاً الحُمس من الحماسة؛ وذلك أنها تحمست في دينها فقالت: لا نطوف بالبيت عراً، ولا تسلاً^(١) نساؤنا سَمَنًا، ولا تغزل وبزاً، ولا نخرج إلى عرفات، ولا نزائيل^(٢) حرمنًا، ولا نعظم غيره، ولا نطوف بين الصفا والمروة^(٣)، وكانوا يقفون بالمزدلفة^(٤) ومن سواهم من العرب يقال لهم: الحلة، كانوا يطوفون بالبيت عراً، ويقولون: نكرم البيت أن نطوف فيه بثيابنا التي اجترخنا^(٥) فيها الآثام.

قال: ومن بني فهر غير غالب عمود النسب: بنو الحارث بن فهر وبنو محارب بن فهر، فمن بني الحارث بن فهر: قيس بن الخُلج^(٦) بن الحارث، ويقال: الخليج بلاد قيس، سموا بذلك: لأنهم نزلوا الخليج بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام. منهم ابن هرمة^(٧) الشاعر، وهم: هرمة بن الهذيل بن ربيع بن عامر بن صبح بن عدي بن قيس.

ومن بني الحارث بن فهر: أبو عبيدة^(٨) أمين هذه الأمة، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن الحارث بن فهر، لا عقب له.

(١) سلاً السمن أو الدهن: أذابه بالتسخين، أي أن نسائهن لهن من يقوم بخدمتهن.

(٢) نزائيل: نبتعد ونفارق.

(٣) الصفا والمروة: موضع الطواف في الحج، وهما جبلان بين بطحاء مكة والمسجد، أما الصفا فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق، ومن وقف على الصفا كان يحذاء الحجر الأسود والمشعر الحرام بين الصفا والمروة. «معجم البلدان ٤١١/٣».

(٤) المزدلفة: مبيت للحاج ومجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات، والمزدلفة: المشعر الحرام ومصلّى الإمام، قيل: مزدلفة منقول من الازدلاف وهو الاجتماع. «معجم البلدان ١٢٠/٥ وما بعدها».

(٥) اجترخ الإثم: اقترفه وارتكبه.

(٦) وردت في القاموس بضمّتين، وفي كتاب المعارف لابن قتيبة بتسكين اللام.

(٧) ابن هرمة: هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكنانى القرشي، أبو إسحق، شاعر غزل من سكان المدينة، ومن مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، انقطع إلى الطالبيين وله شعر فيهم، كان مولعاً بالشراب وجلده صاحب شرطة المدينة، توفي سنة ١٧٦ هـ. «فهرس الأعلام ٥٠/١».

(٨) أبو عبيدة: هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي، الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، كان لقبه «أمين الأمة»، من السابقين إلى الإسلام، ولد بمكة، وتوفي بطاعون عمواس ودُفن في غور بيسان وانقرض عقبه، وكانت وفاته سنة ١٨ هـ. «فهرس الأعلام ٢٥٢/٣».

ومن بني محارب بن فهر: ضَرَار بن الخطَّاب^(١) بن مرداس بن كثير بن حبيب بن شيان بن محارب بن فهر، وهو القائل: [من الطويل]

ونحن بنو الحرب العَوَان نشبها وبالْحَرْبِ سُمِينَا فنحن محارب^(٢)

وعمود النسب من فهر بن مالك في ابنه غالب بن فهر وأمه ليلى بنت الحارث الهذليّة، منه فخذ واحد غير عمود النسب، وهم الأذَرَمِيون: ولد تيم بن غالب. والأدرم: الناقص الذقن، وهم قليل وقد ولدوا في العرب ولادات. وعمود النسب من غالب بن فهر في ابنه لؤي بن غالب^(٣)، وأمه عاتكة بنت مَخلد الكنانيّة النضريّة، وقيل: بل هي سلمى بنت عمرو الخزاعية، وهو تصغير اللّاي وهو ثور الوحش مهموز، وقال أبو حنيفة: اللّاي البعرة، وقيل: لؤي تصغير لأي وهو البطء: نقيض العجلة.

وأشدد أبو أسامة: [من الوافر]

فدونكُم بني لأيٍ أخاكم ودونك مالكا يا أم عمرو

وقال ابن دريد^(٤): هو مشتق من لواء الجيش وهو مهموز، وإن كان من لؤي^(٥) الرمل فهو مقصور، قال امرؤ القيس: [من الطويل]

* بَسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ^(٦) *

واللّوى: أعوجاج في ظهر الفرس. قال: ومن قبائل بني لؤي غير كعب عمود النسب: بنو عامر وبنو أسامة وبنو خزيمة، وهم: عائذة قريش وسعد، وإليه ينسب بنو ثباتة - بفتح النون وضمها - وهي أم سعد بن لؤي، بها يعرفون، وإليها ينسبون، وقيل: تُسبوا إلى حاضنة لهم اسمها نباتة من بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله؛ ويقال:

(١) هو ضرار بن الخطَّاب بن مرداس القرشي الفهري، فارس شاعر صحابي من القادة، من سكان الشّرة فوق الطائف، أسلم يوم فتح مكّة، استشهد في وقعة أجنادين سنة ٦٣٤ م. «فهرس الأعلام ٢/٣: ٢١٥».

(٢) العوان: التي قوتل فيها مرّة بعد أخرى.

(٣) هو لؤي بن غالب بن فهر، من قريش، من عدنان، جدّ جاهلي من سلسلة التّسب النبوي الشريف، كنيته أبو كعب، كان التّقدّم في قريش لبنيه وبني بيته. «فهرس الأعلام ٥/٢٤٥».

(٤) ابن دريد: من أئمة اللغة والأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وهو صاحب المقصورة الدريدية، ولد بالبصرة وتوفي ببغداد سنة ٣٢١ هـ. «فهرس الأعلام ٦/٨٠».

(٥) اللّوى: ما التوى وانعطف من الرّمل. (٦) الدّخول وحومل: موضعان.

سبع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاة. والحاتر بن لؤي، وعوف وجشم: أولاد لؤي.

فأما عامر بن لؤي، فمنهم ابن أم مكتوم الأعمى^(١) الذي نزل فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عَبَسَ: الآية ١]، وهو مؤذن رسول الله ﷺ بالمدينة، واسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن مُعَيْص بن عامر بن لؤي؛ ومنهم عمرو بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، الذي قتله علي بن أبي طالب يوم الخندق^(٢).

وأما بنو أسامة بن لؤي، فيزعم من نسب بني ناجية إلى قريش أنهم يلقون بني لؤي عند أسامة بن لؤي، وقد كان علي بن أبي طالب سباهم حين أقاموا على النصرانية ثم باعهم فيمن يريد، فاشتراهم مَصْقَلَة بن هُبَيْرَة الشيباني^(٣) بمائة ألف درهم، فَقَدَّم منها ثلاثين ألفاً وأعتقهم^(٤)، فَأَنفذ علي عتقهم، وهرب مصقلة ببقية المال إلى معاوية. وقد قيل عن علي أنه قال: ما أعقب عمي سامة بن لؤي.

وأما خزيمة بن لؤي، فإليه يُنسب القوم الذين يزعمون أنهم عائدة قريش، قال: وشيخ الشرف بن أبي جعفر النسابة يدفعهم عن النسب، وهم قوم تكثر بهم معاوية فأدخلهم في قريش، وعائدة هي ابنة الخُمس بن فُحافة بن خثعم، بها يُعرفون، وهم: بنو الحارث بن مالك بن عُبيد بن خزيمة بن لؤي، وعائدة أم الحارث هذا؛ ويقال: الحارث بن مالك بن عوف بن حرب بن خزيمة بن لؤي، وهم بمالك خمسُ أفخاذ من عوف: بنو جذيمة، وبنو عامر، وبنو سلامة، وبنو معاوية: أولاد عوف، وعائدة مع بني مَحَلَب بن ذهل بن شيبان، باديتهم مع باديتهم، وحاضرتهم مع حاضرتهم يد واحدة.

(١) ابن أم مكتوم: هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم، صحابي شجاع كان ضرير البصر، أسلم بمكة، وهاجر إلى المدينة بعد وقعة بدر، وكان يؤذن لرسول الله ﷺ، في المدينة مع بلال، حضر حرب القادسية وقاتل فيها وهو أعمى، ورجع بعدها إلى المدينة فتوفي فيها سنة ٦٤٣ م. «فهرس الأعلام ٨٣/٥».

(٢) الخندق: معركة انتصر فيها المسلمون، سُميت بالخندق لأن المسلمين حفروا خندقاً حول المدينة.

(٣) هو مصقلة بن هبيرة الشيباني، من بكر بن وائل، قائد من الولاة، وكان من رجال علي بن أبي طالب، ثم كان مع معاوية في صفين، قتل في طبرستان بعد أن توغل فيها، وهلك أكثر من معه وذلك سنة ٦٧٠ م. «فهرس الأعلام ٢٤٩/٧».

(٤) أعتقهم: حرّهم.

فلنرجع إلى عمود النسب، وهو من لؤي بن غالب في ابنه:

كعب بن لؤي بن غالب

وأُمّه ماريّة بنت كعب القضاعية، ومنه غير مرّة عمود النسب وهما بطنان: بنو عديّ وبنو هُصَيص؛ فأما بن عديّ، فمنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ابن نُفَيْل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب. وسعيد بن زيد بن نُفَيْل^(١) المذكور أحد العشرة^(٢). ومن بني عديّ: عبد الله بن مُطِيع بن الأسود بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عُويج - بفتح العين وضَمّها - بن عديّ بن كعب^(٣)، وهو وأبوه من الصحابة، وهو الذي أمره أهل المدينة حين أخرجوا بني أُميّة منها في وقعة الحرّة^(٤).

وأما بنو هُصَيص بن كعب فمنه فخذان: بنو جُمَح وبنو سهم: ابني عمرو بن هصيص.

فأما بنو سهم: فمنهم عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص.

وأما بنو جمح، فمنهم عثمان بن مظعون بن حُبَيْب بن وهب بن حُذافة بن جمح: هاجر الهجرتين وشهد بدرًا. ومنهم صفوان بن أُميّة^(٥) بن خلف بن وهب بن حذافة المذكور، كُتِبَ رسول الله ﷺ: «أبا وهب»، ومنهم أبو محذورة: أوس بن معين بن لؤذان بن سعد بن جمح، مؤذن المسجد الحرام لرسول الله ﷺ.

ويرجع عمود النسب وهو كعب بن لؤي في ابنه:

(١) هو سعيد بن زيد بن نفيل العدوي القرشي، أبو الأعور، من خيار الصحابة، هاجر إلى المدينة، شهد المشاهد كلها إلّا بدرًا لأنه كان في مهمّة أرسله بها النبي ﷺ، وكان من ذوي الرأي والبالغة، مولده بمكة ووفاته بالمدينة سنة ٦٧٢ م. «فهرس الأعلام ٩٤/٣».

(٢) أي هو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

(٣) هو عديّ بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، من قريش من عدنان، جدّ جاهلي، من نسله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. «فهرس الأعلام ٢٢١/٤».

(٤) الحرّة: أرض ذات حجارة، والحرار في بلاد العرب كثيرة أكثرها حوالي المدينة إلى الشام. «انظر معجم البلدان ٢٤٥/٢».

(٥) هو صفوان بن أُميّة بن خلف بن وهب الجهمي القرشي المكي، أبو وهب، صحابي فصيح جواد، كان من أشرف قريش في الجاهلية والإسلام، أسلم بعد الفتح، وهو من المؤلّفة قلوبهم، شهد اليرموك ومات بمكة سنة ٦٦١ م. «فهرس الأعلام ٢٠٥/٣».

مرّة بن كعب

وأُمّه وحشية بنت شيبان الفهريّة، ومنه غير كلاب الذي هو عمود النسب: بطنان وهما: بنو تميم، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ويكنى بعتيق، ابن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة: صاحب رسول الله ﷺ وأُنيسه في الغار بنصّ القرآن بقوله تعالى: ﴿ثَاقِبَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية ٤٠]، فشهد له القرآن بصحبة رسول الله ﷺ وناهيك بذلك شرقاً، وصهره، وخليفته ﷺ ورضي عن أبي بكر وأرضاه.

ومن بني تيم: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أحد العشرة، وبنو يَقْظَةَ بن مرّة، منهم: أم سلمة الصديقة: زوج النبي ﷺ، وهي بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرّة، وخالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم الملقّب بسيف الله. قال: وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد شرقاً ولا غرباً، وإن انتمى إليهم أحد فهو مبطل في انتمائه، وكلّ من ادعى عليه، فقد كذب. قال الشريف: وكان شيخنا الفقيه مجلّي بن جميع بن نجاء الشافعيّ قاضي مصر يدعى إليه، وهو على كتبه بخطه وشافهنا به ولا صحّة لذلك.

وعمود النسب من مرّة بن كعب في ابنه:

كلاب بن مرّة بن كعب

وأُمّه هند بنت بهز بن حكيم، وقيل: عروة. ومنه غير قصيّ عمود النسب: بطن واحد، وهم: زهرة بن كلاب؛ منهم: السيّدة آمنّة بنت وهب بن عبد مناف، ابن زهرة: أم رسول الله ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف^(١) بن الحارث بن زهرة: أحد العشرة، وسعد بن أبي وقاص^(٢).

(١) هو عبد الرحمن بن عبد بن عوف بن زهرة بن كلاب، أبو محمد، أحد العشرة، صلّى الرسول عليه السلام خلفه في غزوة تبوك، وتصدّق بأربعين ألف دينار، ورد أن عثمان مرض فكتب بالخلافة بعده له، فدعا الله أن يتوفاه قبل عثمان، فتوفاه بعد ستة أشهر سنة ٣٢ هـ، وله خمس وسبعون سنة. «الكاشف ١٥٩/٢».

(٢) هو سعد بن أبي وقاص، مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، فارس الإسلام وأحد العشرة، أسلم سابع سبعة، صحابي، ومناقبه جمة، توفي سنة ٥٥ هـ، له مائتا حديث وخمسة عشر حديثاً في كتب الحديث المعتمدة. «الكاشف ٢٨٠/١».

ويرجع عمود النسب منه في ابنه قصي بن كلاب بن مرة^(١).

وأمه فاطمة بنت سَيل الأزديّة، واسمه زيد، ويُدعى مجمّعا: لجمعه أمر قريش بالرحلتين وأوّل من جمع يوم الجمعة. وقيل: إنما سُمّي قصي «مجمّعا» لأنّه لما أخرج خزاعة من مكّة ورأى أنّه من صريح ولد إسماعيل عليه السلام، وأنّه أحقّ من خزاعة بالبيت الحرام، وبَنَى دار الندوة^(٢)، وجعل بابها إلى البيت الحرام، وتجمّعت قريش بمكّة، فسُمّي بذلك «مجمّعا»، لأنّه جمعهم ولم يجعل معهم غيرهم، وكان يجمعهم في دار الندوة.

وأما الرحلتان، فأوّل من سنّهما هاشم: فكان يرحل في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي فيكرمه، ويرحف في الصيف إلى الشام إلى غزّة، وبها مات؛ وربما وصل إلى أثقرة ويدخل على قيصر فيكرمه. وقد قال ابن الزُبَيْري^(٣): [من الكامل]

عمرو العلا هشَمَ الشريدَ لقومه ورجالُ مكّة مسنتون عِجاف^(٤)

سُنّت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأضياف^(٥)

وأما أوّل من جمع يوم الجمعة فهو كعب بن لؤي، وكان يُسمّى: يومَ العروبة، فكان يجمعهم ويعظّمهم ويحثّهم على اتّباع نبيّ من صلبه.

وإنما سُمّي قصيّا: لأنّ أمّه فاطمة بنت سعد بن سيل لما تقصّت^(٦) به مع زوجها ربيعة بن جذام القضاعيّ، فأحملها إلى بلاده من أرض عُذره من بلاد الشام سُمّي بذلك. قال: ومنه غير عمود النسب وهو عبد مناف بطنان: بنو أسد بن عبد العزّي بن قصي، وبنو عبد الدار بن قصي.

(١) هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، سيّد قريش في عصره ورئيسهم، والأب الخامس في سلسلة النسب النبوي. «فهرس الأعلام ١٩٨/٥».

(٢) دار الندوة: هي دارٌ كان يجتمع فيها الجاهليون للتشاور في أمورهم سلماً أو حرباً.

(٣) ابن الزُبَيْري: هو قطيّة بن زيد بن سعد بن امرئ القيس الثعلبي، من بني القين بن جسر، شاعر، قال ابن حبيب: كان سيّد قضاة في الجاهلية وأوّل الإسلام، وأورد أبياتاً من شعره في كتاب من نسب إلى أمّه من الشعراء. «فهرس الأعلام ٢٠٠/٥».

(٤) هشَمَ الشريد: أي كسر الخبز وأعدّه للشريد، والشريد: طعامٌ من خبزٍ مفتّت مبلول بالمرق، والمستنون: الذين أصابتهم سنة مجدبة، والعجاف: المجذبون.

(٥) في البيت «إقواء» وهو اختلاف حركة الزويّ في البيت عن سابقه، وقد ورد ذلك في أشعار العرب، وخاصة «النابعة الذبياني».

(٦) تقصّت به: علمت بحملها له.

فأما بنو أسد، فمنهم: خديجة بنت خويلد بن أسد: زوج النبي ﷺ؛ ومنهم: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد أحد العشرة وحواري رسول الله ﷺ.

وأما بنو عبد الدار بن قصي، فمنهم الحَجَبَة، فيهم: بنو شَيْبَة بن عثمان بن أبي طَلْحَة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، وفي بني عبد الدار: هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قال: وهي مسألة في النسب يُمتَحَنُ بها من يدَّعي علم النسب، يقال له: من يعلم في بني قصي جدَّ رسول الله ﷺ هاشم بن عبد مناف غير هاشم بن عبد مناف بن قصي؟

نرجع إلى عمود النسب من قصي بن كلاب في ابنه:

عبد مناف بن قصي

وأمه حُبَي بنت حُلَيْل الخزاعيَّة، واسمه المغيرة والقمر. ومنه غير هاشم عمود النسب ثلاث بطون: بنو المطلب، وهو العيص، وبنو عبد شمس وبنو نوفل: أولاد عبد مناف. فمن بني عبد شمس: أُمَيَّة الأصغر، يقال لولده: العَبَلَات؛ لأنَّ أُمَ أُمَيَّة هذا عَبَلَة بنت عبيد من البراجم بن تميم، وبنو أُمَيَّة الأكبر بن عبد شمس، منهم: ذو النورين: عثمان بن عفَّان بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس أحد العشرة وزوج ابنتي النبي ﷺ ورضي عنه. ومن بني عبد شمس: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله ﷺ؛ وكان النبي ﷺ يُنِّي عليه في صهارته خيرًا. ومن بني عبد المطلب بن عبد مناف: رهطُ بن عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب البدري، انقرض، وشافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب جدَّ الشافعي رضي الله عنه: وهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع. ومن بني نوفل: جُبَيْر بن مُطْعِم بن عدِي بن نوفل، وكان مَمَّن قام في أمر الصحيفة، وكان رسول الله ﷺ يشكر له ذلك، وهم يدُّ مع بني أُمَيَّة.

وعمود النسب من عبد مناف في ابنه هاشم بن عبد مناف، وأمه عاتكة بنت مُرَّة السلمية، واسمه عمرو العُلا، وسُمِّي هاشمًا لكرمه وهشمه الثريد في الجذب مبتدأً بذلك، انقرض جميع ولده من الذكور إلا عمود النسب عبد المطلب، وكان له أسد بن هاشم، منه: فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وهي أوَّل هاشمية تزوجت هاشميًا فولدت له، وانقرض أسد إلا منها، وكان رسول الله ﷺ يقول: هي أُمِّي بعد أُمِّي، والعقب من هاشم في ابنه:

عبد المطلب بن هاشم

وأمه سَلْمَى بنت زيد النجارية: وهو شَيْبَةُ الحمد، أعقب من غير عبد الله عمود النسب من بني أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب والعبّاس بن عبد المطلب والحارث بن عبد المطلب وأبا لهب بن عبد المطلب وهو عبد العزّى.

فأما بنو أبي طالب فهو ثلاث بطون: بنو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب: وهم العلويّون، وبنو جعفر الطيّار: وهم الجعفريّون، وبنو عَقِيل بن أبي طالب: وهم العَقيليّون.

فالعلويّون خمس أفخاذ: بنو الحسن بن عليّ، وبنو الحسين بن عليّ، وبنو محمّد بن الحنفية: وهم المحمّديّون، وبنو العباس السقاء بن عليّ: سَمِيَ بذلك لأنه كان قد سقى أخاه الحسين الماء بالقربة في الطّف^(١)، وبنو عمر الأطراف بن عليّ، وفي كلّ فخذ منهم عدّة عشائر.

وأما الجعفريّون فثلاث أفخاذ: بنو عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهم الزينبيّون، لأنّ أمّ عليّ هذا زينب بنت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ بنت عليّ رضي الله عنه، وبنو إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبنو إسحق العِرضيّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. والعرض: موضع بالمدينة، وفي كلّ فخذ عدّة عشائر.

وأما العَقيليّون، ففخذان: بنو محمّد ومسلم: ابني عبد الله الأحول بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: فهؤلاء بطون بني طالب.

وأما العباسيّون، فبطنان: بنو عبد الله الحَبَر^(٢) ومَعْبَد: ابني العباس بن عبد المطلب.

فأما عبد الله، فمنه ثمانى أفخاذ: بنو عبد الله وانقرض، وبنو عيسى، وبنو عبد الصمد، وبنو داود، وبنو إسماعيل، وبنو صالح: صاحب الشام، وبنو سلمان: صاحب البصر، وبنو محمد الكامل: جدّ الخلفاء أولاد عليّ السجّاد^(٣) بن عبد الله بن العباس.

(١) الطّف: في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، وهي أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، وهي أرض بادية قريبة من الرّيف فيها عدّة عيون جارية. «معجم البلدان ٣٦/٤».

(٢) الحبر: العالم، ويريد بالحبر، عبد الله بن عباس.

(٣) السجّاد: الكثير السجود.

وأما مَعْبِد، فمِنه فخذان: بنو داود ومحمد: ابني إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس: فهؤلاء بنو العباس بن عبد المطلب.

وأما الحارث بن عبد المطلب، فمِنه ثلاث أفخاذ: وهم الحارثيون: بنو ربيعة، وبنو نوفل، وبنو أبي سفيان: أولاد الحارث بن عبد المطلب: فهؤلاء بنو الحارث.

وأما أبو لهب عبد العزى، فمِنه فخذان: بنو عُثْبَة وبنو مُعْتَب: ولدَي أبي لهب. وعمود النسب الشريف في عبد الله بن عبد المطلب، وأمه أمنة بنت عمرو المخزومية، ولا عقب لعبد الله بن عبد المطلب إلا من سيدنا رسول الله ﷺ وهو محمد النبي العربي، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (واسمه قيس) ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أذ بن أد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قidar بن إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل ﷺ ابن تارح، وهو آزر بن ناحور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر: وهو هود النبي عليه السلام، وهو جماع قيس ويمن ونزار وخندف بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ابن لَمَك بن مُتَوْشَلَخ^(١) بن أخنوخ: وهو إدريس النبي عليه السلام ابن يَارَد بن مَهْلَائِيل^(٢) بن قَيْنَان بن أُنُوش بن هبة الله شيث بن أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر أنبياء الله تعالى أجمعين: [من الكامل]

نسبٌ كأنَّ عليه من شمس الضحى نورًا ومن فلق الصباح عموداً^(٣)

وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تعالى آدم، أهبطني في صلبه إلى الأرض، وحملني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني من الأصلاص الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبوين لم يلتقيا على سيفاج^(٤) قطّ»، وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب^(٥) رضي الله تعالى

(١) في التوراة: متوشالخ. (٢) في التوراة: مهلائيل.

(٣) الفلق: الصبح ينشق من ظلمة الليل، وعمود الصبح: ضوءه.

(٤) السفاج: أن يقيم الرجل مع المرأة من غير زواج صحيح.

(٥) هو العباس بن عبد المطلب، أبو الفضل، عم رسول الله ﷺ، أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه، =

عنه بقوله حيث يقول: [من المنسرح]

مِنْ قَبْلِهَا طَبَّتْ فِي الْجِنَانِ، وَفِي مُسْتَوْدَعٍ، حَيْثُ يُخَصَفُ الْوَرَقُ^(١)
ثُمَّ هَبَطَتْ الْبِلَادَ، لَا بَشَرٌ أَنْتَ، وَلَا مُضْغَةٌ، وَلَا عَلَقُ^(٢)
بَلْ نَطْفَةٌ، تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ الْجَمَّ نَسْرًا وَأَهْلَهُ، الْغَرَقُ^(٣)
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَجَمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ، بَدَا طَبَبُ^(٤)

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَسْعَدِ الْخَلْقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ أَفْضَلَ
صَلَوَاتِكَ وَسَلَامِكَ عَدَدَ خَلْقِكَ، وَأَجْرِ لَطْفِكَ فِي أُمُورِنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، حَسْبُنَا اللَّهُ
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!

كَمَلُ الْجُزْءِ الثَّانِي

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب
يتلوه إن شاء الله تعالى في أوّل الجزء الثالث:
«القسم الثاني من الفن الثاني في الأمثال»
وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلّى الله وسلّم على أشرف الخلق أجمعين

= وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله ﷺ أخبار المشركين، وشهد وقعة حنين، وفتح مكة، وعمي في آخر عمره، توفي سنة ٦٥٣ م. «فهرس الأعلام ٣/ ٢٦٢».

(١) يخصف الورق: يخالط ويخرز ويلصق بعضه ببعض.

(٢) المضغة: القطعة التي تمضع من اللحم، والعلق: حشرة سوداء شبه الدودة تمتص الدم.

(٣) النطفة: المنى من الرجل، ونسراً: يريد قوم نوح الذين كانوا يعبدون الأصنام وورد ذكر آلهتهم في القرآن الكريم، سورة نوح، الآية ٢٣.

(٤) الصالب: يريد طلب الإنسان، أي ظهره حيث تجتمع الأصلاب، والطبق: الحال والمنزلة وفقر الظهر. يريد: إذا مضى أناس ظهر أناس غيرهم في دورة حياة متتابعة.

فهرس المصادر المُستخدمة في التحقيق

- ١ - القرآن الكريم، «القرآن الكريم المفسر».
- ٢ - التوراة، «سفر التكوين».
- ٣ - إعجام الأعلام، محمود مصطفى، دار الكتب العلمية.
- ٤ - الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية.
- ٥ - الانتصار لواسطة عقد الأمصار، لابن دقماق، ط. بولاق.
- ٦ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف المظنون، لإسماعيل باشا الباباني البغدادي.
- ٧ - التنبيه والإشراف، لابن قتيبة الدينوري، مصر.
- ٨ - خزانة الأدب، للبغدادي، دار صادر - بيروت.
- ٩ - ديوان الحماسة، لأبي تمام «شرح التبريزي»، دار القلم - بيروت.
- ١٠ - ديوان جميل بن معمر، دار صادر.
- ١١ - ديوان عبيد بن الأسرحي، دار صادر.
- ١٢ - ديوان كعب بن زهير، دار الشواف، الرياض.
- ١٣ - ديوان المتنبي، دار الكتب العلمية.
- ١٤ - ديوان النابغة الذبياني، دار صادر، بيروت.
- ١٥ - ديوان كشاجم، «محمود بن الحسين»، دار صادر، بيروت.
- ١٦ - ديوان أشعار الهذليين، دار الكتب المصرية.
- ١٧ - الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني.
- ١٨ - ذم الهوى، لابن الجوزي.
- ١٩ - سبائك الذهب، للبغدادي الشويري، بغداد.
- ٢٠ - الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية.
- ٢١ - شفاء الغليل، للخفاجي.
- ٢٢ - صبح الأعشى، للقلقشندي، دار الكتب العلمية.

- ٢٣ - صفة الأطعمة، دار الكتب المصرية.
- ٢٤ - العبر وديوان المبتدأ والخبر، المعروف بـ «تاريخ ابن خلدون».
- ٢٥ - العقد الفريد، لابن عبد ربه، دار الكتب العلمية.
- ٢٦ - العمدة، لابن شيبا القيرواني، دار الكتب العلمية.
- ٢٧ - فقه اللغة، للثعالبي، دار الكتب العلمية.
- ٢٨ - قاموس الضحاح، للجوهري.
- ٢٩ - القاموس المحيط، للفيروزآبادي.
- ٣٠ - الكاشف، للذهبي، دار الكتب العلمية.
- ٣١ - لسان العرب، لابن منظور.
- ٣٢ - مجمع الأمثال، للميداني، دار الكتب العلمية.
- ٣٣ - المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري، دار الكتب العلمية.
- ٣٤ - المعارف، لابن قتيبة الدينوري، ط. مصر.
- ٣٥ - معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر.
- ٣٦ - معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية.
- ٣٧ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، «محمد فؤاد عبد الباقي»، دار الفكر، بيروت.
- ٣٨ - المؤلف والمختلف، للآمدي، دار الكتب العلمية.
- ٣٩ - المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد المغربي، دار المعارف، مصر.
- ٤٠ - الملل والنحل، للشهرستاني، دار الكتب العلمية.
- ٤١ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، للقشندقي، دار الكتب العلمية.
- ٤٢ - وفيات الأعيان، لابن خلكان.
- ٤٣ - يتيمة الدهر، للثعالبي، دار الكتب العلمية.

فهرس المحتويات

الفن الثاني

في الإنسان وما يتعلق به

القسم الأول

في اشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، ووصفه، وتشبيهه،

والغزل، والتسبيح، والهوى، والمحبة، والعشق، والأسباب

الباب الأول من القسم الأول من الفن الثاني في اشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته،

وطبائعه، وما يتصل بذلك ٩

فصل ١٢

فصل ١٤

فصل في ظهور الشيب وعمومه ١٦

الباب الثاني من القسم الأول من الفن الثاني في وصف أعضاء الإنسان

وتشبيهها ٢٠

فصل في تفصيل أوصافه ٢٢

ذكر ما قيل في الشيب والخضاب من المدح والذم ٢٦

فصل في عوارض العين ٥١

فصل في كيفية النظر وهيئته ٥١

فصل في ترتيب البكاء ٦٤

فصل فيما قيل في الأنف ٦٤

فصل في تقسيم ماء الفم ٦٥

فصل في ترتيب الضحك ٦٦

فصل في مقابحها ٧٤

فصل في ترتيب الأسنان ٧٥

فصل في عيوبه ٧٨

٧٨	فصل في ترتيب العِي
٨٢	فصل في ترتيب الصَّم
	الباب الثالث من القسم الأول من الفن الثاني في الغَزَل، والنَّسِيب، والهوى،
١٣٩	والمحبة، والعشق
١٤٠	فأما كلام الحكماء والفلاسفة
١٤١	وأما كلام الإسلاميين وما قالوه فيه
١٤٣	ذكر مراتب العشق وضروبه
١٤٥	ذكر ما قيل في الفرق بين المحبة والعشق
١٥١	فصل
١٥١	فصل
١٥٣	فصل
١٦٥	ذكر شيء من الشعر المقول في ذم العشق والحب
	ذكر شيء مما ورد في التحذير من فتنة النساء، وذم الزنى، والنظر إلى المزدان،
٢١٠	والتحذير من اللواط، وعقوبة اللواط
٢٢٢	ذكر نبذة مما قيل في الغَزَل والنسب
٢٩٥	الباب الرابع من القسم الأول من الفن الثاني في الأنساب
٢٩٦	الطبقة الأولى الجذم
٣٠٤	أصل النسب أبو البشر آدم عليه السلام
٣٣٦	إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام
٣٤٨	ذكر نسب قيس وبطونها
٣٥٥	إلياس بن مضر بن نزار
٣٦٠	مُدْرِكة بن إلياس بن مضر
٣٦٣	مالك بن النضر
٣٦٣	فهر بن مالك
٣٦٧	كعب بن لؤي بن غالب
٣٦٨	مرة بن كعب
٣٦٨	كلاب بن مرة بن كعب
٣٧٠	عبد مناف بن قصي
٣٧١	عبد المطلب بن هاشم
٣٧٥	فهرس المصادر المُستخدمة في التحقيق